A D N A N  A L - S A Y E G H

POEMS

# نشيد ساوروك

قصيدة طويلة

عدنان الصائغ

**نشيد أوروك / شعر**
**( هذيانات داخل جمجمة زرقاء لا علاقة لعدنان الصائغ بها )**
عدنان الصائغ / مؤلّف من العراق
**الطبعة الثانية ، 2006**
حقوق الطبع محفوظة

**المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
**المركز الرئيسي :**
بيروت ، الصنايع ، بناية عبد بن سالم ،
ص.ب :5460-11 ، العنوان البرقي : موكيالي ،
هاتفاكس : 751438 / 752308
**التوزيع في الأردن :**
**دار الفارس للنشر والتوزيع**
عمّان ، ص. ب : 9157 ، هاتف : 5605432 ، هاتفاكس : 5685501
E-mail : info@airpbooks.com
موقع الدار الألكترونيّ : www.airpbooks.com
الإشراف الفنّي وتنفيذ الغلاف :
سمير سيف®
الخطوط وتصميم الغلاف :
**محمّد سعيد الصكّار / العراق**
الصفّ الضوئيّ :
**المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر**
التنفيذ الطباعيّ :
**مصطفى قانصو للطباعة والتجارة / بيروت ، لبنان**

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أيّ جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأيّ شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر .

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

ISBN 9953-36-887-2

POEMS

عدنان الصائغ

# نشيد ساوروك

أو

هذيانات داخل جمجمة زرقاء
لا علاقة لعدنان الصائغ بها

**قصيدة طويلة**

**Adnan Al-Sayegh**
**Uruk´s Anthem**
A long poem written in 1984 - 1996

**Iraqi Professional Forum**
partners in power
This book has been published with financial support
from the group of Iraqi Professional Forum Ltd.
Company in UK.

**نشيد أوروك**
**أو**
**( هذيانات داخل جمجمة زرقاء**
**لا علاقة لعدنان الصائغ بها )**

الطبعة الأولى : دار أمواج ، بيروت ، 1996

لا شيءَ ، ولا حتى الانتصارُ
سيردمُ الفراغَ الفظيعَ الذي خلَّفَهُ الدَّمُ
لا شيءَ ، ولا حتى البحرُ ولا خطواتُ
الرملِ والزمان
والنبات المحترق
فوق اللحْدِ

نيرودا

**في** المحافلِ(*) . . .

. . أو في المزابلْ

في الأغاني التي كرّرتها الإذاعاتُ

في حجرِ القحطِ يجرشُ ضحكَ السنابلْ

في دروبِ الصحافةِ ، في اللادروبِ

الغروب الذي سالَ

. . . أو مالَ

مَنْ قالَ : إنَّ القصيدةَ لا تنتهي في جيوبِ المقاولْ

---

(*) في القصيدة تتداخل الأزمنة والأمكنة والأشخاص والأحداث والاستذكارات والتواريخ والأساطير والسير والسحر والجنس والعقائد والفلسفات والتراث الفكري الإنساني بما يشبه هذيانًا طويلاً متواصلاً . وترد إشارات واقتباسات ورموز وإحالات عديدة أذكر بعضها لإيضاح ارتباطها الفني والفكري والدلالي في تكوين النص .

في مقصِ الرقيبِ [ سينسى عويناتِهِ القزحيةَ
. . . فوق سرير البغيِّ ]
فيشطبُ - في الصبحِ - نصفَ القصيدةِ
كي تستقيمَ
مع الميلانِ الأخيرِ
لوزنِ الوظيفةِ

كلبٌ
سيقعي على ما تبقى من الوردِ
ماذا تبقى من النحلِ في دفترِ الطفلةِ الناحلةْ
طار الفراشُ وراء ضفائرها
الفراشُ الذي ضلَّ
أو ملَّ
هاهي ترضعُ - خلفَ زجاجِ المكاتبِ - طفلتها
وتراقبُ - بين هلالين - بابَ المدير [ . . يمرُّ
رذاذُ الصباحِ على شعرها
فيمشّطهُ بالأغاني
تمرُّ الرياحُ - التي رفعتْ ثوبها فتضرّجَ خدُّ الرصيفِ - مقهقهةً ،
وهي تحلمُ بالبحرِ
لا زبدٌ غير ما خلّفَ العابرون
على شرشفِ الجسدِ المرِّ

مرَّ المديرُ يكرّز أيامها
ساعةً ساعةً
ثم يقذفها
كالقشور ، على الرفِّ
مرَّ تلصُّصُ ساعي البريدِ على فتحةِ الثوبِ
فارتبكتْ – في يديهِ – رسائلُ مَنْ عبروا مرجَها ،
يقطفون الزهورَ
إلى الفتياتِ
ويمضون قبل الخريفِ الأخيرِ
أكانت ترى في زهورِ المعارضِ أيامَها
تتلوّنُ في المستشفياتِ
. . وتذبلُ . . . ]
ماذا تبقى من الحلمِ في حلمتيها؟
الدموعُ ستنسى مناديلها
والخريفُ سينسى
صهيلَ المروجِ على بابها

. . . . . .

تتملكني رغبةٌ في البكاءِ على صدرها . .
أين . . . . . .؟
ما تتركُ العرباتُ على الثلجِ ، ما تتركين على دربِ قلبي
وأبكي إذا مرَّ بي عاشقانِ . .

فيسألني ساعدي : أين خصرُ حبيبي!؟ . .
يلاحقني وترٌ نازفٌ
- في الكمانِ -
على شارعِ الليلِ .
أشنقُ نفسي بخيطِ ضياءٍ نحيلٍ
تحدّرَ من جسرِ «بابِ المعظّمِ» ،
مرتعشًا
ستقاطعهُ المركباتُ . . . . . .

خسرنا البلادَ
خسرنا الأغاني
ورحنا نجوبُ المنافي البعيدةَ
نستجديَ العابرين
ولي ، في الرصافةِ
نخلٌ وأهلٌ
ولكنهم ضيّعوا
- في الهتافاتِ -
صوتَ المغني
[وعبود . . . . . .
يرنو لسوطِ المحقّقِ ، . .
وهو يلملمُ أقوالَهُ الذابلةْ ]

أيها الذابلُ الآنَ
تحت غصونِ المكاتبِ
كمْ عبرتْ قلبَكَ الغيمةُ القاحلةْ
وحيدًا . .
على الرملِ ،
تحلمُ أن تكتري غرفةً
أسفلَ الذكرياتِ
تؤثثها بالأرائكِ والكلماتِ
ترى – من خلالِ النوافذِ معتمةً –
مطرَ العابراتِ
ينثُّ
ينثُّ
وقلبك أظمأُ من حجرٍ
صاعدًا سلّمَ الراتبِ المتآكل
نحو الجريدةِ [ – هل تشتهين القصائدَ بالشكولاتا؟ ]
تشيرُ لسائقها
يفتحُ البابَ

– هل تفتحين له بين ساقيكِ ،
هذا الممرَ الشهيَّ
لمعطفها الفروِ دفءٌ لذيذٌ ودفلى . وأنتَ وحيدٌ .
تمرُّ عليك الصداقاتُ ، باردةً . كوبُهُ باردٌ ، ويداكِ . . . على مرمرٍ من

نعاسِ يديكِ انفتحنا على البحرِ : لا موجةٌ خارج البحرِ ، لا وطنٌ غير هذا الحنينِ . انكسرنا على مقعدين كظلِ الغروبِ .

رأيتُ البناياتِ
تهبطُ للقاعِ
ذائبةً
في ظلال رموشكِ .
ينسفحُ الكحلُ بين التويجِ
ووجهي
رأيتُ بلادي تنهشها الطائراتُ

صرختُ : بلادي
فقصَّ الرقيبُ الحروفَ الأخيرةَ ،
معتذرًا بالدخانِ الذي
يحجبُ الأفقَ ، واللافتاتِ

صرختُ :
بـ . . لا . . .
ففزَّ نعاسُ الأميرةِ من هدبها
برمًا ،
وتثاءبَ سربُ الحمامِ
على الشرفةِ الملكيةِ .
فاستنفرَ الجندُ أقواسَ آذانهم

خلفَ ذئبِ الصدى ،

عابرًا

- في الهزيعِ المضرّجِ -

سورَ المَدينةِ نحو البراري

التي تركَ الجندُ أشلاءَهم فوقها . .

ثم فرّوا

إلى البحرِ

- ما أبعدَ البحرَا!

قال أبي ، ومضى عجلاً للعياداتِ

قال المفوّض : ماذا جنيتَ من الشعر؟

- وهو يقيسُ المسافةَ مابين عنقي

ومروحةِ السقفِ -

قال المقاولُ : كمْ تدفع الآن؟

قالتْ فتاةُ الكوافير : لا

أفهمُ

الشعرَ

قال المحرّرُ منكفئًا خلف نظّارتيهِ :

سأشري بسعرِ المقالةِ

كيسَ بطاطا . .

]وعبود ،

يزحفُ
في ساحة العرضاتِ ! :
صباحَ الأناشيدِ ،
يا
مدنَ
الحربِ . . .
إنَّ
القنابلَ
لمْ
تفطرِ
الآن . .

أيُّ الرصاصِ سيوصلنا للنهايةِ
لوطيةٌ هذه الأرض - يا سيدي -
والحكوماتُ تلهووووووووو بخصيانها
كلما قلتُ :
آه ، بلادي . . . . .
تدفّقَ فوقَ لساني أساها ، فأخرسُ ،
مختنقًا بشظاياي . .
( . . أصفنُ
خلفَ المنصّة .
من أين أبدأُ . .؟)

خذْ جرعةً من خمورِ العراق . .
ستعرفُ أيَّ أنينٍ
تخبئُهُ ناياتهم
في جنوبِ القرى
أيّ قلبٍ يشفُّ
وراء الزجاجةِ حتى
يكاد لفرطِ الحنينِ
يسيلُ
مع الحببِ المتراقصِ . . . (تركضُ
- في الميكرفون -
خيولُ
الكلامِ
وتسحقني .
المدافعُ محشوةٌ بأنين البلاد
فمَنْ يطلقُ الفجرَ
من إبطها
وينظّفُ هذي السماءَ من الرملِ .
التصقْ تصفيقَ قبّرتين على قبر سنبلةٍ
لمْ تتمَّ التأرجحَ في فهرسِ الماءِ
أبصرتني في الممرِ إلى مرمرٍ مرَّ في نرجسٍ عاطلٍ مثل
ظلّكَ في بلدٍ حائلٍ يتشبّثُ بـ
النردِ .

يرميهِ كاهنُ ديفي[1]
على صحن عاقرةٍ :
الجماعُ
يدرّرُ ألبانها[2])
تعبرُ الطائرات - نباحُ السماءِ
ومن تحت شباكها
مرتِ السحبُ ، سحبُ الكلام المدندشِ . . . .
هلْ عمرُنا نزهةٌ في المقابرِ؟
[كلُّ الأناشيـ
ـدِ (والوطنُ المتخثـ
ـرُ فوقَ الموائـ
ـدِ)
تكنسها
- في المساءِ -
مع القيءِ
عاملةُ البارِ . .

---

(١) إلهة الهند الكبرى «فاهاديفي» تقول الإسطورة الهندية إنها تحمل العالم في رحمها وتشعل ضوء الحكمة . وصلت عبادتها إلى أقصاها خلال فترة التانترا في القرن السابع إذ وجد أتباعها أن الخلاص يمكن أن يتم عن طريق الميثونا ؛ أي من خلال الزوجين الذكر والأنثى . وصفها الناسك شانكارا في القرن التاسع : «إن يديك تحملان السعادة والألم وشبح الموت وأكسيد الحياة» .

(٢) إشارة إلى الحكمة الأشورية القديمة : «الجماع يدرر اللبن» .

. . يا ردفها المترجرجَ
- يا أولَ الفصلِ -
ملتصقًا بالسياجِ الوطيءِ
ستحني لهُ غصنَها المتثاقلَ
يدنو ليقطفَ من خوخِها الغروِ . .
تجفلُ
يدفعهُ دبقًا بين أحراشها
فتئنُّ طويلاً . .
وتهدأُ
ينفلتُ العشبُ من قبضتيها
فتغفو . .
على صدرِهِ المتطامنِ ، . .
حتى الفصول الأخيرة
من
دبقِ الحربِ ] . . .
قبل مرورِ المقصِّ
على سيرةِ الأرملةْ
. . . . . .
وخلفَ سماءِ الحديدِ المشبّكِ
أسمعُ
- كلَّ صباحٍ -
زعيقَ الجرائدِ

يغطي نحيبَ البلادِ
ومن شرفةِ الجنرالِ الوضيئةِ
مرتْ غيومُ الخطابةِ
مرَّ النشيدُ المجلّجلُ
لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ
مرَّ الصباحُ المكبّلُ
لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ
مرَّ المصفّقُ
قُ قُ قُ قُ قُ قُ قُ قُ
مرَّ المهرّجُ
جُ جُ جُ جُ جُ جُ
مرّ المزمّرُ ،
رُ رُ رُ رُ رُ رُ رُ
مرّ المطبّلُ
لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ
مرّوا ولا زيتَ - في البيتِ - أو بصلُ
لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ لُ

هيئي الآن - أرملةَ الندبِ - لحمَ صباكِ المقدَّدَ
وانتظري الفضلاتِ
على الطاولةْ

لهْ لهْ لهْ لهْ لهْ

لقد كرّشتْ بطنها الحربُ

ما تُخمتْ

بعدُ ،

ما سوّسَ اللحمُ أسنانَها القاتلةْ

لهْ لهْ لهْ لهْ لهْ

(يضعُ الجنرالُ

- على حافةِ الصحنِ -

أضراسَهُ

وينظّفها

فتطير

ر

رررر

الإشاعاتُ

- مثل البعوضِ -

بحاراتِ بغداد :

كان ينظّفها من بقايا لحومِ الرعيةِ) . . .

كنتُ نسيتكَ . هذي الخيولُ تخبُّ دمي في رغام الهوام ، مجففةً بالتدرج في أرخبيلِ الكلام وفي قشرةِ الموزِ يعلكها طَفْلُهُ ، خارجًا من حصارِكَ في كفنِ الشهداءِ إلى قهقهاتِ العواصمِ (كلُّ اللغاتِ تريدُ لها ترجمانًا ، فكيفَ سأفلتُ من وجعي

آهِ من لغتي

لا تطاوعني
كلما طفحَ القيءُ
غطّتْ فمي
بالقواميسِ)
تسعلُ ، أدركُ أنكَ ما زلتَ تحيا
سعالَ الحياةِ الطويلَ
أقول لفاوست[1] :
مَنْ باعنا
للشياطين؟
لا مشترٍ لك آخر . . .
يأتي[2]
ومَنْ سيؤرّخنا بعد موت المؤرخِ؟
- من أنتَ؟
أح ح ح ح حشاااااءءءءءء
ء
من
ككككك . . . تـ . .

---

(١) ساحر شبه أسطوري من أوائل القرن السادس زعم أنه باع روحه للشيطان مقابل المتع الدنيوية . استلهمه غوته في عمله الذي استغرقه حوالي ٤٠ عامًا وأنهاه قبل موته بأشهر .

(٢) اقتباس من قصيدة للشاعرة البولونية فيسلافا زيمبورسكا تقول فيها : «بعني روحك فليس من مشترٍ محتملٍ آخر يأتي» .

بٍ . . . . .

. . . . وشوارع ع ع

ع

مهضومةٌ[1]

ماضيًا ، والبسوسُ تجرُّ البسوسَ :

أباعرَ مهزولةً

ومدافعَ

نحيا الزمانَ قتيلاً

يجر

قتيلا

كأنَّ الحياةَ لنا سُبَّةٌ

والأماني لنا نبوةٌ

والهوى ليس يصلحُ إلاّ

على ركعتين

من الدم[2] . . .

[أجلسُ في شرفةِ الصحو ،

أنتفُ ريشَ الغمامِ

---

(١) استفادة من مقولة الشاعر الفرنسي بول فاليري : «شهوة الأصالة أمُّ الاقتباسات كلها وأمٌ للمحاكاة . لا شيء أكثر أصالة لا شيء هو ذاتك أكثر من أن تتغذى ذاتك من الآخرين لكن يجب هضمهم . ما الأسد إلاّ بعض خرافٍ مهضومة» .

(٢) إشارة إلى قول الحلاج : «ركعتان في العشق لا يصحُّ وضوؤهما إلا بالدم» .

شفاهي مشققةٌ كجذوعِ النخيلِ على الجرفِ
أرقب خوفو ،
وحيدًا ،
- على قمةِ الهرمِ المستدقّةِ -
يكرعُ خمرةَ شعبٍ أُبيدَ . . . .
حزينًا ،
يقلّبُ طرفيه بين عظامِ الهياكلِ . .
يهتفُ : يا شعبُ . . .
لا شيء ، غير صدى حجرٍ
يتدحرجُ جُ جُ جُ جُ جُ
جُ جُ جُ
جُ جُ
جُ
. . . في البئرِ
يزعقُ :
. . . . . يا جندُ
يقفزُ - بين شقوقِ الحجارةِ -
جرذٌ سمينٌ
يجرُّ بقايا ذراعِ فتاةٍ . . . . فيفزعُ خوفو[1] . .

---

(١) صاحب الهرم الأكبر (٢٦٠٠-٢٥٦٠ ق .م) - أحد عجائب الدنيا السبع - وهو ثاني الفراعنة من الأسرة الرابعة الحاكمة . وقد كتب هيرودوت : «إن بناء ==

ويهبطُ
في السلمِ الحلزوني ،
يغلقُ بوّابةَ القصرِ
ثم يموت
وحيدًا . . ] رأيتُ الطرائدَ في شبك الاتساعِ
رأيتُ دمي في الرقيمِ
إلى جنبهِ كاتمُ الصوتِ
يلمعُ مبتسمًا
ويصافحني بحياءٍ
رأيتُ جهازَ التنصّتِ ،
ملتصقًا بصدورِ الصبياتِ ،
يردحن في الحفلاتِ
رأيتُ الحدائقَ مهجورةً
في غيابكِ
والدودَ أصفرَ يدبي إليَّ
رأيتُ دماءَ العبيدِ
على حجرِ المعبدِ السومريِّ
يطنُّ عليها ذبابُ العصور
رأيتُ إلى العصرِ يسقطُ

---

== الأهرام استغرق عشرين عامًا ، واشتغل فيه خلال هذه المدة مئة ألف عامل» .

من ناطحاتِ السحاب
رأيتُ «الخيامَ»[1]
- بحانةِ شيراز -
يحسو كؤوسَ الوجودِ ،
وينسى الحساب
رأيتُ الكتاب
- بأسواقِ اسبارطة[2] -
بحّ :
مَنْ يشتريني؟
رأيتُ أبي نائمًا
- فوق محراثِه -
ولصوص الحكومةِ ينتهبون سنابلَهُ والأغاني
رأيتُ البروقَ الطروقَ تشقُّ بحربتها بطنَ قنطور[3] حتى تدلّتْ مع الكرْمِ أمعاؤهُ ،

---

(١) الشاعر الفارسي عمر الخيام .

(٢) إشارة إلى بقاء الكتب مكدسة في أسواق اسبارطة القديمة دون أن تجد من يشتريها .

(٣) كائن خرافي نصفه إنسان ونصفه الآخر فرس .

وبعوض إيزوبوس[1] يحمل جثتنا

ويطيرُ . .

رررُ

رأيتُ المعري يقدّمُ أشعارَهُ علفًا للجوامـ

يسِ

في خطـئي فكرةٌ أنتَ أخطأتهـا في التفـقّـهِ حتى استطالتْ حـبالاً لشنقي .

تركنا الحقائبَ فارغةً كالحقائقِ

فوق رصيفِ مدائنِ نيبور[2] كي نلحقَ

القاطراتِ

التي مضغتْ تبنَ تأريخنا ،

فتجشّأ ثغرُ المذيعةِ حين رأتنا نؤجّجُ ثوراتنا بالكلامِ ،

فقامتْ

لتولعَ

سيجارها الماليبورو . .

ووووووو

فالتهبَ القشُّ تحتَ الأرائكِ ، . . .

---

(١) جاء في خرافاتِ ايزوبوس : «وقفت بعوضة على قرن ثور لتستريح ثم قالت وهي تصدر الطنين : إذا كنت قد أثقلت عليك وضغطت على رأسك فسوف أطير عن طيب خاطر وأستقر فوق شجرة على شاطىء النهر؟» .

(٢) أول مدينة على الأرض في الأساطير السومرية .

ثم أضافتْ : [ وصرّحَ في الاجتماعِ المُدارِ
وزيرُ الحصارِ : (لقد نفدَ الزيتُ - يا سادتي -

في مخازنِ دولتنا ،
فليقلِّ المواطنُ بيضتَهُ
بالضراطِ . .) . . . . .

وقام ليشرحَ
فامتعضَ الجنرالُ
وقالَ لسيّافه
أن يعدِّلَ ميلَ الوزيرِ
- على شاشةِ العرضِ -
قبلَ انتهاءِ المذيعةِ من طيٍّ نشرتها

ثم اطوِ المذيعةَ
تحتكَ
أو انشرِ الأرضَ شاهدةً
بين قبرِ الوزيرِ
وبين الجماهيرِ . . . . ] . . . . . دوزنها الخوفُ فارتفعتْ كالمآذنِ آذانها ، تتقرى
خطى الجَزَماتِ
أمام السلالمِ
ترفو الفتوحاتِ متروكةً كالمفاتيحِ يحملها عاملُ الشقةِ . انضغطتْ

حلمتاها فتاهتْ يداهُ تخرخشُ بين البيانو ومطبخها في السريرِ

يطيرُ الذبابُ من الحاوياتِ ،

فتغلقُ شباكَ فتنتها

عن عيونِ السكارى

وهم يلطمون الرصيفَ بنسوانهم

والقناني

السكارى خطايا الإله على الأرضِ

لمْ يكنِ الحانُ أأثمُ من ثغرها . ليكنْ بعض معنى يَشِي بثنائيتي في الأُفُولِ المؤوّلِ بالضئضئي - الشوارع تسرقنا من ظلالِ النساءِ إلى مشهدِ البرقِ ، ألمع من لغةٍ فركوا صادها بالقناطرِ ، تحنو على نهرِ مزجتنا[1] طافحًا بالنفاياتِ

أو بالكناياتِ .

راودني حصوها بالتلكّؤ يهذي النعوتَ بخرزتها شجرًا شائبًا كالدخانِ تعمّدهُ حكمةٌ شبهُ رائبةٍ في حنوِّ الجنونِ على شمعدانِ الخطيئةِ تسري تعازيمهُ في خلاءِ التماثيلِ من جرسٍ لا يسفُّ البعيمَ . الضرورةُ ما تتدحرجُ من ضررٍ عابرٍ حين ندهي سدولَ العباراتِ ديمًا هلوكًا يجوسُ طحالَ النشيدِ وينثرُ فوضى البروقِ على رغواتِ القناعِ - الصراعِ

يطوّحُ خيلَ المسافاتِ

قبلَ

---

(١) التخليص من المزجة هو غاية الخلق كما يقول ابن عربي ، ويقصد به تخليص النور من الظلمة حسب تعبير المانوية ، وتخليص النفس من البدن كما يقول المتصوفة .

الوصولِ
إلى
الجينِ[1]
أو آخرِ العرشِ .
لمْ يكنِ القصدُ سهلاً
كدحرجةِ الكونِ في حضنها[2]

---

(١) طبقة متطرفة تعتقد بعدم وجود الزمن في الخلق وقد شاركهم الإغريق حول مفهوم الزمن المتكرر .

(٢) إشارة إلى اما تيراسو إلهة الشمس وأهم الآلهة في المعتقد الشنتوي حيث اعتكفت - كما تروي الاسطورة اليابانية القديمة - في كهف سماوي غاضبة من حماقات أخيها سوزانو إله العاصفة ، الذي أهمل واجباته وسبب كوارث عديدة على الأرض ، إذ قلعت الرياح الأشجار وهدمت الأماكن المقدسة ثم أحدث ثقبًا في قاعة حياكة أخته اما تيراسو ؛ فخافت وصيفاتها ؛ وقد اجتمعت الآلهة على شاطىء نهر السماء للتشاور وإقناعها بالعودة ، لأنه بدون أشعتها تنتهي الحياة ويحل الظلام ، وقاموا بتقديم الهدايا لها ثم وضعوا الديكة أمام مدخل الكهف لتبقى تصيح وأشعلوا النيران والموسيقى ، ورقصت أزومي حتى ضج الشمانية ملايين إله فثار فضول اما تيراسو وتساءلت كيف يمكن للآلهة الضحك في الظلام الداكن ، فأجابتها الراقصة بذكاء : إننا نحتفل لأننا عثرنا على إله أكثر قدرة من إله الشمس ، وحملوا مرآة أمامها فنظرت إلى نفسها ، وقام إله آخر بدفع الباب وسحبها من يدها خارج الكهف ، ووضع إله آخر حبلاً من القش أمام المدخل اسمه شيما ناوا ، وقالوا لها إنكِ لن تدخلي الكهف مرة أخرى وأشرقت الأرض ولم تختفِ بعد ذلك إلا في الليل إذ إن الحبل منعها من ذلك . ولعل وجود إلهة أنثى للشمس بدلاً من إله ذكر شيء نادر في الأساطير ربما يعود إلى أزمنة سحيقة .

فلمْ تشرقِ الشمسُ زعلانةً
فاستجاروا بديكٍ فصيح
على بابها
ليصيح :

لماذا ثقبتَ حياكتها ياسوزانو (فقامتْ
من النوم
عريانةً
لترى - في انعكاسِ مرايا دموعي -
ضفائرها
قبل أنْ يربطوها إلى حبلِ شيما ناوا ،
لكي لا تعود إلى كهفِ عزلتها
فيعمَّ الصقيعُ . . .

أمدَّ بعنقي قليلاً
عن الحبلِ
يجذبني حارسي ، ساخرًا :
كلُّ هذي الفضاءاتِ مفتوحةٌ لكَ إلاكَ . .) انطفا الظهرُ
في شفتيها
فقامتْ لهاتفها تتغنجُ
عاريةَ الظهرِ ،
زوّلتِ الرقمَ وانتظرتْ

قلتُ : يابنتُ لا تتركي البابَ مفتوحةً للرياحِ
فعمّا قليلٍ
ستخرجُ شَهْواتنا
للشوارعِ
تقرصُ عريَ البناتِ . . [ رأيتُ لعينيكِ
تلتمعان . .

المقاهي تضجُّ بعشاقها
يكرعون النبيذَ المعتّقَ والقبلاتِ
الجنودُ أمامَ المحطةِ يلتحفون حقائبهم .
يتصاعدُ من ذكرياتي دخانُ الوجوهِ التي
تتبددُ قبلَ (- أتذكرُ
أين التقيتكَ؟
- في معملِ القطنِ؟
- في حربِ صفين؟
- في فرقةِ الهاوناتِ؟)

الصباحُ يمرُّ سحابًا طويلاً من الهمهماتِ . أنقّحُ بعضَ الهوامشِ
هل كلُّ هذي العلومِ على صلةٍ بالقصيدةِ؟[1]

(١) إشارة إلى مقولة الشاعر الفارسي نظامي الذي عاش في القرن ٦ هـ : «فكما إن الشعر على صلة بكل علم فكل علم على صلة كذلك بالشعر»- من كتاب جهار مقالة-

أدفعها للسكرتيرةِ السلقلقية[1]
في ثوبها خفقُ ما موّهتهُ الكتاباتُ
خشيةَ أنْ تعثرَ القارئاتُ
على برجها في مدارِ المحررِ
يثرمُ فيها ظلالَ مقالاته ،
ناسيًا ضرسهُ يتسوس من سُكّرِ الفتياتِ
تنانيرهن تشفُّ
عن السمسمِ البلديِّ

أراهنَّ
يهبطنَ للنبعِ
يقطفنَ بيضَ النجومِ
ويجمعنها في السلالِ
يفتشُ قلبيَ بين المطاراتِ والدُرجِ
عن شَعرها
غيمةً ضفرتها وصيفاتُ بابل
قبل دخولِ السبايا
- إلى قصرهِ -
من عظامٍ تلامعُ في الشمسِ
أبوابُهُ منْ جلودٍ مدبّغةٍ حين يفتحها

---

(١) التي تحيض من دبرها .

ستئنُّ

فيرتعبُ الجنرالُ :

أوقفوا بفمِ الريحِ هذا الأنينَ ]

أرى عينَ شمسي (١) تجلّتْ بوحدتها

في عيوني

فكيف ألّكِ في أعينِ الناظرين

بحبكِ أخفاني الحبُّ عني (٢)

فكيف أحبُّ!؟

أريدُ من العشقِ هذا الفضاءَ الذي سوف يفتحهُ لوزُ

صدركِ

أذكرُ رائحةَ العشبِ في إبطيكِ

وأثملُ من عرقٍ مشمشيٍّ

تحدّر تحت قميصكِ

في سورةِ الوجدِ . . . . . .

يكفي قليلٌ من الناي كي تسكري بدموعي

ويكفي قليلٌ من الخمرِ والخبزِ كيما أغني . .

---

(١) إشارة إلى عين الشمس لقب «النظام» الفتاة التي أحبها محي الدين بن عربي وكتب من أجلها ديوان شعره «ترجمان الأشواق» . كان يقول بوحدة المحبوب وإن تعددت صوره .

(٢) استفادة من قول ابن الفارض : «أخفيتُ حبكم فأخفاني أسىً

حتى لعمري كدتُ عني أختفي» .

على سورِ معبدِ ننماخ[١]
ينفخُ ساحرُ مردوخ[٢] ريشتَهُ
فيشقُّ الفضاءَ
بإسمي وإسمكِ
ملتصقين
- على لوحةِ الأفقِ -
قوسًا من اللازورد
فتغضبُ جونو[٣] وتأمرُ حراسها المترامين
أن يمسكوا عنقَ الريح
يضحكُ منها تايريسياسُ[٤] : لا حبَّ يُدفنُ
تدفنهُ
في العراءِ إلى النصفِ ،
تاركةً
عضـــــوَهُ
للكلابِ المجيعةِ

---

(١) إلهة الخصب السومرية اسمها ننخرساج وهي زوجة أنكي إله الماء والحكمة والفكر .

(٢) كبير الآلهة البابلية .

(٣) ملكة السماء وزوجة جوبيتر إله الرومان .

(٤) تايريسياس تحوّل من رجل إلى امرأة بعد أن ضرب ثعبانين يتعانقان ، ثم تحول إلى رجل بعد ٨ سنوات عندما ضربهما مرةً ثانية . غضبت عليه جونو وأعمته فعوضه جوبيتر بمنحه قدرة قراءة المستقبل .

لكنَّ بعضَ اللصوصِ أزالوا الحروفَ
عن السورِ ،
كي يستدلّوا
على الكنـزِ
لمْ يجدوا غيرَ فأرٍ عجوزٍ
طوى ذيلَهُ باتجاهِ الخزانةِ
يقرضُ ملحمةَ الطوفان

ركضنا إلى الثقبِ كي نوقفَ الفيضان
فأوقفنا حارسُ المتحفِ البابليِّ :
- الزيارةُ ممنوعةٌ . .

هل ينقضي يومنا في الجريدةِ؟
منغلقًا كالكتابِ ،
أهدهدُ عينيكِ إذْ تنعسان
فتزلقني فوق منحدرِ الصدرِ
يندلعُ الثدي من ثوبها
نافرًا
كغزالٍ شريدٍ
- (تناثرتُ فوق الأسرةِ
أيُّ سريرٍ يدفّئني غير هذي الأصابعِ مقرورة
أتبطّنها

وأنامُ؟) تقلّبني النظراتُ
وتتركني في الرفوفِ وحيدًا ، ألمُّ تقاطيعها
عن مرايا الشوارعِ
لكنها انكسرتْ
فتناثرتُ
- (كان حزينًا يمرُّ
أطالع عينيهِ منفتحًا كالكتابِ[1]
يحاورني في السياسةِ
حتى إذا ما تعبنا غفا فوق زنديّ
مبتهلاً
أن تمرَّ الغيومُ على وطني
بجعًا طائرًا
يعبرُ الناي خصري ، فيلتفُّ بي مثل لبلابةٍ
حالمًا بالقرى والمواويل في صالة الروك
حيث تطيرُ الموائد
مثل الغرانيق بيضاء
يتبعها الندلُ مندهشين
وتضحكُ

---

(١) استفادة من الشاعر السريالي اندريه بريتون في وصف صديقه الشاعر دسنوس : «إنه يقرأ في نفسه كما في كتاب مفتوح ولا يفعل شيئًا لحفظ الأوراق التي تتطاير في رياح حياته» .

في عقدها الخامسِ امرأةٌ تتصابى
يتعتعها السكرُ :
هل سنطيرُ ، أنا وحبيبي؟)

هل ينقضي
يومنا في المقاهي؟

النساءُ خوابٍ
من الخمرِ
عتّقها الربُّ
فاثملْ كما شئتَ
- (لكنني لستُ أصلح زوجًا . . .
أأشغلُ عمري بتأثيث قبري . .) . . .

- طلى شفتيّ يذوب بكأس النواسيِّ
وهو يتمتمني :
حاملُ الهوى تعبُ[1] . .
والصبيةُ الجائعون ، وراءَ المحطةِ ، يحتطبون الجريدَ
ولا . . .
- (منذ يومٍ خرجتُ من السجنِ

(١) إشارة إلى قصيدة أبي نؤاس .

هل ترتضيني عشيقكِ ،
لكنني لستُ أملكُ . . .!!
تصفقُ في وجههِ البابَ :
– ما بالهم كلما خرجوا من سجونِ الحكومةِ جاؤوا إليّ . . . .)

رأيتُ لوجهكِ يطفو على الكأسِ
أرشفهُ ثملاً

غيـر أني أرى في مـراياكِ وجـهيَ يشـحبُ بين الزجـاجاتِ فـارغـة . فأحـدثهـا عن خرابي . القرى حـرثتهـا القنابلُ (يضـحكُ حين أحـدّثهُ عن كريستيان ديور . . .) كفُّ أبي وهي تذبلُ فوق المناجلِ .
كفُّ أبي في السريرِ المؤجّرِ يخفقُ في دمهِ المصلُ : هذا العتادُ المهُرَّبُ في عتمةِ النخلِ .
أَدْرَكَهُ صوتٌ مفرزةٍ :
قفْ . .!! . . (تقرّبْ إليَّ
بساتينُ صدري أزهرها الاشتهاءُ) تداهمني
الكاشفاتُ
على الجرفِ ، منبطحًا :
أين عبود؟ . . . (أكبو وحوذي شهوتها يلبطُ السوطَ
في جسدي) وهو يعرجُ
من طعنة
أدركتْ ساقَهُ
فلففناهُ

بالخرقِ الباليات (- ألا تسمعُ الآن هذا الصهيلَ الذي يتآكلني
في سريرِ التوحّشِ .
اهبطْ إليه .
ألا تلحظُ الآن رجفتَهُ
يتصاعدُ منه حُميّا الحنينِ
اشتهاءً إلى نصلـ . . .) . . ـه غارزٌ . . . . وهو ينـزفُ
في الطينِ
حتى الصباح (- أبلّلهُ برضابي . .
ويبللني بالرضابِ الحليبيِّ
يغسلُ نهدي ، وهذي السباخَ التي
شققتها ليالي انتظاركَ) ملقىً بدون ثيابٍ يغطي الذبابُ جروحي
وهم يرفعون كؤوسهمُ
للفتاةِ التي ربطتْ ردفها
لتهزَّ . . (تهزهزني رعشةٌ تتهدّجُ ،
تغرزُ أظفارها
كالمخالبِ
في جسدي : كلُّهُ ،
كلُّهُ ، . . .
. . طافحًا بانفراجِ البروقِ .
وأضحكُ وهو يذرذرُ فضتَهُ) . .
في المقاهي قرأنا الجرائدَ والكتبَ الأممية . . هل يكبرُ النخلُ
نرسمهُ في الكراريسِ .

هل يذكرُ النهرُ أحلامنا؟ وظلال القرى رسمتْ طمغةَ الأمنِ في وجهنا ، أنجمّلهُ للفتاةِ التي أوصدتْ بابَ مكتبها؟ أأرى وجهَ أمي في غبرةِ الرزِ تقرأُ في يافطاتِ العياداتِ أسماءَ من سرقوا زوجها (حقنُ الأنسلين[1] على جلدهِ مثل خارطةٍ عُلّقتْ بالدبابيسِ) هل علّقوا في الفنادقِ خارطةَ الوطنِ العربيِّ بأضلاعنا الناتئاتِ ليبتسمَ السائحُ الأجنبيُّ أمامَ فتاةِ الفولكلورِ ، يحدجها ببرودٍ ، وترمقهُ بانبهارٍ خفيٍّ . أنطوي المدى عابرين السواترَ والطلقاتِ السريعةَ نبحثُ عن وطنٍ آمنٍ

في المبازلِ طافحةٍ بشذا السنبلاتِ تهرّبها الشاحناتُ الطويلةُ
عبر الحدودِ .
فماذا سيأكلُ طفلُكَ غيرَ دنانِ المطابعِ

حين فتحنا الجريدةَ ، لمْ نجدِ الشمسَ حمراءَ تغسلُ قمصانها
وتعلّقها فوق سورِ الحديقةِ
لمْ نجدِ القمحَ أصفرَ تحصدهُ الطائراتُ البعيدةُ
لمْ نجدِ المكتبَ المتأنقَ يفتحُ فاهاً لغيرِ الفتاةِ المهفهفةِ الشَعرِ ، يبلعها .
فابتلعنا لعابَ التمني .
ولم نجدِ الشعرَ أجملَ في الكتبِ المدرسيةِ

هل ينقضي يومها في الطبيخِ؟

---

(١) الحقن التي ظلت ملازمة لوالدي حتى وفاته عام ١٩٧٦ بمستشفى الكوفة .

تزيحُ بمكنسةِ العابرين غبارَ التذكّر
عن صالةِ البارِ . .
- هل تعرفينـ( . . .
ـني؟ . . . :
أنا قدحٌ
حطّمتهُ الثمالاتُ .
مَنْ سيلمُّ نثاري عن الأرضِ؟ أتركُ هذي الحياةَ كما جئتها عالقًا في شفاهِ النساءِ كما قطرةِ الخلِّ . يوقظني صوتها دافقًا : سيدي ، أولستَ الذي يكتبُ الشعرَ!؟ . . بالأمسِ أبصرتهن يكرّزن حباتِ نبضكَ ، منتشياتٍ بركنِ الحديقةِ ،
يهمسنَ :
مَنْ ولّهتْ قلبَـهُ؟ ] . . مـوصـلاً لذةَ الصـارياتِ بلامِ الوصـولِ إلى السيرينياتِ[1] ،
وما انتحلَ النولُ
من عمرِ ميديا[2]
تطرّزهُ في قماشِ المدقاتِ شالاً من الرغباتِ النديّةِ (علّقتِ قلبي

---

(١) حوريات كن يجذبن على أنغام القيثارات بحارة السفن العابرة ليلقوا مصيرهم أكوامًا من عظام نخرة على شواطىء الجزيرة . صورتهن الأساطير والأعمال التشكيلية على هيئة نساء برأس آدمي وجسد طائر أو سمكة .

(٢) هجرها جاسون من أجل كيريوسا فصنعت لها رداءً مسمومًا أحرقها يوم زفافها . وجاسون : هو البطل الإغريقي الذي عبر بحر العجائب وقتل التنين الذي يحرس الفروة الذهبية ، مات بسقوط قطعة خشب من سفينة الارجو على رأسه .

بدبوسِ شَعرِكِ ،
قلتِ أعلّمهُ بالتموّجِ
سرَّ القصيدةِ . .

هل يطربُ الغصنُ من نوحِ بلبلهِ؟ راسمًا شهقتي في الغصونِ التي تتفتقُ في أولِ الحبِّ .

قلتُ وداعًا لليلي الطويلِ على قارعاتِ السجونِ .
وداعًا لليلي القصيرِ على خصركِ المرمري .
وداعًا لأنسى فمي يتهجى ذبولَ الأقاحِ
على شفتي كيريوسا
تتخلّعُ أعضاؤها
وهي تلبطُ مزهورةً بين أحضانِ جاسون .
ما كان لولا المجاعةُ يسقطُ طيرٌ بفخٍّ)[1] وما هجّنوا
أو جنوا
في القلوعِ إلى إيثاكا[2] .

---

(١) اقتباس من كلستان «روضة الورد» لسعدي الشيرازي : «لولا جور البطن لما وقع طائر بالفخ بل ما كان الصياد يسعى لنصب الشرك» .

(٢) إشارة إلى قصيدة كافافي : «ستظل إيثاكا دائمًا نصب عينيك / ويظل الوصول إليها مبتغاك المقصود / ولكن حذار أن تتعجل الرحلة/ فمن الأفضل أن تستمر سنينًا / ولتكن شيخًا يوم تلقي مرساك بالجزيرة/ غنيًا بكل ما كسبت في الطريق / لن تنتظر من إيثاكا أن تمنحك الكنوز / لقد أعطتك إيثاكا رحلتك الجميلة/ ولولاها ما كنت قد أبحرت/ إن إيثاكا لا تمتلك لك المزيد» .

الصدى يتردد :

تيفيس[1] ماتَ ، ولا من دليلٍ يقودُ السفينةَ في البحرِ عائمةً
بضلالاتها لترى ظلَهُ المتسلِّل عبر المباني يقطّرُ في جفنِ تيتانيا[2] حلمَهُ
فتفزُّ من النومِ ولهى
تفتشُ عن رمحِ فارسها
يتبخترُ بين الأمازونياتِ[3]
غابًا من الشهواتِ الذبيحةِ
. . لكنها أبصرتْ ظله يتحجرُ
في عين ميدوزا[4] تندبُ لحظةَ مرآتهِ تتكسرُ
قبلَ انعكاسِ النهارِ
على دمِ نرسيس[5] في الماءِ .
لا يتلاشى ولا يتحاشى المرورَ بأصداءِ أكو[6] . .

---

(١) ربان سفينة الارجو .

(٢) في مسرحية شكسبير «حلم ذات ليلة صيف» يقطر اوبيرون في عيني تيتانيا النائمة سائلاً سحريًا لتحبه عندما تستيقظ .

(٣) نساء محاربات بلا أثداء كن يمزقن الذكور إربًا إربًا .

(٤) كل من تقع عينيها عليه يتحول إلى حجر .

(٥) رأى يومًا صورة وجهه في الماء فأحبها وظل مغمومًا لعدم تمكنه من ضمها حتى مات ، فتفتقت من جثته زهرة النرجس التي تنمو على حافة المياه .

(٦) هي عروسة الجبال أغضبت ديانا بلجاجتها فعاقبتها : «ستحرمين هذا اللسان الناطق بأن تردي على الكلمة الأخيرة من حديث المتكلم» وقد غرمت بنرسيس ولم تستطع مغازلته فأوت إلى الصخور والجبال وأخذت تذبل ولم يبق لها إلا الصدى .

تتيه بموكبها المتماوجِ
قانطةً من تطابقِ صورتها
فوق بركتهِ .
صوتُهُ شبه زلاجة وثلوجُ ليليث[1] تزحلقُ ذاكرةً رثةً
غسلتها مياهُ اللثيهِ[2]
فجفَّ على حلقنا دبقُ الآهِ
قبل الوصولِ إلى عرباتِ ديونيس[3]
يسقطُ مثل اللفافةِ من فمِ سكّيرةٍ
تشتهي رجلاً بالمايونيز
تغرز شوكتها المعدنيةَ في إليتيهِ
فينعظُ .

نلبدُ خلفَ لذاذاتها بالمساطرِ
نكسرها ونفرُّ إلى الثورةِ الاشتراكيةِ في مطعمِ الفولِ حيث المعلّمُ يقلي لينين ويأكلهُ قبل أنْ يدخلَ الصفَّ ملتمعًا بالدهونِ ،
تسيلُ على شاربيهِ

---

(١) إلهة الأرض العذراء المقفرة ترمز إلى البغي التي تغوي الإنسان وهي حواء الباطنية .

(٢) نهر النسيان وفيها إشارة إلى قول باختين : «إن كل ما يدخل في العمل الشعري عليه أن يغرق في مياه الليثية ، وأن ينسى حياته السابقة داخل سياقات الآخرين . يجب على اللغة أن تتذكر فقط حياتها ضمن السياقات الشعرية» .

(٣) إله الخمر .

فنـزلقُ

في فـمـهِ (المقـاعـدُ خاليـةٌ والمديرُ يفـتشُ عنا ومن

خلفهِ أولياءُ الأمورِ بدون أمورٍ وحشدٌ من الصحفيين

أو لنقلْ إنَّ ما يجمع السهوَ في سلتي سببٌ باهرٌ

كان يثقبهُ الفأرُ من هاجسٍ في الحياكةِ شبَّ على حضنها

فتطايرت الأشناتُ : خيوطًا ملونةً ومكبّاتِ ليلٍ ستحملها قبل

أنْ يحملوا زوجها

للمصح) . . ولمْ يستطعْ أن يزيلَ بقايا الدهونِ على كمِّهِ

غير أن الممرضةَ الأجنبيةَ زادتْ بتقريرها جملةً :

إن عينيهِ تتسعان لمرآى الطباشيرِ

- تقصدُ -

مرآى المناشير . .

حين أرادَ المحقّقُ أنْ يستفيدَ من الجملةِ الأنثويةِ بالَ على بؤبؤيهِ انتشاءً

فلاحظَ أن خطوطَ البيانِ

تميلُ إلى الصفرِ

فانخبلتْ وهي تركضُ ،

تركضُ ،

بين الأسرّةِ صارخةً :

- قـتـ . . . لـ . . . . . و . . . . !!!

ولمْ تكملِ الهاءَ . . . . . .

را را را را بو بو بو بو اورا - اورادا ، ادا الى مـــــاورا شـــــيـــــزاورا - اورادا . . . . . [1]

إذْ أرسلتهُ إلى صيدهِ :

يس يم ، يس يم ، يس يم ، يس يم[2] . . .

فتأخرَ أودا ادا وحصانُ تخوجي العجوز حزينٌ عليه[3] . . . . كين - كو - كونو ، قامَ بخلقِ كوموا - هونوا - ولولو هانوا[4] ، فأغوتهُ في أكلِ تفاحةِ حواء . إن شفاعتهن لترتجى[5] . . . ،

---

(١) تتداخل في صراخ الممرضة أصوات إنسانية متقطعة ومرتجفة في نشيج طويل : «را را را بو بو» وهي تمثل مقطعًا من الصيحات الأولى للإنسان الهمجي الذي عاش قبل التاريخ عاريًا في الغابات ، ثم أخذت تصاغ في أناشيد قبل ابتكار ألفاظ اللغة للتعبير - قصة الأدب في العالم جـ ١ - / اورا - اورادا ، ادا مقتطعات من المرثية الشركسية القديمة التي نظمتها ستناي وهي بانتظار عودة سوسروقة الذي ضاع ، وهي بلهجة الشاسبوغ .

(٢) لغة تدريب الجنود .

(٣) من المرثية الشركسية القديمة .

(٤) كين هو الخالق في أساطير الهاواي ، انسحب نتيجة سوء تصرف وجحود الإنسان الأول ، وقام كين - كو - كونكو بصنع الإنسان كوموا - هونوا وأعطاه زوجة هي لالو - هانوا وجعله زعيمًا ليحكم العالم ؛ وقد عاش الزوجان بسعادة إلى أن قابلت لالو - هانو طير البحر الكبير الذي كان يقف ليصطاد السمك ، وقد أغرى لالو بأن تأكل من تفاحة كين المقدسة ، فتحولت إلى طير بحر وحكم على زوجها بالموت .

(٥) «إنَّ شفاعتهن لترتجى» مما دُسَّ من كلام الشيطان على لسان الرسول ، كما تروي كتب التفاسير .

حينو آنو صيرمُ[1] . . .

شمعة علو گندة گلوه . . ،

دو - ري ، فا - صو ، لا - سي[2] ،

هللويا . . .

- أو لنقلْ إنّهُ ماتَ بالإيدزِ .

وابتسما

ثم طوّتْ تقاريرها -

وطواها على أربع

وهو يلهَثُ من فرطِ بُعدِ المسافةِ

بين عجيزتها

والمناشيرِ ، . . -

آملةً أن تنالَ علاوتها

بعد أن يعتلوها

فتحرفُ ميلَ البياناتِ ،

أو ليوضّح للسجناءِ بأن الذي ماتَ بالأمسِ من خطأ الاعترافِ ،

---

(١) عنوان شريعة حمورابي الشهيرة ومعناها : حين آنو العظيم .

(٢) شمعة علو گندة گلوه : من ترديداتِ المواكب الحسينية في ليلة العاشر من محرم ، وكانوا يحملون الشموع من شارع السكة حتى مسجد الكوفة بعد أن تطفىء المدينة أنوارها حدادًا على مقتل الحسين . دو - ري - فا- صو- لا - سي : لغة موسيقية .

ستعترفون على موته :

لاله لاله لا لا لاله . . لاله لاله . . لا . . لا . . لاله

لاله لاله لا لا لاله[1] . .

كيفَ فرَّ من السجنِ؟

والسجناءُ يجرّون بين الممراتِ

عمرًا ككيسِ نفايات

هل ينبغي أن يعودَ أبي من حقولِ المحاجير أكثرَ فقرًا من الأرضِ كي أفهمَ الأرضَ؟

هل ينبغي أن أثرثرَ عن زهرةٍ عانسٍ لمْ تلامسْ فمًا

لتقول الرجال حظائر شهْواتنا .

عن هواءٍ أصفّفهُ في رئاتِ البقولِ ليلمسني ويغلّفني بالنهاراتِ

قبل انتهاءِ المحقّقِ من أخذِ بصماتِ قلبي

على بابها .

هل أجرّ ذيولَ الحياةِ

وأنسى بأني أجرُّ ورائي أفعى ، وأحلمُ أني أعيدُ كتابةَ ما شطّبَ الحاكمون .

أفكُّ ارتباطَ المعاني من الكلماتِ

وأخرجُ فوضاكِ مني .

---

(١) نشيج عراقي معروف في الأرياف .

فمن أيا لذة - يا أبيقورُ - يستافُ هذا الكلاميُّ خمرَ دمي
بكؤوسِ التشكّكِ :
إغراقنا سرَّ حرماننا[1]
لا مراسٍ لنا : سفنٌ تشحنُ الذكرياتِ وتمضي ،
فأدنو من البحرِ ، ألمسُ هذا التلاشي الشفيفَ على زرقةِ الأفقِ :
كيف نصعتَ إلى حدِّ دمعي .
أأسرفتُ في الصحو؟
هل ينبغي أن يؤرجحَ رقّاصُ أحلامنِا عمرنَا لنقول تعبنا فنقضمُ نزْواتنا في الوسائدِ
أو مثلما تقضمُ الإسطبلَ الخيولُ إذا جوّعتها السهولُ لأحصي الذي ظلَّ لي في الهوامشِ :
زفورةً لا ترتّبُ طابوقها ، جملاً لمديحِ الأنوناكي[2] ، غاضبةً من أدابا[3] وقلبي المصفّدِ في الأيكيكي[4] ، أريدُ

---

(١) اعتبر أبيقور اللذة هي الخير الأسمى ، وقد استأنس الشاعر ابن الرومي بآرائه في الرغباتِ الإنسانية الثلاثة : الأكل والشرب ، الجماع ، الرغبة في السيطرة . غير أن ابن الرومي يرى الإسراف فيهن حرماناً آخر . يقول : صيدٌ حرمناهُ على إغراقنا / في النزع والحرمان في الإغراق .

(٢) مجمع الآلهة في السماء ويضم سبعة آلهة عظام هم : آن أنليل انكي اننا نو نانا اوتو .

(٣) ابن أيا ملك أريدو السومرية اتهم بكسر جناحي الريح الجنوبية التي قلبت قاربه أثناء رحلة صيده ، غضبت عليه الآلهة . وقد اعتبر أول الحكماء ، وتروي الأساطير الكلدانية أنه اكتشف الكلام .

(٤) مجمع آلهة الأرض ويضم خمسين إلهًا صغيرًا .

خريفًا

لأنضجَ

هذا

النشيجَ ،

نشيدًا لأوروك[1]

يختصرُ

الأرضَ

أبعدَ ما يبسطُ الشعراءُ الخيولَ

على السهلِ

والكتبِ المدرسيةِ

لي أن أديرَ رحى الكلماتِ

وأطحنَ روحي لتشربَ قهوتها في الصباحِ فتاةٌ ترى غيرَ زرقةِ هذي السماء سماءً لعينيكِ لامعتين

---

(١) أوروك : مدينة كلكامش ورمز الآله ديموزي ومعبد الإلهة إينانا . وهي المدينة السومرية التي حافظت على اسمها في العهد العربي الإسلامي بهيئة الوركاء «الورقاء» ، وورد ذكرها في التوراة بصيغة أرك ، وفي المصادر اليونانية والرومانية باسم أورخي ، وتقع بقاياها الآن على نحو ٢٢٠ كم جنوب شرق بغداد وعلى مسافة نحو ٢٠ كم شرق مجرى الفرات الحالي ، ويمر فيها شط النيل المندرس الذي كان مجرى الفرات القديم ، وهي مسورة على هيئة شبه دائرة ؛ وقد أظهرت التنقيبات الأثرية الحديثة التي أجرتها البعثة الألمانية عام ١٩١٣ و١٩٢٨ و١٩٥٣ نتائج مهمة في معرفة أطوار حضارة وادي الرافدين .

وراءَ حديدِ السجونِ - الأغاني الشجيةِ .
نشقى لأنَّ القصائدَ أبقى . .
وبائعةُ التذكراتِ اكتفتْ بالإشارةِ :
لا مقعدٌ فارغٌ لسوى البحرِ .
يرتقبُ الساحليون جرحَ الفنارات تنـزفُ في شفقٍ ذاهلٍ عزلاتي .
أؤجّلُ عطرًا سيأتي من الصيفِ .
هل عطرها عرقُ البحرِ . .
ضيّقني ظلُّ معناي في ظلها ،
تتأبطني في الطريقِ إلى صدفةٍ تتفجرُ من صدفةٍ[1]
قائمًا في صرير العبارةِ ،
تكزلُ في شهواتِ القصيدةِ ، أو أشبرُ البحرَ ، أعزلُ زرقتَهُ عن بياضِ يديها على شرشفي ،
نافخًا بالمداخنِ والقططِ المنـزليةِ نصَّ أناي ،
يشيرُ إلى كاتبٍ فاحشٍ يتلهى بأحشاءِ ماضيّهِ
بالمقصاتِ والمبضعِ البنيويِّ .
أنا المتعطّلُ في الكبتِ

---

(١) إشارة إلى الشاعر الفرنسي آلان بوسكيه في مجموعته «١٠٠ ملاحظة في العزلة» يقول فيها : «الصدفة تنفجر لتسلم موسيقاها / يُدرك أن البيت يهرمُ مثل راحةِ اليد» .

ما أنتَ فيه من الوقتِ[1] ، خيّاطُ أحلامهن . .
وأنسى قميصي الذي قُدَّ من كلِّ ريحٍ
يشرُّ ضلوعي على شرفاتِ المدينةِ .
عيني على غفلةِ الذئبِ .
عيني على ضحكةِ الجيرانيوم في كمِّ فستانها ،
فاضحًا في الحواشي مواعيدها .
وأنا - وشروخي - بمرآتها
حالمًا بتلاشي الفِراءِ
على كتفيها . . . . . (رأيتُ القنابلَ
في خلسِ الحبرِ
تسخرُ من أمنياتي
بعدِّ شواهدِ عمري
- على الأرضِ -

نجتازُ وادي الملوكِ
إلى قبرِ خفرعِ
منبهرين ، بضوءِ الصباحِ ، الذي
يتسلّلُ
من ثقبِ عينيهِ

---

(١) اقتباس من القشيري نقلاً عن ابن الدقيق «الوقت ما أنت فيه» ويقال إن الصوفي ابن وقته .

نقرأُ أسرارَ موتى الزلازلِ والحبِّ
منذُ ابتداء الخليقةِ
في اللوحةِ الذهبيةِ
أسفل تابوتهِ ،
تتناسخها الكاهناتُ العذارى
فيصرخُ
- في الفجرِ -
ديكٌ من الحجر البازلت :
إنَّ الصباحَ رباح . . . . . .
وراحَ . . . . . .
فأسمعُ غرغرةَ الإمبراطورِ
في النيلِ ،
يبصقُ
والكاهناتُ يقشّرنَ دمعَ اليتيم
ويطبخنهُ في قدور التعاويذ
أرسمُ اسنانَهُ اللبنيةَ تسقطُ في الفخِ وهو يمصُّ نهودًا من الحجر الصلدِ
أرسمُ شاعرةً
ثم أغمرها
بالقواقع والمعجبين الخجولين
يلحسُ في الليلِ عانتها ناقدٌ ألسنيٌّ
ويشتمُ - في الصبحِ - أشعارنا ، في الجرائد
حتى إذا تعبتْ من زحامِ المغنين

تحت نوافذِ ضحكتها أسبلتْ ضوءها
واستراحتْ إلى ما تبقى من البعلِ ، منتعظًا . .
باتجاهِ الكهولةِ .
قالَ : السماءُ مرابيةٌ
فرجها يتعاظمُ
من عهدٍ عاد ،
يلمُّ سبابَ الشعوبِ
ويلظمها مثل خيطِ اللهاثِ المقطّعِ في إبرةِ اللهِ . .
ينظرُ ساعتَهُ ويقرّبُ
ما بين عقربها والطبيبةِ ،
يأخذ ملعقةً من لمى شفتيها
وينسى الدواءَ على
رفِّ زوجتهِ .
لا مناصَ من الركضِ خلفَ الفهارسِ . لمْ يبقَ لي من سنينٍ لأقرأَ نصفَ العناوينِ) أتركُ في غرفتي دورقًا للشخيرِ سأحملهُ بعد عشرين عامًا وأمضي إلى منتدى الشعراءِ ، لتفتحَ لي السكرتيرةُ بابَ المديرِ المكرّشِ ، مذهولةً ، وتمايز ما بيننا – لقد كانني ذاتَ يومٍ! – يطبُّ على ردفها – ثم فرّقنا الشعرُ . . . .

[أبصرتهُ عند زاويةِ البارِ
يُعلي الكؤوسَ
التي اصطفقتْ

لتحيي استدارةَ ردفيكِ .
يحني لكِ النادلُ المتأنّقُ قامتَهُ الزئبقيةَ كي تعبري الحسراتِ
إلى فمهِ المتثائبِ . . (جادلتهُ بالظنونِ
وجادلني بالسجونِ .

افترقنا بلادين :
من سَعَفٍ ودمٍ) . . الدهانُ تقشّرَ عن فمها ،
فتلعثمَ قوادها
. . وهو يحصي النقودَ ،
ولكنهُ سوف يلحظُ في ردفها ثِقلاً ،
فيهمهمُ :
لا بأسَ ،
إن المناضلَ يأتي القضيةَ من دبرٍ

عاكفًا في التراسلِ . أبراجُهُ من طحالب صفراء تطفو على الماءِ
وهو يرتّبُ أسماءَ مَنْ سقطوا في المسيرةِ
ثم يضيفُ اليها ثلاثَ ملاعق زيتٍ
ويأمرُ زوجتَهُ أن تحمّصَ أفكارَهُ
قبل أن يدخلَ الاجتماعَ عَ عَ عَ عَ عَ
عَ
تغافلهُ وتضيفُ بهارًا لفعلِ الهياجِ جِ جِ جِ جِ جِ
جِ . . . .
تضيفُ الصحافةُ : . . . . .

. . . . . [لي في صباحاتها حجرٌ ورذاذٌ وهذا القرنفلُ
في الروحِ ينعسُ في أخريات العتابِ ، فتغلقُ شباكها الحلوَ ، تاركةً قمرًا
عالقًا في الضفيرةِ . غابَ الغيابُ على الرملِ ، يـ
ـسحبني من ظلالي إلى رغبةِ الكرنفالِ
سريرًا من الماءِ
أمتدُّ حتى النهاياتِ من حلمها فائحًا بالنهاراتِ
تنسلُّ من قفلِ زنزانتي تعبرُ الطاولاتِ الأنيقةَ حتى انسفاحي
على الوردِ
مرتعشًا
في أريجِ التويجِ .
ألمُّ المرايا وهذا الغروبَ على شفتيها ،
وأحلمُ (وهو ينكّتُ فكَّ مسدسهِ ،
باصقًا بعضَ لحمي الموزّعِ
في الثكناتِ) . .
فأفتحُ قوسًا لروحي على البحرِ ،
تصعدُ أعلى الشروخِ ،
لتنثرَ كيسَ رمادِ التواريخِ والقملَ .
جالسةٌ حيرتي في الكتابِ[1] . أرى لتمايلِ غصنِ القصيدةِ

(١) اقتباس من اسم مجموعة شوقي أبي شقرا : «جالسة حيرتي تفاحة على الطاولة» .

فوق حشيشِ الكلامِ . . . .

ولي في يديك رفيفُ الفراشاتِ ممتلئًا بالنجومِ

وأعرفُ أني قطفتُ من الوردِ أكثر من سلتي

كلُّ أنثى غوايةُ نصٍّ

ولا شيءَ في دُرُجي

غير

حبرٍ

قليلٍ . .

أنسرقُ بعضَ الكلامِ الصغيرِ

لنـزعمَ إنّا ابتكرنا

الوجودَ؟

العقاربُ تنهشُ من عمرنا وتتكُ . يؤرجحني صوتها في الممرِّ إلى آخرِ السهوِ ، حزنًا

نكدّسهُ كتبًا

ليس

يقرأها

أحدٌ .

لا وريثَ لأمجادنا .

نلعقُ البحرَ حتى يجفَّ فيرجعني من مياهكِ ظمآن ، محتضنًا هَدَمي ، جاذبًا محوَ هومير ، يحدو أمام هوادجها عقربين يتكّان في ساعةِ القرنِ ،

وهو يعيدُ حياةَ أهيتو[١] بأعشابهِ .

يتعقبني الميني هون[٢] فأصرخُ :

بيلي[٣] إلى أين؟

أحرقتِ بالحممِ الأرضَ من أجلِ ماذا؟

أجدّفُ نحوكِ في حممي

صاعدًا باتجاهاتِ تاراوِ[٤] ، يجرفني خوفُ دودوا[٥] إلى صخرةٍ تحجبُ الشمسَ

---

(١) ملك التونغا الإسطوري غضب عليه إخوته لمحاولة صعوده إلى السماء فقطعوه إربًا وطبخوه وأكلوه ، فشك الأب في أمرهم وأمرهم بتقيؤ ما أكلوه ثم قام بجمع القطع واعاد أهيتو إلى الحياة بأعشاب سحرية .

(٢) جيش أسطوري من الأقزام يروي سكان جزر هاواي في المحيط الهندي أن طولهم كان قدمين وسيقانهم مقوسة ويعيشون في الغابات والكهوف موجهين سهامهم الصغيرة إلى المسافرين .

(٣) إلهة النار في بولينيزيا كانت معروفة بجمالها وقوامها الرشيق ولها أثداء دائرية كالقمر ، غضبت على وصيفاتها في تأخر حبيبها الشاب لوهيا الذي مات من الانتظار ، فأعدن روحه إلى جسده ، ولكن الرحلة استغرقت وقتًا طويلاً فأخذت تقذف الحمم والبراكين .

(٤) الكائن الأعلى لسكان تاهيتي كان في البيضة الكونية فكسرها ونظر في الظلام وشعر بأنه وحده ، ولم يكن هناك أرض وسماء أو بحر ، ولم يكن في الكون سوى الفراغ والعدم ، وضجر تاراو من الصمت الأبدي فاستخدم جزءاً من البيضة ليضع أسس العالم والصخور والتربة ، وأصبح الجزء الآخر قبة سماوية وخلق بقية الكائنات .

(٥) دودوا جيرا : تذكر أسطورة قبائل العصر الحجري التي تسكن الجبال الوسطى في جزيرة بابوا أن امرأة كانت على ساحل المحيط ورأت سمكة تقفز فقفزت ==

عن ظلنا ،
وهي تعصرُ أيامها مثلَ ليمونة
شدّها قوسُ دهاكان[1] في الأفقِ تقطرُ . . .
هل هذه الروحُ ليمونةٌ بيديكِ تقطّرُ بالأبجدياتِ والغيمِ
يوحشها الأرخبيلُ - تسابيحنا بالقنوط ، طعوجُ العلوجِ من الهجراتِ ، هلامًا لما يهجسُ السهد في رهطِ الأموريين[2] ، يكتسحونَ الممالكَ حتى أورُسَالم[3] . . يمضي على سهلِ قَرْقَر[4] كالريحِ صرصر ، عسكرُ بن هددٍ ،

---

== معها لتلعب ، وبعد أيام بدأت ساق المرأة بالتورم بعد أن مستها السمكة فقام أبوها بفتح التورم فخرج منه طفل سماه الجد دودوا جيرا أي الساق ، ولم يكن محبوبًا لشراسته فأرسلته أمه إلى أبيه حيث أخذته في فمها وذهبت به بعيدًا إلى الشرق ، وكان دودوا قد حذر أمه قبل رحيله من حصول كارثة وأوصاها بالاختباء تحت الصخور هي وأقاربها ، لأنه سيصبح الشمس وسيحرق العالم ، ولكي لا تنعدم الحياة قامت أمه بعصر ليمونة في وجه ابنها الشمس وبدأت الغيوم بالتجمع لتصل بين الأشعة المحرقة والأرض .

(١) هو قوس القزح الذي تعبده قبيلة كابي على ساحل كونيز لاند في أستراليا ويعتبرونه روح الأجداد ، جزء منه سمكة وجزء أفعى تسكن الثقوب في المياه العميقة ، وتظهر هذه الروح على شكل قوس قزح عندما تعبر من ثقب إلى ثقب .

(٢) أقدم شعب عربي سامي عاش في القرن ٢٧ ق .م سُميت بلاد الشام باسمهم فأطلق عليها اسم أمورو العظيم .

(٣) القدس .

(٤) من أهم المعارك التي خاضها الآراميون وحلفاؤهم ضد الآشوريين عام ٨٥٣ ق م حين تصدى التحالف الآرامي المكون من اثني عشر ملكًا أراميًا وكنعانيًا وعربيًا تحت قيادة بن هدد ملك دمشق الآرامي ، الذي كان أهم أعوانه بعشابن ==

ليشعشعَ مَيْشع[1] ، حصنَ جمالٍ لجندب ، ينقشهُ شَلْمناصر فوق ظرانِ[2] الفلستين ،

حيثُ دمُ المريانو[3]

يسيلُ على سبخِ البحرِ

فيما يماثلهُ من أمورو المؤجّلِ ، من لغةٍ علكتها هراءاتها كاللبانِ تضجُّ به القافلاتُ .

لإيلافها رحلةٌ ، لرغاليها[4] بين جرهم أو درهمٍ ، جرّهمْ سَهمهمْ .

الذرائعُ صنو الوقائع .

فيما أقولكِ في هذَيانِ المديدِ على جثةٍ كان يصغي ابن النفيس إلى قلبها لا يزال يدقُّ ،

يعاينُ نبضَ المدينة ، يسري على سلكِ الكهرباء - الوجوه التي تتدفقُ ممسوحةً

في الشوارعِ ،

تلقمه حجرًا وتخبُّ .

---

== رحوبي ملك عمون وأحاب بن عمري ملك إسرائيل ، وجُندب العربي الذي رمى بألف جمل مع راكبيها إلى ساحة المعركة التي ذكرت بهذا الشكل في الكتابات التأريخية الأثرية لشلمناصر الثالث ملك آشور .

(١) إشارة إلى حجر ميشع الملك المؤابي .

(٢) أدوات حجرية استخدمها الإنسان في العصر الحجري .

(٣) المقاتلون عند الكنعانين .

(٤) أبو رغال : دل جيش النجاشي على طريق مكة لتهديمها إلا أنه مات عند المغمس فرجمت العرب قبره .

الوقائعُ سهو الفواجعِ
[هم فصلّوا كرياتي
بمختبرِ الأمنِ
كي يستدلوا عليكِ من الدمِ ،
حتى تفرّطتِ الأحرفُ الباقياتُ[1]
على الطاولاتِ

وهامتْ بمحراب ألفكِ عيني
ومالتْ نقاطي إلى برزخ :
. . . بين قافٍ قتيلٍ ،
وهاء هلالٍ
تحدّبَ من ثقل عقلي بنقلي ،
كما حاجبٍ عاتبٍ من مطاولةِ العينِ ،
تجلو بمرآة حائكِ بائي
فينفرط الشعرُ
أعرف يخذلني البحرُ
هذا الغروبُ بجاكيتهِ الجوخِ يجلسُ قربي ،
مكتئبًا يتلهى معي باصطيادِ بقايا النهارِ ،
فيعلقُ حزني

---

(١) فسر الصوفيون بالأحرف بعض المظاهر الكونية والنفسية الغامضة ، شرحها ابن عربي في موسوعته الفتوحات المكية .

بأفقٍ من الكونكريتِ
إلى أين تحملني قدماي كأعمى يقود بمبصر

أبصرُ هذي المدينةَ مفرطةً بالبلاهةِ . غيّبني زمني في المسدسِ : حدّقْ بعينيّ ياقاتلي ، لا تطلْ . أأخافُ التألمَ أكثرَ من غرزةِ اللحظةِ المعدنيةِ!؟
أعرفُ :
(ليلُ الطغاةِ طويلٌ) كما سيقولُ الرواةُ ، . .
(وعمري قصيرٌ) كما أخبرتني الحياةُ
فكيف أرى الفجرَ . .

مَن أين يطلعُ
فجرُ العراق
وحراسنا
- كلَّ يوم -
يعلّونَ

أسوارنا؟ ] ومن أين تأتين؟ ما بيننا العمرُ ، هذي المفازاتُ ، والعسسُ المترامون وسع المدى .
هل أرى ما ترى أو أرى نسغَ أمي يدبُّ من الأرضِ نحو الغصونِ الوريقةِ
هل تزهرُ الأرضُ من دمعةٍ
سوف نسكبها عابرين
إلى آخرِ النأي

نحملُ حصراننا وطنًا
سوف نطويه في عجلٍ
كلما داهمتنا المفارز . . . . . .
نرحلُ في عضلٍ سائبٍ وحصانٍ رعى الشوكرانَ[1] ومات َ ليلهث في رئتي قمرٌ ، رافعًا ظلَّ إبهامهِ تحت ضلع المساءِ . . . . . .
عن النائمين وقوفًا بمخفر كركوك
وهو يگزگزُ[2] أسنانَهُ ، كلما جمعوا كتبَهُ
ورموها
ببابِ
المراحيضِ

يغمسُ أقدامَهُ بالمحابرِ
والدمِ
ثم يهرولُ فوق السطورِ ،
ليكتبَ
تأريخَ أوروك

تقفزُ أيامُهُ كالبراغيثِ ، فوق يديهِ

---

(١) نبتة سامة تنمو في الخرائب كان الإغريق القدامى يكرهون المحكوم بالإعدام على شربها كما حدث للفيلسوف سقراط .
(٢) كلمة عامية ، وتعني يحك أسنانه ضاغطًا عليها .

فيفقسها
ويحكّ الحديد بأظفارِه
كي يدمّي منافيه ،
لكنهم سحبوا في السجونِ أظافرَهُ ،
فنمتْ - في أناملِه العشرِ - عشرُ زنابق [ أمسحُ عن مقلتيك
ظلالَ المآذنِ ،
كي تبصري الآن
هذي السماءَ الوسيعةَ

لي زعترٌ ناضجٌ في خسائرِ حقلي ،
ويضحك دعبل
من عانةِ المتوكل

ينتفها
التركُ
في البركةِ الزئبقية
أفتحُ قلبي لأمسحَ عنه غبارَ الملوكِ
وقيحَ الشكوكِ
لهم أن يذرّوا
الرمادَ
. . بعامِ الرمادةِ[1] ،

---

(١) عام المجاعة الذي أسقط فيه عمر بن الخطاب عقوبة الحد عن السارق .

كي لا نرى سارقَ الجهرِ
يقطعُ
في سارقِ السرِّ[١]
- نأكلُ حتى التراب إذا اشتدَّ فينا حصارُكَ ،
حتى تخاف أصابعنا
من تلمّسِ أسناننا[٢] . . .
- إدرسِ الحَبَّ ، يا ثورُ ،
إدرسْهُ[٣] . . .
إنَّ المناجلَ جاهزةٌ[٤] . . . (فجلدتُ عميري

---

(١) إشارة إلى مقولة عمر بن عبيد الشهيرة حين مر بجماعة وقوف ، فقال : ما هذا؟ قيل : السلطان يقطع يد سارق . فقال : لا إله إلاّ الله سارق العلانية يقطع سارق السر .

(٢) اقتباس من مسرحيتي وول سوينكا «مجانين واختصاصيون» : سنأكل التراب آجلاً أم عاجلاً . و«الموت وفارس الملك» : ونأكل كل شيء حتى تخاف أصابعنا من أسناننا .

(٣) إشارة إلى أغنية فرعونية : «أيها الثور ادرس لنفسك فسيكون التبن من نصيبك أما الحبوب فستكون للسادة»

(٤) يذكر جيمس فريزر في كتابه الغصن الذهبي : «في بعض أنحاء بوميرانا يعمد الفلاحون في موسم الحصاد إلى إيقاف أي شخص يمر بهم ويقطعون عليه طريقه بواسطة حبل ، ثم يطوقه الحاصدون وهم يشحذون مناجلهم فيما يقوم رئيسهم بالإنشاد : «الرجال مستعدون والمناجل جاهزة والقمح كبير وصغير وهذا السيد يجب أن نحصده» .

وغمتُ على شتمِ عاهرةٍ
بلعتْ نصفَهُ

ورمتني على بابها
أتناهقُ مثل حمار ابن دانيال[1] :

كمْ نومة لي قوادة
أتتْ بالحبيبِ
على بعدهِ[2] . . . . .) . . . أوهمتني ذرائعها
تحتسي الخمرَ صرفًا

وتغلمُ أجراسها في البوارِ الذريع ، فيندى ببرلونها عبقُ الشهواتِ ،
تحدّر كالنظراتِ إلى وركها يتثاقلُ
أدمنني نادلُ البارِ . . . . . ها هو يبسمُ حين طلبتُ لوحدي
زجاجةَ فودكا
وصحنَ قوافٍ مقشّرةٍ
هزَّ كتفيه دون اهتمامٍ لخيطِ المخاطِ تدلى وراءَ الزجاجاتِ يلمظُ

---

(١) إشارة إلى قصيدة ابن دانيال : «أدور على بيوتِ القحبِ ليلاً / وأنهقُ كالحميرِ وكالبغالِ // وجلد عميرة عندي إذا ما/ عدمتُ النيك للبكرِ الحلالِ» . وهو شمس الدين بن دانيال الخزاعي ، اشتغل بطب العيون وكان له دكان داخل باب الفتوح يكحل فيه الناس . يقول : «يا سائلي عن حرفتي في الورى / وصنعتي فيها وإفلاسي // ما حال من درهم إنفاقه/ يأخذه من أعين الناس» . وكان واحدًا من كبار شعراء مصر في وقته . ألف مسرحيات خيال الظل الفكاهية عالج فيها ما رآه أيام الظاهر بيبرس .

(٢) البيت لابن المعتز .

لمْ ينتبهْ للفتاةِ التي دلفتْ

مثل زوبعةٍ

من أغانٍ

ومشمش

لمْ ينتبهْ للرقيبِ يقشّرني ، ويصبُّ لجاريَ كأسًا «على صحتي» . . . . . .

يطفىء النادلُ الضوءَ - يطفئني

ويغادرُ ] أغفو قليلاً ، لأنسى زماني القتيلا . . .

من الماسِ جسمكِ[1] ، لكن روحي أشفّ غليلا . . . . .

فمن أين تدحين عرجون روحي ، إلى فلكِ النرجسِ المتمنّعِ . لن يتمايلَ وقت حصادي سوى سنبلِ الفارغين . .

ولا تنظروا تحت أثوابِ سالومي ، وهي ترقصُ حاملةً قمري يتدلى على صدرها

فأرى أبرصًا يتربّصُ

- خلفَ ستائرِ نافذتي -

ويمدّ مسدسَهُ[2]

باتجاه الفتيلةِ .

---

(١) اقتراب من قصيدة الشاعر اليوناني بالماس الحاصل على جائزة نوبل ١٩٣٤ : «هاهي روح البنت تتلألأ في قلب النرجسة أما صوتها فعطرٌ يتضوّع» .

(٢) إشارة إلى قول غوبلز وزير الثقافة النازية : «حين أسمع كلمة مثقف أسحب مسدسي» .

يسحبُ أنفاسها ويعلّقها فوق مشجبِ أنفاسنا .
لحظةً ،
بعدها لن أرى الشمسَ[١] . . . . . .
الحياةُ الحقيقةُ[٢] ، يبصقُ بورخس :
تبًا ، أما زلتموا تقرأونـ( . . . . . .
( . . . . ـني؟[٣]
أقومُ لحشوِ الملفاتِ
الحقيقةُ في الكلللللللماتِ[٤] . .

أناااااااااااااااااااااااااالنصُّ

---

(١) استفادة من رواية تولستوي الحرب والسلم : «كم من سعادة أجدها في نفسي وفي هذه الشمس بينما أصغي إلى التأوهات الأليمة المروعة التي تتردد قربي . ها هو ذا الموت فوق رأسي وحولي لحظة واحدة ولن أرى بعدها هذه الشمس وهذه المياه وهذا الوادي» . ٤ أجزاء ، أكملت قراءتها داخل إسطبل مهجور في قرية شيخ أوصال في السليمانية آذار ١٩٨٥- .

(٢) إحالة إلى قصيدة بورخس «الريكوليتا» : «نهتز في السيوف والعاطفة/ ننعس في اللبلاب/ الحياة وحدها هي الحقيقة / الفضاء والزمان شكلان لها» .

(٣) اقتباس من مقولة كتبها جيرارد كومف عن موت بورخس بعنوان «لا يوجد بورخس» يقول فيها : «إن آخر ما قاله الشاعر الأعمى للطلبة أنا أستغرب من أنكم تقرأونني ، أقرأوا شخصًا آخر وداعًا» .

(٤) إحالة إلى مارسيل بروست في «البحث عن الزمن المفقود» : «إنما الحياة الحقيقية هي الأدب» . وإلى قول المفكر الفرنسي مونتال : «إنني المادة الوحيدة لأدبي» .

لا طبعاتٌ منقّحةً

لصراخي .

فمي معقلُ الكلماتِ ، يصدّىءُ أقفاله[1] الصمتُ ، مختلفًا بين

ضدي : الوجود وضدكِ

- من يشتري وطنًا بزجاجة كونياك

يدني السكارى كؤوسهمو

نحو عبود ، مضطجعًا

بين كومةِ أوراقه :

الحقيقةُ بالخمرِ[2]

والحرسُ الوطنيُّ يسوقون شمسكِ تبريز[3] ، مغلولةً بالسلاسلِ ،

مصبوغةً بدماء جلال .

وهم يضحكون بحاناتها

من بلاهتنا بالبكاء

على وطنٍ

أو فتاةٍ ( . . . تفقّدتُ رأسي

ما زالَ في وضعهِ ،

ناتئًا كالشتيمةِ ،

---

(١) اقتراب من قول علي بن أبي طالب : «العلم قفلٌ ومفتاحه المسألة» .

(٢) اقتباس من قصيدة الغريبة للكسندر بلوك : «كل مساء ينعكس في قدحي صديقي الوحيد/ حول المائدة المجاورة يتسكع الخدم الناعسون/ ويصيح السكارى محتقني العيون : الحقيقة في الخمرة» .

(٣) إشارة إلى ديوان جلال الدين الرومي «شمس تبريز» .

مندفعًا بين جزماتهم والشمعدان . . . . . .
أحتاجُ عشرَ رئاتٍ
لأصرخَ ،
لكنني . . . .) . . . . . الغـزاة ينامـون في بيـتنا ،
كالشجا بين حلقي وبين اللهاثِ .
تشـيلُ النجومَ بأوجالهـا ، وأنا أتنفـسهم من خـلالِ ارتعـاشِ الذبالةِ
كالماكناتِ التي تطبعُ العُملَ الورقيةَ بالسرِّ . .

يعبرني دافعًا عمرَهُ مثلما تُدفع العرباتُ
ويهمسُ لي خائفًا :
- أمررتَ
على بيتِ عبود هذا الصباح؟ لقد . . . . . .
اعتقلوا . . . .

يستديرُ بعينيهِ حولي ،
ويمضي
يولولُ :
«شَعر بنات
وين أولي وين أبات»[1] . . .

(١) ترديدة لبائعي حلوى «شعر البنات» في الحارات الشعبية في مدينتي .

[ . . . . . أفقتُ

على صوتِ عبود يبكي ،

بآخرةِ الليلِ :

لمْ يبقَ في البارِ ، غيري وغيركَ

قلتُ : لنسكرَ

حتى الثمالة . .

لا بيت ،

لا صحب ،

لا وطنٌ . ما الذي نرتجي لو خرجنا ،

فسيّان إن نمت منكفئًا فوق طاولةِ البارِ

أو في الرصيفِ . . . ] تلفّتُ لَمّا أجدْ أحدًا حين أيقظني صاحبُ البارِ

وهو يخرخشُ في كيسهِ المعدني . فقمتُ أجرجرُ خطوي بين الكراسي – الرؤوس التي تترنحُ

بين الكؤوسِ

فأين أثبّتُ رأسي غدًا

فوق طاولة للمحقّقِ ، ممسوحةٍ

وهو يسألني عنكَ . . . . . [ . . . كان لعابُ السبابِ يسيلُ

على شفتيهِ ،

فيمسحُ في كمّهِ المتآكلِ شاربَهُ الكثَّ ، متسخًا مثل طيزِ الخنازيرِ . . . . . .

- أينَ أخفيتَ عبود . . .

- في الريح . . . .

- أيها الكلَبُ ، هل تتجرأُ تسخرُ منا؟

- يا سيدي ، الرياحُ الرياحُ الرياحُ الرياحُ حُ حُ حُ حو حو حو حو . . . . . .

- ما بالها . . . . . .؟

- . . . [ . . . . . الرياحُ تعلّلتها على نكظٍ من الميطِ تعدو كما العنتريس ، إذا حرَّكَ السوط ، تقطعهُ أمعزًا يتكوكبُ وخدًا في جآجىء عولين[1] . هل فصلوا الملحَ عن دمنا لأرى الأرضَ خضراءَ

كالسنبل الغضِّ - طعم النبيذِ المعتّقِ في دمع أمي .

وبي توقُ أنتيه[2] للأرضِ (قلتُ : سأشتلني شجَرًا في المفازاتِ ، لكنها الريحُ - ياسيدي -

تتحركُ عكسَ أماني السفائنِ[3] حتى إذا وزعتنا حقائبنا في المنافي ، وعدنا بلا وطنٍ ،

آه يا وطني ،

---

(١) تنويعة على معلقة أعشى بكر بن وائل .

(٢) عملاق في الإسطورة الإغريقية ، ابن غايا إلهة الأرض خنقه هيراكليس بأن عصره ورفعه بين ذراعيه إذ سترجع قوته كلما لامست قدماه أمه الأرض .

(٣) إشارة إلى بيت المتنبي : «ما كلُّ ما يتمنى المرؤ يدركهُ / تمشي الرياحُ بما لا تشتهي السفنُ» .

شتّتنا رياحُكَ ثانيةً ،

فانفرطنا

على الجبهاتِ ( . . ولمْ ينفرطْ عقدها في يديهِ

من الحبِّ

لكنها ارتبكتْ حين قامتْ إلى البابِ ، . . . . .

لا أحدٌ غير صوتِ الغيابِ . .

. . يئنُّ على ما مضى . .

دفنتْ وجهها في وسادتها . . . . . .

الطَرَقاتُ

تتالتْ

على رأسها . . . . . .

نهضتْ تفتحُ البابَ في عجلٍ ،

فرأتْ بين حشدِ الرجالِ جنازَتَهُ تتوقفُ في بابها وعويل النساءِ ، فشقّتْ ملابسها . . . . ( . . . . . فوق حبلٍ ، ستتركُ أثوابها السودَ كيما تجفَّ

فتلبسها الريحُ ثم تطير . . .

إلى سطح جارتها . . . .) والمدينةُ لمْ تنتبهْ - بعد عشر سنينٍ - لحبلِ السوادِ الذي كان يمتدُ

فوق السطوحِ ،

سماءً سخاميةً . .

- [أين أخفيتَ عبود؟

قلتُ : في الريحِ . . . يا سيدي
- يا بن بلاّعة الـ« . . . . . [1]»
قلْ أيَّ شيءٍ سوى الريحِ . .
- . . . . .
. . . . . .
علّقني من ذراعي
بكلابةِ السقفِ . . .
ثم مضى]

في الطريق انتبهتُ إلى مطرٍ ناعمٍ يتناهى على سلكِ هاتفها غنجًا
سوف تسألني عن غيابي
وتغمز ضاحكةً لصديقتها ( . . . . . .
- ثم حاصرني بائعُ النفطِ ، يخلطُ ماءَ النميمةِ بالزيتِ . . . . . .
- في أسفلِ الدرج الحلزوني
- كان يطبطبُ ظهري ويسألني أن أجرَّ الصفيحةَ صافحةً عن سعالِ عويناتهِ فوق نهدي . . .
وحين انحنيتُ عليه
رأيتُ الذي بين فخذيهِ
أطول من أفعوانٍ

---

(١) فشّورة .

فهرولتُ للبيت ، أصرخُ : أماهُ . . . .!!) . . .

هل كنتُ أهذي بحاناتِ بغداد ،
أسألُ من يعبرون الرصافةَ :
- أين مضى قمرُ ابن زريق[1]؟
فيدفعني للمتاهاتِ برزخُهُ
القرى تتبادلُ أيتامها في الإذاعاتِ .
أسلافنا في التواشيح يقتسمون الكؤوسَ ولا يتركون لنا غير وشْلِ الحداثة .
بنطالُهُ عالقٌ بالطحينِ . يقولُ لهُ ضابطُ الصفِ :
إنَّ النساءَ إذا بُلنَ بعد النكاحِ على كفِّهِ ستطيبُ دماملُهُ . .
فيصعّدُ أنفاسَهُ باتجاه المداخنِ . .

كانتْ مدافعهم
تحرقُ السهلَ
نحو حلبجة .
يغمرها الثلجُ
والشهداءُ
حروبكَ من بصلٍ
وشعارك من فجلٍ - أيها القائدُ الورقيُّ -

---

(١) إشارة إلى قصيدة ابن زريق البغدادي .

تبيعُ الورودَ وأوسمةَ النصرِ
- فوق مقابرِ جندِكَ -
وحدكَ تخطبُ فوق السهوبِ التي حرثتها القذائفُ
ترسمُ معركةً في غبارِ الزجاجِ ، فيمسحها نادلُ البارِ
تحتجُ . . . لكنهم يدفعونكَ فوق الرصيفِ كما الجرذ
(تسمعُ حشدَ الملايين تهتفُ حولكَ :
بالروح ، بالدم ، نفديك يا . . . . . .)
- عشر قنانٍ من البيرةِ الوطنيةِ لا تملأ الكرشَ [عشرُ سنين وعبود يركضُ
تحت الرصاصِ ،
هزيلاً كنخل السماوة[1] . . . . . ] . . . . منتفخًا بالمقالاتِ
- لحمِ الشعوبِ المقلّى
بزيتِ الشعاراتِ . . ( . . . في مطبخِ الجنرالِ - الجريدةِ ،
نخرجُ من بين أسنانه : لافتاتٍ
تسدُّ
الشوارعَ
يجترّنا ، ثم ينبشُ أسنانه : نتساقط
مثل حروفِ المطابعِ [ . . . . . يا وطنًا
فصّلتهُ

---

(١) إشارة إلى الأغنية الشعبية : «نخل السماوة يقول طرتني سمرة/ سعف وكرب ظليت ما بيه ثمرة» .

الحكوماتُ
حسبَ
مقاس
حذاء
جلالته . . . ]

. . . يأتي الصدى :
«ياصياد السمك صدْ لي بنية
قلبي بشبك صادوه غصبن عليه[1] . .»

نغرسُ أسناننا في الهواءِ ، نشيّدُ زقورةً في عراءِ الحضاراتِ [ عبود قالَ : الحضارةُ جنسٌ وليستْ جناسٌ . . .
ويضحكُ إذْ يتذكّرُ كيفَ تلعثمَ - في المسرحِ البابلي - الدليلُ السياحيُّ حين رأى في ظلالِ المدرّجِ سروالَ سائحةٍ
تجلسُ القرفصاءَ . . . ] يجيءُ المغولُ على خيلنا الضامرات
تخوّض في دمنا : أزرقًا كالمحابرِ
أو أحمرًا في المحاجرِ
تأتي المدافعُ
يأتي الوشاةُ

(١) من الأغاني المشهورة في العراق .

فتنسلُّ جندرمةُ الانكليز إلى بيتِ شعلان[1]

تأتي جيوشُ أميّة من سورةِ الفتحِ [ - مَنْ منعَ الماءَ عن كفّهِ

فاستدارَ بعينين دامعتين

إلى خيمِ الغاضريةِ ، تصرخُ من عطشٍ : ياحسين . . . . . ]

الكلابُ التي ولغتْ في الفراتِ وأنتَ على الجرفِ ملقىً

تناهشك النبْلُ والصرخاتُ

وقد خلّفوكَ وحيدًا بهذي الفلاةِ ،

تمرُّ عليك الخيولُ ،

الطبولُ ،

ذئابُ الصدى ،

طائراتُ التجسسِ ،

لغطُ الإذاعاتِ ،

ذيلُ المؤرّخِ ،

باصُ السياحةِ ،

زيتُ الصكوكِ ،

لعابُ الملوكِ ،

الجرائدُ ،

نادلةُ البارِ ذاتُ الثيابِ القصيرةِ ،

أوسمةُ الجنرالاتِ ،

طبلُ الأسى

---

(١) شعلان أبو الجون أحد أبطال ثورة العشرين .

[ينفضُ التربَ - عن صدرهِ - والحوافرَ
متكئًا نخلةً في سوادِ العراقِ
يشقُّ الفضاءَ ضريحًا من الضوء ] يسمعُ همهمةَ الطائفين بشبّاكهِ الذهبيِّ
تسائلهُ شربةً
من مياهِ الفراتِ . .

أشيرُ إلى الأفقِ أسود من ذرقِ الطائراتِ
يقهقهُ عبودُ وهو يشيرُ إلى ثقبِ سترتهِ : من هنا مرّتِ الحربُ . . .
أطوي ورائي بلادًا من الملحِ ،
أطوي التقاريرَ ،
أطوي النساءَ ، وأضرحةَ الشهداءِ .
الغناءُ مناحةُ مَنْ سيمرون بعدي على سجفِ الطينِ

ما بين موتٍ وموتٍ ، نشيدٌ طويلٌ نكرسّهُ لمديحِ الحياةِ

وأهمسُ : تكفي لنا نصفُ مصطبةٍ
في الحديقةِ
كي نلتقي
نصفُ ليمونةٍ كي أخبّىءَ قلبي
من الجندِ والدودِ . . . . . .

[رائحةُ الثلجِ في شعرها ، راكضين ببردِ الشوارعِ . يسقطُ صوتُ فيوجٍ[1] لباخ من الطابقِ العاشر . الليلُ يركضُ ،

يعبرنا عاشقان ويبتسمان . . .

شفاهكِ مترعةٌ بالصهيلِ

دلفنا إلى البارِ ، ملتصقين ،

أشدّكِ نحوي ، فينفلتُ الوترُ . . .

الراقصون يغيمون في لهبِ الدانسِ . . (أسمعُ وقعَ ارتطامِ الخطى في الممرِّ إلى الانفراديِّ ،

خشخشةَ القفلِ

والباب يُفتحُ . . .

يسحبني حارسٌ أهوجٌ

من ذراعي . . . .) ذراعكِ تسحبني من كتابي

وتغزلني في المرايا ،

خيوطَ اشتهاءٍ

تقاطعها النظراتُ اللصيقة . .

يشتعلُ الرقصُ أكثرَ . . . .

تلتصقين بصدري فأنعسُ

حتى إذا نعسَ الضوءُ

ما بين غرفتها ( . . والممرّ ، رأيتُ العريفَ يقهقهُ من

---

(١) تأليفة موسيقية قصيرة تتكرر بتغيير بعض النغمات .

كـــدددددددددد . . مـــاتـ . . ـي ، ويســـألني أن ألمَّ ثيـــابي على
عوووووووووووووووررررررتي!!) . . والفوانيسُ بلهاءُ
أكثر عريًا من البحرِ . . . . . .
أسمعُ خفقَ الغريقِ بأنفاسها
تتشبّثُ في أذني (انزلقتْ كفُّها نحوه
فانزوى الزرُ منبهرًا بالمباهجِ .
يرنو إلى البجعِ المتراكضِ بين الممراتِ : أطيافَ من رحلوا قبلنا في
الشتاتِ)
على كلِّ غصنٍ أريجكِ يثمل ، ينسلُّ غيمًا تماهى على سلكِ الكهرباءِ
فأركضُ
مثل ظلالِ المصابيحِ
خلف الخطى العابراتِ
وأسألُ :
أين مضيتِ؟ . . . . .
تشيحُ الوجوهُ وتتركني
نابحًا كالقطارات

- (هل تشربين قليلا؟
- اكتفيتُ من الحبِّ بالنظراتِ . . . . . .
وتضحكُ
ينحسرُ الثوبُ
تلحظُ دون اكتراثٍ لهاثَ عيوني

على مرمرِ الساقِ
حيث لمصلكِ وهجُ رجالٍ مضوا في التقاويمِ ،
ينـزاحُ أكثر
- عن عمدٍ ربما -
وأنا أتلمظُ كالكأس
ترشفُ منه قليلاً وتتركهُ . . . .
لتواصلَ رقصتها . . . . . .
- أتعبني الحبُّ ، طولَ المساءِ ، . . . ألا تتعبون؟
- . . . . . .
- أجرّبتَ غيري؟
وانهمكتْ في المرايا ترتّبُ زينتها وأنا أتحرّقُ .
تعلسُ - كالاسطوانةِ - هذا الفراغَ الذي بيننا بالنكاتِ البذيئةِ .
أضحكُ
لكنَّ ضوءَ الثريا
سيعكسُ وجهي المقطّبَ ،
منهمكًا باختيارِ قميصٍ يناسبُ ثوبَكِ
في الحفلِ . . .)
- لكنني لست أملك سيدتي غيرَهُ . . .
. . . . . .
هل قادني اللغويون للشائعِ الشاسعِ . الكلماتُ تسمّرني . .
انظري كم أنا هادىءٌ ،
هادىءٌ

مثل نبضِ قتيلٍ[1] أمامكِ
هل يرثُ الأرضَ غير الملوكِ؟
وهل ترثين سوى دمعتي . . . .؟
نريدُ بلادًا أقلَّ اشتعالاً
وملكًا أقلَّ قتالاً
وأنثى أشفَّ وصالاً . . .

ندورُ على شاهدٍ من رمادِ العصورِ :
- أنا الحقُّ[2] ، ذرّي دمي في الحقولِ اليبيسةِ كي تزهرَ الطعناتُ على خشبِ الصلبِ ، وردًا لمن سيجيئون بعدَ انتشارِ رماديَ في الطرقاتِ . لمن ينثرون شموسَ الضحايا أمامَ قطارِ الطغاةِ الطويلِ .
ألوّحُ . . كفاي يابستان على الأفقِ شمسًا يجفّفها الجنرالُ على عرشهِ الصدفيِّ
أعدُّ ضلوعي ببابِ الحصارِ
هنالك مقصلةٌ في الطريقِ إلى طاقِ كسرى ،
وذئبٌ يعدُّ العشاءَ لحزنِ الغريبِ
أعلّقُ في مشجبِ الغيمِ قلبي

---

(١) اقتباس من قصيدة مايكوفسكي «ليلي» التي أحبها الشاعر وذكرها في وصيته قبل موته منتحرًا برصاصة مسدس ١٩٣٠ . ومن قصيدته «غيمة في بنطلون» التي يقول فيها : «وتقولين أتدري سأتزوج . ليكن . تزوجي . لا بأس . سأحتمل . انظري إليَّ كم أنا هادىء ، هادىء كنبض رجل ميت» .
(٢) من اقوال الحلاج .

وأسقطُ في القطراتِ الأخيرةِ فوق سطوحِ المدينةِ
أسألُ عن شالِ أمي الذي نسيتهُ
على حبلِ قلبي
قبيل الرحيلِ
إلى موسمِ الوردِ
أكثر من حزننا
لمْ نجدْ
وطنًا
صالحًا
للبكاءِ

أمرُّ على قبر لوركا وأحصي الرصاصَ الذي نثروه على قبرِ ميثم[1] . . . .
في الطعناتِ[2] التي قوّستْ جسرَ أضلاعنا

---

(١) ميثم التمار من أصحاب علي بن أبي طالب كان يبيع التمر في أسواق الكوفة ، ضريحه قريب من بيتنا ، قصفت راجمات الحرس الجمهوري قبته الزرقاء بحثًا عن الثوار في انتفاضة آذار ١٩٩١ .

(٢) ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد جـ١ : «ولما قَدِم رجال الكوفة على عمر بن الخطاب يشكون سعد بن أبي وقاص قال : مَنْ يعذرني من أهل الكوفة . إن وليت عليهم التقي ضعّفوه ، وإن وليت عليهم القوي فجرّوه - أي اتهموه بالفجور - فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ، إن التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره . قال : صدقتْ ، فأنتَ القوي الفاجر فاخرج إليهم . فلم يزل عليهم أيام عمر وصدرًا من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات المغيرة» .

لتمرَّ السبايا[1] - طبولُ الفتوحِ
على بابِ قصرِ الإمارةِ . . . . [ . . . . . قد كان يقدرُ أنْ يسحبَ
النهرَ من ردنهِ
لعطاشى المخيّمِ
لكنهم برطلوا الروزخونَ
فغيّرَ سيرَ الروايةِ
كي يستدرَّ الدموعَ - (الثريـ . . . دَدَدَ ، لأطفالهِ)
فأضاعَ
القضيةَ
باللطمِ . .]

وحدي
بهذا
العراءِ
الذي
سيّجتهُ الذئابُ
تمزقني السافياتُ

---

(١) إشارة إلى خطبة سعيد بن العاص المشهورة في أهل الكوفة : «إنما هذا السواد بستان لقريش ما شئنا أخذنا منه وما شئنا تركناه» . فرد عليه الأشتر النخعي غاضبًا : «أتزعم أن السواد الذي أفاءه الله علينا بأسيافنا بستان لك ولقومك؟ والله ما يزيد أوفاكم فيه نصيبًا إلاّ أن يكون كأحدنا» .

أمرُّ على ساحةِ الطفِ ،
أنظرُ تلك الشفاهَ التي عفّرتها الحوافرُ
تمتدُ أرضًا من الصمتِ
بين الحجازِ وبين المجازِ :
. . . . طوطو . . طوطو . . طوطو . . حيدر
لا يسعُ العصرُ عصرين
أو مَلكين
فانتخبوا :
شاهدًا أو شهيدا
قاتلاً أو
قتيلاً

لاتقولوا الحسين مضى ، خالدًا فوق رمحِ يزيد

لا تقولوا يزيد مضى ، خاسرًا فوق نحرِ الحسين

فما كلُّ مَنْ بايعوا صَدقوا
ولا كلُّ مَنْ صفّقوا صَدّقوا
فما زالَ في كلِّ عصرٍ يدبُّ المغيرةُ ما بيننا بعصا الفتنةِ الطائفيةِ
والعاص يرفعُ
فيتو الحكوماتِ

ما زال سورُ الإمارةِ منهدمًا فابنهِ ، يا أميرُ ، بأجرٍ عدلك[1]
ما زالَ عصرُ المقنّع يخفي وراءَ قناعٍ من التبرِ عورةَ عينيهِ ،
حتى استَمالتْ إليه نساءُ المدينةِ[2]
ما زلتُ أغزلُ صوفَ الزمانِ
قميصًا لعري البيانِ ،
فتفتقهُ شهواتُ زليخة
ما زالَ ابن الفجاءة مستنفرًا دمَهُ[3] ، أين؟

ما زال سيفُ يزيد
يمدّ بساطَ الخلافةِ ،
حتى انتهاءِ الزمانِ
وما زالَ رأسُ الحسين يكرّرُ مأساتَهُ

---

(١) ذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار أن عامل حمص كتب إلى عمر بن عبد العزيز : إن سور المدينة قد تهدم فإن أذن أمير المؤمنين في إصلاحه فكتب اليه : «حصّن مدينتك بالعدل ونقِّ طرقها من الظلم فإنه حصنها» .

(٢) إشارة إلى هاشم بن حكيم ، سمي بالمقنع لأنه كان يخفي وجهه وراء خمار من ذهب «لكي لا يبهر الناظرين بطلعته البهية» . ويقول خصومه لستر عينه العوراء . بشر بانتقال الأرواح وأن الله تجسد في جيله وفي أبي مسلم الخراساني . ساعدته امرأة عالمة على كسب الأنصار . دحرته قوات معاذ بن مسلم فسمم زوجاته وألقى بنفسه في التنور .

(٣) إشارة إلى قول ابن الفجاءة يخاطب أبي خالد القناني ويلومه على قعوده : أبا خالدٍ انفر فلست بخالدٍ/ وما جعل الرحمن عذرًا لقاعد .

في الرؤوسِ التي أينعتْ قبل موسمها
فوق أسوارِ كوفانِ . . . . ]

. . . . . .

أحملُ رأسي
على طبقٍ
وأطوفُ . . . . . .
بعصرِ المماليكِ
أغسلُ بالدمعِ شباكَ رأسِ الحسين - بمصر - فيلتفُّ حولي البهاليلُ والمقعدون .
الصبياتُ يحملن أطباقَ آسٍ
يطفن أمام الضريحِ
يدقُّ الدراويشُ فوق الصنوجِ :
تلاقفها آل مروان . . .

أصرخُ :
يا أيها الواقفون
- على الحدِّ -
في حرب صفين . . .
هذي الخواتمُ مغشوشةٌ
والحكومات مغشوشةٌ . .
فانزلوا عن مطايا العنادِ

وسيروا حفاةً بهذي الوهادِ
لصوتِ الجهادِ
فقد نهبتنا خيولُ الغزاةِ

وأنتم تُفلّون هذي المصاحفَ
عن آيةٍ لعليٍّ ،
وأخرى لعثمان . . . . . .

ويقولون :
. . . . شو
ر
ى

فأفتحُ
سحّابَ بنطالي الرثّ
ثم أبول
على نصفِ تأريخنا

أيُّ شورى . . . . .
وتحت السقيفةِ تلمعُ أسيافهم
حول أعناقنا ]
هل تركوا لكَ غيرَ الشتاتِ ،
ورملِ الفلاةِ ،

وهذي الحروبِ
تجرُّ الحروبَ
إلى آخرِ الدهرِ

هم خذلوكَ ، على حبهم للتقاةِ
ولمْ يخذلوهُ ، على بغضهم للجناةِ

- أين صحابك ، ياسيدي
ركبتاهُ من السجداتِ كما ركبتي جملٍ[1]
سيقودُ الخوارجَ للنهروانِ
وأنتَ على سفحِ صفين ،
ترنو
إلى الأفقِ
غابًا من الأسْلِ
ظلّلها الآيُ منقوعة بدماءِ الصحابةِ
يسألكَ القومُ فيمَ مرورك من خاتمِ الأشعريِّ
وتعرف أنَّ الطريقَ لعنقِ معاوية لا تمر ببكة .....

(١) إشارة إلى عبد الله بن وهب الراسي ، صحابي من الخوارج سمي «ذو الثفنات» ، كانت ركبتاه مثل ركبتي الجمل لكثرة سجوده .

ضلّلكَ العاصُ[1] والأشعريُّ
فضعتَ بمنتصفِ الدربِ ، بين الشآم وصحبك
تمضي بك السافياتُ ،
ولا رايةٌ في الطريقِ ،
ولا نجمةٌ
غير ما اصطبغَ الأفقُ من شفقِ الدمِ
تحملهُ بيديكَ
إلى الربِّ :
هذا الذي قد جنيتُ من القومِ . . . .
. . . . . .
هم جرجروني
إلى الجامعِ النبويِّ
ولما أتمَّ وضوئي
حسيرًا بلا عمةٍ . .
ألبسوني قميصَ الخلافةِ
منخرقًا بالخلافاتِ
ثم أتوني على جملٍ يضلعون
وهم يندبون عليَّ قميصَ ابن عفان؟ . . . .

---

(١) اقتراب من مقولة الحسن البصري : أفسد هذه الأمة اثنان عمرو بن العاص يوم أشار على معاوية برفع المصاحف ، والمغيرة بن شعبة حين أشار على معاوية بالبيعة ليزيد ، ولولا ذلك لكانت شورى إلى يوم القيامة .

مالي ، وعثمانَ
مالي ، ودنياكمو هذهِ
- لأزهد عنديَ من عفطةِ العنـزِ -
فانصرفوا
واتركوني أتمّ صلاتي . . .

ولكنهم ، هتفوا حاسرين عمائمهم للجهادِ
وحين امتطيتُ ركابي ،
كبوا ،
وتباكوا ،
وكانوا يصيحون في جنباتِ معسكرِ صفين :
لا حكم
إلا لربِّ العبادِ . . .
وأيُّ عبادٍ
رأيتهمو يثردون بصحن معاويةٍ ،
ويصلّون خلفي

[ . . ولي ، خـارجٌ - من مـعـاجمِ عـصـرِ البـديعِ - جناحٌ من الدمعِ والشـمعِ[1] حول خطى الشـمسِ ، سـابحـةً في المتـاهاتِ روحي بأوتارها ،

(١) إشـارة إلى الأجنحـة التي صنعـهـا دايدالوس من الريش والشـمع وطار وابنه ايكاروس ، الذي لم يستمع إلى تحذير أبيه بعدم الاقتراب من الشمس حتى ماع الشمع وسقط في بحر صقلية . وتقترب منها قصة عباس بن فرناس .

كلما غيبتني الشقوقُ أخذتُ بكفي سنا نجمةٍ ومضيتُ بها صامتًا ، جامعًا ما تناثرَ من كسَرٍ وأمانٍ بسلةِ كونغوم[١] . المصابيح جرحُ المساءِ ، فتوقُ خطانا إلى البيتِ إرثًا أضعناهُ بالخردواتِ تكبُّ رطاناتنا بين مسرى الدويباتِ تمعنُ في شأنِ طفشيل[٢] أو طرشفانة

دافعةً أكرةَ البابِ

تحنو على آلةِ الطبع ، تمحو وتكتبُ ، من أثمدٍ كالمآثرِ ألقي المرادفَ والمتآلفَ في لمسةٍ . قابعون بأحلامنا في خطوطِ الغبارِ التي تشبكُ الحسراتِ بسلّمِ نظراتنا . تتقرى سديمَ الدواسرِ :

«ماجينه ياماجينا . . . . .

حلي الكيس وانطينه[٣] . . . . .»

تسحبُ لُمْعَ الكمنجاتِ عن طفقِ الحشدِ طلمسهُ[٤]

رقُّ عاصفةٍ في التكررِ أو وصف تأريخنا[٥] بالنعوتِ . كأنَّ الدقائقَ تذبلُ حين نلامسها بالوضوحِ ،

ترى بظلالي ، تغطمط أعمى يمدُّ بعكازهِ سحبَ الانتباهِ إلى هنهناتِ

---

(١) الروح العظمى عند الأقزام من القبائل الإفريقية الذين يعتقدون أنه يقوم في الليل بجمع النجوم المتكسرة ويرميها في قرص الشمس لتبزغ في اليوم التالي .

(٢) طفشيل : طفا وشال . وطرفشانه : في الموروث الشعبي العربي هي الفراشة الملونة التي تحمل روح أحد الموتى . تدخل البيوت فيمنعونها من إلقاء نفسها في النار .

(٣) ترديدة للأطفال في ليلة منتصف رمضان .

(٤) طلماس : الفاظ سحرية تكتب على ورقة وتنقع بالماء للتحبيب .

(٥) إحالة إلى تشيخوف : «لا ينبغي أن يكون التأريخ قصة ملوك ومعارك بل تأريخ أفكار» . وإلى أمرسون : «حقيقيًا لا يوجد تأريخ . فقط سيرة حياة أشخاص» .

مسودنةٍ ، ربطوها بسلسلةٍ عند باب الحوائجِ .

أو باعة الصحفِ ينحشرون

وراء الثري الذي لا يجيدُ القراءة ، «يا شجْرة أحمد ويوه . . . .

بيها محمد ويوه . . . .

حتى الطيورْ دمها يفورْ . .

على الشهيد ويوه»[1] . . . . . تتغوطنا القاذفاتُ فتنزعُ أسنانها الاصطناعيةَ كيما تمصُّ لهُ لزبيا[2] لنخطىء في عددِ القبلاتِ

نموتُ وفي نفسنا بعض حتى[3] . . .

كأنْ لمْ أرَ الوردَ أقربَ من شوكهِ في التشابهِ ، يفصلنا بالنقائضِ

---

(١) ترديدة للصبيات في ليالي عاشوراء .

(٢) اقتباس من الشاعر الروماني القديم كاتلس الذي مات في الثلاثين من عمره ، يقول في قصيدته إلى محبوبته لزبيا : «دعيني أقبلكِ ألوفًا وألوفًا ولنخطىء في عدد القبلات عامدين / فما أنكد الطالع لو عرفنا كم عددها» .

(٣) « . . فقد قال الفرّاء : أموت وفي قلبي شيء من حتى . وقد مات سيبويه وبقي في قلبه من فتح همزة أن وكسرها أشياء . ومات الكسائي وفي صدره من الفاء العاطفة والسببية والفصيحة والتقريعية والتعقيبية والرابطة حزازات . ومات اليزيدي وفي رأسه من الواو العاطفة والاستئنافية والقسمية والزائدة والإنكارية صداع وأي صداع . ومات الزمخشري وفي كبده من لام الاستحقاق والاختصاص والتمليك وشبه التمليك والتعليل وتوكيد النفي وغير ذلك قروح . ومات الأصمعي وفي عنقه من رسم كتابة الهمزة غُدّة» . - كتاب الساق على الساق للشدياق - .

والقرطمانِ ، على جدثٍ من نحاسٍ ، بمرأى المدينةِ ، تطفو على حبرهِ في التعازمِ . ما هكذا يا مدينةُ تنسين قلبي المعلّقَ في كلِّ غصنٍ وناي .

كأني أرى من بعيدٍ مداخنها ستبدّدُ غيمَ القصيدةِ والثكنات التي ملّحتْ جلدنا في سطور الرسائلِ

يلتف بي الحزنُ مثل رؤوس أيو[١] . . . . . .

كيف أقطعهُ لأرى الأفقَ أبهى . . البريقُ من التبرِ لا من زجاجِ المحلِّ[٢] . . يحيّرني ما يخيّرني . .

أيُّ رعبٍ إذا قادني كلُّ هذا إلى غرفةٍ للتثاؤبِ يا صاند[٣]

أفرغُ من بيرتي لأرى في الغشاءاتِ حرثًا يجرُّ شكوكَ الرخام بأطمارِ كنج[٤] إلى تسمياتِ العناصرِ . . . يا حسرةً ما نكادُ[٥] . . . . .

. . . . إلى فلقةِ الدرسِ ،

. . . طفلاً يفتّشُ بين النفاياتِ

عن كِسرةٍ من ظلالٍ وخبزٍ

---

(١) أفعوان خرافي له تسعة رؤوس إذا قطع واحد نبت اثنان .

(٢) من أمثال الهند القديمة : «قد تلمع الزجاجة كما تلمع الدرة إذا ركبت على قطعة من ذهب ، كذلك الغر الجاهل إذا صاحب الحكيم العاقل» .

(٣) اقتباس من مقولة الموسيقار شوبان حين أحب جورج صاند : «يا للهول تخيل أي رعب لو تحول ذلك الحب المستحيل الذي يشعل حواس الإبداع إلى غرفة للتثاؤب والشخير الكسول والشجار اليومي» .

(٤) إشارة إلى كنج فوتسو مؤسس الكونفوشيوسيه ٥٥١ -٤٧٩ ق م .

(٥) إشارة إلى أسريات أبي فراس الحمداني .

يباغتني دمُ بارت[1] على العجلاتِ
المهلهلُ[2] في إبرةِ الريحِ يوخزُ بلزاكَ ، أو . . .
رجلٌ زلَّ من صفحاتِ الرواياتِ[3]
يمسخُ دبر المدينةِ . . .
في كأسِ طرفة[4]
يبكي ثلاثًا تضاحكُ من قصرهن ارستيبوس[5]

---

(١) إشارة الى رولان بارت الذي كان معتادًا على عبور الشارع من مكتبه في الكوليج دوفرانس باتجاه محطة مترو السان ميشيل عندما دهسته سيارة فقتلته . « . . ويوم حاكموا السائق ، وكان الحاكم يتحدث عن أهمية بارت ، سارع السائق إلى إسكاته قائلاً : منذ الحادث وأنا أقرأ بارت ؛ لقد فهمته وعرفت أهميته ، ولو أنتم حريصون على مثل هذه القيم الأدبية في حياتنا كان الواجب يحتم عليكم أن تصدروا إعلانًا في الصحف للسائقين يقول : «لا يحق لكم المرور في الساعة الخامسة أمام الكوليج دوفرانس ، لأن رجلاً عظيمًا كرولان بارت يعبر الشارع» .

(٢) شاعر جاهلي ، أول من هلهل الشعر .

(٣) اقتراب من قول لينين : «لقد تعرفت من خلال روايات بلزاك أكثر مما عرفته عن طريق كتب التأريخ» . وحين اعترض معاصرو بلزاك على صوره الاجتماعية أجاب بلزاك : «ما ذنبي وأنا أصوركم» . وثمة اقتباس من قصيدة كوانج النهر للشاعر ديريك ولكوت : «لكنه شعر بأنه دون جسد مثل رجل يزل من صفحات رواية» .

(٤) إشارة إلى معلقة طرفة بن العبد .

(٥) إشارة إلى أرستيبوس وهو من أشهر رجال قورينا ٤٠٠ -٣٦٥ ق م ، زميل سقراط ، بقيت أقواله متداولة في القرون التي تلت بفضل ابنته أريت وحفيده أرستيبوس ، ومنها نشأت مدرسة سميت القورينية تنادي بأن أعلى هدف في الحياة هو ممارسة المتع الحسية .

ابتغاءُ السعادةِ أصلُ الشقاءاتِ[1] . . .

لا تطرحوا – تحت أقدامِ هذي الخنازيرِ –

أعماركم[2]

كلما ازددتَ ينقصكَ الدهرُ ، حيثُ القريضُ الفتيلُ وراء ثقوبِ

الندامات يدبغُ جلدَ الصدى ، ويشرُّ المساءَ الطويلَ على حبل بارٍ

سيقرضهُ الفأرُ والدائنون ،

فينفرطُ العمرُ :

حباتُهُ وجعٌ أزرقٌ . . .

تتدحرجُ

فوق الرصيفِ ،

ومن يومها كان يحشو الرمالَ ببنطالهِ ليحنَّ إلى الأرضِ

هل كلُّ أرضٍ أحنُّ اليها بلادي؟

. . . . . .

. . . . . أنا الحقُّ ، شاهدُ عصري

رأيتُ الدنانيرَ

---

(١) اقتباس من جون كالهون في كتابه الحلم والتاريخ : «نشدان السعادة يسبب الشقاء» .

(٢) اقتباس من قول المسيح : «لا تطرحوا جواهركم قدام الخنازير فتدوسها بأرجلها وترجع عليكم فتمزقكم» .

حمراءَ ، خضراءَ ،
ينثرها عـ . . ض . . و . . ـهُ . . الذهبيُّ
على فرجِ عاهرةٍ
والجياعُ على بابهِ ،
يحملون الشعاراتِ ،
حمراءَ ،
صفراءَ . . .

كنا نهوّسُ في الطرقاتِ :
لكَ المجدُ ياوطنَ اللافتاتِ التي
خرّمتها عيونُ الرصاصِ . . . . .
نرى من خلالِ الثقوبِ : المناضلَ
- في حلةِ النومِ -
مبتسمًا للجموعِ التي تتلاطمُ
تحت نوافذِ شقتهِ ،
وهو يهتفُ :
- مرحى لمن سقطوا كالنجومِ بدربِ المسيرةِ
- مرحى لكلِّ الصكوكِ التي وقّعتها الجماهيرُ باسمِ المسيرةِ
- مـرحى لنومِ العـشـيـقـةِ لـمْ تكملِ الآن زينتـهـا ، برمًـا من زعـيقِ المسيرةِ . .

- مرحى تحاصرني الطلقاتُ على الجسرِ :
أسقطُ لافتةً

تلو لافتة

كيْ تمرَّ المواكبُ [ مشتبكٌ فرجها نيءٌ في حجامِ الهوامِ . بأحضانها سوف تعرفُ فضلَ السماءِ عليكَ ، تشدُّ عظامي إلى أرجلِ العنكبوتِ ، امتلاءً يجسدني في المكوثِ ، شهيدينِ يقتتلان

على جنةٍ

عرضها الأرضُون ،

تعثكلُ أغصانها بالتعاويذ والفاكهاتِ الدواني

وما هي إلا خراج الأمينِ[1]

يبدّدها بالغواني

على وسْعِ رجلكَ تمضي خطاكَ[2]

على وسعِ هذي السماءِ

تضيقُ

ببيتٍ من الشعرِ

---

(١) كان الأمين يبرر تبذير أموال الدولة الإسلامية بقوله : «ما هي إلاّ خراج بعض الكور»- كتاب الأغاني لأبي فرج الأصفهاني - .

(٢) استفادة من قصيدة المتنبي .

كانت تغنيه قينتُهُ فرتنى[1]
تتضاحكُ من رجلٍ ،
كان يرعى الشياهَ
ويدعو القبائلَ أن تستكين لهُ ملكًا
بنعالين من قصبٍ

التواريخُ طمسُ الحقيقة أم طمثها . وهي لاهيةٌ بالبروقِ ترتّشُ أيامَها لتزيلَ التجاعيدَ عن فمها أدردًا جنبَ طاولتي ، وتماحكُ مرآتها بالتفاصيلِ :
علّقتها عرضًا
وعُلّقتْ رجلاً[2] . . .

ليستِ الكلماتُ الجميلةُ صادقةً دائمًا[3] [ البداهاتُ تحشدُ قوسَ غرائزه باتجاهِ الفتاة – البهيمةِ . من صدفٍ ومحارٍ تدورُ عقاربُ عينيهِ في شبهةِ الاتساعِ .

---

(١) فرتنى : اشتهرت بغنائها في هجاء الرسول ، وهي قينة عبد الله بن الأخطل الذي أمر الرسول بقتله مع كعب بن الأشرف وعبدالله بن سعد بن أبي السرح ، الذي أوعز بقتله حتى ولو وجدوه تحت أستار الكعبة .

(٢) الأعشى : «علقتها عرضًا وعُلقتْ رجلاً / غيري وعلق أخرى غيرها الرجلُ» . وهو البيت الذي استشهد به الأحنف بن قيس عندما وفد في وجوه أهل البصرة على عبد الله بن الزبير : «أحبك أهل العراق وأحببت أهل الشام وأحب أهل الشام عبد الملك» .

(٣) من حكم لاوتزو ٥٧٠-٥١٧ ق م مؤسس الطاوية : «الكلمات الصادقة ليست بالضرورة جميلة والكلمات الجميلة ليست بالضرورة صادقة» .

يصبُّ صهيلَ العماراتِ في زقّهِ ، ويقحُّ - كفيلٌ بإشباعها ، تتمنعُ .
يدهنُ إستَ الفتاةِ ،
ليولجهُ ،
فتصيحُ ،
ويمسح دهنَ الكبابِ على شاربيهِ [ . . . . سبال اللوغوس على كمأةٍ لا تفيقُ . التخاريم تدحي الدروبَ إلى ديدبانٍ يصلصلُ حاشيةَ البحرِ .
والشمسُ تصعدُ مثقلةَ الردفِ
فوق صفيحِ المخازنِ
تلسعُ وجهَ المرابي الذي دحرجَ العاملاتِ سلالمَ من شهواتٍ . .
سيصعدها
ليرى أيرَهُ
واقفًا
يتشمشمُ شعواطَ سروالِ جارتِهِ ، تستجيرُ
من الفأرِ
في شقةٍ ، لا يحوشُ الرقادُ ملاءاتها .
فرجُها يتنملُ في الأوفِ ،
وهي تفرقعُ في دهنها ، وترى من نوافذها : الطرقاتِ تضجُّ بهم ، مطرًا ،
سافحًا في الرمالِ
مياهَ ذكورتِهِ

حين نطَّ عليها . . .
- (أريدُ يفوّخن . . . . . .

فاقعًا دهنَهُ قبل إيلاجهِ . . ليليّص جشبانها[1] . . .) . . . . . شاطَ تمّنُها واستشاطتْ تفلفلُ ، . .

وهو يرتّبُ ياقتَهُ ، ثم يخرجُ للطرقاتِ [ المتاهاتُ تأخذني بظلاماتها ،

انقطعَ الخيطُ - أريادني[2] - مَنْ يقودُ خطاي

إلى البابِ؟ (أفركُ عيني . .

أرى طَرَقاتي على البابِ .

تفتحُ في حذرٍ

فأراني أتمتمُ مرتبكًا : جلبتُ الجرائدَ ، سيدتي

هل تحبين أن . . . . . .

- دعها على البابِ) . . . . . .

أمسحُ عن شفتي رغبةً تتلعثمُ ،

منصرفًا باتجاهِ الممرِ الذي يفصلُ الغرفتين عن البحرِ . .

من ثقبِ روحي أبصرها تتعرى

فأفتحُ ثلاجتي

---

(١) إشارة إلى رداء الجشبان السومري الذي ورد في أقدم أغنية حب في التراث الإنساني : «لقد أسّرتَ قلبي فدعني أقف بحضرتك وأنا خائفة مرتعشة/ أيها العريس دعني أدلّلك/ فإن تدليلي أطعم وأشهى من الشهد/ وفي حجرة النوم الملأى بالشهد/ دعنا نستمتع بجمالك الفاتن/ أيها الأسد دعني أدللك / فإن تدليلي أطعم وأشهى من الشهد/ موضعك جميل حلو كالشهد فضع يديك عليه/ قرب يدك عليه كرداء الجشبان/ ضم كفيك عليه كرداء الجشبان» .

(٢) هي التي أعطت الخيط إلى يثسيوس بعد أن وقعت في غرامه لكي ينشره خلال تجواله في المتاهة ويعرف به طريق عودته .

وأعدُّ عشائي وحيدًا :
نقانقَ باردةً ،
وفمًا مستفيضًا . . .

مزيدًا من الرقصِ - ياجسدي - في الهواءِ
لعلَّ القنابلَ تخجلُ من عرينا الوثنيِّ
أمامَ الإلهِ الحزينِ ،
فإنْ نشفَ الريقُ ، نركضُ للجرفِ نغمسُ في طينهِ عودَ أحلامنا ،
ثم نجلسُ فوق الصخورِ
نرى هل ستخضرُّ . .

أُوسعُ من فتحةِ الثقبِ ،
تدنو . . شذا صدرها
يتماوجُ في شبقٍ
باتجاه المرايا الوحيداتِ
أسمعُ أنفاسَها ، ولهاثيَ ، يمتزجان . . . . . .
. . . . . .( . . . . - يداهمني طيفُهُ أولَ الفجرِ ، مرتعشًا مثل نجمِ الصباحِ ،
أدثّره بضلوعي ،
نغيبُ معًا في اللهاثِ
فيبتلُّ عشبُ الصباحِ
على الطاولاتِ . . . .) أرى معطفي نائمًا

ودموعي بمرآتها . .

أيننني؟

أتركُ الغرفةَ الفوضويةَ مرتديًا شبقي ،

ألحقُ الباصَ منحشرًا بينها ، والحقائبِ

تفلتُ منيَ في زحمةِ الراكبين . . . . .

. . . . . - (وكان يحاولُ أن . . . . . .

يتلمّسني بأصابعهِ المستريبةِ ،

يدنو ،

فأنشقُ في فمهِ عرقًا بائتًا ورغائبَ نيئةً

يقفُ الباصُ في أولِ الجسرِ مرتجفًا ،

. . . . . فأفرُّ إلى البابِ . .) . . . تقتربُ الشمسُ من شرفاتِ العماراتِ

تغمسُ في البحرِ

ريشتها

ثم ترسمُ ثغرَكِ . . . .

يخفتُ صوتَ الديوكِ العنيدةِ

أغلقُ كتبي ،

وأغفو وحيدًا . .

فتوقظني الطَرَقاتُ على البابِ . .

- مَنْ؟)

تتقافزُ قربي - بلا وجلٍ - فأرةٌ

تقرضُ المتنبي ، وكيسَ البزاليا ،
وتندسُّ في الثقبِ . تغلقُ ضوءَ النهارِ الذي كان يرقصُ متشحًا بالغبارِ

فأغلقُ عينيَّ علّي أراكِ . . (- ولي ، وشْلُ كأسِكَ
دارتْ بكَ الخمرُ ،
دارَ الزمانُ : فتىً من شوارع
يفضي بفوضاهُ للبارِ - كلَّ مساءٍ -
ويرجعُ في آخرِ العمرِ
يبحثُ عن شقةٍ
وفتاةٍ مؤثثةٍ
غير أن يديه سترتعشان على زرِ ثوبي
وتزلقُ للكأسِ . . .) حتى إذا فُتحَ البابُ ،
فاضَ الشذا في الزوايا
فأعرفُ أنكِ قادمةٌ
قلتُ هذا الممر ضلوعي ستجتازها ريثما تتحسّسُ في مقلتي دغلَ الدمعِ ،
ينمو ،
فتهرعُ نحوي
- (فدرْ أيها الشاعرُ
المتصعلكُ ، درْ دمعةً جمدتْ في المساءِ
على عاجِ نهديَ ، تياهةً بالعبير
أصبُّ صهيلي وأسكرُ من نجمةٍ

بإصبعهِ

ندمًا

لفراقِ خطاكِ الوئيدةِ

هل كنتُ أهذي لكي أتنفسَ بين الخرائبِ هذا الهواءَ المحرّمَ

نشربُ شاي البناتِ المخدّرَ في عجلٍ . خارجين من الخندقِ الزنخِ

نحو فضاءِ المكاتبِ

والمدفعيةُ تحسو على مهلٍ شاي أعمارنا ، وتغمّسُ كَعْكَ حراشفها

في ذهولِ الهواءِ المعلّبِ ما بيننا . .

لغتي من شظايا

وصوتكِ نسجُ حريرٍ

يهفهفُ في الريحِ .

هل هدأ القصفُ كي أبصرَ الآن أمي تجيءُ بياضًا وأسألُ عن نسوةٍ يترملن في السلمِ

أكتبُ تأريخَ أهلي كما ينبغي ليتيمٍ

كبرتُ كثيرًا ولمْ أنتبهْ لتجاعيد[1] وجهي بين المرايا

ألاحظُ بعد اختلاطِ هواءِ المنافي العديدةِ أني هرمتُ وطالَ عتابي مع الناي ،

طالَ الطريقُ إلى مرجِ كنعان ،

---

(١) اقتباس من محمود درويش : «كبرنا قليلاً ولمْ ننتبه للتجاعيد في نبرة الناي» .

طالَ البكا . . . قلتُ : لا بأسَ ننصبُ خيماتنا ، ها هنا ، ريثما يهدأُ القصفُ .

مَنْ سيهزُّ سريرَكَ يا ولدي

في البلادِ الغريبةِ؟ [ يعتمرُ الحرسُ الليلَ - خوذاتهم صدأُ الربِّ .

أنقشُ وشمي على جلدِ إبني ،

لتكبر في رئتيهِ أغاني الحقولِ الجريحةِ .

يسألني : أين دربُ المحاجير . . . .؟

وهو يلوذُ بدمعتهِ في ظلالِ العماراتِ .

تزحفُ نحوي أفاعي الحنينِ وتهرسني . كلما قلتُ : آهٍ . . . نما دغلُ شاربهِ

فتموجُ البقولُ : قياصرةً ، وأباطرةً ،

في ثيابٍ مزركشةٍ ، تعبر الآن خفقَ تنفسهِ

فيرى في الظلامِ الحشودَ ،

تلاطَمُ هاتفةً ،

تحت أعوادِ مشنقتي ، باسمهم)

الجذوعُ ستغدو كعوبَ بنادقهم

مصطباتٍ لمن سوف يأتون بعدي على شهقاتِ البنفسجِ .

للسجنِ أعتابُهُ

ولقلبي أسبابُهُ ،

غير أني أموتُ وعيني على وطنٍ

لمْ أجدْ فيه ظلاً لقبرِ أبي [ تجفلُ البنتُ فوق السريرِ ، تهشُّ

الكلابَ التي حوّطتْ حلمها . غير أن المدينةَ مقفرةٌ ، والأطباءَ ناموا وراء التقاريرِ والبنسلين ] أكان على صدرها يشهقُ البحرُ ، عاريةً ، دمُها شعلةُ الذهبِ القرمزيةُ . في فمها عبقُ الذكرياتِ : رجالٌ يمرون لا يتركون سوى حصرمٍ وسجائر مطفأةٍ باشتهاءٍ (لجأتُ إلى الشعرِ

والتجأتْ للكحول) فمن أينا تثملين؟

تمرُّ الأكفُّ تجسُّ لها نبضها : صافيًا . . حدقًا في المبيضِ .

كوكائين .

أشرعةً تتثاءبُ فوق السواحلِ .

يزحفُ نحو مشداتها بالمقصِّ رقيبُ المجلاتِ ،

وهو يعضُّ وسادتَهُ

مولعًا بمسيلِ البياضِ

على فخذيه . .

العبقريات يصنعها الوبرُ الداخلي لسروالكِ الليلكي . يقولُ لدوفال[1] وهي تصفّفُ أزهارها السودَ ،

فاغمةً في الحواسِ التي تشربُ الطعنات ولا تنتشي دارزًا في الظلام شموعَ أنوثتها

فيرى زحلاً يسكبُ البزرَ في حوضها ، الرجلَ المتمرسَ بالعادةِ القمريةِ . في راحهِ شعرةٌ قيلَ جدته ضاجعتْ قردها فنما في الأنابيب طفلاً سيذهبُ للصفِ يخفي بثنيةِ بنطالهِ ذيلَهُ . دهشًا من بلاهتها .

---

(١) إشارة إلى قول بودلير : «إن الولع المبكر بالمحيط النسائي ، بثياب النساء الداخلية ، بكل هذه الأبهة المتماوجة المتلألأة العطرة ، هو الذي يصنع العبقريات الفائقة» . وجان دوفال : هي الزنجية التي أحبها .

فسروا صمتها بـ [ ضنوطٍ[1] تشتّتُ نظرتها
بين ضغْمٍ[2]
تسوّفه
بالعفلّق[3]
فهرًا[4]
. . . وشلباق[5]
يمحتُ هكّاً[6] ليشتبكا باصطيادِ الظباءِ بأدغالها
بين ثقبين ،
كانا يحكّانها ويداها تلمّعُ أطماعَهُ
حول سرتها العسجديةِ
ماسكةً رأسَ ثعبانِه
لتذرذر أنغامَهُ في بخارِ التهدّجِ
تلطعُ ما يتبددُ من كأسِه
طافحًا باشتقاق اللغاتِ التي ساقها ركبُ رامبو إلى هررٍ

---

(١) امرأة لها صديقان .

(٢) رجل لايحب أن ينزل في المرآة فيدخله الإدخالة ثم يخرجه . - ابن منظور في لسان العرب - .

(٣) المسوفة : المماطلة . العفلّق : الفرج الواسع الرخو .

(٤) الفهر : أن تسمع صوت الجماع جارية أخرى . والأفهار : أن يجامع واحدة وينزل في الأخرى .

(٥) من اسماء الذكر .

(٦) المحت ، والهك : من أسماء الجماع - الثعالبي - .

[ . . حائطٌ من سعالٍ ويشخرُ «گيوگو»[1]
وراء المراحيضِ
يجمعُ من كلِّ بوّالةٍ
نصفَ قرشٍ
وعند اشتداد الظهيرةِ كانَ يحدّقُ من ثقبٍ حائلٍ
للفروجِ التي
تتوسّعُ أو تتقلّصُ .
ينتفُ عانتَهُ دهشًا ،
ويقول لجدتهِ : إنَّ بولَ النساءِ يوسّعُ من دخلهِ كلما طالتِ الحربُ . . ]

مرحى
لمن يصعدون سلالمَ أضلاعنا
نحو أمجادهم
ويبولون
في فمنا

آهِ . . يا فمنَا المرَّ - ثقبَ الصفيرِ
الذي اختصرَ الكونَ
في آهةٍ
مَنْ سيطلقها بعدنا في الأناشيدِ

---

(١) شخصية شعبية في أحد أحياء الكوفة القديمة . عاصرته في صباي . يمتزج جنونه بواقع الحياة وغرائبيتها .

مرحى له كلما أينعتْ في سوادِ العراقِ
رؤوسُ القبائلِ
يحصدها بالسيوفِ[1] ،
لمن رقصوا قبل نقر الدفوف لموكبهِ
عابرًا بالليموزيناتِ ،
على جسر أيامنا الناحلاتِ

ومرحى لحقلِ الشتاتِ
لمن يسقطون
بفخِ الشعاراتِ
مرحى لَمَنْ فرّطوا نبضَهُ في صحونِ المحقّقِ
مرحى لمن فتشوا في سراويلها
عن مكانِ المناشيرِ
مرحى لأنفاسنا في الرياحِ ، تذرّي السنابلَ ، وهو مسجّىً على وجههِ
فوق سلكِ المدى الشائكِ .

---

(١) إشارة الى خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي الشهيرة على منبر مسجد الكوفة ٧٥هـ : «يا أهل الكوفة ، أما والله إني لأحمل الشر بحمله وأحذوه بنعله وأجزيه بمثله ، وإني لأرى أبصارًا طامحة ، وأعناقًا متطاولة ، ورؤوسًا قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها ، وكأني أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى تترقرقُ . . الخ» - جمهرة خطب العرب ج٢ والكامل للمبرد- .

أخضرَ ،
أو في الزنازين أصفرَ . . . .

صفراءَ ،
حمراءَ[1] ، غرّي السلاطينَ ،
غري الطوابيرَ تلهثُ
خلف الطوابيرِ

مرحى لمن بايعوا مسلمًا[2]
ثم باعوهُ

مرحى لمن يكتبون الشتائمَ
ضدَ الحكومةِ في دورةٍ للمياهِ
ومرحى لمن أدخلوهُ الى دورةٍ للمياهِ
وضاجعه حرس السجنِ ،
منكفئين على لحمهِ

---

(١) إشارة إلى الدنيا كما وصفها علي بن أبي طالب في إحدى خطبه - نهج البلاغة- .

(٢) مسلم بن عقيل ، سفير الحسين إلى أهل الكوفة . بُويع ، ثم خُذل ، ثم قُتل ، ثم رُميت جثته من فوق سور قصر الإمارة .

واحدًا واحدًا

فإذا انتفخَ السرُّ في بطنهِ
أجلسوهُ على بُطُلِ البيبسي كولا . .
وقالَ الطبيبُ بصكِّ الوفاةِ :
لقد ماتَ
منتفخًا
بالبواسيرِ

مرحى لمرضى البواسيرِ
في سجنِ بغداد

مرحى أنا الحقُّ ،
قالَ وغابَ عن النطقِ في غيهبِ الجبِّ
ثم توارثها الأشعريون
والزنجُ
والرافضونُ

أنا الذكرُ ،
قالَ الجنيدُ ومالَ إلى الرقصِ
في حلقاتِ المريدين
قال الكميتُ : وهمْ يسمنون ونهزلُ[1] . . .

---

(١) إحالة إلى قصيدة الكميت الأسدي .

مرحى لمن علقوا خصيتيهِ
بمروحةِ السقفِ :
- «قرْ» . . . . . .
قبل أن يحملوكَ
. . . . . إلى القبرِ . .
مرحى لمن سيقرُّ بأسمائنا ،
واحدًا
واحدًا
ثم يرمونه للكلابِ . . .

- وعبودُ أين؟
. . . . . .
التفتُّ إلى ثغرها يتهجاهُ
في وله
والعصافيرُ تنقرُ زهرَ الحديقةِ
ثم تطير إلى صدرها
كان يلبدُ خلفَ السياجِ يظلّلهُ شجرُ السيسبانِ الكثيفُ
يمسّدُ أكتافها بالحنينِ ،
فتهمسُ : [ - همْ خلفَ رابيةِ الجسرِ ينتظرون مرورَكَ . .
أعينهمْ تتلامعُ . . . . . ] . . . . خذني إلى شفتيكَ بتولا يفتّقها الطلُّ ،
خذْ دورةَ الصدرِ كأسًا إليكَ . . . . . (رأيتُ الجنودَ يجرون عبودَ
من كمِّهِ . .

- سيدي والبقيةُ فرّوا . . .

- إلى أين . .؟

- لا أينَ ، مَنْ فرَّ لا يسألُ الدربَ

عن جهةٍ

- سـيـدي كـان يمطرنا بالرصـاص . .) . . . ويصـرخُ خلفَ الفلولِ :

(أمرتهمو أمري

بمنعرجِ الجسرِ . .)

لكنهم تركوا جرحَهُ فاغرًا

في الرصـيفِ وفـروا . . . [ انحنيتُ على جسـدي كي أُلملمَ أشـلاءَهُ

فسقطتُ إلى . . . ]

سيدي كان يحملُ قاذفةً ، والبقيةُ . . . . [ ثم تضيفُ التقاريرُ : إنَّ لهُ

إصبعًا

في اشتعالِ انتفاضةِ آذار[1] . .

لكن عبود - حين استفاقَ من الكدماتِ على وجههِ بعد عشرين عامًا

- تذكّرَ طفلتَهُ في السريرِ يقمّطها الجوعُ . . . (انحنى كي يقبّلها

من وراءِ المشبّكِ ،

فانضغطتْ

- فوق حلمتها -

---

(١) إشارة الى الانتفاضة الشعبية العارمة في جنوب العراق وشماله في آذار ١٩٩١ .

شفتا طفلها . . . .

وهو يروي لها هامسًا :

كان يعبرُ مبنى الإذاعة يحملُ قنينةً للحليبِ ليسكتَ صرختَها ،

حينما اصطدمتْ أذنُهُ بصراخِ فتاةٍ يجرجرها ضابطٌ ثملٌ

فرماهُ بكلتا يديهِ ،

فسالَ الحليبُ مع الدمِ

سالَ) على الأرضِ

سالَ على النجمِ

سال على الوردِ

سال على صفحاتِ المحقّقِ ،

من عتباتِ المخازنِ . . .

حتى الأغاني التي اندثرتْ في شفاه الصبياتِ ] قال ابنُهُ :

لا

أحبُّ النشيدَ ،

ولا العلمَ المدرسيَّ ،

ولا . . . . . .

غير أنَّ معلمةَ الصفِّ دسّتْ بأذنِ المديرةِ تقريرها عن جنوحِ الفتى ،

طائشًا بين نقرِ الدنابكِ

يلقي السديمَ على شارعٍ يتفرعُ من دمِهِ ويصبُّ

بذاكرةِ النهرِ طفلاً يعضُّ السماءَ [ على أيِّ قبرٍ ستبكي أراملُنا

فالقبور سواسيةٌ

في الحروب
( . . . صـرختُ بهم احـملوني إلى أيما حـائطٍ . غـيـر أنَّ أزيزَ
الرصاصِ . . .) . . .] ونامتْ معلمةُ الصفِ
في حضنِ طالبها الوقحِ (تفتحُ قوسًا لإصبعِهِ
خلفَ بنطالها ،

ثم تغلقهُ
بعدَ أن تصفقَ البابَ ،
في حـذرٍ ناعمٍ) فـتطيـرُ الحـمـامـاتُ من صـدرها آهةً
حبستها المناهجُ
في جدولِ الضربِ .
وافترقتْ في الصحابِ الخنادقُ مطليةً بالعناكبِ .
والجندُ مروا بمقبرة الكردِ يختلسون الإجازاتِ والناي

من زبدٍ يولد البحرُ
هل كنتُ أحملُ هذي السماءَ خطيئةَ مَن حاولوا ثقبها بالرماحِ
أرى في البروقِ الغبوقَ الذي يترقرقُ
في جفنِ عشتار .
لكنني لا أرى في البحارِ سوى
ما يردُّ الغريبَ إلى أهلهِ :
جثةً
أو صناديقَ مختومةً
هائمًا في العبابِ

. . . . . غنيمته بالإيابِ[1]
ليصحو على ظلٍّ أيقونةٍ
وفتاةٍ من القشِ
لا تتقنُ الحبَّ إلا بباب المطابخ

[أسندتُ ظهري
إلى خنجري ، قلتُ : لن أتراجعَ . . .
لكنهم
خذلوني
ومدوا لكفٍّ عدوي الزهورَ التي صففوها
لشاهدتي ]
والإشاعاتُ تقرعُ طبلَ المدينةِ ،
منتفخًا
مثل بطن المعلمةِ .
الفتياتُ تناسلن في دمها
ثم أجهضن في السرِّ .
في قشرةِ الحائطِ اختبأتْ فيدرا[2] في دمِ امرأةٍ منذ دهرٍ
يراودها
وهي تضحكُ

---

(١) إشارة إلى بيت لأمرىء القيس .

(٢) إشارة إلى الجمال الفاجع الذي لم يرتو . استلهمها يوربيد وراسين .

من فرطِ ما فرّطتهُ الفحولاتُ
في عريها الأزليِّ .

المدى حبقٌ
في السديمِ
تهزهزهُ
روحُ فشنو(١)

---

(١) فشنو : الإله الراقص الكوني في العبادات الهندية القديمة ، ويوصف بأنه في كل مكان . يقول : «عندما يتهدد النظام والعدالة في الأرض سأنزل إلى الأرض» . وهو يسيطر بتجسيداته العشرة على فحوى الإسطورة الهندوسية ومنها على هيئة كرشنا نائمًا في بركة ماء منتصرًا على أفعى الماء كاليا . وتتحدث ملحمة «الرامايانا» عن تجسيد فشنا على شكل البطل راما وهو حفيد سلالة الشمس للقضاء على رافانا ملك سيري لانكا ، الذي حصل على قوة خارقة بعد تظاهره بالتقشف . حيث طلبت الآلهة من فشنو تخليصها منه فظهر إلى الملك داساراثا من نيران النذور ، وأعطاه جرة شهد ليسقي زوجاته منها ، فأعطى الملك نصف الجرة إلى كوسالا التي ولدت راما وكان نصفه إلهيًا ، وأعطى ربع الجرة إلى كايكي فولدت بهاتا وكان ربع إله ، وأعطى لوكشمانا وساتروغانا ثمن الجرة فولدتا ولدين . وقد تزوج راما بنت جاناكا ملك فيديها الذي وعد بتزويج ابنته الجميلة سيتا لمن يقدر أن يحني القوس العجيبة العائدة للإله شيفا . وعندما حان الوقت لكي يتوج راما بدلاً من أبيه على عرش المملكة ، قامت أم بهارتا بإقناع داسا راثا بتنصيب ابنها على العرش ونفي راما في الغابة لمدة أربعة عشر عامًا ، ورغم تنازل أخيه بهارتا عن العرش ولكن راما أصر على إنهاء فترة النفي ، وخلال هذه الفترة عاش في بانشا فاتي تحت سيطرة الشياطين الركشاسا ولم يعبأ بحب ==

ينامُ على ظهرِ أفعى - الأنانتا
تفرُّ من النصِّ .

---

== سورباناكا له فانتقمت منه بإذكاء قلب أخيها رافانا بحب سيتا واختطافها . وبمساعدة ملك القرود سوغريفا وهانومان تمكن راما وأخوه من العبور الى سري لانكا على جسر راما سيتو ، وهو معبر صخري بين الهند والجزيرة يسمى اليوم «جسر آدم» ، وهاجما عاصمة الشيطان رافانا وقتلاه وأطلقا سراح سيتا ، التي قامت باستدعاء الأم الأرض لإثبات براءتها من شكوك زوجها ؛ فانشقت الأرض وبلعتها ولم يقدر راما على العيش بدون زوجته فلاحقها في الأبدية وسار في مياه نهر سارايو نهر الموتى . وترتبط المياه بفشنو في الإسطورة الهندوسية على شكل تجسده نارايانا حيث ينام فشنو على الأفعى الكونية أنانتا . أما في تجسده على شكل كرشنا ، إله «المهابهارتا» ملحمة الهند الكبرى ، فإن هذه الملحمة السنسكريتية تحتوي على بهاغفاد غيتا نشيد السيد المبارك . وتروي الملحمة أن أمير الحكمة أراد أن يُري أرجونا تجسد الإله العظيم فيلعب كرشنا دور سائق عربة أرجونا في معركة الباندافا والكورافا ، وهم أبناء عم دخلوا في معركة على المملكة «حتى إن ألف شمس أشرقت عند قدوم السيد الأعلى» وقد بحث هذا التجسيد لله عدة فلاسفة هندوس منهم سوامي « فيفي كانادرا» وهو من أتباع راما كرشنا ، الذي أعلن بأنه تجسد إلى فشنو في عام ١٨٨٥ وذكر ما يلي : «عندما يمارس البشر الطقوس الدينية فإن ٨٠٪ منهم يصبحون محتالين و ١٥٪ يسهم الجنون ، ويبقى ٥٪ يعرفون حقيقة الاتحاد بالذات الإلهية والحقيقة ، وتحل عليهم البركة لذا عليك الحذر» . وسد هارتا : ٥٦٣ - ٤٧٩ ق م هو أمير من شمال الهند أصبح بوذا أو الشخص المستنير . وشيفا : ذُكر في الكتابات القديمة باسم رودا أو المخيف المزمجر ، له عين ثالثة وسط جبهته تمثل بثلاث خطوط أفقية يقوم أتباعه برسمها على جباههم . وفي منطقة مالا بورام وجدوا نحوتًا تمثل تجسد شيفا على شكل نهر الكنج «دارا» حيث هبطت مياهه وانسابت على خصلات شعره على شكل سبعة روافد .

يختتمُ كرشنا دمَ الفجرِ
مشترطًا حكمةً لمْ تمرَّ ببالِ المحابرِ
يسألها نجمةً في ملاقطِ سيتا ،
لها كلّ هذي النهاياتِ
هاربةً
من كمائن شيفا
إلى سدّ هارتا
تقصُّ له المهابهارتا لينعس في حضنها زمنًا ،
ثم تنسيه شهوتها
عابرًا نهرَ سارايو إلى روحها
غائمًا في بروقِ المياهِ الحزينةِ
هل كلُّ هذا الصراعِ
على شهوة!؟
الرمادُ الرخيمُ ينكّدُ أضلاعَهُ ،
ولها أن تكيلَ الهوى بالملاعقِ .
مرتبكًا بالتخومِ على حجرٍ كان يجلسُ كالأربعاءِ
على السورِ
يرنو إلى كردمند[1] المضبَّبَ يقصفُهُ المدفعيون .

---

(١) جبل في كردستان شمال العراق وقعت عليه معارك دامية بين الجيش العراقي والأكراد المتمردين .

يرجفُ دون لحافٍ سوى نجمةٍ
في الهزيعِ .
سيفطمُ ليلَى من . . .
. . المصِّ

ساقاهُ مرفوعتان
إلى السقفِ
والسجناءُ يبولون في فمهِ
لا غبارَ سوى صمتهِ
يتكاثفُ شيئًا فشيئًا
بقاعِ الممراتِ :
لا تـ
ـعـ
ـتر
فْ!! . . .

المشارطُ تنأى . الروائحُ . كبسولةُ القرحةِ . الدودكيُّ . المناضدُ . رائحةُ الزنبقِ المرِّ
في فمها
من منيِّ الرجالِ
وفي الفجرِ تأتي البغالُ محملةً
بالقنابلِ

تصعدُ نحو بيره مگرون[1]

أصعدُ :

مرحى . . .

أنا الحقُّ

أبصرتُهُ يتقرفصُ

في بابِ خيمتها . . .

الخيولُ تسحُّ غبارَ الزمانِ

وعيناهُ من خشيةٍ

تدمعان :

- أأنزعُ عن كفِّ بنت الرسولِ ،

السوارَ المطعّمَ بالدم ،

ويلي من الله

والناسِ

والحنظلِ المستحيلِ . .

ولكنْ . . . . . !!

ستقتلني حسرةٌ

---

(١) بيره مكرون : جبل في شرق السليمانية ، يرتفع نحو ٩ آلاف قدم ، استقرت عليه سفينة نوح البابلي بحسب رواية بيروسوس «برعوشا» الكاتب البابلي ، القرن الثالث ق م .

أن يفوز بهذي الغنيمةِ غيري[1] . . .

[استداروا على جسدي بسكاكينهم وأنا كنتُ أضحكُ ،
أضحكُ حدَّ انجراح دموعي :
أتبصر خلف ضلوعي بلاداً من السعفِ الغضِّ (كنتُ أراهم بحاناتها
يكتبون القصائدَ من تخمةٍ
ويبولون كلَّ صباحٍ على حلمي . . .) قلتُ :
بيني وبين الثيابِ القصيرةِ ، غربةُ روحي وهذا الزمانُ الشحيحُ . .
وبيني وبين العماراتِ ، حزنُ القرى وذهولُ الجنوبيِّ
(مَنْ يُؤوِيَ - الآن - هذا المشرّدَ
في ثقبِ نايٍّ ،
قرنفلةٍ ،
نصفِ بيتٍ . .
فقد ضاقَ فيه الزمانُ ،
وما عادَ في العمرِ متسعٌ للتسكعِ فوق المصاطبِ . .
ما عاد لي غير نعلي
وهذي القصيدةِ . . . .

قالَ المقاولُ :

---

(١) تذكر كتب التأريخ أن رجلاً جاء إلى فاطمة بنت الحسين بعد مقتل أبيها في واقعة الطف ، فانتزع خلخالها وهو يبكي . قالت : ما بكَ!؟ فقال : كيف لا أبكي وأنا أسلبُ ابنةَ رسول الله . قالت له : دعه إذن . قال : أخافُ أن يأخذه غيري .

- نبني الوطن
فكوّمتُ عمري
طابوقةً فوق طابوقةٍ
كان المقاول ينشىءُ من لحم أحلامنا ، شققًا
وفنادق . . .

لكننا . .
- حين كنا نجيءُ لبغداد -
تطردنا شرفاتُ الفنادقِ
والحارسُ الأجنبيُّ
فنأوي إلى خانِ أحزاننا
وننام) . . . .

قال السياسيُّ :
- نبني الوطن
فرحنا نشدُّ البلادَ على جوع أمعائنا
ونهوّسُ في الطرقاتِ
يطاردنا الشرطةُ الملكيون والفقرُ
أسمالنا والرياحُ
كروشهمو والحقائبُ

قال المرابيُّ
قال الصحافيُّ

قال اللواطيُّ

قالوا . . . . . وقالوا . . .

وقلتُ : سلامًا . . أيا وطنًا

لمْ نجنِ منه سوى الصفعات

- تغيّرتِ الآنَ بغداد يا أبتي

ها إنني صرتُ فيها الموظفَ ، ذا ربطةٍ

أستطيعُ استلافَ طعامي إلى آخرِ الشهر (- كم قبضوا آخرَ الـ . . . .)

وأحلمُ بامرأةٍ ،

تتحملُ ثقلَ ديوني

وليلَ جنونيَ . .

لكنني حينما غادرَ الباصُ . . غادر آخرهم

قمتُ أمللمُ عن عتبةِ البارِ أشتاتَ روحي

- أتبصرُ يا صاحبي؟

واستدارَ إلى حلمي ثم أوقفني فَزِعًا :

- إنهم قادمون إليكَ . .

[يطيرُ الحمامُ ، يطيرُ الرصاصُ ، تطيرُ الدروبُ ، أخبّىءُ طفلي ورائي . .

وأركضُ ،

أركضُ في شهقاتِ المدينةِ

تندلعُ اللافتاتُ

أرى أفقًا من توابيتَ حمراءَ يحجبُها الغيمُ والطلقاتُ

تخيّم فوق سماء العراق
فأفزعُ
أتبعُ خيطَ الدمِ المتقطّع من أولِ السبي . . .

هل أرشدُ الشهداءَ إلى نخلنا ، وأقولُ استريحوا هنا ريثما تقبلُ النادباتُ انهمكن بخزنِ الطحينِ لعامِ الحصارِ

كأنّا نودّعُ أكبادَنا إذْ نودّعُ أولادَنا ،
ثم نرحلُ في التيهِ
نطوي المفازاتِ
نطوي الشجا والفلا والسجونَ
وننسلُّ في حلكِ الليلِ
تحتَ قميصِ الغمامِ الممزقِ
زوادتي حفنةٌ من ترابٍ
وحين تضلُّ بنا الأرضُ ، أهمسُ : لا تقلقوا ، اتجهوا صوبَ قلبي .
فقلبيَ لا يخطىءُ الأرضَ
مهما يموّهها العشبُ والقطعاتُ ] . .

. . . أكنتُ أخافُ وضوحَ النهارِ ، ليكشفَ لي وجهَ قاتلنا في المرايا ينظّفُ أسنانَهُ من بقاياي ، لكن روحي مهيّأةٌ للطعانِ ، لأذهب أبعدَ في كرنفالِ المراثي
يجيءُ الصدى مطرًا نادمًا

في الفيافي :
- أأتركُ في الري ملكًا يسيلُ عليه
لعابُ الملوكِ
وأرجعُ مختضبًا بدماءِ ابن عمي؟[1] . .

كان دمُ ديموزي
الحسين
المسيحْ
. . . يسيرُ مع النهرِ والنخلِ والريحْ
صحتُ برمل الجزيرة :
أين الفراتُ؟
فجاء الصدى :

كلّ شلوٍ من الحسين فراتُ
كلّ قطرةِ دم . . تصيحْ :
- على خشبِ الصلبِ -
موتي حياةُ

---

(١) إشارة إلى ما كان يردده عمر بن سعد بن أبي وقّاص في خيمته قبل توجهه لقتال الحسين : فوالله لا أدري وإني لحائرٌ/ أفكر في أمري على خطرين// أأترك ملك الري والري منيتي/ أم أرجع مأثومًا بقتل حسين// حسين ابن عمي والحوادث جمة/ لعمري ولي في الري قرة عيني . . . إلى آخر القصيدة .

تغني الطيورُ على دمهِ - زهرة الجلّنارِ المضاعة ، تفزعها الجهشاتُ
فينتفضُ القلبُ مرتعشًا ،
مثل سعفِ الجنوبِ
إذا عبرتهُ المدافعُ
أسألهُ : أين ضيّعتَ قلبكَ
لا ظلَّ للطرقاتِ ، يدخّنها الحاكمُ العسكريُّ ، ولا ظلَّ للوردِ تسحقهُ العابراتُ ،
ولا ظلَّ للظلِ بين الرصاصةِ والعنقِ
كمْ بهجةً فرطتها يداكَ لفرطِ التشاؤمِ .
هذا النهارُ أقلُّ
وهذا النباتُ كثيرٌ عليك . كثيرٌ عليّ الحمامُ وشَعرك . أين أضعتَ القصيدةَ؟ يأخذني حلمُهُ لانكسارِ البداياتِ ، من شارعٍ لا يؤدي إلى شاعرٍ علمتنا طفولتُهُ كيف نسرقُ تينَ الصبياتِ ، خلفَ غصونِ البراءةِ .

من عبقٍ يتبعُ العَسْبَ والأغنياتِ
إلى شهوتي في اشتقاقِ الفصولِ .
أريدُ الفضاءاتِ أكثرَ قربًا لمرعاي ،
أبعدَ وصلاً لنايي ،
لأفتحَ أزرارَ هذي السماء لغيمِ يديكِ وأحشو الغروبَ بجيبي ،
وأمضي
إلى السنبلاتِ العطاشِ على صدرِ أمي ، أغني لما سيجيءُ من القمحِ

والجرحِ
والسنةِ الماحلةْ

إلى مَ يظلّلُ نخلُ العراقِ
عروشَ الطغاةِ
بأعذاقه المائلةْ
وينشرُ أمعاءَ أطفالهِ - بين كفّيهِ ضارعتين - إلى الله والغيمة الهاطلةْ

إلى مَ يظلُّ بكلِّ العصورِ
يجوعُ العراقُ[1]
وتلك روابيه تطفو على النفطِ
تلك سوابيطهُ المثقلةْ
تتعفنُ في سفنِ الشحنِ ،
رابضةً في الخليج
إلى مَ يجفُّ الفراتُ
وفي كلِّ بنكٍ جداولُهُ تترقرقُ
في كلِّ صكٍ نرى دمعةً ثاكلةْ
آهِ . . أحلامنا الذابلةْ
آهِ . . خيباتنا المائلةْ

---

(١) إشارة إلى أنشودة المطر للسياب .

أقولُ للوركا : بأنكِ بيضاءُ أكثرَ من دمعِ صاريةٍ خارجَ البحرِ ، زرقاءُ كالروحِ عطّشها الحبُّ والحربُ ، خضراءُ[1] مَن سُكّرٍ وظلالٍ . وقرطبة من دموعٍ وماسٍ . أقولُ لناظم : يالفراقكِ من مهنةٍ شاقةٍ[2] . وأقولُ لصحبي : اشربوني على مهلٍ

لتذوقوا حلاوةَ روحي ،
ولا تكسروا الكأسَ
في القطراتِ الأخيرةِ
يعتق خمري

أنا دمعةٌ أطلقتها عيونُ الأميرِ المودّعِ غرناطةً ، سُرقتْ قبل أن تصلَ الأرضَ .

من ألفِ عامٍ ولا أصلُ الأرضَ .
في جسدي طعناتُ القبائلِ تمضي إلى الغزوِ والتكنولوجيا .

أفرُّ من اسمي وأختارُ نزلاً بضاحيةٍ لا تساومُ أزهارها رئتي ، لا غرابٌ يقلد زقزقتي . أمهرُ الكائناتِ بوسمي لينكرني فرسي فوق جلدِ العبارةِ ، رمحي سيأكلُهُ العثُّ . أسقطُ . سهوًا تجيء الحضارات ،

سهوًا تجيءُ الملوكُ
وسهوًا نجيءُ
فمَنْ قسّمَ الأرضَ ما بيننا :

---

(١) إشارة إلى لوركا : «خضراء خضراء كم أحبك خضراء» .

(٢) تنويع على عنوان أحد دواوين ناظم حكمت «يالحياة المنفى من مهنةٍ شاقة» .

فلهم قمحها

ولنا قحطها

ولهم نفطها

ولنا لغطها

لا مناصَ نشدُّ ذيولَ الخيولِ الجريحةِ كي ينتشي السنبلُ المتطاولُ بالأغنياتِ ، ونمضي إلى آخرِ الحبِّ

ملتصقين

على شفتي من نثارِ شفاهكِ هذي الحقولُ الموشاةُ بالسندسِ .

الكفُّ تعرقُ بالكفِّ ، نسحبها حين يعبرنا شرطيٌّ

فيسقط من بين أنملنا الزهرُ

أبيضَ ، يكسو الشوارعَ والواجهاتِ . .

[ أرى طرْفَها عالقًا بالنجوم وطرْفي بمسمارِ بسطاله . . . . . .

- ما الذي صنعَ الآخرون بروحك يا صاحبي؟

- (سيعلّقكَ الأعورُ العبدُ من قدميكَ

ككبشِ الأضاحي ،

إذا لمْ تقرَّ بأسماءِ من فجّروا شاحناتِ العتادِ بدرب المحاويلِ . . .) . . تلتفُّ في غنجٍ - حول عنقي - ذراعاكِ . . أصرخُ : فلتبعدي الحبلَ . .

لكنها أيقظتني من النومِ ،

مرتعبًا بالكوابيسِ ] مالتْ قناةُ أمية ،

مالتْ .

أكنتَ تقوّمها بالسيوفِ لترتاحَ من ملكٍ زائلٍ لمْ يفءْ لكَ غير المراراتِ؟

(- . . . . قد جفَّ نهرُ الخلافةِ - ياعمتاهُ - فكيف سيسقي ابن عبد العزيز

زروعَ البلادِ ،

وكلّ أميرٍ على الأرضِ

شقَّ له ترعةً ، وسقى زرعَهُ . .) لا دخانَ

ولا سرجَ . يرنو لدهليَ من سورِ قلعتهِ : الآن

قد طابَ قلبي[1]

لكن هذا الوليد سيخطبُ بعدكَ

- في الجامعِ الأمويِّ -

غداةَ استكانَ على عرشه :

إن تموتوا بداءِ السكوتِ[2] لأهونُ مما تموتون بالصدمةِ

الكهربائيةِ . . . ( . . - الموتُ حقٌ لنا يا حُطيطُ[3] . . ألمْ تسمعِ الشافعيَّ

يجيز له قتلَ ثلثٍ

---

(١) انتقم السلطان محمد من مدينة دلهي فصعد ليلةً إلى سطح قصره فنظر إلى المدينة الخاوية وقد تركها أهلها فليس فيها نار ولا دخان فقال : «الآن طاب قلبي وهدأ خاطري» .

(٢) إشارة إلى خطبة الوليد بن عبد الملك يوم استخلافه : «أيها الناس من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ومن سكت مات بدائه» -الطبري- .

(٣) من الخوارج استجوبه الحجاج : «ما تقول في عبد الملك؟» قال : «ما أقول في رجل أنت خطيئة من خطاياه» - آمال المرتضى - .

لكي يستقيمَ له العرشُ
تحت ظلالِ الحرابِ

فماذا أضافتْ دماؤكَ للنهر ، يا مسلمَ بن عقيل
تلفّتَ كان صحابكَ
يقتسمون الدراهمَ . . .) . . . . . .

أين المؤرخُ؟ ينمو القراد بلحيتهِ . فيضيفُ : ( . . . وكنتَ تقاتلُ في بابِ طوعة[1] حتى اكفهرتْ غيومُ السما
ونما القملُ في جثثِ الجندِ ، وانتفختْ في الطريق لمكة أحداقهم ظمأً للفراتِ - السرابِ وكانتْ جواري يزيد
يطبّشن
في رغوةِ الحوضِ
ممتلئًا بالخمور

فقامَ
توضأ في عجلٍ
ومضى ليصلي الغروبَ على خبرٍ جاء بالفاكسِ :
إن الخيول
استباحتْ

(١) امرأة من الكوفة أجارت مسلم بن عقيل في بيتها لكن ابنها وشى به إلى الوالي عبيد الله بن زياد . قبرها بجانب مسجد الكوفة .

هل المُلكُ يملك تبريرَهُ . . .
كلما سفحوا دمنَا في الحروبِ
نما زهرُ تيجانهم في السهوبِ

أريدُ هواءً يترجمني في نصوصِ التشابكِ بيني وبين القصيدةِ مبحوحة الصوتِ من فرط ما صرختْ في الخنادقِ ، ملتصقًا بالمعا - يا بن عمسل[1] - لمْ أدّخرْ فضلةَ الزاد إلا تعلةَ هذا الزمان الذي [ أقبلت كقطيعٍ من الليلِ هذي المفاتنُ[2] - هذا الزمانُ :

قلوب إليكَ ،
سيوف عليكَ[3]

فكيف تفرّق بينهما
حين تشتبكُ الخيلُ بالخيلِ

---

(١) الشاعر الجاهلي تأبط شرًا . وهنا إحالة إلى قوله : «قليلُ ادخار الزاد إلا تعلةٌ/ فقد نشز الشرشوف والتصق المعا» .

(٢) إشارة إلى قول النبي محمد في أواخر أيامه : «أقبلت الفتن كقطيع الليل المظلم يتلو آخرها أولها» - الاستيعاب - .

(٣) لقي الحسين بن علي في مسيره إلى العراق الشاعر الفرزدق ، فسأله عن الناس . فأجاب : «القلوب معك والسيوف عليك والنصر من السماء» - العقد الفريد - .

والليلُ بالليلِ ]

لِ

لِ

لِ ، لِ ، لِ ، أسمعُ قرقعةَ الواجهاتِ ، النصوص ،

سحاق الزجاج بأضراسنا ، من أخاديدها يهربُ الدودُ لحظةَ تمشي المقابرُ -

أقصدُ - تمشي المعاجمُ

نحو المدينة جمعَ عظايا ، هياكل ممطوطةً ، يهربُ الناسُ ،

أعمدةُ الكهرباء ، الدروبُ ، المزارعُ ، والمركباتُ

صحوتُ على صوتِ سيارة إسعاف

تحملُ وعيي

إلى صالةِ العملياتِ ،

مختنقًا بغبار القواميسِ والسستراتِ .

يهرولُ مصلي بأنبوبةِ الطرقاتِ

الى البحرِ

أفتح عيني على البحرِ

كان جهازُ[1] G . C. E عاطلاً ، والستائرُ مسدلةً ، والأطباءُ منكفئين

على جثتي

بالمشارطِ

---

(١) جهاز لتخطيط القلب .

صحتُ : اتركوني أقصُّ لكم ما رأيتُ . .
فلم يمنحوني انتباهًا
وراحَ الخبير يفصّلني - فوق مشرحةِ النصِ - منشغلاً بتلاميذهِ
فأسدلتُ جفني ونمتُ عميقًا . .

رأيتُ الكواكبَ تسجدُ لي
والقيامةَ ذات البروق تضجُّ بحشدِ العرايا
تفوجُ بسيلِ الخطايا . .
وإسرافيل ينفخُ في بوقه :
انهضوا يا نيام القرون الكسيحة . . .
صحتُ : أين الإله؟

فهبَّ الغبارُ يغطي الوجوهَ التي نهضتْ في بجاماتها فزعًا . .
وتمطى الإلهُ يقلّبُ دفتري الضخمَ . . .
تلك حياتي إذن؟
راكضًا في الجحيم أولولُ :
أين ذنوبُ الطغاة؟
. . . . . .
فأمسكني نادلُ البارِ : صَهْ

كانتِ الأرضُ ماءً

وكانت طيورُ أوتونابشتم[1] تتقرى الطبيعةَ في شقق الروجِ . . .
أعلو إلى جبلٍ عاصم :
أيها الربُّ
هل خطأٌ أن نحبَّ الحياةَ؟[2] . . .

رأيتُ رؤوسًا على الموجِ طافيةً ،
وشموعَ نذورٍ على لوحةِ الأفقِ ، مطفأةً
وطروسًا بدون حروفٍ
تناقلها ألسنُ البحرِ
تعلو ببطءٍ وتهبطُ . . .
تدنو إليَّ . . . . . .
انحنيتُ لأمسكها في يديّ
فأمسكني الشرطيُّ :
– . . . . . .

انتثرتُ حروفًا على واجهاتِ المخافرِ ،
توقدني رعشةُ الكهرباءِ ،
وتطفئني في الجدارِ

---

(١) بطل ملحمة الطوفان البابلي يعني بالبابلية : «الذي أدرك الحياة» .
(٢) من قصيدة «خرجتُ من الحرب سهوًا» للشاعر . .

صرختُ بـ . . . زيوسدرا[1] :

آتٍ هو الطوفانُ

فهدّمْ بفأسِك بيتَكَ ،

وابنِ به زورقًا . .

ولكنه لمْ يعرني انتباهًا ،

وراح المحقّقُ بالغليونِ يدخّنني فوق طاولةِ الاعترافاتِ . . . . . .

غطيتُ رأسي بملحفةِ السجنِ مملوءةٍ بالصراخات والقمل

نمتُ عميقًا

رأيتُ الثُريّا التي تتلامعُ في كبدِ الليلِ

تدنو . . . .

تحطُّ على كوتي

كيف أقطفها ويداي مكبّلتان إلى عنقي

---

(١) إشارة إلى الحكيم زيوسدا حاكم مدينة شروباك الذي توجه إلى المعبد فرأى انكي يقول له : «يا زيوسدرا ، اصنع سفينة ضخمة واحمل بذرة من كل ذي حياة ؛ لقد قرر الآلهة إرسال طوفان عظيم إلى الأرض» . وثمة اقتباس من ملحمة كلكامش : «بيت من قصب البردي ، جدار ، جدار ، بيت من قصب البردي يا ملك شروباك يا ابن أوبارو - تو . اهدم بيتك وشيد زورقًا» .

قلتُ : يا بابكي[1] أتبصرها؟
فبكى :
سيدي سوف يخذلكَ الأهلُ . . . . .

تعلو الطبولُ على وقع أنّاتنا . . . . . .
وخيوطُ دماءِ القبائلِ تسري على نهرِ دجلة
مصطخبًا ووحيدًا
تقاطعهُ حمحماتُ الخيولِ التي عبرتْ للشآمِ لتنصبَ
عرشَ يزيد . .

العروش سروجٌ ،
فأين تركتَ سيوفَكَ - يا جعفرُ بن محمد - مدّرعًا بالتقيةِ؟
- يا سيدي سوف يخذلكَ القومُ

---

(١) إشارة إلى عبد الله بن مسلم بن بابك . قال له زيد بن علي وهما في الطريق من المدينة إلى مكة : «يا بابكي ، أما ترى هذه الثريا في السماء أترى أحدًا ينالها؟» . وكان زيد يقول وهو يصعد السلم باتجاه هشام بن عبد الملك في علّية سلمها طويل : «والله ، لا يحب الدنيا أحد إلا ذُلّ» . وكان يقول : «الإمام من شهر سيفه وليس الإمام منا من أرخى عليه ستره» . وقد أخرج الوالي جثمانه من العباسية وشُدّ بالحبال على بعير ثم أُمر بصلبه بالكناسة ، فظل جسده مصلوبًا عاريًا أربع سنوات . يقول الطبري في جـ ٧ أن خماس بن حوش هو الذي أنزل جثته من على صليبه وأحرقه وذرى رماده في الفرات .

إن فعلوها فحسبيَ ربي وهذا البعيرُ الذي سوف يحملني مثقلاً بالحبالِ

فإن أنزلوا جثتي
وصُلبتُ على نخلةٍ
- في الكناسةِ -
فانتظروا أربعًا مثقلاتٍ
ستبني الحمائمُ أعشاشها في الحشا
وتنوحُ :
- لكلِّ قتيلٍ
معشرٌ يطلبونهُ
وليس لزيد في العراق مطالبُ
فإن سمعتْ وقعَ أقدامِ جندِ الخليفةِ
طارتْ
وحطتْ على دوحةٍ في الشآمِ
تغني :
- صلبنا لكم زيدًا
على جذعِ نخلةٍ
ولم نرَ مهديًا على الجذعِ يُصلبُ[1]

فيأمرُ والي العراقِ بأن يحرقوني

---

(١) القصيدة لبعض بني أمية .

يذروا رمادي بماءِ الفراتِ ،
لكي يشربَ الناسُ إثمي

- وإبنُكَ يحيى؟(١)

تظلّلهُ - بعد موتي - صفرُ السحائبِ
مشدودة بالركائبِ
يحملُ ثاري على الأرضِ . .
. . حتى خراسان
حتى إذا حملوا رأسَهُ لدمشق
سيصلبُهُ الحاكمُ الأمويُّ
ببابِ السرادقِ
سبعَ سنينٍ عجافٍ ،
وأخرى ستأتي بسودِ البيارق . . . .

هل دمنُا ، فهرسُ الظلم؟
هل سرّةُ الأرضِ ، قبريَ؟
هل كلُّ مئذنةٍ ،

---

(١) ثار يحيى بن زيد ضد الوليد بن عبد الملك في بلاد الجوزجان فقُتل ، وصُلب سبع سنين حتى أنزل ثوار بني العباس عظامه من الصليب ؛ فلم يولد بخراسان ذلك العام مولود إلا سمي يحيى أو زيد ، كما تذكر كتب التأريخ والأنساب .

ندمٌ صاعدٌ

من فمِ الأرضِ؟

هل كلُّ أعمى ، خطيئةُ أبصارنا في التبصّرِ؟

هل كلُّ هذا السحاب ، زفيرُ السماءِ على هيدبِ الأفقِ؟

هل عمرنا ، عشبة

بين قبرين؟

قوسٌ تهدّجُ بين عبورِكَ قوسًا تحدّبَ

كي ينحني صخرنا من مرورِ اللثامِ إلى الملصقاتِ . كأن جنودَ المظلاتِ أبسطُ من لغتي يهبطون بلا وطنٍ والشجيراتُ في مكتبِ الأمنِ ترمقني باخضرارٍ لئيم وتشخرُ تحت التقاويمِ[1] تنجبُ أمساخَها في المخازنِ . أوراقها مثل تيجانِ ممفيس[2] دحرجها كاهنٌ أعورٌ

ثم بالَ عليها

فماعتْ

وماعَ صديقي بماءِ الأسيدِ المركّزِ .

ماعَ عَ عَ عَ عَ طويلاً على جسدِ الركضِ رمحًا ينوءُ بثقلِ الخطايا ويزعمُ أنَّ الغصونَ استطالاتُهُ في الحشايا تفرعن من فقراتِ

---

(١) استفادة من قصيدة جوزيف برودسكي (نوبل ١٩٨٧) : «الظلام يتهاوى من عينيك المتعبتين/ والشمعة تذوب جوار سريرك/ والتقويم هنا يظل ينجب المزيد من الليالي/ حتى تفرغ مخازن الشموع» .

(٢) إشارة إلى تاج ممفيس الذي اعتقد الفراعنة الأولون أن الشياطين بالت عليه فماع .

أتيبو[1] : تمتّعْ بما لكَ من متع ثم قلْ بعد ذاكَ :

وداعًا لما سيضيعُ .

وداعًا لمن سيمرّ هنا

ثم ينقشُ فوق الصخورِ :

وداعًا[2]

لنسقطَ من شجرِ الكاي

كالثمرِ الفجِ تكنسنا ريحُ فالكي[3] من الجبهاتِ

---

(١) إشارة إلى كاي - نيتكو - أبا وهي الشجرة المقدسة في ساموا التي نمت من العمود الفقري لأبي الآلهة ناأتيبو ، ومات لخلق البشرية ونما الناس في البدء مثل الفاكهة على الشجرة كاي التي كسرها كورا- أبي لأنها كانت تنقط على رأسه ، ونتيجة عمله تفرق الناس ودخل الحزن على البشرية لتفرقها .

(٢) إشارة إلى قصيدة كافافي : «قلْ وداعًا للاسكندرية التي ترحل» . وإلى كتابة يونانية بالشعر وجدت على مدفن بالقرب من حمام هراقليدس في مدينة أم قيس «جدارا» في شمال الأردن . تقول : «إليك أقول أيها المار/ كما أنت ، كما أنت / وكما أنا تصير أنت/ فتمتع بالحياة كأنك تموت غدًا - من نظم ارابيوس - الشاعر سنة ٨١٤ «٣٥٥ - ٣٥٦» . وإلى ما كتبه الشاعر مليبغروس الذي ولد في أم قيس نفسها : «أيها الغريب كلنا نسكن وطنًا واحدًا : العالم والخواء نفسه ولد جميع البشر ، وبعد أن شعرت بثقل السنين حفرتُ هذه السطور قبل أن أنحدر إلى القبر» .

(٣) إشارة إلى فالكيري وهن نسوة يجمعن أرواح الشهداء من سوح المعارك والعودة بهم إلى قاعة فالاهالا في الإسطورة الجرمانية .

إلى أرضِ هونزا[1]
وأنتَ بأرضك عشبٌ تموتُ
تضجُ بصدري أغاني الرعاة
وهذا الرصاصُ الملعلعُ بين الفصائلِ
يفصلني عن سياج الأضاليا التي أدمنتْ قطفها في الربيعِ
السماواتُ زرقاء[2]
لكنني لا أراها هنا

---

(١) يتحدث الصحفي نويل باربر عن مملكة هونزا بأن تعداد سكانها لا يتعدى ١٨,٠٠٠ نسمة ، يعيشون في وادٍ خصب بالقرب من حدود سنكيانغ في جبال الهملايا ، وهم يعتقدون بالنظر لبياض بشرتهم أنهم من نسل ثلاثة فروا من جيش الاسكندر المقدوني مع زوجاتهم الفارسيات . لم يدخلوا حربًا منذ ألفي عام ، وليس لديهم نقد ولا جرائم ، ولا يصابون بأي مرض من الأمراض المنتشرة من حولهم ، ولا يعرفون ألم الأسنان ، وعدد السكان ثابت بدون اللجوء إلى موانع الحمل والإجهاض ، وتلد النساء عندهم بلا ألم ، وقلما يموت الواحد منهم قبل أن يناهز التسعين ، وهم لا يتجادلون ولا يتنازعون ولا يغضبون وليس لديهم أي نوع من الفنون .

(٢) إحالة إلى قصيدة الشاعر الدنماركي أوتو غلستد الذي سجنه النازيون عام ١٩٤٢ : «السماء زرقاء ، زرقاء/ والشمس التي انتظرناها أشرقت بلا معنى مثل عين رجل أعمى/ والدنمارك بكماء يائسة في هواء الصباح المتلألىء/ تضطجع على الأرض لتموت» .

لا مكان لنا[1] ، هل جريمتنا هذه الكلمات نغني بها[2] . أين نذهبُ؟
مَنْ بدّلَ القلبَ ينشدُ عزلتَهُ بالنصوصِ ، بنايك دافيس[3] :
«هاك إبره هاك الخيط
خويه أرْد أكلفك . .
ومْسَرّد الدلاّل
شله علَه عِرْفك . . .»[4]
قاطعًا خيطَ آلامه كلما جرها نايلٌ
فيكرُّ - بحباتِ مسبحة - عمرَهُ في المقاهي ويحلمُ . .
يلحظُ ركبةَ سيدةٍ تتلامعُ
من فرجةِ الطاولاتِ الأنيقةِ

---

(١) إشارة إلى مقطع للشاعر الانكليزي أودن : «النقل في هذه المدينة عشرة ملايين إنسان/ بعضهم مقيم في بيوت وبعضهم في كهوف / مع ذلك لا مكان لنا يا عزيزتي/ لا مكان لنا» .

(٢) إشارة إلى قصيدة الشاعر الأمريكي هاوارد فاست المهداة إلى ناظم حكمت : «وعندما جاء ذلك اليوم في السجن الكاتب الرقيق البرت مالتز/ متحدثًا بهمس تعرفه جيدًا/ كانت جريمته مثلك كلمات غنى بها الحياة والسلم والأمل» .

(٣) اشتهر بأنه مبدع الشعر الرعوي ، تركته أمه في أجمة من الشجر الغار ، فربته الحوريات وعلمه الإله «بان» عزف الناي ، انتقمت منه إحدى النايادس فأعمته بعد أن خانها ، فرفعه هرميس إلى السماوات وفجر ينبوعًا من مكان صعوده أخذ الرعاة يختلفون إليه كل عام لتقديم القربان إلى روحه .

(٤) من الدارمي العراقي .

تخرج مرآتها وتسوي بخصلاتها الذهبيةِ .
هل يشبعُ المرءُ من عمرهِ .
ما الذي تحلمون به
أيها الفقراءُ
ولا شيءَ تحت قبابِ السماءِ
وقد أوصدَ الربُّ أبوابَهُ
ونسـ . . . . .

امحها مثل خربشة هذه السنواتِ الأليمةَ[1] . أتركُ هذي المشاربَ مغشوشةَ الخمرِ . أسكرُ من شفتيكِ وأنسى على شفتي دبقًا فجّرتهُ المراراتُ :

«لا جرح لا جرحين
لا طَرْ واشلّهْ . .
مامش درب للخيط
علهّ علَهْ علّهْ» . . . . . هل أغرزُ النصلَ في قلبِ قيصر مرتجفًا وأقولُ لسوفوكليس كيف سأخرجُ من نصهِ دون أن يتعقبني مخبروهُ ، وأعني الرقيبَ الذي يتعقّبُ نصي بنصلٍ . ولكنني من وراءِ الكواليسِ أبصرتهُ يخلعُ الاكسسواراتِ عن جسمهِ ثم ينسلُّ

---

(١) اقتباس من الشاعر الإيطالي يوجين مونتالي (نوبل ١٩٧٥) : «هذه الحياة الباكية امحها إن شئت كما تمحو إسفنجة من سبورة خربشة عابرة» .

مثل ممثل ل ل ل ل

ل

لا ملكًا[1] . كلما أسقطوا

قيصرًا

نصّبوا آخرَ . . [ أدخلُ في دورة للمياه وأسحبُ سيفونها

يجرفُ النصَ

وهو يبقبقُ

بالفنِ والمستقبليةِ . . . . - باعوكَ يا وطني

مثل كيسِ النخالةِ . . ] باعوا الصفوفَ

بكيلِ الحتوفِ وراء خلاخيلها وشمتْ زندها البضَّ

بالدلوِ يسحبهُ عاشقٌ ناحلٌ يتدلى كحبلٍ ولا يرتوي في السرابِ ، على قدحٍ لا يفضُّ أفضفضُ نفسي وأعرفُ أني سكرتُ وأنكِ ساهمة في فراءِ الذهولِ ، كما نجمة سطعتْ في هبائي وخرّتْ على صفحاتِ الكاما سوترا[2] ولا زغبٌ في يدي من جنونِ يديكِ .

هل الحبرُ ساقيةُ الحربِ؟

هل كلُّ هذي الحروبِ من الحبِّ؟! أيةُ أرضٍ ستنسيك -

---

(١) إشارة إلى قصيدة بلوتارك «حياة ديمتريوس» : «هكذا دخل خيمته وغطى وجهه بعباءة سوداء بدلاً من عباءته الثمينة التي صار لا يرتديها / لم يعد يشبه ملكًا بل ممثلاً/ ممثل عادي انسلَّ مبتعدا» .

(٢) كتاب عن قواعد الحب كتب بالسنسكريتية منذ ألفي سنة .

أينياسُ[1] - أجداثَ طروادة؟
أيُّ جفنٍ سينسيكَ دمعات ديدو[2]؟ (لماذا قرنفلها عاطلٌ
ويداي على وشكِ الارتعاشِ .
وخلف العبارةِ أمسحُ قشّاً عن الطاولاتِ فتوخزني ضحكةٌ
لفتاةٍ تميل على زندٍ أخرى .

أأأأأأأثقلتُ بالخمر رأسي ، فما عدتُ أفهمُ كيف أذرُّ السوادَ وأبيضُّ في داخلي جملاً بالمظلاتِ تهبطُ سرب ملائكةٍ لترى ما الذي ظلَّ من إثم آدم يرسلُ أولادَهُ للمصانعِ والثكناتِ ليخلو بحوائهِ في الأعالي (- أنا خمرةُ الكون يا سيدي
فاحتسِ من نبيذي
إذا أوصدَ الحانُ أبوابَهُ) ما تبقى أؤجّلُ معناه في حيزٍ ناحلٍ
بين خسرو وشيرين[3]
حتى أذوق الغوايةَ
من فمها

---

(١) إشارة إلى قول اينياس - بطل إنياذة فرجيل - إلى صديقه بعد أن رأى في أحد معابد قرطاجنة صورًا لحروب طروادة : «هل تجد - أي أشاتس - من الأرض موقعًا أو موضعًا لا يموج بأنباء طروادة الحزينة/ ذلك هو بريام انظر هناك لقد لقيت الشهرة جزاءها/ إن العالم لتغمره الدموع / إلاّ أن خطوب الإنسان لتهز قلب الإنسان» .

(٢) ملكة صور وقرطاجنة قطعت نفسها بسيف حبيبها اينياس بعد رحيله .

(٣) إشارة إلى قصة خسرو وشيرين التي ألفها الشاعر الفارسي نظامي .

وأزيحُ السواكنَ ساكرةً لأثير الحفيظةَ في هوسِ النهدِ ، يرغو يمامًا يمشطُ هذا الفضاءَ جناحاهُ ،

طالَ اتقادي على شفقٍ فارغٍ في يديها يعيدُ وضوحَ الأقاحِ

بأيقونةِ الملكاتِ السبياتِ

يضوين في الخدَرِ - العربات ينمنمها كلما طافَ معناهُ بالآي

أو طائفًا بالتشكّلِ والضدِّ يدخلُهُ جرسًا خاملاً وهي تنكزُ من إصبع عسليٍّ يقطّرُ شهوتَهُ فضةً وفضائح . (- أستحلفكن بنات المدينةِ هاتنَّ محبوبَ قلبي[1] أبدّدُ برد أصابعِهِ بين كفيَّ ، ساخنتين ، فإني المريضةُ في حبِّه) لهفتي شارعٌ متربٌ والمدينةُ بيضاء يثقبها فرحُ الخطواتِ تسيلُ على راحتيّ بأعشابها . لا جهاتٌ لأحلامنا . ثملٌ بجنوني يدفعني بالرتاجِ إلى بابِ زنبقةٍ (فمها طافحًا بالرغابِ تشيرُ إليّ

بأن أسحبَ السحبَ أكثرَ كي لا يبلّلها نثُّهُ

حين تخرجُ

في الليلِ

للبار) أختارُ متّكَأً للشوارعِ ، تكوي النهاراتِ كي نرتديها مجالدةً . في تناهيكِ[2] لمْ أستدلَّ عليكِ ، فأينَ مضيتِ بعطركِ يشعلُ بهوَ المسراتِ في رئتيَّ . أحكُّ الفصولَ لأن تتخاصمَ فيَّ

فتربكني نظرةٌ لفتاتين

---

(١) استفادة من «نشيد الإنشاد» .

(٢) استفادة من إمبرتو إيكو : «إن عدم اكتمال العمل هو أيضًا بسبب تناهيه» .

تلتصقان

على حـافـةِ الكأسِ (هل أصـبحَ القلبُ منفـضـةً
لسجائرهن الأنيقةِ) عما ينفّضني بزفيرِ الأفاريزِ ، أكرعُ قسطًا من الليلِ
كالمِسْنِ يشحذُ لكنه ليس يقطعُ[1] قلبًا شبيهًا بورقةِ لعبٍ

على طاولاتِ النساءِ (يباركُ رعشتَهُ في الكتابِ
ورعشتها في السريرِ) دعي زهرةَ الحبِّ تزهرُ في ثوبكِ المخمليِّ[2]

دعيهِ يماحكُ شقَّ الأفولِ بسقطِ الفلولِ (أرى بين نهدي وخفقِ تنفّسهِ
عالمًا من طفولةِ قلبي التي أطفؤوها

على الطاولاتِ استدار عليها السكارى) رأيتُ - على
كتفيكِ - بدفءِ عناقكِ دربَ فراقكِ[3] (ذقْ شفتي عسلاً داكنًا

أنضجتهُ سنينُ التشهّي إليكَ) يفيضُ على شرشفي

جسمها

ويموّجني .

---

(١) قيل للخليل بن أحمد الفراهيدي : مالك تروي الشعر ولا تقوله؟ قال : «لأني كالمِسن أشحذ ولا أقطع» .

(٢) اقتباس من فيثينتيه هويدوبرو ، وهو شاعر شيلي له مذهب الخَلْقيّة ، ومؤداه أن الشيء مخلوق وليس شيئًا يغني ؛ وقد أوجزه بندائه الشهير : «حذارِ أيها الشعراء أن تتغنوا بالزهرة بل دعوها تزهر في قمصانكم» .

(٣) استفادة من الشاعر المكسيكي سيلفادو نوبو : «فوق كتفيكِ الأملسين حيث تولد دروب عناقكِ ، أحسستُ على حين غرة بفراغٍ لا نهائي لفراقكِ» . .

أأحطتُ الغديرَ بسدي فجفَّ[1] . أحبكِ بالضدِ لا بالتواصلِ
والعزلاتِ اتحادٌ[2] (يراقصني عاشقٌ
لا يرى غيرَ نحلةِ ساقيٍّ) لمْ ألحظِ التركاتِ على خصرِ غانيةٍ .

ساعديني لأعبرَ جسرَ الفراقِ
إلى ضوءِ رشنو[3] . الموسيقى على طرْفِ إصبعها ،
ودموعي
على طرْفِ رمشي (أوزيريس[4] حذارِ الدخولَ

---

(١) استفادة من طاغور : «لماذا جف الغدير؟ لقد اعترضت مجراه بالسدود ليكون لي وحدي لهذا جف . لماذا انقطع وتر القيثارة؟ لقد حاولت أن أوقع عليه لحنًا يفوق طاقته لهذا انقطع» .

(٢) إشارة إلى أرنستو كاردينال : «أنا أحبك كضد لا كطريق للتواصل» . و«العزلة التأملية اتحاد» - من ديوانيه « النشيد الكوني» ، و«صلاة من أجل مارلين مونرو» .

(٣) في الأساطير الفارسية هو الحاكم العادل الذي يحكم أرواح البشر مثل مترا وسرواشا . اعتقد الفرس أن الروح تبقى ثلاثة أيام وليالٍ ليعطي رشنو حكمه على مصير الشخص ؛ فالذي ينقذ تساعده عذراء شقراء لعبور جسر الفراق إلى حيث الضوء والسعادة ، أما الروح الملعونة فإنها تجد الجسر رفيعًا كحد الموسى لتسقط إلى أسفل حيث تستقبله في حفرة العذاب الأبدي «الدروج» امرأة بشعة تمثل أعماله السيئة .

(٤) رمز النيل خدعه سيت بالدخول إلى صندوقه ثم قطعه إربًا ونثره في أرجاء الدنيا ، لكن زوجته إيزيس تمكنت من لملمة أجزائه وأعادت له الحياة .

بصندوقِ سيتِ . تهجاني الذئبُ
ثم عوى) فرأيتُ دمائي على نابهِ وصديقي يعايننني ثم يرنو
لفخذِ الصديقة ،
منشغلاً بتلمسِ أعضائهِ الوسطيةِ (يزلقُ معطفيَ
المتراخيَ عن كتفي
فيهمُّ بأن . . . .) ولمن تنسبين بكنزتكِ الصوفِ؟[1]
للسأمِ المرِّ ،
للسررِ المائلاتِ بثقلِ الرجالِ؟
مساءٌ طويلٌ من الزمهريرِ
يجرُّ على سككِ الدمعِ هذي الطوابيرَ وهي تغلّفُ قداسَكِ
المرَّ في بردِ إيقونةِ الموتِ . تهمسُ خلفكَ إحدى السجيناتِ مزرقةَ الشفتين
من الرعبِ :
هل ستقولين غدًا كل هذا؟[2]

---

(١) اقتباس من قصيدة الشاعرة الروسية ريندا هيبوس التي كانت ممتعضة من دور النساء في العلاقات الجنسية ، ساندت الثورة الاشتراكية ثم هاجرت إلى باريس وأصبحت عدوة للنظام السوفيتي لأنها لم تجد في الثورة ما ينسجم مع آمالها .

(٢) إحالة إلى قصيدة قداس جنائزي للشاعرة آنا اخماتوفا كتبت بين أعوام ١٩٣٥ - ١٩٤٣ ولم تنشر في حياة الشاعرة ، تعد شهادة مرعبة ضد الإرهاب والقمع الوحشي للإنسان . أُعدم زوجها الشاعر كوميلوف ، وأُرسل ابنها إلى معسكرات الاعتقال ، أما هي فقد طُردت من اتحاد الكتاب السوفيت ومنعت من النشر . كتبت مقدمة لقصيدتها تقول فيها «خلال سنوات الإرهاب الستاليني المرعبة كنتُ سجينة لمدة سبعة عشر شهرًا ضمن طابور من النساء في أحد ==

يقطّعنا الخوفُ مثل السكاكين لكنه ليس دمعًا بعيني بل طلقاتٌ[1] .
أيكفي ذراعي لضمّكِ؟ (- هم ملأوا فمكِ العسليَّ بصاقًا .
- وأنتَ؟) . . بكتْ وهي تحتي تشبُّ
- كما البحر - صاخبةً
في اصطفاقِ الأضالعِ بالصخرِ ،
تزبدني رغباتٌ وتذهبُ كالموجِ (- هاكَ شفاهي التي هصروها
فلمْ يجدوا غيرَ طعمِ سجائرهم والأغاني الرخيصةِ .
كنتُ أخبّىءُ فاكهتي المشتهاةَ إليكَ .
ألوبُ على شفتيكَ
وأنتَ تفكّرُ في . . .) : أيها . . . .
. . . . . الجنرالُ

---

== سجون لينينغراد ، كان ثمة شخص ما وبشكل ما قد اعترف ضدي ، وذات مرة وقفت خلفي امرأة مزرقة الشفاه من الرعب والبرد ، وبالطبع لم تكن سمعت باسمي ، همست في أذني سائلة حيث كان الجميع يتحدثون بهمس : أتستطيعين أن تصفي كل هذا الذي يجري هنا؟ فاجبتُ : نعم . وهنا ارتسم ما يشبه البسمة على هذا الذي كان وجهًا ذات يوم» . والزمهرير الأسود : اسم القاطرات التي كانت تقل المعتقلين إلى أعماق سيبيريا .

(١) إشارة إلى قصيدة بابلو نيرودا عن هاوارد فاست في سجنه : «الخوف الذي يقطع شيلي مثل حد سكين خبيث» . وإلى قصيدته عن الشاعر ميكويل هرننذز الذي مات قتيلاً على يد الجلادين الفرنكويين في أحد سجون إسبانيا «لقد تعلمتُ الحياة من موتك . عيناي أسبلتا عندما اكتشفت أن ليس في داخلي دموع بل أسلحة لا ترحم» .

الذي كان يرقبُ
- من شاشةٍ قربَ مضجعهِ -
الراجماتِ
تدكُّ مدائننا
وهو يعلكُ غليونَهُ الأجنبيَّ :
أهذا إذن كلُّ ماظلَّ من وطني؟ (- أيها الميتون قيامًا[1] :
مشكول الذمة علْه الفالة[2] . . . . .
غير أني شممتُ الرصاصاتِ ، تلمعُ في صدرهِ ، ففهمتُ لماذا إذن كلما طُرقَ البابُ ،
فزَّ من النومِ مرتعبًا . . .)
خذْ دموعي
- إلى البحر -
يا شِعرُ
واغسلْ حجارتها من غبارِ الطحالبِ ، جرتْ جرارَ سنيني إلى بذخِ الكائناتِ ، تسيلُ وتكتبني في زفيرِ الكتابةِ - هذا البهاء الذي يتكوكبُ

---

(١) جملة تنسب إلى عريف فرنسي سنة ١٩١٥ عندما هاجمه الألمان في خندق ، وكان جميع رفاقه موتى فصاح : «قيامًا أيها الموتى» .

(٢) إحالة إلى إهزوجة شعبية كان الثوار يرددونها في جنوب العراق ، ومفادها أن أحد الثوار ضرب بالفالة جنديًا بريطانيًا فهرب الجندي إلى جماعته والفالة مغروزة في ظهره ، فصاح وراءه هازجا : «مشكول الذمة عله الفالة» .

أو يتبطنها في عروقِ الزمانِ إلى دهشةِ الآس

يرسمُ فاسًا

ويهدمُ فاسَ[1]

لينصبَ عرشًا لفارسَ

علّقهُ جندُ قمبيز[2] في رقبةِ الكونِ . أعمدةُ النصرِ تنمو على شفتيهِ عذارى صُلبن بُعيد الجماع . .

فناستْ أجنتها في بطونِ الهياكلِ . يخصي الرؤوسَ ويحصي الغِلالَ التي تتجمعُ في السحبِ ، عابرةً

أرضَهُ وسباخَ جواريهِ ،

من طوس

حتى مراكش ،

أنشقُ رائحةَ الذعرِ في دمهنَّ .

متى تملأ الدانايدات[3] أباريقهنَّ

سراري سريرٍ ،

سبايا سبيلٍ ،

---

(١) مدينة مغربية تقع على وادي فاس مرّ عليها المرابطون والموحدون والمرينيون والسعديون والوطاسيون .

(٢) ملك فارس ، انتهى الى الجنون بعد وفاة والده قورش .

(٣) البنات التسع والأربعون اللواتي قتلن أزواجهن فحكم عليهن بصب الماء إلى الأبد في أباريق مثقوبة .

يفتّحُ عمليقُ[1] أزهارهنَّ
فتمشي الشموسُ إلى بعلها
بدفوفِ من الدم .
هل أذعنتْ فتياتُ أورانجساكي[2] إلى أمرهِ
بمفاتيحهن الرقيقةِ
قبل امتطاءِ السواحر عودَ مكانسهن
ليزنين
في حفلاتِ الشياطين[3] ،
يخرجن كالنملِ حاصرهُ الماءُ .
ينـزى به شبقٌ
نحو زوجةِ قائدهِ أرميا[4] ،

---

(١) كان يأمر أن لا تدخل عروس إلى زوجها حتى تحمل اليه - المسعودي في مروج الذهب - وقد خرجت شموس من عنده شاقةً ثوبها وهي تنشد : لا أحدٌ أذل من جديسٍ/ أهكذا يفعل بالعروسِ

(٢) في بعض شعوب أورانجساكي في الملايو وسومطرة وسيلان كان الأب هو الذي يقوم بازالة عذرية إبنته .

(٣) كانت محاكم التفتيش تبحث عن النساء اللواتي عاشرن الشيطان لتحرقهن ؛ وقد آمن بعض رجال الكنيسة في القرن ١٣ مثل توماس الأكويني والبرتوس ماجنوس ، وهما من كبار أساتذة اللاهوت ، أن المرأة يمكن أن تتصل جنسيًا بالشيطان .

(٤) إشارة إلى داوود الذي كان لديه ٩٩ امرأة وزنى مع امرأة قائده أرميا إذ ضاجعها ٩ مرات .

تاركًا خلفَهُ أمَّ خارجةٍ ،
تُشترى
بالذواقةِ[1] .
يذهلُ :
يا كيلةً[2] في المكيلِ
ألا تشبعنّكِ هالةُ أمجادِه
تفتحُ البرَّ
لا الحرَّ؟

أبصرتهن . . . .
بمعبدِ ميترا
ميليتا
أرتميس
أمون
برباب
باكوس

---

(١) زواج الذواقة - كما ذكره أبو الفرج الاصفهاني - أن تجرب المرأة الرجل قبل الزواج منه ، وقد اشتهرت أم خارجة بكثرة ذلك حتى قيل أسرع من نكاح أم خارجة .

(٢) هي بنت الأشعث وقد تزوجها عكرمة بن جهل بعد موت النبي - الطبري - . ويذكر بعض المؤرخين أنها عالية بنت ظبيان .

يستبضعن الرجالَ[1] ، ويهمسنَ :

- إلكاحَ إلكاحَ . . . .

أبغي الـ . . . . نـ . . كاحَ[2]

تمرُّ بهنَّ أماليدُ ديري[3] ،

يسلسلنَ ، كالجاهلياتِ ، أزواجهنَّ :

---

(١) عُرف نكاح الاستبضاع في الجاهلية وكذلك في معابد الهند حتى بداية القرن الحالي - نوال السعداوي / ارثر كورتل - . ويذكر المؤرخ هيرودوت أن كل امرأة من نساء بابل كانت تذهب مرة في حياتها إلى معبد الآله ميليتا لتجلس هناك تنتظر أي رجل يأتي المعبد ، فإذا أعجبته ألقى قطعة من الفضّة في حضنها ، ومارس معها الجنس ، داعيًا الإله ميليتا أن ترعاها . وقد استمر البغاء المقدس في بابل حتى القرن ٤ ق .م ليقوم الإمبراطور قسطنطين بإلغائه ح ٣٢٥ ق .م .

(٢) وفي الجاهلية كانت المرأة إذا صعب عليها العثور على زوج تقوم بنشر جانب من شعرها وتكحيل إحدى عينيها وتحجيل إحدى رجليها ، ويكون ذلك ليلاً ثم تقول : «يا الكاح ، أبغي النكاح قبل الصباح» . فيسهل أمرها - الآلوسي بلوغ الأرب - .

(٣) في قبيلة ديري تتخذ المرأة زوجًا رئيسيًا وعددًا من الأزواج الاحتياطيين ، وقريب إليه زواج المشاركة في الجاهلية ، وفي حديث لعائشة عنه : «إن يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة فيصيبونها فإذا حملت ووضعت ترسل إليهم ، فلا يستطيع واحد منهم أن يمتنع ، فإذا اجتمعوا عندها تقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع عنه الرجل» .

على خدنٍ[١]
أو علىً بدلٍ[٢]
أو على المَقتِ[٣] . .
مرت خلوبٌ[٤] تلوبُ على التختِ
مرتْ بهن - مخايلةٌ[٥] -
أمُّ سلمة[٦]
مرتْ أماحُ

---

(١) زواج الخدن : «كان الكثير من الرجال يأتون المرأة في خبائها برضاها دون عقد نكاح ، فإن حملت من واحد عينته وألحقت المولود به»- الحياة الجنسية عند العرب د . صلاح الدين المنجد - .

(٢) زواج البدل : اتفاق الرجلين أن يتبادلا زوجتيهما «الجنس عند العرب - صقر أبو فخر» .

(٣) زواج المقت : أن يخلف الرجل على امرأة أبيه . وذكرت المصادر أن ثلاثة من بني قيس بن ثعلبة تناوبوا على امرأة أبيهم واحدًا ، واحدًا وهذه الأنواع من الزيجات انتشرت في الجاهلية . - الحياة الجنسية عند العرب - د . صلاح الدين المنجد و«الجنس عند العرب - صقر أبو فخر» .

(٤) مغنية بغدادية كان يتمرغ في مجلسها أبو عبد الله المرزباني - نشوان المحاضرة- .

(٥) زواج المخايلة : أحد أنواع الزواج في الجاهلية - ذكره د . جواد علي في كتابه «المفصل في تأريخ العرب قبل الإسلام» - وهو أن يكون للمرأة زوجان أحدهما للطرف العلوي والآخر للطرف الأسفل .

(٦) واقعها ثلاثة خلفاء عباسيين .

سجاحُ[1] يلذذها :

دينُ أجمعهُ ، يا مسيلمَ ،

حُبّي[2]

الزميكيةُ[3] تغلمُ

سارةُ[4]

هندُ تساحقُ زرقاءَ[5]

راحابُ[6]

ريحانةُ[7]

---

(١) بنت سويد بن يربوع . ادعت النبوة في فرسان ثعلب . التقت مسيلمة فسلمته النبوة بعد مواقعتها «تحفة العروس ونزهة النفوس للتيجاني» .

(٢) ضُرب فيها المثل في العصر الأموي فقيل لا أشبق من حُبّي .

(٣) ورطت المعتمد بالخلافة وسُجنت معه .

(٤) مغنية أمر الرسول بقتلها لهجائها المسلمين .

(٥) هند بنت النعمان وزرقاء اليمامة : أول امرأة هويت امرأة في الجاهلية في قصور المناذرة .

(٦) البغي التي نزل عندها الجاسوسان اللذان أرسلهما يوشع إلى أريحا ، وعندما علم ملكها بخبرهما أنكرتهما عليه .

(٧) جارية مغنية كان يطرب إليها ابن غيلان البزاز ؛ فتنقلب عيناه ويسقط مغشيًا عليه ويسعفونه بالكافور وماء الورد ، ويقرأون في أذنه آية الكرسي والمعوذتين ويُرقى بشراهيا مراهيا - وهما شرابان وردا في الإمتاع والمؤانسة - .

ظلمةُ الهذليةُ[1] في نخرةِ التيسِ :
«تبقى لها حاجةٌ ما بقي» ، فتحكُ بحلمتها جرسَ الشهواتِ
تمرُّ أناهيدُ في كهفِ لاسيل[2]
حاشية تتبتلُ في اللينيغوم[3] يسرجُ في الشمس زيتَ الغرائزِ في فصها ويجمّعُ من عاهراتِ المدينةِ ما سيرمُ

---

(١) زنت أربعين عامًا وقادت أربعين عامًا فلما عجزت عنهما اتخذت تيسًا وعنزًا ؛ فكانت تُنزي التيس على العنز وترقبهما ، فقيل لها لماذا تفعلين ذلك فقالت حتى أسمع أنفاس النكاح - الجنس عند العرب/ دار الجمل المانيا - . وعجز البيت للصلتان العبدي . .

وهناك أيضًا استفادات مما تقدم ، من بعض الكتب التراثية مثل : «الإيضاح في أسرار النكاح» لعبد الرحمن بن نصر الشيرازي ، و«التدبير المعين على كثرة الجماع» للقرطبي ، و«جوامع اللذة» لعلي بن نصر ، و«الوشاح في فوائد النكاح» للسيوطي ، و«نواظر الأيك في نوادر النيك» للسيوطي ، و«ارتياح الأرواح في آداب النكاح» لمؤلف مجهول ، و«الروض العاطر في نزهة الخاطر» للعلامة الشيخ سيدي محمد النفراوي ، و«رجوع الشيخ إلى صباه في القوة والباه» لابن كمال باشا . . وغيرها من كتب الإيروتيكا .

(٢) يقع في فرنسا عثر فيه على رسوم من العصور الوسطى تصور المرأة راقدة في كبرياء الآلهة القديمة ، والرجل رافع يده نحوها في نداء جنسي فيه ابتهال ورغبة عنيفة .

(٣) اللينيغوم - يوني : هو التصميم المعروف الذي يمثل القيمة الدينية للفعل الجنسي في العبادات الهندوسية اليوم ، وهو عبارة عن عضو الأنوثة منظورًا إليه من الداخل وقد اخترقه عضو الذكورة ، ومثله الصليب العشتاري كما في معابد تل العبيد وخفاجة (السعداوي- المجموعة الكاملة) .

جدرانَ أوروك
يسألنهُ أن يفسّرَ هذا الجماعَ يخضخضهنَّ إذا ركبَ الثورُ ظهرَ الجدي
بفنجانهنَّ
ومالَ ليدهنَ
فرجَ العروسِ
بزيتِ المسلتو
لتحبلَ من يومها فيشبُّ على ثديها ثورُ ديموز
ينطحُ أفكَ الفضاءِ
فينبجسُ الدمُ مالح كالحيضِ .
لن نرتوي مثل تالنتوس[1] من شهدهنَّ
إلى أبدِ العمرِ .
وهي تبخّرُ حرملَها في الغروبِ :
أبيعُ لهُ طارفي وتليدي[2] .
مخالبها إبرٌ غرستها العذارى
بعضوكَ
غافٍ بزاويةِ المتحفِ الوطني

---

(١) نفاه زيوس إلى سجن تحت العالم السفلي حيث بقي متدليًا في الماء إلى ذقنه دون أن يقدر على شربه .

(٢) إشارة إلى امرأة جميلة عاب عليها موسى بن مصعب بن الزبير حين رأى زوجها الدميم فأجابته : «أما والله لو استدبرك بما استقبلني به لبعتَ طارفك وتالدك عليه» .

يمرُّ بكَ السائحون

ويلتقطون التصاويرَ . .

مرتْ جيوشُ سبايا الحروبِ ، فيحصي منيز[١] البغايا تفوقُ على كتبهِ في المدينةِ

- يا مزدكَ الفارسي[٢] أشعتَ النساءَ

ولمْ تدّخرْ فضلةً

فتفاضلَ في عنقكَ الفقهاءُ

طبولاً يعلقها الخلفاءُ

على بابِ معبدِ مزدا[٣]

فطافتْ بها نحلةُ البوشمنيين[٤]

في جزرِ الشمسِ كي تخصبَ الأرضُ

من نسلهم في المواسمِ

---

(١) إشارة إلى الدوق وليم التاسع الذي اشترك في الحروب الصليبية بجيش كبير قيل إن عدد المومسات فيه أكثر من عدد الجنود ، وقد عاد مهزومًا ولم يبق منه سوى المومسات . وأسقف منيز أحصى أثناء الحروب الصليبية عدد المومسات في بيوت البغاء فكان يقارب عدد الكتب في بيته .

(٢) إشارة إلى مزدك الذي كان ينهي الناس عن المباغضة والقتال ، ولما كان أكثر ذلك يقع بسبب النساء والأموال فأحل النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار - الشهرستاني في الملل والنحل - .

(٣) أهورا مزدا : إله النور والسماوات .

(٤) هم جماعة البوشمن في استراليا تكون المرأة حرة في علاقاتها الزوجية تتزوج وتطلق .

حيثُ صبياتُ داكشا[١]

يوزعن شهواتهنَّ

ليسعدننا بالخطيئة . .

جرت إليها الذي ليس يرأفُ[٢] قمحًا

على شكلِ ساما[٣]

يفجّرُ أعضاءهنَ

ليبني على جسمهِ النملُ بيتًا

سنسكنهُ لحظةَ الصفوِ حين يضيقُ بنا جسدُ المرأةِ - الأرضِ ، لكن مرآةَ دارما ترى غير ما تبصرنَّ .

سنبصرُ من ثقبِ حمامِ فيروز[٤] :

---

(١) داكشا - في ملحمة المهابهارتا - أعاد له شيفا رأسه على شكل حمل لعدم العثور على رأسه ، وقد ولد من إبهام براهما اليمنى وزوجته من يده اليسرى ، وقد تزوجت إحدى بناتهما التي تمثل الفضيلة من الحكيم الهندوسي دارما الذي عاش في الأزمنة السحيقة (وتمثل [الدراما] مرآة للعمل الأخلاقي) وتزوجت الثانية وتمثل الواجب الأخلاقي من كاسيابا ، وهو حكيم قديم وجد مانوا أب البشرية والأخرى تزوجت سوما ملك طبقة البراهميين وهم حراس النذور .

(٢) ثمة إحالة إلى قصيدة والت وايتمن : «لم أكن أنا الذي أقترف الخطيئة بل جرني إليها الجسد الذي لا يرأف» .

(٣) ساما داهي : هي حالة الغيبوبة والرؤى والاتحاد مع الكون ، وقد وصل إليها السبعة ريشي .

(٤) فيروز : حمام شعبي في الكوفة وقد عثر في أقبية مديرية أمن النجف أثناء الانتفاضة على محضر اعتقال ابن فيروز ، ترد فيه الكثير من التفاصيل عما يجري داخل الحمام .

أسرارهنَّ اللذيذةَ - وقعَ قباقيبهن
على شجرِ الدرِّ[1]
نضحكُ مما يقولُ كنيشا[2]
إلى الكاتبِ العدلِ (يقرأُ في محضرِ الأمنِ أوراقَهُ :
سيدي كان يحملُ
مسبحةً ،
عدد الخرزات بها
سوداءَ حسينيةً . .
سيدي ، ويوزّع
«حلقومَ أم البنين»
بموكبِ عگد زبالةَ[3]) . . . . .
أونان[4] يقذف سائله أسفلَ البابِ

---

(١) شجرة الدر : قتلتها جواريها بالقباقيب داخل حمامها .

(٢) مانح الحكمة مرادف لهرمز الإغريقي وتطبع صوره على دفاتر التلاميذ الهندوس . تروي إحدى الاساطير بأن أمه برافاتي ذهبت إلى الحمام لتغتسل وطلبت من ابنها حراسة الحمام ، فمنع أبيه شيفا من الدخول فقطع رأسه ، وحين غضبت أمه اضطر إلى وضع رأس فيل مكان رأس كنيشا المقطوع .

(٣) زبالة : مدلّك يعمل في أحد حمامات الكوفة ، كان مشهورًا بالهزل ، ورسامًا شعبيًا عُرف برسوم صور واقعة الطف ، كانت تُعلق في المناسبات الدينية على جدران أحد المواكب الحسينية ، في منطقة الجديدة ، حيث كنا نسكن في السبعينات .

(٤) جاء في التوراة أن أونان لم يكن يحب زوجته ، وكان يمارس الإشباع الذاتي قاذفًا سائله المنوي على الأرض فلعنه الله .

ينفتحُ البابُ . .
يدخلُ مسعودُ[1]
منتفخَ الوجهِ والعضو
(هل عضوهُ سوطهُ!؟)
يتلمظُ أدبارَنا ويقايس

(محتقنًا كلما عبرتهُ الغيومُ
استكانَ إلى كوّةٍ ، عالقًا بحبالِ الأماني وقد عصبوا -
بانتظارِ الأوامرِ - عينيهِ
يسمعُ لغطَ الأوامرِ
روث الجواميسِ
أعضاءهُ تتكسرُ
يسمع - خلفَ نشيجِ الرياحِ -
أنينَ المقابرِ ،
تكرفها البلدوزراتُ
المنائر يقصفها حرسُ القصرِ . ينشجُ صاحبُهُ ، كان ينشجُ قبلَ اختمارِ

---

(١) إشارة إلى عبد أسود عريض كان في موكب الحاكم بأمر الله ، الذي كان يتعاطى حسبة القاهرة بنفسه راكبًا حمارًا أشهب فإن وجد واحدًا من السوقة غش في بضاعته أمر ذلك العبد مسعود بأن يفعل به الفاحشة ؛ فيلوط به على دكانه والناس ينظرون إليه حتى يفرغ من ذلك والحاكم واقف على رأسه ، وقد صار مسعود هذا مثلاً عند أهل مصر وفيه يقول الشاعر : إنَّ لمسعود آلة عظمت/ كأنه في صفاتِ طومارِ// تشق أدبار من لهم جرمٌ / أصعب من درّةٍ بمسمارِ .

الفضيحةِ في بطنِ زوجتهِ . ينشج الطفلُ ، معترفًا أنهم ضاجعوها ، ثمانيةً ،
وهو يرقبهم (فاستراحتْ إليهِ ، إلى الرجلِ الضخْمِ ، حارسه في أبي
غريب) في البيتِ كانوا يشدّون عينيهِ كي لا يراهم ولكنهُ . . . . . ،
صوتها ، يتنفسُ
بين خياشمهِ ،
دبقًا ، حامضًا
خلطتهُ الطواحين والشهقاتُ
يولولُ تحت سريرِ الطفولةِ :
أماهُ ، من أين جاؤوا؟
الصراصيرُ تمرح في عبّهِ
وينامُ على بقعِ البولِ
يحلمُ في صدرها دافقًا
غير أنَّ عيونَ المحقّقِ سدّتْ عليه ممرَّ الحليبِ
فنامَ إلى الفجرِ لصقَ الجدارِ المقشّر . . (- أماه أين أبي؟
دمه يتنشقني في البلاطِ طيورًا مجففةً دنبستها البساطيرُ
فوق تقاويمنا ،
وهو يذرعُ أرضَ الزنازينِ عن جسدٍ سُلَّ باللبطِ[1] والخلِ ،
عن مدن طمرتها الهياكلُ
جمع عظامِ نهارٍ رموها على بابهِ . .) أشعثًا لا

---

(١) أمر الحجاج بأحد أسراه فشد على بدنه القصب الفارسي المشقوق ثم سُلَّ عنه حتى شُرِّحَ بدنه ، ثم نضحه بالخل والملح حتى مات .

خطوطَ لدمعتهِ ،
لا شروط ،
وعيناكِ لا تدمعان .
انتبهتُ إلى صدرها ، كان يقطرُ . .
(لكنهم أخذوني
إلى جبهةِ الحربِ)
بعد سنين ، رأيت المحقّقَ يخطبُ في البرلمانِ عن الأمِ
والضابطَ العسكريَّ عن الأممية
والمومسَ الـ . . . . . .
أماهُ ، قولي لهم أين قبرُ أبي؟

بصقتُ بوجهِ المرايا(١)
(ففسّرها الدركيُّ : البلادَ)
وغادرتُ
نحو الحقولِ إلى لغتي ،
هائمًا في خريرِ الينابيعِ ،
تحت قميصي
كأنَّ لنا كلَّ هذا البياضِ ، احتلابُ المنيِّ
كأنّ لنا الأرضَ سجنٌ

---

(١) إشارة إلى رسالة بعثتها من عمان إلى الصديق الشاعر عبد الرزاق الربيعي في بغداد ، أخطأ الرقيب في فهمها فكادت أن تسبب له ما لا يُحمد عقباه .

وهذي السجونَ مقابرُ مفتوحةٌ

والقبورَ جسورٌ

ترى ابنها فوق جسرِ الرميثةِ

قد ربطوا رأسَهُ

السعالُ شديدٌ وجلادُهُ يشتمُ البردَ ، والعملاءَ

فمن أيِّ حبلٍ ستفلتُ روحُكَ

أسمع خلفي نباحَ الرياحِ وصوتَ الديوكِ البعيدَ ، تصيحُ بعبود :

لا ترتجفْ

لن يقولوا من البردِ

يشعلُ جلادُهُ حطبًا ، ويزيّتُ ماسورةَ البندقيةِ

موتاهُ أشباحُ أيامهِ في الزنازين . .

هذا الرمادُ غبارُ الخناجرِ

يصعدُ نحو الإله .

الممراتُ مدهونةٌ ونحيبُ الأراملِ في أذنهِ يتلاشى ، رويدًا ، رويدًا ،

بجوفِ المدينةِ .

دقي المضاربَ في هاوناتكِ أونيان كوبون[1] غادرني فتركتُ لك البابَ

---

(١) تروي أساطير قبائل الأشانتي في أميركا أنه الكلمة العظيم كان يعيش قريبًا من البشر واضطر لترك الأرض لأن امرأة عجوزاً كانت تقوم بضرب بابه عندما تطحن طحين اليام ، وعندما علمت نتيجة صنعتها طلبت من أطفالها العديدين جمع كل الهاونات ووضعها الواحد فوق الاخر للوصول إليه ، وسقطت الهاونات والمضارب وقتلت العديدين وبقي هو من يومها بعيدًا عن البشر .

مفتوحةً .

راكبًا ظهرَ سحليةٍ نثرتْ في الطريقِ
رسائلَ أونكو[1]
إلى الناسِ .

الكلامُ أتى بي إلى ها هنا أيها النوبُ . أسألُ سوكو - اوتسكو - لي يو[2] المضيّع كيفَ قلبتَ الكلامَ على جثتي

---

(١) إشارة إلى أونكو لونكولو عند قبائل الزولو ، الملك الذي لا يدحر وينحني له الملوك . أمه من الطبقة المحاربة في جنوب إفريقيا وقد خلق الإنسان من الأعشاب وطرقه غامضة . أرسل في إحدى المرات حرباء مع رسالة حول الحياة الأبدية وأرسل سحلية مع رسالة الموت ، وقد وقفت الحرباء في الطريق لتأكل فوصلت السحلية قبلها واقتنع البشر بقولها ، وتتكرر هذه القصة لدى قبائل جنوب إفريقيا ؛ ففي زمبابوي هناك مثل يقول : «لقد ماتت الحرباء منذ وقت طويل» ، تلخيصًا لموقف المخلوق الذي فشل في نقل رسالة الحياة .

(٢) إشارة إلى سوكو الإله الخالق عند قبائل النوب في شمال نيجيريا ، علّم الإنسان الحصول على قوى خارقة بالقيام بطقوس معينة «كوتي» وتعتقد القبيلة أن الموتى هم وسطاء سوكو مع الأحياء ، ويروون عن ذلك أن أحد الصيادين رأى جمجمة في الغابة فسأل ماذا أتى بها إلى هنا فأجابت الجمجمة : «إنّهُ الكلام» ، ففرح الصياد وعاد للملك ليخبره ، فأرسل حارسًا للتأكد فغضبت الجمجمة ولم تتكلم فذبحه الملك . ومرة أخرى تحدث الحارس مع الجمجمة فأجاب رأس الصياد : «الكلام أتى بي إلى هنا» . أوتكسو : إله قبيلة الهوتنتوت يرسل المطر وينمي المحصولات وتعتقد القبيلة بتناسخ الأرواح ، ويفسرون الموت بقولهم إن إله القمر أرسل أرنبًا إلى البشر ليقول لهم إنهم سيخلدون ، ولكنه نسي القول وأخبر البشر بأنهم لن يعودوا إلى الأرض مما أغضب إله القمر فشق فم الأرنب بضربة ==

ومنحتَ الخلودَ إلى قمري
يتجددُ - من كوّةِ السجنِ -
كاشيرةُ الحزبِ ،
كانتْ تعدّ ضلوعي
لتنقص من جسدي
شجرًا مورقًا
ثم تخطىءُ في العدِّ
أتركُ سخريتي مُرّةً وأذوّبُ في قهوتي ضحكَ الفتياتِ على سائقِ الباصِ
وهو يمشّطُ أجسادَهنَّ بنظراتِه
تحت شمسِ السلامِ الرخيّةِ
أرنو لعابرةٍ
تركت - في فضاءِ البنفسجِ - نظرتها
لتسلّمَ روحي مفاتيحَها للغروبِ
كلامي يضيئك

---

== قوية . لي يو : جد قبيلة الماساي الأعلى وقد علم ذات يوم أنه لإعادة الحياة للمتوفى عليه أن يردد عند وفاة طفل : «مت أيها الرجل وعد مرة ثانية أيها القمر وابق بعيدًا» . وتوفي أحد الأطفال فقلب المقولة وأدرك أنه بعمله هذا منع الطفل من العودة للحياة ، لذا بقي القمر يموت ويعود كل شهر تقريبًا بينما ينتهي الإنسان بالموت - قاموس أساطير العالم - آرثر كورتل .

يا أورفيوسُ[1] ، المحلّقُ :
لا تلتفتْ لخرابِ البلادِ التي كنتَ ودعتها في الأفولِ
على مضضٍ ،
عاكفًا بالتماسِ هشيمي على نهرِ ايدسالا[2] .

أنا ، كلما مرّتِ الطائراتُ
انحنيتُ على وطني وبكيتُ .
مسرّدةٌ أضلعي في الكمانات .
أبني على الرملِ بيتًا
وأهدمُهُ .

---

(١) بطل وشاعر إغريقي أسطوري ، اشتهر بوجه خاص بسحر موسيقاه ، وهو من الأتباع المخلصين للآلهة ديونسيوس إله الخمر والطرب . توفيت زوجته يوديديس بلدغة ثعبان وهي تحاول الهرب من «ارستاوس» إله الصيد الذي كان يطاردها للإيقاع بها . صمم أورفيوس على النزول إلى العالم السفلي ، لإعادتها واستحوذ بسحر موسيقاه على قلب ملك العالم السفلي الذي استجاب لرجائه وسمح لزوجته بالعودة إلى عالم الأحياء ، على شرط ألا ينظر إليها وهي تسير خلفه إلى أن يصلا إلى الأرض ، غير أن أورفيوس لم يصبر وأخذته اللهفة لرؤيتها . وهكذا أخل بالشرط حين استدار ليرمقها بعينيه ، وما كاد يفعل ذلك حتى اختطفتها الأشباح منه ثانية وأعادتها إلى عالم الموتى فحزن أورفيوس عليها حزنًا شديدًا . . وقد وصف أوفيد تلك اللحظات : « . . وأحس أورفيوس بلهفة إلى رؤيتها فمال ببصره إلى الوراء فإذا بها تعود لساعتها إلى الأعماق السفلى وهي تمد ذراعيها نحوه عبثًا ، وإذا ملء كفيها هواء . .» .

(٢) نهر مدينة نفر .

ثم أهرمُ كالبيتِ[1] في راحةِ اليدِ .

تغفو القنابلُ

فوق وسائدنا الحجريةِ[2] ،

وهو يكشّطُ تاريخَهُ :

حرشفًا من سلالاتهِ ، فيرى صورًا نشفوا ريقَها من مداهمةِ الشرطةِ . العرباتُ تجرّ السوادَ

إلى شجري ، مددًا آسنًا تحتويهِ الفنادقُ حتى تطلَّ بشباكهِ رجفةُ القذفِ في صورِ البطلاتِ الخليعاتِ .

لا تلتفتْ للوراءِ ،

فماضيكَ قبركَ

كان يجوبُ المطاراتِ من دونِ أن يتركَ شباكَهُ لحظةً ، هائمًا في البلادِ وأحزانهُ تجلسُ القرفصاءَ

بسجنِ أبي غريب

ترنو إلى كلٍّ من أُعدموا

قبل أن ينطقوا (أنتَ زكّيتَ نفسَكَ[3] عما يشوبُ هواها

---

(١) إشارة إلى قول يان أو تشيناشيل : «البيوت العتيقة شبيهة بالشيوخ إنها ملأى بالذكريات» .

(٢) «كانت القنابل تنام على وسائدنا الحجرية» - من دفتر مثنى / ٨ سنوات - .

(٣) إشارة إلى محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ، قاد ثورة المعتزلة ، في المدينة ، ضد أبي جعفر المنصور . وكان مكتوباً على رايات الثوار «أحد أحد» وهو شعار الرسول يوم غزوة حنين ، وكانوا باللباس الأبيض والعباسيون باللباس الأسود ، وقد بنى المنصور في قصره حجرة مخصصة لرؤوس العلويين المغلوبين .

من الهونِ حتى رأيتُ البيارقَ سوداءَ
تقبلُ مثل قطيعٍ من البومِ
تنّعق باسمِ أبيكَ ،

فقلتَ لباني المدينةِ :
كيف تهدّم مجدًا عريقًا
لتنشىءَ مجدًا لصيقًا
على بعدِ ٦٠ فرسـ . . . . . خ
من سورِ
بغداد . .
لا أحـ . . ـدَ أحداً غيرهُ أحدٌ ،
أحدٌ
وعساكرهُ تحملُ الطوبَ
تنشىءُ في قصرهِ حجرةً
لرؤوسِ الروافضِ) أسمعُ خشخشةَ القيدِ في كفِّ عبود
يشطب يومًا بتقويمِ مايا هوغا[١]
ويرفعُ أظفارَهُ للسماءِ ،
ليخمشَ وجهَ الإلهِ
فينهرهُ رجلُ الدينِ

---

(١) وحدة قياس زمنية عند الهندوس . كل ألفين منها تسمى كالبا وهي ليلة ونهار براهما أو ٨,٦٤٠,٠٠٠,٠٠٠ من سنوات البشر .

يحملُ مسبحةً طولها . . . (- لا يجوزُ
مقايسةَ
العضوِ)

. . ترنو إليه الفتاةُ التي [ اكتملَ البدرُ
في صدرها
سوف ترنو لمرآتها
وهي تفتحُ أزرارَ غاباتها
تتأففُ من ضجرِ العطلةِ المدرسيةِ .
تأتي صديقتُها ، ستقول لها إن هذا الكمثرى ، على الصدرِ ،
يوجعها
فتمسّدهُ باشتهاءٍ خفيٍّ
تفكُّ عن البحرِ شطآنَهُ
تنتشي البنتُ
تصغي لصوتِ هديلِ الحمامِ ينقّرُ في كرزِها ،
ناعمًا ،
ويطيرُ ،
فتنـزلُ نحو اللجينِ ،
تهدّجُ محمومةَ الهمسِ ،
حالمةً بالمراكبِ ، تشبكها وتشبّانِ كالموجِ ،
يعلو ويهبطُ . .
حين تهمّانِ . .] تزعقُ

صافرةٌ في سماءِ المدينةِ
تهرعُ نحو الملاجىءِ

يمسكها رجلُ الدينِ من ردنها ،
راكضًا :
لا يجوزُ ملامسةَ العضوِ . . .

رأيتُ إلى الشلغماني ، فوق الصليبِ
ينادي ببكة :
- لا عقدَ بين الفروجِ

هل الكتبُ أحذيةُ العلماءِ؟
هل اللحدُ مهدُ . . . . .؟
هل تجرُّ الحضاراتُ شعبًا إلى الغزواتِ ،
وتتركه يتعفنُ مثل الفطائسِ؟
هل يخسرُ البحرُ أمواجَهُ ،
مثلما يخسرُ القلبُ أحراشَهُ في الصداقاتِ؟
هل بدأ الكونُ
من قبةٍ في العماءِ؟
تطوفُ
على الماءِ ،
رجراجةً في الظلاماتِ

من رعشةِ الخصبِ في عضوِ أبسو[1]
يدبُّ ببطنِ تيامت ،
نابضةً بالمكائدِ والخبزِ . .
هل كان في بطنها الغيمُ ينمو ، كما الشهوات
فتلبطُ أسماكُها الكوكبيةُ في النطفةِ الأزليةِ

---

(١) في الأساطير السومرية أبسو : إله المياه العذبة . تيامت : إلهة المياه المالحة . نمو : إله الضباب . لخمو : إلهة الطمي . لخامو : إله الطمي . انشار : إلهة الأفق الأعلى . كيشار : إلهة الأفق الأسفل . آنو : إله السماء . كي : إلهة الأرض . إيا : إله الماء . – استفادة من طه باقر ، كريمر ، أحمد سوسة ، ول ديوارنت ، سفر سومر وسفر بابل (مخطوط لخزعل الماجدي) ، ولغز عشتار لفراس السواح ، في شرح نظرية التكوين الفينيقية ، المنسوبة لكاهن إغريقي غامض عاش في القرن الرابع عشر قبل الميلاد اسمه سانخو نياتن ، حاول الفيلسوف السوري فيلو في القرن الأول الميلادي تقديم ملخص عن أفكار الفينيقين في التكوين ، وفيها نعثر على العناصر نفسها التي وجدناها في الإسطورة السومرية والبابلية ، ومثلها ما جاء في الميثيولوجيا المصرية وهو الأوقيانوس الذي كان قبل السماء والأرض وتقتفي إسطورة التكوين التوراتية أثر إسطورة التكوين البابلية ، وفي بلاد اليونان تقول الإسطورة الإغريقية وفقًا لهزيود ، كما تقدم لنا نظرية التكوين الأورفية تقليدًا إغريقيًا آخر ؛ ففي البدء كان الزمن الذي أنجب البيضة الكونية الفضية ومنها خرج الإله فانيس + ديونيسيوس المضيء . وفي المعتقد المسيحي نرى فكرة الأوربوس البدئي والدارة المغلقة في الحالة التي كان عليها المطلق قبل خلق العالم ، وفي المدار الأعظم الذي تجاوز نفسه فأنتج الكون بعد أن تحركت في صميمه المتناقضات قد أنتجته الحكمة التاوية في الصين في القرن الخامس قبل الميلاد .

فانبثقتْ هذه الأرضُ من قطرةٍ حارةٍ في التهدّجِ ، سهوًا ، يباركها لوحُ
نمو ببلبالةٍ . فإذا هدأتْ شقشقاتُ العناقِ الإلهي بينهما ، سحبتْ بطنها
المتثاقلَ فوق الضفافِ وخيطًا من الدمِ يسبحُ في الطمي . .

هل كان لخمو يمازجُ روحَ لخامو
على شرشفِ الأفقِ المخمليِّ
فينشر أنشارُ أمواجَهُ كالسديمِ
وتهبطُ كيشارُ بين الشعابِ

وبين اختلاطهما وافتراقهما انحسرتْ في السباتِ السماءُ
عن الربِّ آنو وكي
فكان إيا سيد الأرض
ينفخُ مبتهجًا بمزاميره
ليهندسَ في روحهِ الكائنات الجميلةَ
حتى إذا ابتهجوا في البلادِ
وضجتْ دفوفُ الحصادِ
على الأرضِ
هدّهمُ طوفانُ المياهِ . .
الجرادُ . . .
الطواغـــيتُ . .

ماذا صنعتَ بنا أيها الجنرالُ المولّهُ بالتيهِ؟
ماذا فعلتَ بهذي البلادِ
التي لمْ تجدْ شجرًا تتوكّأهُ ، غير سيفكَ

أو مطرًا تستقي زرعها

غير

بولكَ

من تحت أنقاضِ عصرِ الطواغيتِ ،

ينهضُ قلبي

يغني . . . . . .

لعاشقةٍ ، رحلتْ كذبولِ قرنفلةٍ

فوق شطآنِ اينون[1]

فانتحبَ الكورسُ :

أنساكَ شهدُ اللذاذاتِ ، سهدَ التجاريبِ

لكن روحيَ شوّهها السجنُ

قلتُ : اتركوني ، لأنشقَ رائحةَ اللوزِ في فمها . .

هاهي آثارهم تحفرُ القلبَ لا الجلدَ

مرحى لهُ كلما عبرتْ طلقةٌ ، ينحني كي يلملمَ ما قد تدحرجَ من نبضهِ في بلاطِ الرصيفِ ، تشاهدهُ امرأةٌ من سياجِ الحديقةِ ، تصرخُ مذعورةً :

---

(١) بحيرة صغيرة في سومر .

احذرِ المركباتِ السريعةَ ،
إنَّ جلالتَهُ يمرقُ الآن . . . .
لكنهم حملوهُ بعيدًا . . .

وتذكرُ زوجتهُ - وجنتاها مآتمُ منصوبةٌ - أنهم فتشوا البيتَ ،
حتى دفاتر طفلتها المدرسية ،
ثم رموهُ على بابهم
كالبصاقِ

وتذكرُ - بعد سنينٍ - بأنَّ الطبيبَ الذي جسَّ شريانَهُ ، كان يسمعُ في دمِهِ ، دفقَ الحشدِ ،
يهتفُ :
- «عاااااااااااااااااااشَ» . . . .
تصعّدهُ الطلقاتُ البعيدةُ
لكنها انتبهتْ - في مساءٍ حزينٍ -
لصوتِ أنينٍ يدحرجُ فوق الوسادةِ أنفاسَهُ ثم يسقطُ . . .
تهمسُ :
هل قلتَ : **يســـــقطُ؟!!**
!!! . .

ينهضُ مرتعبًا ،
يتعوّذُ مما يُدسُّ بأحلامهِ ،

ثم يلبسُ أثوابَهُ عجلاً
ليسلمهم رأسَهُ :
- سيدي ، كان هذا يغافلني
- في الليالي -
ويشتمكم . . . .

مرحى ، لكم دورةُ الأرضِ
لي ، دورةُ الحبرِ
مرحى ، لمن حقنوهُ بمصلِ المعاشِ ،
فعاشَ ،
ليهتف :
« **عاااااشَ** » ،
لمن ينصبون فخاخَ الشعاراتِ ،
نلصقها
ثم نسقطُ . . .
كي يصعدَ الجنرالُ إلى مجدِه ،
جثةً ، جثةً
ويحيي الجموعَ التي أجّلتْ موتها
كي تصفّقَ . . . . .

والعصرِ[1] .

إنَّ الشعراءَ لفي خسرٍ ،

إلا النقارينَ على طبلٍ

والهزازينَ على حبلٍ

والماشينَ مع النهرِ

فاحرقْ أوراقَكَ ، يا ابن الصائغ ،

لن تجنيَ من هذا العالمِ

غيرَ القهرِ .

وهذا الشعر يغلّفُ عينيك بمنديلِ الدمعِ فلا تبصرُ من متعِ الدنيا شيئًا .

واوٌ

طاءٌ

نونٌ . .

مرَّ الحراسُ على جفني فاستوقفهم وقعُ خطىً ينسلُّ خفيفًا بين الأهدابِ وبيني . . . . . .

شرعوا ببنادقهم

صفًا صفًا

وانتظروا . . .

فصرختُ بهم :

هذا قلبي! . . .

---

(١) استفادة قرآنية .

يا هذا الملفوفُ بأوراقِ الآسِ ، لماذا تتركُ حجرتَكَ البلوريةَ كي تتسكّعَ في الطرقاتِ المحظورةِ . . (قلتُ سأختصرُ العمرَ الفضفاضَ ،

بسطرين يتيمين من الشعرِ ،

على قبرٍ مجهولٍ .

وأريحُ العالمَ

من ثرثرةِ الشعراءِ .

سأختصرُ القلبَ على نهدي امرأةٍ يكتظانِ بشوقٍ مسعورٍ

تحت قميص الشيفون الشفاف ،

وأمضي) مرتعشَ الأحلام يطاردني أفقٌ من غيمٍ ونباحٍ

يتكاثفُ فوق زجاجي مطرًا أسودَ . .

فالليلةَ لا تعصمني من طوفانِ الحزنِ الممتدِ جبالُ الكلماتِ ، ولا . . . .

أحرقُها وأذرُّ رمادَ الحلاجِ المصلوبِ على عينِ الزمنِ الأعورِ (في صدري قنبلةٌ من قيحٍ ويناقشني كاظمُ عبدُ[1] عن الشعرِ الرومانسيِّ

صباحَ الخيرِ ، الشعراء السبعينيين ، التسعينيين ، بمقهى

---

(١) كاظم عبد ، سيد حرز (مصاب بمرض الشيزوفرينيا) ، قاسم مشعان ، علي ناصر ، مكي دفار ، حسن صكبان ، فاضل جمعة ، أبو شكر الحلاق ، وغيرهم ، جمعتنا معاً أقسى الأيام ، جنوداً ، في بعض المعسكرات والخنادق ، خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية الطويلة .

العجميِّ ، يُفَلّون قصائدَ بعضهم البعض ويختصمون على المبنى .

قلتُ : صباحَ الخيرِ ، وما ردَّ سوى النادلِ .

لا وقتَ لعمري المتسارعِ أن يجلسَ في المقهى ، فالفوهةُ الملعونةُ ما زالتْ تترصدني

خلفَ الصخرةِ .

قلتُ لأعبرَ نهرَ الخوفِ المتعرجَ نحو . . . .

وأحجمتُ

فعينُ القناصِ الأعورِ لا ترحمُ أحلامَ الشعراءِ . . (ولا بأسَ سأجلسُ

بين الأحجارِ أو الكلماتِ ،

أعدُّ بكلِّ هدوءٍ أوراقَ الأيامِ على ضوءِ الفانوسِ ، فأبصرها شاحبةً تتساقطُ . . . تحطبها الحربُ على عجلٍ ،

لتدفّىءَ أحلامَ المدنِ المقرورة) يا طينَ النهرِ اللاصقَ في قدميَّ الحافيتين

سلامًا ، يا سوباطَ طفولتنا الحامضَ ، يا شجرَ التوتِ المائلَ نحو الجرفِ ، ألمْ تتعبْكَ مشاكسةُ الصبيانِ المختبئين بلحيتكَ البيضاءِ ،

سلامًا ، عينَ الجارةِ من شقِ البابِ

سلامًا ، سبوراتِ الدرسِ السوداءَ ، الدشداشاتِ المحشورةَ في البنطالِ ، سلامًا ، يا أقبيةَ التعذيبِ (التلفازُ يوزّعُ مجانًا نشراتِ الموتِ ، على روادِ المقهى ، والضجرَ اليوميَّ . .

- ألا تشربُ شيئًا؟

ثمة فأر يقرضُ حبلَ الجملةِ

- ما أخبارُ البصرةِ ، يا ابنَ اللنكك[1]؟

ينقطعُ البثُّ فتربطهُ بشريطِ أغاني النصرِ مذيعاتُ الربطِ ، ويتركنَ الشَعرَ المفلولَ بدون شرائط ، منتثرًا فوق وجوهِ الروادِ الملصوقةِ بالشاشةِ

مرتْ أسرابُ الميغِ ، وأصواتُ الباعةِ ، والدومينو . . (- كأس هدوءٍ من فضلك)

مرّتْ مفرزةُ الإعدامِ وأسرابُ الذبانِ وعطرُ امرأةٍ عابرةٍ (- أين الخلانُ؟ أهذا «زمنُ الصمتِ!؟

وملازمة البيتِ»!!؟[2]) اختلطتْ فوق ذهولِ زجاجِ المقهى دقاتُ الطبلِ ورجعُ نساءٍ يعولن على جسرِ الجمهوريةِ يقطعهُ نقرُ دفوفٍ وصبايا

اختلطتْ رائحةُ الآسِ برائحةِ الحناءِ

الشمعُ

الطلقاتُ

اندفعَ اللغطُ المتراشقُ ثم انجابَ سريعًا عن قهقهةٍ في زاويةِ المقهى

فبكى الكهلُ المحني الظهر على الدنيا ،

حتى بانَ النابُ الأوحدُ في فكّيهِ

تحسستُ بقايا أسناني ، ومضيتُ وحيدًا

---

(١) إشارة إلى بيت ابن اللنكك البصري : «وإنْ زمانًا أنتمُ رؤساؤهُ لأهلٌ لأن يُخرى عليه ويضرطا» .

(٢) من كلام إخوان الصفا وخلان الوفا .

لي أحلامٌ أبصرها تنقصُ
كلَّ صباحٍ
- مَنْ يسرقُ أحلامي في الليلِ إذن ياعبودُ؟

صباحٌ بمزاجِ عصافيرٍ تنقرُ نافذةَ الروحِ
- أأفتحها؟
- (والقناصُ؟)

ألا يتركُ لي متسعًا لتأملِ هذا الفجرِ الفيروزيِّ الأزرقِ مثل قميصِ مراهقةٍ مفتوحٍ خلفَ الكثبانِ البيضِ . يسيلُ لعابُ الكلماتِ بحلقي المتشنجِ من فرطِ الصمتِ وكبتِ السنواتِ المرّةِ . لو يغسلُ هذا المطرُ الناعمُ أحزانَ العالمِ في روحي

مطرٌ من ليمونٍ وأغانٍ
مطرٌ من فئرانٍ سودٍ
مطرٌ من خوذٍ وطبولٍ ،
مطرٌ من شقراواتٍ يلعبنَ البوكرَ . . . . .

(محتضنًا جمجمتي الزرقاءَ على مشرحةِ العصرِ تؤرّخُ بالكدماتِ طفولتنا المنسيةَ ، في حاناتِ القملِ ، وأقبيةِ التعذيبِ . نعلّقُ فوق المسمارِ رئاتٍ ينخرها الصرصرُ والحزنُ ، ننفّضها في الصبحِ ونلبسها عجلين . مضى العمرُ بنفخةِ نارٍ[1] . . .) وأصيحُ على قارعةِ المارةِ :

---

(١) مثل شعبي : «راح النهار بنفخة نار» .

- مَنْ يرحمُ عمرًا كالثلجِ يذوبُ بعزِّ الصيف؟[1]

بكيتُ على صحبٍ سيذوبون على طاولتي . أحسستُ بلا جدوى العالم . من يدري قد تصبحُ آخر ما أكتبهُ هذي الهذيانات ، وقد لا أكملها . . .

مَنْ يضمنُ عمرًا

في ماسورةِ قناصٍ (رأسي ما زالَ يواصلُ مضغَ حشيش الأفكارِ بمرعى النجماتِ . - متى أغفو؟ طالَ الليلُ كثيرًا خلفَ القضبانِ ، وهذا السجانُ الأزليُّ يسرقُ من زيتكَ يا وطني كلَّ مساءٍ قطرةَ ضوءٍ . .) آهٍ . . لو أتمدّدُ في الليلِ الصيفيِّ المقمرِ فوق السطحِ المرشوشِ ، وأصغي كالطفلِ لكلِّ حكايا أمي . .

لولا تلك العينان الجامدَتان لأحصيتُ النجماتِ على السطحِ :

«كالا ، . . بالا ، . . برتقالا ، . . .

عمي ، . . گلي ، . . جيب الكالا . . .

وي . .»[2]

. . . . . أفتحُ علبةَ سردين .

أتمددُ فيها ،

وأنامُ

---

(١) وصف الأصمعي العمر مشبهًا إياه برجل رآه على جسر بغداد يبيع الثلج في عز الصيف وهو يصيح بالمارة : ارحموا رجلاً رأسماله يذوب .

(٢) من أغاني الطفولة .

«هيله يا رمانةْ

. . الحلوة زعلانةْ»[1] . . . . لماذا عكّرتَ مزاجي

في عيدِ الميلادِ

بأنغامِ شخيركَ ، يا سيدَ حرز ، . .

كأنَّهَ قمح تتكسرُ تحت حجارِ الطاحونةِ .

أفتحُ رأسيَ ، وأنظّفهُ

من قشِ الأحلامِ ، لعلي . . .

وبعيدًا . . . تومضُ أضواءُ السياراتِ ، ثريّاتُ الحفلاتِ ، مصابيحُ المدنِ المكتظةِ بالرغباتِ ، تسيلُ ثراءً ، عهرًا مبذولاً .

وأنا القابعُ في الظلمةِ وحدي (يا ليلُ[2] ، الصبـ . . . .ـح متى غدهُ . . . .

أَرِقَ القناصُ وأرّقهُ . . .) . . . ليلٌ من قصديرٍ ، يهبطُ حتى نافذتي ،

تنكسرُ المرآةُ إلى نصفين ،

فأبصرُ شيخًا هرمًا يشبهني ،

يتبعهُ حشدُ طفولاتٍ فطمتها الحربُ .

ألمُّ شظايا المرآةِ فتجرحني الكلماتُ .

يسيلُ دمي فوق الزئبقِ منسابًا حتى رفّ مخيلتي .

أفتحُ ألبومَ الصحبِ

وأبكي من ضاعوا في ليلِ الجبهاتِ ، المدنِ ، الذكرى . . . «جئنا

---

(١) من أغاني الطفولة .

(٢) تحوير لقصيدة القيرواني : «يا ليل الصب متى غدهُ / أقيامُ الساعة موعدهُ» .

باللورياتِ الخشبيةِ ، مكبوسين كتمرٍ في الأخصافِ»[1] .

لماذا تشطرني الحربُ إلى نصفين ،

لماذا يغـدو الليلُ كـجـزمـةِ جنديٍّ أثقلهـا الطينُ ، تجـوسُ بصدري .

سـأجـرّبُ أن أكتبَ في العتمةِ ، ملتصقًا ضوءَ التنويرِ (تناقشنا حتى آخرةِ الليلِ

عن الشعرِ الثوريِّ وخوفِ النقادِ . امتعضَ الحلاقُ أبو شكرٍ ،

أخرجَ من طرفِ البطانيةِ رأسًا كثًا لا يتقنُ غيرَ الشتمِ .

سلامًا ، يا وطنَ الشعراءِ المنسيين

بلا وطنِ) . . لو أملكُ وقتًا لدلفتُ إلى المكتبةِ الوطنيةِ

أستعرضُ أسماءَ الكتبِ المبلوعةِ

في كرشِ رقيبِ المطبوعاتِ . .

– لماذا قصَّ رقيبُ الشعرِ سمائي الأولى ،

– ولماذا أطفأتِ السيجارةَ في غضبٍ بيروقراطيٍّ ومضيتِ بأولِ تكسيٍّ (رنَّ الهاتفُ ،

كان القلبُ على الخطِ الثاني

يتساءلُ عن إمكانيةِ عشقِ امرأةٍ أخرى . .

أطبقتُ السماعةَ في أدبٍ جمٍّ

فالتفتتْ امرأتي للقلقِ المفضوحِ على شفتي) – مَنْ يسألُ عني في هذا القيظِ اللاهبِ ،

---

(١) إشارة إلى قصيدة للشاعر كزار حنتوش .

مرتْ أشجارُ الصفصافِ على شباكي فحلمتُ بفيءِ ضفائرها .

كان النهرُ بعيدًا والخفرُ ممتلئًا بالموقوفين ،
فنمتُ إلى الصبحِ على الأرضِ المنقوعةِ بالبولِ .
حلمتُ بساقيها يلتفانِ على ظهري ،
فتسيلُ على السروِ لزوجتها .
كانتْ ساقا الشرطيِّ تنامان على عنقي والفجرُ قصيًا . قلتُ لها قلبي أدفأُ من شقتهِ
فمضتْ هازئةً تعلكُ إيقاعَ المتداركِ
نحو المصعدِ ،
قلتُ لها ما أوحشَ بابًا لا يطرقها أحدٌ . .
ضغطتْ زرًا فانطلقَ المصعدُ
يحملُ أعذبَ إيقاعٍ للمتداركِ
مرَّ بتأريخِ الشعرِ) سيشتمني النقادُ على هذا الهذيانِ المرِّ .
سيُصفعُ في وجهي بابُ النشرِ ،
ويرجمني الشعراءُ . . . .

دخلتُ إلى البارِ بصحبةِ نفسيَ
نشربُ نخبَ نقيقِ الشعراءِ .
ضحكنا من نَظّامي الأشعارِ الرسميةِ ، لحّاسي أحذيةِ الجنرالِ ، المُمْتَلِئِ الرأسِ بروثِ الأبقارِ .

التفتَ النادلُ ممتعضًا للمخبولِ الأشعثِ
يقرأُ - منفعلَ النبرةِ - شعرًا :
جائعةٌ كلُّ نمورِكَ يا جنرالُ
فكيف ستنـزلُ منها؟

صفَّقَ بعضهمُ
وبكى الآخرُ ،
لكني لمْ أبكِ .
كنتُ أرى وجهَ الأشعثِ
- في مرآةِ البارِ -
يراقصُ حزني ،
فدنوتُ من المخبولِ ،
تقاسمنا العرقَ المرَّ ،
الزمنَ المرَّ .
تصافحنا
- موعدنا السبتُ . . .
- مساءً؟ . .
- لا تنسَ . . .
- في نفسِ البارِ . . .

مساءَ السبتِ ، رأيتُ الأشعثَ يدلفُ للبارِ ، بدلٍ بيروقراطيٍّ ، مصفوفَ الشَعرِ ، بصحبةِ سيدةٍ . .

ها هو يدنو من طاولتي ، مرتديًا ربطةَ عنقٍ فاخرةٍ .
قمتُ أصافحهُ .
فتجاهلني دون مبالاةٍ ، مجتازًا كفي الممدودةَ . . يتبعهُ النادلُ
منحنيًا حتى الطاولة المحجوزة في الركنِ . . .
تداريتُ الخجلَ القرويَ أمامَ الروادِ ،
وأمعنتُ بشربِ الخمرةِ حتى . . .
- حتى أنتَ؟! . . . . . .

قُبيلَ الفجرِ أفقتُ على نفسي مرميًا
فوق رصيفِ الشارعِ أهذي . .
- كيف تغيّرتِ الدنيا يا عبود؟

ستكنسكَ الريحُ
رمادًا مخلوطًا
من كتبٍ ومنيٍّ وخساراتٍ .
فتزوّدْ - قبلَ سقوطِ أمانيكَ الفجةِ - من شمٍّ عرارِ النسوةِ ،
فالمدنُ الإسمنتيةُ لا تبكي جثتَكَ الملقاةَ
أمامَ عمودِ الهاتفِ
حين تموتُ من السُكْرِ أو الحبِّ . . (أسابقُ موتي
في عينِ القناصِ .
العصرُ سباقٌ محمومٌ . أفتحُ عيني وسطَ رمادِ الأشياءِ ،
أرى وطني يعلو

فوقَ هتافِ المحتشدين ، رصاصًا محمومًا) الغربةُ تعصرُ عمري كلماتٍ .

مَنْ يشري كلماتِ الغرباءِ بشبرٍ من وطنٍ ،
مَنْ يشربُ نخبَ الغرباءِ إذا فاضتْ
أقداحُ الروحِ
على طاولةٍ في ركنِ البارِ .

صرختُ حزينًا : يا وطني
فارتجّتْ جدرانُ الزنزانةِ : يـ . . . . ـا!! . . . . . .

. . . . واقتسمَ الحراسُ بقايا الأحرفِ والتبغِ المخبوءِ ببطانيةِ إحدى المسجوناتِ قُبيلَ الإعدامِ . . .

صرختُ أحبكَ يا دمعَ النجماتِ على سفحِ الجبلِ المحروثِ بدوشكاتِ الجندِ ،
أحبكَ يا بوحَ البرعمِ تحت قميصِ التلميذةِ ،
يا أشعاري الممنوعةَ ،
يا أضلاعي الموقودةَ فوق الجسرِ مصابيحًا ،
يا ميمَ الحلوة ، يا ألقي وجنوني وبكائي ،
يا نهرَ طفولتنا المتعرجَ بين بساتينِ التكي والمركزِ ،
يا خجلَ الفتياتِ من النظراتِ الأولى .

خذْ أوردتي لو نضبَ الزيتُ ،
أنا أخشى الظلمةَ ،

أخشى الجدرانَ الضيقةَ السوداءَ تحاصر عمري البضَّ .

أتذكرُ؟ كمْ ضيّفنا السجّانُ فنمتُ على فخذك والأرضِ المرشوشةِ بالبولِ إلى الفجرِ .

أتذكرُ؟ كمْ كنّا نحلمُ بالشمسِ وراءَ القضبانِ ، تفلي شَعرَ لياليا الكثَّ من القملِ ورائحةِ الفسوِ .

أتذكرُ؟ ها هي شمسُ اللهِ تطلُّ على ساحاتكَ كلَّ صباحٍ .

ها

هي

أسرابُ التلميذاتِ يواصلن الغنجَ العصريَّ أمامك ، بذلاتُ العمالِ الماضين إلى الشغلِ ، مصابيحُ الشارعِ لمْ تُطفأْ بعدُ ، أغاني الگبنجي من المذياعِ ، حمائمُ نصبِ الحريةِ ، زقزقةُ الأشجارِ الممتدة طول الكورنيشِ . .

ولكن القناصَ القابعَ تحت جفوني لا يتركني أحلمُ . .

ذي ماسورتُهُ الضيقةُ الملساءُ

تحاصرُ عنقي البضَّ . . (لماذا لا تتركني فوّهةُ القناصِ

أواصلُ أحلامي

في هذا الفجرِ المتشرّبِ باليوكالبتوز . . .)

- ثلاثُ محطاتٍ أخرى والمسرحُ ما زالَ . . .

- تعبتُ من المشيِ ، ألا ننتظرُ الباصَ قليلاً؟

- الباصُ كحظِ الفقراءِ

كثيرًا ما يخلفُ موعدَهُ ، سيدتي

المسرحُ ما زالَ مضيئًا . . . . . ينقصني نصفُ فضولٍ لأرى المخرجَ ذا

النظّاراتِ الطبيةِ خلفَ الأستارِ يداعبُ ثدي ممثلةِ الكومبارس .

ينقصني رأسٌ وقحٌ لأرى كيف يداعبُ هذا القناصُ زنادَ الرشاشةِ خلف الأحجارِ الجبليةِ منتظرًا موتي .

ينقصني عمرٌ مكتهلٌ لأرى كيف ستفقأُ هذي الحربُ دواملَها .

تنقصني أشرعةٌ وخزامى لأرى طفلي يحبو قربَ سريري الفارغِ .

ينقصني إطفاءُ المصباحِ الشاحبِ في الصالةِ

حتى أنسلَّ

إلى فخذيكِ (- ألا نوقفُ تكسيًا؟) مراتٍ يربكها

أن تبصرَ بنطالي منتفخًا ،

فتلوذ بظلِ عمودِ الموقفِ (- ما زالَ حذائي يؤلمني هل . . . .) تفلتُ كفي من كفّيها الدافئتين بحجةِ إصلاحِ الجوراب .

أسوّي سحّابَ البنطالِ قليلاً تحتَ «خريفِ البطريك» ،

فتخفي في عينيها مكرًا شبقًا ،

من أين لهذي الطفلةِ أن تدركَ ما يربكني؟

قلتُ لها : في المنعطف الثاني سنرى واجهةَ المسرح (في المنعطفِ الثاني : كانتْ مفرزةُ التفتيشِ تدقّقُ في وجهي وبطاقةِ إسمي ، وأنا كالقشةِ في الريح ، أحاولُ أن . . . . .

قال لي الضابطُ : اصعدْ

فصعدتُ إلى ظهرِ الشاحنةِ المملوءةِ مندسًا بين بساطيرِ الجندِ ، أحاولُ أن . . . . .) حاولتُ بأن أتقربَ من شفتيها في ظلِّ صنوبرةٍ حالمةٍ في العتمةِ ، لكن الصافرةَ البلهاءَ انطلقتْ ، فاختلجتْ في الأفقِ حماماتُ

المسرحِ ، وافترقتْ كفانا (الطرقاتُ تباهي نعليَّ .
خرجتُ من المدرسةِ الأولى ،
أحملُ أشعاري للغاباتِ ، أفتشُ في أعشاشِ النخلِ عن الفاختِ ،
منبهرًا بسراويلِ الأرملةِ المبلولةِ فوق السطحِ . لماذا لا أسرقُ سروالاً
بدلَ البيضِ الفاسدِ ، لكني . . . .) الطرقاتُ تشاكسُ جوعي ، تتمددُ في كورِ الحدادِ الأعمى يطرقها كلَّ صباحٍ فوق السندانةِ كي تكبرَ . تكبرُ في عينِ الطفلِ إلى الجسرِ ، وتمتدُ فيطويها الباصُ وسيقانُ الخوفِ وسياراتُ الشرطةِ ، حتى تغدو دولابَ هواءٍ يختصرُ الدنيا . الطرقاتُ ستعوي خلفي . الطرقات ستنسى طفلَ القملِ . الطرقاتُ ستحملُ اسمي . الطرقاتُ . . . . .
أنا تكفيني كسرةُ خبزٍ من تنورِ أمي ، فلماذا لا يكفيك سوى رأسي ، هذا الضاج بأحلامِ بيضاء كثوبِ عروسٍ لمْ تدخلْ غرفتها بعدُ . . .
أنا يكفيني أنْ أتنشقَ ملءَ الرئتينِ نسيمَ بلادي فلماذا لا يكفيكَ سوى أن تتنشقَ رائحةَ الجثةِ فيَّ . . . .
ونامَ صديقي حمدان على حلمٍ مبتورٍ ، أبصرتُ على جفنيهِ فتاةً فاتنةً بقميصِ النومِ تزيحُ الستر عن الشبّاكِ الموصودِ إلى النصفِ وتدعوهُ . . سألتُ نساءَ الحارةِ لا يدرين ، الحراسَ الليليين ، القمرَ الغافي فوق السفحِ : إلى أين مضى حلمُ صديقي؟ . .
قلتُ أنامُ على الإسفلتِ إلى الفجرِ وأمري للهِ ، ولكن الحارسَ (كنتُ أفكّرُ أنَّ البقَّ المتطفّلَ . . .) أيقظني منساقًا بالركلاتِ

من المتنـزهِ

حتى باب المخفرِ

في تهـمـةِ تشـويهِ الشـارعِ . . . (- هل ذقتَ العَـرَقَ المغشوشَ ونمتَ على خشبِ المصطبةِ الباردِ حتى الـ . . .؟ . .

- لا . . .

- هل جربتَ الهذيانَ أمامَ عيونِ امرأةٍ أسرةٍ؟ . . .

- لا . . .

- هل حاورتَ لوحدكَ جمجمةً متفسّخةً؟ . . .

- لا . . .) ورأيتُ بأولى الصفحاتِ قصائدَهُ الفاقدةَ الطعمِ ، الباردةَ الملمسِ واللونِ ، فأمسكتُ بقلبي خوفًا أن تطمرَهُ جثثُ الكلماتِ المصفرّةِ .

قلتُ لأعبرَ جسرَ الشهداءِ (بلادي ما أكثر فيك الشـهـداء) ، إلى سـوقِ المتنبي أحـملُ كـيسَ الكتبِ المنفـوخَ ككرشِ ثريٍّ مندلقٍ يهبطُ من سيارتهِ .

أوقفني اثنان

بنظراتٍ رائبةٍ في منتصفِ الجسر

وفتشني أحدهم ،

سطرًا سطرًا ،

ثم انصرفا .

لملمتُ بقاياي المنثورةَ

فوق رصيفِ السخريةِ - المارةِ

فكرتُ بلحظةِ غيظٍ
أن أرمي كتبي للنهرِ ، . . . .
وداعًا يا رائحةَ الأيامِ المصفرةِ
يا طعمَ الأرقِ المنسالِ على الصفحاتِ
ويا . . . . . .

وترددتُ . . .
وقفتُ على الجسرِ ،
أسرّحُ عينيّ الدامعتين على صفحاتِ النهرِ المتماوجِ ،
فارتسمت كلُّ دقائقِ عمري بين تجاعيدِ الأسطر وهي تحدّقُ بي بحنانِ قلقٍ من خللِ الورقِ المبتلِ .
ارتسمَ القلبُ على شكلِ كتابٍ
منزوعِ الأوراقِ .
ارتسمتْ كلُّ الأحلامِ المنثورةِ
فوق رفوفي .
ارتسمتْ كفُّ مهند ترسمُ فوق السبورةِ أولَ حرفٍ ،
ثرثرةُ الصحبِ بمقهى حسن العجمي ، سهادُ مصابيحِ الشارعِ أيامَ الامتحاناتِ ، ندى عيني معجبتي الزرقاوين . . . .
وعدتُ بعيني إلى كيسي ثانيةً
كان زعيقُ السياراتِ المجنونةِ يقطعُ أفكاري . والعالمُ يجري ، يتسرّبُ من بين أصابعِ كفي .
وأنا أتسرّبُ من بين الحشدِ ،
أفكّرُ في كيسِ الكتبِ المشبوهِ وعينِ الشرطيِّ وأيامي . .

مرَّ الباصُ . شذا إبطيها ينشلني من عرقِ الركّابِ
فأدنو ،
تهبطُ في بابِ الكليةِ .
أهبطُ نحو جحيمِ الشارعِ مبتلاً ، بالعرقِ الزنْخِ .
وكان الصحبُ بعيدين (لماذا يا ابن الصائغ تكتبُ أشعارًا واضحةً
يفهمها عمالُ الطابوق ، البسطاءُ ، القرويّاتُ؟ . . .
لماذا أنزلتَ الشعرَ من الأبراجِ العاجيةِ نحو الحاراتِ الشعبيةِ)
هذا العالمُ أسلاكٌ شائكةٌ[1]
حولَ الكلماتِ ، فحاولْ أنْ تتسلَّلَ .
راوغْ موتَكَ كي تحيا .
راوغْ شرطيكَ كي تكتبَ .
واحذرْ مهما كان مراوغةَ القلبِ .
الشعرُ خلاصةُ تاريخِ الإنسانِ .
تعلّمْ أن تفتحَ كفَّكَ وسعَ القلبِ ،
وقلبَكَ وسعَ العينِ ،
وعينَكَ وسعَ الدنيا .
لتكنْ رائي عصركَ في عصرِ شهودِ الزورِ .
تذكّرْ قلبكَ مفتاح الأشياءِ .
على قدرِ المعنى يتسعُ المبنى .

---

(١) إحالة إلى الطاهر وطار في «الهارب» : «حين أنظر مثلاً إلى الحياة أراها عبارة عن أسلاك شائكة تجري فيها الآلام» .

قالتْ :

كلمات الشعراءِ جميعًا لا تكفي وصفَ العشبِ المبتلِّ بعيني ،

وابتسمتْ بدلال .

قال الطفلُ المتسربلُ تحت ثيابي :

ريح العالمِ لا تكفي لتجفّفَ دمعَ يتيمٍ

فبكيتُ أنا .

قال العاشقُ في شفتي :

لو تتجمّعُ كلُّ شفاهِ نساءِ العالمِ

في شفةٍ

للعقتُ لذائذها وارتحتُ .

فعاتبني ثغرُكِ . . .

قال الدكتاتورُ الحامضُ :

كلّ جماجمِ شعبي لا تكفي

كي أصنعَ عرشًا أبديًا لطموحي ،

ومضى بعساكرهِ يفتحُ آفاقًا أخرى .

قالتْ كلماتي :

كلّ هواءِ الحريةِ في بلدي

لا يكفي عصفورًا نزقًا بين ضلوعي . . . . [حكّتْ أقدامي الطرقاتُ إليكِ ،

توكأتُ على عمري

ومشيتُ . . .

أأخطأتُ العنوان؟

انتصفَ الظهرُ .

انتصفَ العمرُ ،

ولمْ تستيقظْ بعدُ . . . .

قرعتُ البابَ

فرنَّ الصمتُ الارستقراطيُّ الحالمُ

نائمة بعد الظهرِ ،

ونائمة بعد الحبِ ،

ونائمة في الـ . . . . . .

لمْ يلتفتِ السرو المتسلّقُ شرفتها ، لخطى القادمِ . . . .

لمْ يتكلفْ أحدٌ أن يخبرها ،

فتركتُ لها عنوانَ شحوبي

ومضيتُ أفتشُ عن أقربِ بارٍ للنسيانِ ] اقتربتْ من مكتبتي

وتأملتِ الجثثَ المرصوفةَ

- عن ماذا تبحثُ سيدتي؟

هزّت كتفيها ضاحكةً

ومضتْ تبحثُ في ركنِ مجلات الإسبوع

عن البرجِ (- وبرجكَ؟

- برجي لن تذكرَهُ الصفحاتُ) وداعًا تريكو كفالس

وداعًا برج النيما تودا ،

و . . . وداعًا انتروبيس فرميكولارس . . . .

- قلْ إنكَ لا تملكُ يا أبتي ثمنَ الوصفةِ

- ما ثمنُ الطلقةِ
في صدرِ علي الرماحي[1]
- عشرون ومائة فلسٍ يدفعها الأهلُ
- وفي بطنِ حميد الزيدي[2]
- مئتان . . ارتفع السعرُ قليلاً هذي الأيام
- جُننتَ ولمْ تكملْ للآن
روايتكَ المنحوسةَ ، يا عبد الحيِّ[3]

---

(١) علي الرماحي : صديق صبا وشاعر شفاف كان يزخر بالكثير ، بدأنا كتابة الشعر مبكرًا . قصائده الحسينية المبطنة بالهجاء والتحدي للطاغية الجديد انتشرت على ألسنة الناس أيام عاشوراء بشكل ملفت . اختفى مبكرًا - نهاية السبعينات - حين دفعه أربعة رجال غلاظ من «الأمن العام» الى سيارة لاندكروز بيضاء أمام دائرة زراعة منطقة «خان النص» بين النجف وكربلاء ، ومضوا به ، وكان رجال أمن آخرون قد نبشوا بيته ومكتبته!! . لا يعرف أحد من أهله وأصدقائه ، مكان سجنه أو قبره ، حتى اليوم!!! .

(٢) حميد الزيدي صديق وأديب من الكوفة أُعدم رميًا بالرصاص ، في الثمانينات ، لانتمائه إلى الحزب الشيوعي . أُلقي القبض عليه أثناء محاولته التسلل إلى خارج الحدود .

(٣)عبد الحي النفاخ صديق آخر وكاتب كان يسهر الليالي لإكمال روايته عن حميد الزيدي ولكنه جُنَّ قبل إكمالها . وقد التقيته قبل خروجي من العراق صيف ١٩٩٣ هائمًا بدشداشته على شاطىء نهر الكوفة يكلم نفسه . (منتصف التسعينات ، وفي فندق القدس في عمان حدثتُ الروائي والكاتب جبرا ابراهيم جبرا عن أغرب وأرعب حكاية ، (بطلتها ، بالصدفة) «البحث عن وليد مسعود» التي استعارها حميد الزيدي من صديق كان قد أُعدم ، ثم انتقلت الرواية ==

- سيدفعكَ الأهلُ لأن تحرقَ أشعارَكَ
خشية أن يقتحموا المنـزلَ يا راهي[1]
- ستموتُ بلا شاهدة
يا مضرَ علوّه[2]
- تدفعكَ الطيبةُ يا عبد الرزاق[3]
لأن تنسى
مديةَ خلِكَ في ظهركَ
- يدفعك الحبُ
إلى أبعدِ
من شفتيها
الخمرةُ في روحي حتى لو لمْ أسكرْ ،
والدمعةُ في رمشي حتى في فرحي (كانتْ بدءُ الخيبةِ في

---

== منه إلى النفاخ الذي جُنَّ . ومنه انتقلت الرواية لي . وقد تركتها قبل هجرتي من الوطن عند أحد الأصدقاء فظل جبرا يرتجف رعبًا) . .

(١) كريم راهي : صديق شاعر من الكوفة . عثروا في بيته على قصائد لشعراء معارضين وكتب ممنوعة . حُكم عليه بالإعدام في ١٩٨٣/٢/١٥ ثم خفف إلى أربعة أعوام سجن ، التقيته في عمان بعد مغادرته العراق . جمعتنا في منزل الشاعر سعدي يوسف ليلة ثملة روى فيها بما يشبه الهذيان سنوات انتظاره للحبل المثلوث .

(٢) مضر علوّة من شهداء الانتفاضة في مدينة الكوفة يوم ١٩٩١/٣/٤ ومن أوائل الذين اقتحموا مركز الأمن والشرطة فيها .

(٣) الشاعر عبدالرزاق الربيعي .

روحي ،

وتتالتْ

خلف خطاها الخيباتُ) . . . مضتْ تاركةً في قدحِ

القلبِ بقايا غصاتٍ تتعقبها

حتى آخرةِ الدنيا ، وعلى كفيّ شذا عطرٍ مجنونٍ يتعقبُ

أنفاسي .

في بابِ البنكِ رأيتُ الكهلَ

يعدُّ أصابعها (- أين الصحبُ؟

- تقلّمُ جيم أظافرها

- وعلي الرماحي؟

- في السجنِ

- وثامر؟(١)

- ما زالَ يؤلفُ في النادي نكتًا عن حالِ الأدباءِ

- وأنتِ؟) . . . . . أراها أحيانًا في صحبةِ كهلٍ

تطلقُ ضحكتها بمجونٍ

حين تمرُّ أمامي ،

أو تتمايسُ

- بين ذراعيهِ -

كسنبلةٍ عطشى .

من أين لخصركِ هذي الموسيقى - سيدتي - تصدحُ راقصةً في الصالةِ

---

(١) القاص ثامر معيوف .

أفرغُ كأسي ثملاً
وأرقّص إيقاعَ النظراتِ
على فتحةِ فستانكِ (والقناصُ
يدخنُ
ملتذًا ،
يتأملُ
- في سحبِ الدخانِ المتبدّدِ - وجهي المتلبّدَ) يدنو
كهلكِ مني
يطلبُ عودَ ثقابٍ ،
فأشيرُ لقلبي . . .
تضحكُ في غنجٍ مفضوحٍ
وتشيرُ لجمرِ الشفةِ السفلى
حين انكفأَ الكهلُ
على الكأسِ الثالثِ ،
دسّتْ في كفي رقمَ الهاتفِ . . . .
مَنْ يقنعُ هذا اللهبَ المجنونَ بصدري أن يبلعَ فاليومًا وينامُ
فلا يفضحني
حين أديرُ القرصَ :
- مساءَ الـ . . . . . .
- أأنتَ بخير؟
- أنا؟ . . . .
ونظرتُ

إلى وجهي في المرآةِ [ غريبًا يعلوني
غيمُ غبارٍ وغباءٍ ،
أسحبُ من مشجبِ يومي بنطالَ نهارٍ شائخ ،
ألبسهُ عجلاً
وأمرُّ على أُصصِ الوردِ الذابلِ ،
منهمكًا بتفحص أسناني ،
يالي ، كيف نسيتُ دواءَ القرحةِ في البيتِ .
متى أتخلصُ من فوضى أشيائي :
كتبٌ فوق سريري ،
كتبٌ في الثلاجة ،
أحلامٌ لمْ تُطْهَ . .
- أنا!؟
تركتني شفتاكِ وحيدًا
ما زلتُ أعبُّ زجاجاتي - كلَّ مساءٍ - محمومًا بموسيقى صوتكِ عبر الهاتف يخطرُ
في ثوبِ النومِ
فألهثُ منطفئًا
في دبقِ المطرِ السريِّ . . . . ] - أأنتَ بخيرٍ؟ - . . . . ما بالكَ؟ . . صوتكَ يأتيني مرتعشًا وخفيضًا (بين حقولِ الألغامِ مضيتُ مع البغلِ الراوندوزي[1] إلى النبعِ

(١) إشارة إلى البغل المسكين الذي سبقني فانفجر به اللغم ، على سفح جبل «دير گلة) ، في شمال العراق .

وعدتُ على رأسي جلكانِ الماء

وبعضُ نثـــارٍ من لحمِ البـــغلِ . . . وكنّا كندمـــاني جذيـ . . . .) . . . .

- أنا؟

وتناهى عبرَ الأسلاكِ حفيفُ خطىً

تعتعها الكأسُ الـ . . . . . فانطبقَ الهاتفُ . . .

(أركضُ في بركِ الحربِ ،

ببسطالي المتثاقلِ بالدمِ والطينِ .

لماذا اختارَ اللغمُ صديقي فتطايرَ أشلاءً

مثل حمامٍ مذبوحٍ

يخفقُ فيَ الأفقِ) . . . . - أنا؟

شاخَ الزهرُ البريُّ بصدري وطيورك لمْ تأتِ . .

لكنَّ الهاتفَ ما زالَ يرنُّ

يرنُّ . .

أفقتُ على كرسيٍّ مكسورٍ وبقايا كتبٍ وعناكب .

ماذا أفعلُ؟

أجلسُ فوق الرفِّ ، أرى مدني يغمرها الطوفانُ وحاشيةً لملوكٍ تتقاتلُ حول غزالٍ مطعونٍ .

تسحبني العتمةُ من كمِّ قميصي نحو الشارعِ

حيث الأبقارُ تلطخُ واجهةَ «المنصور ميليا» بالروثِ ، وتدخلُ بالقمصانِ البيضِ وأربطةِ العنقِ إلى مبنى التلفزيون . صداي يخيطُ الكلماتِ ، ولي جرسٌ مبتكرٌ . محض زيوتٍ تلك المرأةُ

خلفَ جهازِ الاستنساخِ ،
أمدّ قضيبي تستنسخهُ عشراتِ المراتِ بأحلامِ اليقظةِ .
مندسًا في كتبِ الكيمياءِ
إلى خزّانةِ أحلامِ صديقتها .
جوقةُ طبالين برأسي ، أَفتحُ
عيني
فأرى : رتلَ مدافع
يعبرُ نحو «الكفْلِ»[1] . . .
أرى دخانَ بلادٍ يتبدّدُ في غليونِ العقداءِ ،
وسيدةً تشهقُ من مكياجِ فتاةِ الاستنساخِ الداعرِ ،
قرعَ طبولٍ لمعارك آتيةٍ ،
والراتب ما زالَ سريعَ التبخير . . .
علكتُ مدائنَ من لبانٍ وشعاراتٍ حتى كلّتْ أسناني .
أسفلَ ، أسفلَ ، في الدرجِ الخشبي عقالُ أبي . أتلمسُ مصلَ الدمِ إلى الرئةِ المنخورةِ بالسلِ ، سريرًا رطبّهُ الدمعُ
سيحملُ اسمَ مريضٍ آخر . . . - والطفلُ؟ ستنساهُ ممرضةُ الردهةِ في الأسفلِ ، أسفلَ ، أسفلَ ، حيث ستمسحُ بالقطنِ الناعمِ أسفلَ عانتها وترتب في إيقاعٍ مكرورٍ شرشفها قبلَ مجيءِ (طبيبُ الردهةِ يأمرُ عمالَ التنظيفِ بنقل جنازته قبل . . .) . . . ألمُّ بياضَ الثلجِ عن الأنفاسِ المشنوقةِ في مسمارِ الشهواتِ . جدارٌ رطبٌ يتقافزُ كالضفدعِ محتلبًا

---

(١) منطقة بين الحلة والنجف ، فيها مقام وقبر نبي اليهود ، «ذو الكفل» .

بالإعلاناتِ . وطاويطًا يابسة ، أفكار معلمةٍ في منتصفِ الحيضِ . أبولُ على درسِ التأريخِ

لماذا نسي التاتارُ مدافعَهم في بغداد؟

رياحٌ تتناسلُ من رحمِ رياح ، كمْ أنتَ حزينٌ يا قلبُ لأنكَ قلبي ،

تحصي خيباتكَ قبليَ حين تحبُّ . . . .

رياحٌ مرتْ أوسمةً

ورياحٌ ستمرُّ نعوشًا ،

ورياحٌ ستذكّرني بالعسلِ المنسالِ من الشفةِ السفلى ، ألعقُ في قعرِ الكأسِ مرارةَ صمتِ الهاتفِ جنبي مسكونًا بتفاصيلك ، بالعبقِ الوحشيِّ ، ببابِ المصعدِ ، بالكأسِ المتروكةِ للنصفِ فيكرعها الزوجُ السكيرُ ،

رياحٌ نسيتْ بحقيبتها عنوانَ الأشجارِ ،

رياحٌ تسألُ عن بيتٍ للإيجارِ ،

رياحٌ تهبطُ أسفلَ تنورتها ،

ورياحٌ مرتْ دون رياح . . . . . .

طابورُ وجوهٍ من ملحٍ سيذوبُ بذاكرةِ المقهى ، سيحطُّ ذبابٌ في صحنِ الشاي وطياراتُ هليكوبترٍ . . .

أبصقُ في الشارعِ نصفَ بلادي

في رأسي صورٌ لن ننساها - يا صبري[1] - عن جثثٍ متفسّخةٍ

---

(١) الناقدان د . صبري مسلم ود . وجدان عبدالإله الصائغ . عشنا وعوائلنا ، وأهلنا ، أيام المحنة ، (٢٨ فرداً) محاصرين ، في غرفة صغيرة ، هرباً من قصف الحرس الجمهوري الكثيف لمدينتي النجف والكوفة - آذار ١٩٩١ .

نفختها الصلياتُ

على طولِ طريقِ أبي صخير . . . . .

رياحٌ تلهو بسراويلِ القتلى المتروكين ،

رياحٌ تحملُ نشرةَ أخبارِ الأهلِ من المنفى ،

ورياحٌ حلمتْ أن صارتْ نهرًا ، فاضتْ فوق الرملِ فجفتْ

ورياحٌ تتـأكلُ في حـيطانِ الملجـأ ، تحـملُ أذيالَ رياحٍ تسـرعُ بالخطو لكي تلحقَ بالباصِ ،

رياحُ طواحين وجنودٍ تقـضـمُ أطرافَ المدنِ المهـزومـةِ ، أقـوامًـا هلكوا بحروبٍ غابرةٍ ، وعظامًا تركتها فوق الأرضِ المحروقةِ ديدانُ التأريخِ . .

رياحٌ لمدارِ رياحٍ من أطمارٍ في المتحفِ ، تسألُ عن جلاديها

أرتال حماقاتٍ يسحبها رتلُ بغالٍ يصعدُ نحو الرأسِ ، سأحملُ مطرقةً وكلاليبَ . سأرمي هذا الرأسَ المتشحّمَ للقططِ المهزولةِ

أخرجُ من عنقِ الصحراءِ إلى عنقِ زجاجةِ كونياكٍ مستوردةٍ ، فأصبُّ لعنترة العبسي كأسًا فيغني منتشيًا :

يا شقةَ عبلة أتعبني مصعدُكِ العاطلُ ، دومًا . .

تتوقفُ مسبحتي عن طقطقةِ الأخبارِ ، وخمسُ بنادق برنو تحصي الأنفاسِ

تقودُ من الياقةِ جنديًا فارًا . . .

أبصقُ ثانيةً وأعودُ إلى الرفِّ أرتّقُ أحلامي ، فأرى في الأفقِ المعجونِ رمادًا :

كرسيًا من ذهبٍ وبواقيتٍ تتدحرجُ في الحاراتِ لتفقأَ عينَ الجنرالِ ، ونجارًا كهلاً يصنعُ من ألواحِ الأخشابِ توابيتَ منمقةً- رَحْلاتٍ

لتلاميذَ سيأتون . .

. . . . . .

أرى جثثًا

نثرتها الدباباتُ

على طولِ الدربِ إلى قصرِ الدكتاتورِ ،

أمزّقُ أحلامي وجلاً خشيةَ أن يقرأها أحدٌ

وأغادرُ بابَ المقهى عجلاً

منحشرًا في الزحمةِ .

أبصرُ في الأفقِ طيورًا خافقةً

ويلمي!! كيف نسيتُ هنالكَ مسبحتي .

يهبطُ عصفورٌ نزقٌ قربي يلقطُ شيئًا ويطيرُ . . . (رأيتُ الأفقَ المعجونَ رمادًا

يتبدّدُ عن طائرةٍ شاهقةٍ تتوارى خلفَ عمارةِ دائرةِ الإعلامِ .

توارى جنديٌ آخر خلفَ اللوحةِ ،

حتى تعبرَ مفرزةُ التفتيشِ . . .) ،

رياحٌ تحملها النقالاتُ إلى أنفي المزكومِ ،

رياحٌ صلعاء تخلعُ باروكتها ،

ورياحٌ تتمرى قبل هبوبِ مفاتنها في أروقةِ الكلياتِ ،

رياحٌ تأخذُ عطلتها ،

ورياحٌ تهتفُ باسمكِ في بركةِ تريفي[1] ،

---

(١) بركة في روما ، تقول الإسطورة إن من ينادي حبيبه أمام هذه البركة لا يفتقده أبدًا وتتحقق أمنياته .

ورياحٌ كقطيعٍ مغتسلٍ مجزوزٍ ،

ورياحٌ . . . أحملُ كيسَ القرنابيطِ ، أفكرُ في الأفعالِ المرّةِ .

قلبُ امرأةٍ يأخذُ قيلولتَهُ فوق سريري ، أتركه يغفو وأنامُ على الأرضِ الرطبةِ ، أنهضُ للحمامِ لأغسلَ كفيَّ ثلاثا[1] ، أبصرهُ قبلي يأخذُ دوشًا ويغني ، بالصفاقتهِ . ستقطّعُ أمي القرنابيطَ ، فأسرعُ نحو المقهى بحثًا عن مسبحتي فأرى نصفَ صديقٍ مشطورٍ في الواجهةِ الدكناءِ تغطّيهِ غيومُ دخانٍ لمْ ينفثْهُ بعدُ . أقلّبُ ألبومَ تصاويري ، فأرى النصفَ الآخرَ من وجهِ صديقي محتجبًا خلف فتاةٍ لا يعرفها في إحدى السفراتِ الطلابيةِ . لن أسألَهُ كيف تسرّحتَ من الجيشِ ولن يسألني كيف خرجتُ من «القُلّقِ[2]» مصوصًا أعبرُ آلامَ الصلصالِ

إلى بابِ المتحفِ

مثل نقاطٍ يرميها النردُ .

صعدتُ السلّمَ مبهورَ النظراتِ أمامَ السيقانِ ألمّ مفاصلَها عن كثبٍ لكمائن أنصبها في النومِ .

أجمّعُ كلَّ حواسي في كشكِ الهاتفِ .

نائمة كلّ الأحلامِ بقرصِ الليلِ .

أزوّلُ رقمًا وأظلُّ بنبضِ السماعةِ أصغي لسكونٍ مبحوحٍ .

---

(١) إحالة إلى كافكا في يومياته بتاريخ ٢٣ آيار ١٩١٢ : «هذه الليلة لأنني كنت ضجرانًا دخلتُ غرفة الحمام وغسلتُ يدي ثلاث مرات واحدة بعد أخرى بعد أخرى» .

(٢) السجن باللغة الشعبية وأصلها تركي .

أهمسُ في أذنِ الليلِ :

– هلو . . . .

. . . . . .

مَنْ يسمعني في هذا القبوِ الناحلِ .

أصغي لا شيء سوى أنفاسي تلهث عبر الأسلاكِ

هلو . . . . . .

صلياتُ رياحٍ طائشةٌ ، أقواسٌ من طينٍ ، وجهازُ استنساخٍ ملفوفٍ بلحافٍ بالٍ يعبرُ مشحوفَ الهورِ إلى أكواخِ السادةِ .

ضمّيه بدولابكِ يا أمَّ جواد .

الشرطةُ ينتشرون كديدانِ النهرِ

بأحراشِ البردي .

عينان بلونِ الحمّصِ والفرسُ الصهباءُ تلوكُ عليقتها في كسلٍ ملحوظٍ .

أين السفرطاسُ ، أبوك بدون غداءٍ؟ يا عباسُ . احذر أن تقعَ المنشوراتُ بأيدي الشرطةِ .

أسمعُ أنفاسَ مسلحةٍ بين النخلِ

رياحٌ تلبطُ كالبُنّيةِ في شبكِ الفحلِ يلزُّ بها الفالةَ حتى تهدأ .

أبصرُ في عينيها الوالهتين

مياهًا غائرةً وقواربَ صيادين ،

قرى يوقظها صوتُ الديك

وأخرى توقظها الطلقاتُ

وأخرى لن تستيقظَ .

أين تركتَ الفالةَ تلك الليلةَ؟ . .

مرَ قطارُ البصرةِ لمْ يذكرْ أسماءَ القتلى في عيني أمٍ تترقبُ في البردِ القارصِ منذ سنين .

مرّتْ مطربةُ الحيِّ فلمْ تطربْ أحدًا ،

لمْ تذكرْ أولَ بعلٍ بشوارب ناعمةٍ . . . منفاي على كتفي

وبلادي في الصرّةِ يا أحمد[1] :

رهط جواميسٍ سنخوّض في بركِ البراكيةِ

خوفًا من ضوءِ الدورياتِ الكاشفِ . . . .

والشلبُ؟ ستحصدُهُ الجمعياتُ

وتعطينا صحفًا

وسجائرَ لفٍّ

وبنادق برنو للحزبيين . .

أكنتَ ترى في الليلِ ذراعَكَ تنمو أشباحًا وكلابًا تنبحُ صورتها في الماءِ الراكدِ ،

تعبرها نحو بلادِ اللهِ ،

فتمنعكَ الأسلاكُ

وحقلُ الألغامِ ،

فتبكي ،

---

(١) أخي الأصغر ، أحمد .

تتلمظ من بعد خلفَ السدّةِ للزاجلِ يخفقُ فوق الصدرِ النافرِ تلمسهُ فيغطيكَ الزغبُ الناعمُ ،

تنعسُ في قيلولةِ سوباطِ الحصرم

تعصرهُ نهدًا فجًا فتجيءُ إليكَ من النهرِ بجرتها موالاً عذبًا في وترِ الريحِ العاشقِ ،

تدنو منكَ تصبُّ رحيقَ التوتِ على شفتيكَ الظامئتين فترعش روحكَ نوحَ قطارٍ يعبرُ بين البردي ومنازلنا يوقظُ فينا توق السفرِ البكرِ ،

نشدُّ حقائبنا . يا هذا الناحلُ كالقصبِ البردي لماذا زرعوا أحشاءَك بالألغامِ ،

لماذا اقتادوا يا حكمتَ[1] أقمارَكَ للمنفى .

لا تأمنْ . . قلبُ الشرطي أجلفُ من ظلف الجاموسةِ يا أحمدُ ، ما أنتَ سوى محض فقاعات حمرٍ في بركِ «الحفّارِ»[2] .

اكمنْ خلفَ النخلِ

فهذا الليلُ وراءَك غدارٌ .

سكين في الظهرِ وأنتَ بلا جلدٍ

تركضُ مثل حمارٍ أعمى

---

(١) حكمت الشرع ، قريب لي ، اشترك وأولاده في انتفاضة آذار ١٩٩١ .

(٢) مجرى ماء للبزل يخترق بساتين المحاجير (رأس مسقط أبي) ، في منطقة أبي صخير ، اختبأنا فيه : أخي أحمد وأنا هرباً من قوات الحرس الجمهوري ؛ بعد القضاء على الانتفاضة .

في ناعورِ الدنيا
عطشان تصبُّ الماءَ
بغيرِ سواقيكَ .
تجيئك
من أقصاكَ
قرى المعدانِ
ورائحةُ الروثِ
أتذكرُ
في آذار ، أكلنا الروثَ
أتذكرُ؟ . . بعتَ أساورَ زوجتكَ الحاملَ كي تشري كيسَ طحينٍ هُرّب من إيران
أتذكرهُ وطنًا محمولاً باللوريات؟
أتذكرُ كلَّ قذيفةِ هاون؟
قتلتْ حلمًا
أو طفلاً منا
وقرى السادة جفّفها النهرُ الثالثُ ، في الليلِ يمشطُها ذئبُ الدورياتِ .
الأهل بعيدون ،
وهذا الدغلُ الناتىء ضلّلنا .
تتعقبنا الطلقاتُ ،
كلابُ الصيدِ ،
فنمنا بالأسمالِ بطينِ الهورِ المالحِ ،
أفرارًا لا ندري

أين نفرُّ . . .
نفتّشُ في العشبِ الذابلِ
عن وطنٍ يؤوينا . . .
- هل تذكرُ
كمْ ذبحوا منا في الإضرابِ؟
أتذكرها؟ الجثثَ المتروكةَ للريح وللذبّانِ على دربِ المطحنة ،
القببَ المنسوفةَ بالهاونِ . . . . .

. . . . . .

## - كمْ قبضوا آخرَ الشهر؟

- . . . . . [لو زدتني الأجرَ ، أسرجتُ خيلَ القوافي إليك
خفافًا
أحثُّ ركائبهن لأستبقَ الريحَ والشعراءَ .
أنا أولُ المادحين
فكن آخرَ الحاكمين
يطشون أموالهم خمرةً ونساءً
أنا الطبلُ كنْ ضاربي
والمدائحُ كن داهني ،
لينـزلقَ الآخرون اليكَ . . . . . ] فماذا جنيتَ من الحرفِ يا كاغديُّ[1]؟

---

(١) إشارة إلى إبي عبد الله الحسين بن علي ابراهيم الكاغدي لُقّب لعلاقته بهذي الحرفة .

ألمْ ترَ عمرو بن بحر[1] يبيعُ بسيحان أسماكَهُ والكلامَ المحمَّصَ ، تجحظُ عيناه مما يراهُ بأسواقِ ذاك الزمانِ .

فكيفَ إذا مرَّ في واجهاتِ محلاتنا .

هل أقولُ كسقراط - يعبرُ سوقَ أثينا إلى فمِ زوجتهِ - أيها الربُّ شكرًا فما أكثر الحاجياتِ التي لستُ أحتاجها .

الكونُ مكتبتي[2] .

كلُّ ما علمتني الحياةُ تعلمتهُ ياكونستانتان[3] ، فما ازددتُ إلا شتاتًا .

فمَنْ سيفسّرُ صمتَ أبي الهولِ[4] إن نطقَ الهولُ ما بين عينيهِ حين يراني أدبُّ بخمسٍ وقد بانَ قطبٌ من النجمِ أحمر يشبهُ عينَ غرابٍ رأى موتَ هرقل .

مرتديًا حبلَ مشنقتي ،

أينما سرتُ تسحبني من دموعي إلى الأرضِ ،

أنظرُ أشلاءَ من سقطوا قبلنا ، وأطوفُ بعصرِ الطواحين ،

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ ذُكر عنه أنّهُ كان يبيع الخبز والسمك في حي سيحان من أحياء البصرة .

(٢) إشارة إلى قول بورخس : «المكتبة بالنسبة لي عبارة عن مرآة ضخمة تحتوي الكون بأسره» ، ويقول : «أنا الذي تخيلتُ الجنة عبارة عن مكتبة عظيمة» .

(٣) إشارة إلى كونستانتان جيورجيو في روايته «الساعة الخامسة والعشرون» : «لقد تعلمتُ كل ما سمحت لي الحياة بتعليمه كل ما راق لي أن أتعلمه» .

(٤) إشارة إلى أبي الهول وسؤاله المشهور . سيرد ذكره لاحقًا .

يفجعني في المساءاتِ نوحُ كمانٍ تصاعدَ من رئةِ الأرضِ . ممتلئًا بالعذاباتِ ، أبحثُ في الطرقاتِ عن اللهِ . تقذفني غربتي في النوافذِ ضوءاً نحيلاً فيكسرني الظلُّ والقهقهاتُ . . . . . .

. . . . أمرُّ على دارِ ميثم [ - يا جبلتي[1] ،

إنْ رأيتِ إلى الشمسِ

داميةً ،

كالعبيطِ ،

اعلمي أنهم . . . . (والمدينةُ نائمةٌ

أيقظتها الطبولُ

فقامتْ إلى البابِ

تحملُ إبريقها

بين حشدِ الجنودِ

فطارَ الحمامُ المعششُ ما بين أضلاعهِ

هائمًا في سطوحِ المدينةِ . .

أوقفها الناسُ :

- سيدتي ،

إن ميثمَ . . . . . .

- أعرفُ لكنهُ الآن يطلبُ ماءً

لأسقي به نخلةَ الصلبِ

- سيدتي ، والمدينةُ؟

---

(١) جبلة : زوجة ميثم التمار .

- ما بالها؟

- ألمْ يأتها نبأٌ؟ ] كانتِ الشمسُ تلمعُ تحت غبارٍ من الشكِ ، حمراءَ[1] ،

تقطرُ . .

تفزعُ جبلةُ حين ترى ضوءَها يتسلَّلُ

- بين قميصي

وبين النخيلِ -

إلى قِدرِ الماء ،

ثم يفيضُ دمًا . . .

- سيدي قتلوك اذن . .!!

صارخًا في مناجمِ فحمِ المواجعِ ، في الغجرِ الذاهبين مع الناي ، في ساحةِ القصرِ ، في سدرةِ المنتهى ، في مخيّمِ رفحاء ، في الربذيِّ المعبّدِ ، في الصاعدين إلى جبلِ النون ، في الـ CNN في جهشاتِ فيلوميلا[2] . . . . . .

أمرُّ بمقبرةِ الشهداءِ ،

أدينُ بموتكِ هذي الحياةَ

---

(١) إحالة إلى سارتر في مسرحية «الذباب» [أورست : انظري إلى مدينتنا ها هي ذي حمراء تحت الشمس يملأها طنين الناس والذباب ، سأبقر بطون هذه البيوت المتزمتة وستفوح من جراحها المفتوحة رائحة العلف والبخور] .

(٢) اغتصبها ملك تراقيا تيريوس فتحولت إلى عندليب .

التي تتثاءبُ فوق مواجعنا
فيطيرُ الذبابُ من الروثِ
ثم يحطُّ . .
على ضحكة الجنرالِ العريضة
يطردها خائفًا بائعُ الصحْفِ كي لا تضيف إلى الخدِّ خالاً يجرُّ اليه
الـ . . . . . .

أمرُّ بأسوارِ طروادة ، أتتبعُ آثارَ هيلين تمضي إلى بعلها مزقتهُ الرماحُ فتنزعُ من نصفِ إصبعهِ خاتمًا دعكته الحوافرُ [ كانتْ تشيرُ إلى واجهاتِ المخازنِ مطليةً بمخاطِ العناكبِ . إصبعها في الطحين وأخرى له ، غائمًا في رحى الحربِ ، يطحن صبّيرها والإجازاتِ ] . . . الطريفيُّ[1] ودعها ومضى لابسًا كفنًا . السماءُ الغريبةُ عاريةٌ كالقنابلِ تلمعُ خلفَ نوافذِ دمعتها فتدكُّ المدينةَ دكًا . . . . تميلُ عليه بثوبِ الزفافِ ، ويلتصقان وراءَ الـ . . . . .

أمرُّ على الشرفاتِ المضيئة . لمْ أجدْ الحبَّ بين ذراعيكِ ، لكنني كنتُ أبكي فراقَكِ ، أنزفُ بين ثقوب الربابةِ ، أعمى تهشُّ خطاي كلاب المدينةِ
أعزفُ منفردًا تحت أسوارِ غرناطةٍ :
أين دارُ ابن زيدون؟ . .
يأخذني الغرباءُ إلى دارٍ ولاّدةٍ . . .
فأصيحُ ولا أحدٌ ، غير صوتِ المراكبِ تنأى بطارق ، تنأى عن البحرِ

---

(١) عباس الطريفي من شهداء انتفاضة آذار ١٩٩١ ملأ خزان الماء لأهله ثم لبس كفنًا وودع عروسته . استشهد مع ابن عمه وابن خالته على طريق المطحنة في النجف .

والـ . . . . . .

أمرُّ بديوانِ رابعة العدوية [ أعدو وراءَ غزالةِ حبكِ ، لاهيةً في مروجِ التغنجِ ،

يصطادها ملكٌ أعورٌ ،

ثم يسلخها ،

صانعًا جلدها طبلةً :

آه . . . يا ليلُ . . يا عينُ . .

تبكي النوافيرُ في قصرهِ وطنًا ضيّعته السلاطين : سيدتي أين؟ ينخرقُ الطبلُ من شدّةِ النقرِ ، ينسلُّ من ثقبهِ - آخر الليلِ - صوتُ أنينٍ نحيلٍ يطاردُ طيفَكَ في الريحِ . . . . ] أوقفني عسسُ القصرِ : - مَنْ أنتَ؟

أشبعني الجندُ ضربًا لأني . . . . .

أمرُّ على عزلةِ الجنرالِ يرى شعبَهُ من وراءِ الزجاجِ المصفّحِ ينفتحون على قوسِ أحلامهِ [ يفتحُ السترَ :

- ماذا أرى؟

- الجموعُ على بطنها زحفتْ نحو عرشكَ ، مولاي

- ماذا تريدُ؟

- تودّعُ سيدَها

- ولكن إلى أين راحلةٌ؟(١) ]

---

(١) إشارة إلى الدكتاتور فرانكو وهو في النزع الأخير عندما أفاق على ضجة الشارع فصاح بزوجته : لورا ، لورا ، ماذا أسمع؟ . فأجابته باكية : إنّهُ الشعب الأسباني آتٍ ليودعك . فتعجب : ولكن إلى أين يسافر الشعب الأسباني؟ .

يغلقُ البابَ لا وترًا في البياضِ . الأرائكُ فارغةٌ ومقاعدُهُ جثثٌ
نُفختْ بالهواءِ المعفّنِ من عهدِ عادٍ . شبابيكُهُ من بكاراتِ عصرِ السبايا .
تحطُّ على فمهِ الطائراتُ - ذبابُ الحروبِ . . يكشُّ بكفيهِ هذا الطنينَ
- الشعوبَ . .
الجماجمُ منفضةٌ لسجائرِهِ . .
والأميرةُ تسلقُ خصيتَهُ
ثم تأكلها في الخفاءِ

سيتبعها الدودُ حتى استدارة مخدعها (كلما حاصرتهُ المدافعُ يدخلُ
في جوفهِ نافرًا شوكَهُ الوطنيَّ على شكلِ نافورةٍ من دماءٍ
يوشّي ثيابَ الأميرةِ بالرغباتِ
وينسى وراءَ المكيدةِ جَمرَ الفضيحةِ
متقدًا
مثل رأسِ الوزيرِ
الذي كان يشويهِ طبّاخُهُ
ثم يأمرُ أتباعَهُ بالتهامِ بقيةِ أحشائهِ نيئًا
قبل أن يتلاشى انبلاجُ اللفافةِ
من فمهِ) . . .
ارتمى
بين أفخاذها
يلحسُ الزبدَ المرَّ ،
ترفسُهُ قرفًا (يرفسُ العقداءَ

استكانوا على بابهِ ،
يلحسون بحائطِ ياجوج ماجوج ،
يفصلُ بين الهزيمةِ
والنصرِ . .
- يا سيدي ، لمْ يفرَّ الجنودُ من الحربِ ،
لكنهم . . .
- أعدموا كلَّ مَنْ فرَّ أو مرَّ من باب قصري ، حتى الطيور)
ونامتْ على بطنها ، فاستشاطَ : ارتمى طاويًا وركَها بين زنديهِ ،
فانقلبتْ في السريرِ
تبحوشُ دغلَ اليعاسيبِ ما بين فخذيهِ ،
منتصبًا
مثلما راية
ترتخي القبضاتُ عليها وتشتدُ راجفةً
غير أنَّ العشيقةَ وهي تصعّدُ سيقانها نحوه سوف تكشفُ عنَّتَهُ حجرًا في زوايا السرير الذي نصفهُ رجلٌ والمقاعد حيث استراحَ العقيدُ من الحربِ أو ريثما يحتسي قهوةَ النصر ساخنةً ،
يأخذُ البنتَ نحو الجدارِ وعشر بنادق ترنو لعبود ، تقطفُ زهرتها الأنثويةَ من غصنها (فيشيلُ رجالُ القمامة جثتَهُ
تتفتّتُ بين أصابعهم) والفتاةُ الغريرةُ تخلعُ سروالها وتعلقهُ
فوق غصنِ الصنوبرِ
يدنو
فتزعجها أول الأمرِ رائحةُ التبغِ . . .

- هل سوف تأمرُ - يا سيدي - أن يفكوا وثاقَ أخي قبل أن . . . .

فيفكُّ بسحّابةِ بنطاله عجلاً ،
يتدلى كحبلٍ نحيفٍ
سيلتفُّ حول يديها ،
فتجفلُ . . .
يهمسُ منذبحَ الصوتِ ، أن تتقربَ من . . . . . .
يسعلُ التبغُ في فمها ، فتشيحُ ،
ولكنه سوف يدفعُهُ فارجًا شفتيها ،
فتلحسهُ رطبًا
ثم تبصقُ :

- هل ستفكّ وثاقَ أخي بعد أن . . . .

يتوترُ ، شيئًا ، فشيئًا
فيولجهُ . . . ،
والجدارُ الذي سوف يجفلُ في أولِ الأمرِ من طلقةٍ ، طلقتين ، ثلاثًا ، سيعتادُ . .
يأتي الجنودُ على فخذيها
ويمضون
في الشهقاتِ الأخيرةِ نحو سجلِ الوفاةِ . .
فيُشطبُ - في الفجرِ - إسمانِ . . . . .

والجنرالُ بعزلتهِ
يُقبلُ السفراءُ ويمضون ،
تأتي العشائرُ ،
تأتي الوفودُ ،
الجنودُ التي تتبخرُ أسماؤهم (صانعًا من بساطيرهم شاشةً :
يتطلعُ منها إلى شعبهِ
يأمرُ المخرجَ الكثَّ
أن يبدأَ البثَّ) تأتي الجنائزُ
تأتي العجائزُ تمسحُ في بولهِ سالفًا بيّضتهُ
الدواهي . المقاهي بروادها شاخصون بأبصارهم صوبَ صورتهِ تتبسمُ وهو
يشيلُ غطاءَ الطناجرِ في مطبخ لليتامى
فتقفزُ سبعُ حمائمَ مسلوقةٍ
لتسبّحَ في حمدِهِ (ينتهي البثُّ . . .)

والجنرالُ بعزلتهِ
هائمًا يتأمل لمعَ نياشينهِ الذهبيةِ
في الصالةِ الملكيةِ
خلفَ الجدارِ ستدهنُ إبنتُهُ فرجَها
بالبهارِ
وتحبلُ من قنفذٍ كان يحرسهُ أسود العضو . .
يدهنُ إستَ الغلامِ – النديمِ ، فيكبو ،
يجيءُ إليه الحكيمُ على طبقٍ من أفاعٍ

فيدهنهُ بالرُقى
غير أن الفراشَ سيبتلُّ من تحتهِ
فتشمُّ الأميرةُ رائحةَ الغائطِ الملكيِّ
وتشتمُ خادمَها أن يزيدَ الدهانَ قليلاً . .
يخورُ على إليتيها ويغفو . . . . . [ إلى جنبها نصفَ إغماضةٍ
ليراقبَ أحلامَها تتسلّلُ
- من مخدعِ النومِ -
نحو سريرِ الوزيرِ ،
فيوقفها الجندُ :
سيدتي ، لمْ يعدْ منهُ
غير عظامٍ
رموها بأمرِ جلالتهِ
لكلابكِ . . . . .
. . . . . .
كان طيفُ الأميرةِ يركضُ في الفلواتِ .
رأوها تطاردُ طيفًا
ويعتنقانِ . . . ،
يشعانِ نجمين في آخرِ القطبِ ] . . . . تفتحُ شباكَها - في المساءِ - على عبقِ البحرِ ،
يهمي على صدرها غيمةٌ من رذاذٍ وصوتِ مراكبَ تنأى ،
ترى في المرايا تساقط شهب النجوم على صحنِ وجنتها تتوردُ حائرةً
في انتظار خطى نجمها يتسلّلُ - عبر عيونِ الجنودِ - إلى خدرها

يغرقُ الجنرالُ بضحكته ،
نافضًا عن يديه غبارَ الشخيرِ
يرى نجمها عالقًا في حبالِ الجنودِ ،
فتسألُهُ لامباليةً ،
وهي تخفي اختلاجَ تنفسها :
سيدي ، كيف يجرؤ كلبُكَ أن يتسلّلَ نحو عرينكَ
ترفعُ أبصارها خشيةَ أن تلتقيهِ
فتبصرُ موجَ الجماهيرِ ، ملتطمًا بالهتافاتِ
أسفلَ شرفتها :
الموت للخائنين . . . . . .

. . . ولكنها ستبدلهم ، واحدًا واحدًا
مثل أحذيةِ السهرةِ
الجندُ فروا من الجلدِ .
ترنو إلى ساحةِ القصرِ فارغة :
الجماهيرُ هاجعةٌ في حظائرها
الندى
والخريفُ يساقطُ أوراقَ أحلامها : رجلاً ، رجلاً . .
تهبطُ السلّمَ الحجريَّ إلى كوخِ حارسها ، نائيًا خلف غابٍ من الشجرِ المتلاصقِ ، يتبعها حبقُ اليانسونِ وأطيافُ من ذبلوا كالتذاكرِ .
تختالُ في «أتك» النوم حافيةَ القدمين ،
تلمُّ البنفسجَ عن حوضِ نافورةِ القصرِ

تقفزُ في الماءِ
ينحسرُ الليلُ عن فخذيها .
تشيرُ إلى الحارسِ المتلصصِ ، مرتبكًا ،
أن يمرّرَ كفيهِ فوق اللجينِ ،
لينـزعَ عن ساقها شوكةً وخزتها
يحدّقُ مرتعشًا ، وهو يرفعُ خلخالها الذهبيَّ ، ويزحفُ . . .
تهمسُ : أعلى . . .
فيزلقُ . . . . . .
أعلى ، وأعلى . . . . .)

والجنرالُ بعزلتهِ
سارحًا بقطيع الغيومِ الشريدةِ :
مرحى لخاتمهِ الأشعري
تناسلَ في كلِّ عصرٍ ،
لخاتمها الذهبي ستنساه تحت وسادة خادمها
ثم تصعدُ مثقلةً بالنعاس
إلى قصرها . . . . . .

في الصباحِ
سيكتشفُ العابرون بساحِ المدينةِ
جثتَهُ تتلولحُ

منفوخةَ العضوِ
حيثُ تقولُ الإشاعاتُ
إن العدى
فخخوا حيمنَ خادمها

بانتظارِ مرورِ جلالتهِ
عائدًا - آخرَ الليلِ -
من قاعةِ البرلمان . . . . . .
إلى فرجها الوطنيِّ

مرحى لَمَنْ يحرسون الطريقَ
لموكبِ عضوٍ فخامتهِ ،
وهو يمرقُ منتشيًا
بين صفّي فروج عشيقاتهِ
نافشًا ريشَهُ
(خائفًا
كان يسكنُ في بطنِ دبّابةٍ
ويذيعُ بياناتهِ العسكريةَ من فمِ دبّابةٍ
ويشقُّ الطريقَ لأفخاذِ نسوتهِ
بحيامنِ دبـ . . .) . . . .

والقابلاتُ العجائزُ يهمسنَ في السرِّ عن شهواتِ الأميرةِ ، تتبعها الخادماتُ ، يرين التلامظ في حدقاتِ الرجالِ ، فيهمسنَ في أذنها :

دمهُ حارقٌ

وينامُ على سرّةِ الرملِ ،

يشحذُ نحو الطريدة أسنانَ أحلامه .

فيهزهزُ رعشتها علقًا بين ستيانها والشفلّحِ [ يدخلنهُ حجرةَ النومِ في ثوبِ جاريةٍ من سمرقند ،

يعثرُ بين قدودِ وصيفاتها ،

يتضوعنَ خلفَ العباءاتِ . . ] استدارتْ على نهدها الشمسُ حمراء من دمهِ ، ذاهبًا في الغبارِ يرى خلفَ أسوارِ سومطرةٍ بعضَ ما خبّأَ الجندُ من جثثٍ وأساور ، . . (هامسةً : كان يفتحُ كلَّ الأقانيم - تغمزهُ باشتعالٍ - سوى جسدي) . . . . باحثًا في الأساطيرِ عن عقبِ سيجارةٍ . في منافضها اللؤلؤيةِ ، حبٌّ كثيرٌ . . كثيرٌ عليك تثبّتُ قابَ السماءِ بمسمارِ شهوتها

وهي تهبطُ مهتاجةً

برذاذِ الصباحاتِ والبوقِ . تفتحُ سحّابَ بنطالهِ العسكريِّ ، يرى فوهةً تترصدهُ خلفَ ضحكةِ صورتهِ في إطار الزفافِ

يطوّقها وهي تغنجُ

في ثوبها المخمليِّ المفضفضُ ،

تدفعهُ للسريرِ ،

فيمسكها :

- عفو سيدتي

أنتِ لمْ تفهمي فزعَ الجندِ

من ظلٍّ قائدهم .

تنحني فوقه لتعلّقَ سروالها فوق صورتهِ .
تتهدّجُ محمومةً بين فخذيهِ :
دعني أذقهُ ، أنا لستُ بينلوب . . .
- سيدتي . . . . . [ صحتُ عبود لا تلتفتْ فالبنادقُ
تفتحُ سيقانها وتهرُّ . . . . وهذا الفضاءُ سخامُ يديهِ على كوتي عابسًا من
ظلامي المشرّشِ . من فَرّغَ الضوءَ من مقلتي فتراقصَ في محجري الظلامُ -
الكوابيسُ ] تبرقُ ملتاعةً بين أحضانهِ تتملاهُ يعلكُ حلمتَها :
خابطًا حقوها وهو يرهزُ
منتعضًا في يديها . . . .
[تمسّده باشتهاءٍ . فيمسك أخثمها[1] ،
كعثبًا ، ذا بضاضة ،
ضنكًا ، جاثمًا ،
مثل كعبٍ مقبّب ،
يرتجُّ جردلها العسليُّ على ساعديهِ
فيبطحها فوق مكمأة
يتفرشحها موجًا شيأَةُ
مثل «شبو . .ط ط ط . . . . يلبـ . .طُ»
في حوضها
وتعاينهُ

---

(١) من أسماء الفرج ، وترد أسماء أخرى : كعثب ، حر ، غضوض ، مصوص ، والخ . .

لامعَ الرأسِ ،
دوّخها طولُهُ .
تتلوى فيدفعهُ سافقًا حرَّها ،
حاميَ الجوفِ ،
غضوضًا ، مصوصًا .
وهي تجعرُ
محمومةً باللهاثِ الحريريِّ
طاويةً فخذيها على ظهرِهِ ،
كلما هزّهُ القذفُ ، تنخرُ من شدةِ الرفثِ[1] ،
تزحفُ من تحتهِ لا تملُّ من الدفرِ والفهرِ ] . . يبصرُ دولابها الفوضويَّ ،
يلمُّ الرجالَ وينثرهم قطعًا في الرفوفِ ،
يقلّبهم في يديهِ : متى سوف يُرمى على رفِّها كي تعدَّ السريرَ
إلى عاشقٍ آخر ،
ليرى ما أرى . . (- كلكم هكذا أيها العابرون على جسدي لا تقيمون إلا على رَحَلٍ . .
تحرثوني ولا تبذرون به غيرَ أحزانكم
تتناسلُ بي علقًا وكوابيسَ من حنظلٍ
وجنودًا يجرون للمقصلاتِ

---

(١) من أسماء الجِماع ، وكذلك الدفر والفهر .

عيونًا مجمّدةً وعويلَ قطارٍ . . . [ . . كـ «هرماقِ[1] ق ق ق

ق ق ق محراق ق ق ق» ،

يشفي غليلَ النياق ،

ويهرقُ . . . .

في نفقِ المعبهرّةِ[2] ،

ممكورة[3] الجنبلِ القـعبِ[4] . . . . . ] . . . وهو يقـودُ

لمقصلةِ القصرِ أسراهُ مكتهلين من الخوفِ . - كمْ لبثوا في زنازينهِ ،

كمْ تناسيتُ؟ بي شبقٌ منذ عصرِ المغولِ ،

ولي جسدٌ ليس يرويهِ كلُّ منيِّ الفراتِ .

فما بالكَ الآنَ؟

ما بالهُ الآنَ أجمد من خنفساءٍ

على فخذيَّ .

توغلْ إليه ، . . . إليَّ . .

ولا يمنعنكَ بي طمثٌ عـابرٌ . . أنتَ أوغلتَ بالدمِ حـتى مـشـارف أذنيكَ ،

هل تتردّدُ من بقـعـةٍ لونهـا حـائلٌ مـثل صـفـرةِ عـينيكَ ،

---

(١) من أسماء الذكر ، ذكرها الشيخ محمد النفزاوي في كتابه «الروض العاطر في نزهة الخاطر» . وكذلك ترد اسماء : محراق ، وشافي الغليل ، وإلخ . . .

(٢) الحسنة الخلق الممتلئة الجسد .

(٣) المطوية .

(٤) من أسماء الفرج .

انظرْ . . تراني تفتحتُ كالزهرةِ العسليةِ فوق غصونِ اشتهائكَ . . .

والجنرالُ بعزلتهِ
يرقبُ البحرَ
- من شرفةِ القصر -
يقطرُ في ذهنهِ سفنًا أغرقتها العواصفُ من ألفِ عامٍ
(ويوليسُ يمخرُ .

ماتتْ من القهرِ بينلوب . يلمسُ في ثغرها المتيبّسِ ثرثرةَ الرملِ .

من ندمٍ ومحارٍ بريقُ يديها يخيطُ فتوقَ الزمانِ . النفاياتُ تعلو على البحرِ مستوحدًا باشتباكاتها . كلما قذفَ الموج جثتَهُ ازدردَ العاشقون لعابَ التمني . .) . . . فيذكرُ تأريخَهُ دبقًا وطبولاً تدقُّ لتنثرَ أنغامَهُ المولعاتِ بجمعِ التشابهِ في حفلاتِ الحواسِ يكدّسها مدنًا بعضها فوق بعضٍ ويخفي وراءَ نسيجِ الحضورِ تهكّمَهُ من ثيابِ المغني العجوزِ يقابلُ نسيانَهُ بالثريا ويسقط في سلّم حدّبتهُ التقاريرُ نحو الأغاني المصابةِ بالربو يبكي على موتِ شهرودِ[1] . مَنْ بلبلَ الأرضَ من تحتهِ ليضلَّ الطريقَ إلى عرشهِ في أقاصي السعالِ المقفّى . مسكنا رتاجَ السماءِ فلمْ تفتحِ الهمزاتُ تراتيلنا في الرُقى علستها البلاغةُ ثم الربابةُ فاساقطَ الحورُ يحنو على هفواتِ القيانِ

(١) الآلة الموسيقية التي كان يستعملها الشاعر الفارسي أبو حفص حكيم بن الأحوص السغدي ولم يستطع أحد أن يستعملها بعد موته . صورها الفارابي في أحد كتبه .

كأنَّ المدائحَ عاطلةٌ في الإذابةِ : تأثيثُ عاصفةٍ أو تقاطعُ أمواجِ بحرين .
منكسرًا تحت أقواسهِ ووحيدًا كموكورو[1] أطوي الغيومَ
وأنثرها فوق قاربِ بو[2] . .
قارعًا بطبولِ الأساطيرِ تخفي صراخَ زيوس بحفنةِ
ريحٍ تزوّدهُ السيكلوبات[3] بالرعدِ كي يستردَ الفضاءاتِ .
للشوكِ متسعٌ مثلما للزهورِ[4] ، على غصنِ الكلماتِ . .
بكفي سأنزعُ شوكي ولا أشتكيكَ .
احتفظْ بجروحكَ خضراءَ فاغرةً ،
ستسوءُ اذا اندملتْ هكذا[5] كلما غابَ لي صاحبٌ كنتُ أمحو وراءَ
خطاه الحنينَ وأنسى صباحَ المنافي البعيدةِ أبهى من الكروانِ على شرفةٍ

---

(١) موكورو : إله السماء البعيد عند شعب هريو في جنوب غرب إفريقيا وهو وحده بلا أب ولا أصدقاء . عطوف ويعطي الحياة والمطر ويداوي المرضى ويحافظ على الشيوخ . ولأنه إله الخير لا تُقدم له القرابين وليس لديه سحرة .

(٢) إشارة إلى بو حيث تروي أسطورة من جزيرة جلبرت أن أمه حملت به بطريقة سحرية من الشمس وقد سافر إلى الشرق للوصول إلى والده الذي علمه المعرفة وصنع القوارب ونظم أغاني الرقص .

(٣) عمالقة من ذوي العين الواحدة .

(٤) استفادة من الشاعرة أديث ستويل : «كان في الشعر دائمًا متسع للفراشة والأسد» .

(٥) إشارة إلى المثل الفرنسي : «من أراد الانتقام فليحتفظ بجروحه خضراء» . وإلى كيركيفور في مفكراته : «من المفيد للصحة أحيانًا أن تحتفظ بالجرح فاغرًا ، جرح صحي فاغر ، أحيانًا تسوء حاله عندما يندملُ» .

أسبلتْ جفنها عن تلاشي النجوم

فيصعدُ أولفاتُ[1] مثل عمودِ الدخانِ تحرّكهُ ريحُ تيجة في باحةِ السجنِ

وهو يلوكُ بأسمائنا

ويهزّ بها مثل كرباجهِ :

- أين أخفيتَ أسماءَهم؟

- سيدي . . وبأوضحِ مما أقولُ سقطتُ على تختهِ (- لا تراوغنا يا ابن من منحتْ فرجَها للجميع) كبا الضوءُ ، أبصرتُ أورو[2] يكشّرُ خلفَ **السيا** . . . (إنَّ وقتَ الحكَومةِ من ذهبٍ) . . . **ط** ، . . . طِططِ . . . . . تقشرني فأنزُّ دمًا وهو يلعقني شامتًا . . - سيدي . .

واضعًا أذنه في الجدارِ ليصغي (- اطردوا عملاءَ الـ . . . .) السكوتُ يرمطهُ ،

---

(١) بطل من مكرونيزيا ، أمه من النساء الغواني حملت به بطريقة سحرية ، صعد على عمود دخان لمعرفة أقربائه السماويين وقد أدى الدخان إلى إشعال حرب ضد إله السماء وتوفي ، لكن لوجيلان أباه أسف على مصيره فأعاده للحياة وأجبر الآلهة على إعطائه مكانًا في السماء . وتقول إحدى الأساطير أنه أصبح إلهًا للنار وهو ممزق بين عالمين مثل جلجامش ، إذ لا يريد قبول حقيقة الموت ويعرف أيضًا باسم الإله لوك المحتال يُعزى إليه خلق أنياب للكواسج والمشاكل في العالم ووجود الزنا .

(٢) إله الحرب في تاهيتي ويسمى خلال السلم الرمح المطروح أرضًا أورو - تي - تيارمو وكان يفرح لرؤية المعارك الدموية .

يرمقُ السجناءَ بألحاظِ أودن[1] (- مَنْ منكمُ يا مضاريطُ يشتمنا؟) . . . . . - سيدي أنطقتني **السيد** . . . . (بأكثر مما نطقتُ :

سراديبَ

من مقلٍ ينفتحنَ على مقلٍ

قبل أنْ يأكلَ الدودُ أحشاءَهنَّ

انفتحن على جثتين

أباعدُ بينهما وأنام

لأبصرَ هذي السماواتِ من حافةِ القبرِ أدنى . ادفنوني وقيثارتي لأغني إذا انفضَّ عني الصحابُ . الصر) - **اخُ** . . ترقّصهُ الـ . . **آخُ** وهو يشلوطني بسفافيدهِ ويشمشمُ لحمي كقطٍ . . [ على عجلٍ كان يغتصبُ الفتياتِ وقوفًا بمكتبهِ ،

وهو يقضمُ أطرافَهُ

دون أن يغلقَ البابَ ] ثمة مَنْ يفتحُ البابَ في عجلٍ

ثم يلقون عبودَ ما بيننا :

كومةً من أنينٍ

وجلدٍ . . (أراوغُ ليلي بتقليبِ طرفيَ بين النجومِ .

وأنفاسُهُ تتوضّحُ شيئًا فشيئًا .

يطمئننا السجناءُ القدامى بأنَّ الحياة ستغدو هنا حلوةً كالحياةِ إذا ما نسينا الحياةَ هناكَ .

---

(١) إله المعركة ذو العين الواحدة المشتعلة في الأسطورة الجرمانية ، كان يصيب المقاتلين بالجنون فيرمون أنفسهم في حمى الوغى .

المستجدون في السجنِ لا يجدون سوى الدمع فاكهةً للحديثِ .

اضطجعتُ بمقربةٍ من سهادي ونمتُ على عقربٍ دارَ بي دورتين ، ثلاثًا ، وإذْ ملَّ من نظراتي تطوّى ليلدغني فاستفقتُ من النومِ

مرتعبًا) كانتِ الشمسُ تلسعُ وجهي من الكوّةِ الجانبيةِ . .

قمتُ أطوطحُ بالقشِ والكدماتِ ، يكورني حائطٌ ناصعٌ فوق سجادةٍ .

أتدحرجُ

فوق سلالمِ جزماتهم في امتدادِ السؤالِ المباغتِ عمن رمى صورةِ الجنرالِ

بمبولةِ الردهاتِ ،

يباغتني الضوءُ بالانتباهِ إلى ما يشيخُ (الجزائرُ راقدةٌ في الحظيرةِ[1] تعلفُ موجًا وبولونيا تستجيرُ من الفاتحِ العسكريِّ بسروالِ ماري[2] سيخلعهُ ليلةَ النصرِ منتشيًا ، مطلقًا لعنانِ الخيولِ بأنْ تفتحَ

---

(١) اقتباس من قصيدة الشاعر البولوني جيسلاف مليوش (الحاصل على جائزة نوبل ١٩٨٠) : «الجزر حيوانات غارقة في النوم راقدة تقر في حظيرة البحيرة/ فوقها سحابة ضيقة» . ويقول : «ينظرون إليها ضخمة لا تزال نعسانة ضوجعت جيدًا في الفراش» .

(٢) إشارة إلى الارستقراطية الجميلة البولونية ماري فالسكا التي عشقها نابليون واستعصت عليه فطالبها وجهاء قومها بالاستسلام له لأنه وعد بإعطاء بولونيا استقلالها . أحبته فيما بعد وأنجبت منه لكنه هجرها إلى أخريات .

الأفقَ[1] . من أين أفتحُ أفقَ النساءِ
أنا شهريارُ الغريرُ رأيتُ الأيائلُ تمرحُ قربَ ينابيعِ قصريَ ،
فوّقتُ سهمي فما ناشَ إلا دمي يتقطّر فوق مواقدهن بعَطر حكايا
مكائدهن ويضحكن من ملكٍ أهبل لمْ ينلْ من لمى شهرزاد سوى مضغةِ
القصِّ . في النصِّ . . .

كانَ المؤرخُ يدخلُ من ثقبِ إبرتهِ
جَمَلاً أعرجًا
كلما صاحَ فيه الخليفةُ :
أين وصلتَ بتدوين سيرتنا قالَ ما قالهُ المتنبي سوى الرومِ خلفكَ رومٌ
وما خلفَ تأريخنا حرجٌ
فإن نسي المستعين ببغداد
دفعَ رواتبِ حراسهِ
أكلوهُ
وخرّوه
في الطرقاتِ
ومستنصرٍ باسمهِ أم عليه سيحكمُ في الأرضِ ستين

---

(١) وهناك ثمة استفادة من موليير في مسرحية دون جوان : «أشعر أن قلبي مخلوق لكي أحب العالم كله ، وأرغب كما رغب الإسكندر أن توجد عوالم أخرى لكي أتمكن من أن أنقل اليها فتوحاتي الغرامية .

عامًا[1] [ إلهي ،
أُبتلينا
بهذي الملوكِ ، التي
لا تقومُ من العرشِ
إلاّ لتقضيَ حاجاتها ] سيزوّج إبنتَهُ من عصا
طغرل بك[2] تدبُّ بسبعين عامًا
إلى قبرِه ،
صفقةً تتوزّعُ بين :
الخلافة
والباهِ . .
والكاعبُ الغرُّ تجهلُ دورَ النساءِ
بصنعِ الحكوماتِ
- يا سيدي ، كلما احتبستْ
في مثانةِ رومية[3] ، درةٌ
حبستْ حاكمًا

والجنرالُ بعزلتهِ . . . . . .

---

(١) إشارة إلى المستنصر بالله حكم وعمره ٧ سنوات واستمر عهده ٦٠ عامًا .

(٢) أعاد طغرل بك الخلافة إلى المستنصر بالله بعد ثورة عليه ، طلب يد ابنته وعمره سبعون عامًا ، تزوجها ثم مات بعد بضعة شهور .

(٣) إشارة إلى الجارية الرومية التي أحبها المقتدر وأسلمها مقاليد الدولة وأهدى لها فصًا من الياقوت بثلاثمائة ألف دينار .

كلما شقَّ صوتُ المؤذّنِ ، جبّةَ هذا الفضاءِ المكلّلِ فوق جفونِ العبادِ ،
سيلبس عمتَهُ
ويؤمُ الجموعَ التي تستظلُّ مكبّرةً باسمهِ وهو لاهٍ بتعديلِ
تكّة سرواله .
فاذا أغلقوا جفنَ حبّابةٍ[1] أغلقَ الجامعَ الأمويَّ ،
وظلَّ يلوبُ وراءَ العمودِ
وينحلُّ ،
ينحلُّ . . حتى تناهى
إلى قبرها ،
مثلَ رجعِ صدىً حائرٍ ،
بين عرشِ الغرامِ
وعرشِ الخلافةِ
والمسلمون على بابِهِ
يلطمونَ ضياعَ الحصونِ
فتحتجُ سيدةُ القصرِ :
- ما هكذا ، يا مؤرّخُ ،
تُروى
حكايا
الملوك

---

(١) الجارية التي أحبها يزيد بن عبد الملك وعندما ماتت انقطع عن الغذاء ونحل جسمه حتى مات .

والجنرالُ بعزلتهِ
ناشقًا في الفخاخِ عبيرَ الوعولِ :
(ألذُّ من المسكِ هذي الروائح .
كانتْ تهبُّ على قصرهِ
من بساتين بغداد ،
حاملةً جثثَ الخارجين
مسلوخةً[1]) والرماحُ تشكُّ فضاءَ التباريحِ في دمهِ المسكِ ،
يتركُ دولتَهُ
بيدِ الخيزرانِ[2] ،
تقيم الولاةَ وتعزلهم ،

---

(١) إشارة إلى أبي العباس السفاح الذي علق جثث الأمويين في بستان قريب حتى شكى جلساؤه من روائحهم فكلموه في ذلك فأجابهم : «والله لهذا ألذ عندي من شم المسك والعنبر» - الأغاني - .

(٢) إشارة إلى الخيزران التي بلغت ثروتها - كما قال المسعودي وابن الأثير - ١٦٠ مليون درهم . وقد غضب عليها ابنها الهادي : «ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يُذكّرك أو بيت يصونك» . فحقدت عليه وأمرت الجواري بالجلوس على وجهه حتى قتلنه .

فيرى قهرمانتها[1]
تتربع في مجلسِ البرلمانِ ،
تردّ المظالمَ . . . .
- سيدتي ، سرقوا عنـزتي . . . . . .
- ما فُقدتْ عنـزةٌ في سوادِ العراقِ ،
ففي عنقي دَينها . . . . . .
- . . . . . ثم ناموا مع امرأتي ، وابنتي
- إذا كان من قُبُلٍ ،
فبراءٌ جنودُ الخليفةِ
لا يطأونَ
النساءَ الحصيناتِ
إلاّ من الدبرِ ،
ولتسألنَّ - إذا راودتكَ الشكوكُ -
مؤخرتي . . .
تقرعُ لاهيةً جرسَ خلخالها ،
من قيانٍ وليلو . .
فيطلُّ من البابِ حارسها الضخْمُ منتعظًا :

---

(١) جارية تكنى بأم موسى أمرتها مولاتها شغب وهي والدة المقتدر أن تجلس في مجلس القضاء للمظالم . فأخذت القهرمان تصدر أوامر المصادرات . وشغب كانت متلافة للمال جمعت ما في خزائن الخلافة من العنبر والمسك لتصنع وحلاً تغمس به هي وجواريها أقدامهن .

- أمرُ سيدتي
فصّلوا جثةَ البرمكيِّ
- على بابِ قصرِ الرشيدِ -
ثلاثًا

ومن شرفةِ المجدِ ،
يبكي الرشيدُ لياليه
لا نجمةٌ غير هذي الدموعِ ،
مرقرقة
فوق خدِ السماءِ
تظللها غيمةٌ عبرتْ :
أينما تمطرين ، يأتي إليّ خراجُكِ
لكن هذا الكرى كيف يأتي . .
فيسمعُ قهقهةَ الخادماتِ ،
بحضن النواسي :
لي نحو ثغركِ هذا الحنينُ يتعتعني
فأميلُ إلى حانةٍ في الرصافة
ما لي وللناسِ يلحونني سفهًا[1]

(١) إشارة إلى بيت أبي نؤاس : «ما لي وللناس كم يلحونني سفهًا/ ديني لنفسي ودين الناس للناسِ» .

كلما طفحَ الكأسُ بالذكرياتِ ، تذكرتُ ثغرَ جنانٍ[1]
فماذا يريدُ الخليفةُ مني
له ملكهُ . .
وليَ الكأسُ مملكة ،
لا يحدُّ حباحبها الجندُ

. . . . . .

هذا متاعكَ؟
أين ستحملهُ
أيها العابرُ المستحيل
بنعلين من ورقٍ
راحلاً عن دروبٍ سترثيك
كلُّ الدروبِ مهادٌ
تبدّلها بمهادٍ
ولكنَّ نفسكَ كيف تبدّلها؟
كلُّ شيءٍ يشتّتني تحت هذي السماءِ - الخباءِ
الشعوبُ التي انقرضتْ ، تركت دمها عالقًا كالنجومِ بغربالِ[2] قلبي
أمرّرُ أخطاءَها وأفلي الدروبَ
من الشرطةِ العاطلين أمامَ المصارفِ

---

(١) جارية عشقها أبو نؤاس .

(٢) اقتباس من بول إيلوار : «في غربال الحياة أمرر السماء الصافية» .

أدخلُ بابًا يؤدي إلى الصرف من إسمها ، وأقول من اسمك تبتدىء الأبجدياتُ - رحلتنا في الطريق

إلى طائرِ السيمرغ[١]

الكونُ يسبحُ في نونها نقطة سرها كامنٌ في الكمونِ وسرّكِ في شفتي إن نطقتُ استباحَ دمي العارفون

أقودُ الغريمَ المرنَّ لأحضانهن بمزمارِ لاتون[٢] يرقصنَ في بعلِ مرقد .

يطعنني ليعلمنني الرقصَ .

أنزفُ في قفصي راقصًا ،

هل من النزفِ يبتدىء الحبُّ؟

هل دهشتي بدءُ فلسفتي[٣]؟

في انبساطِ يديكِ على وردِ روحي ولا يتطابقني العشبُ ، شاردة في

---

(١) ملك الطير في كتاب «منطق الطير» لفريد الدين العطار الذي كتبه في ٤٦٠٠ بيت على بحر الرمل والقافية المزدوجة (المثنوي) ويروي فيه أنه سقطت ريشة من السيمرغ في بلاد الصين فقامت قيامة الأمم تعجبًا من ألوانها العجيبة ، وحين عثرت عليها الطير قررت أن تبحث عنه كي يحكمها فسارت نحو جبل قاف حيث يوجد قصره ، وبعد أهوال اجتازت بحورًا سبعة آخرها بحر الفقر والفناء حتى أدرك ثلاثون منها ذلك الجبل المحيط بالأرض ، وهناك أُوحي إلى الجماعة الباقية أنها هي السيمرغ ذاته .

(٢) إشارة إلى قصائد الفرعون أخناتون وأشهرها نشيد لاتون الإله الواحد المتمثل في قرص الشمس .

(٣) إشارة إلى أرسطو في كتابه الميتافيزيقيا : «أنّهُ بسبب الدهشة يبدأ الناس التفلسف» .

وراءَ أوفيليا[1]

وأصغي إلى شمعة تتناقصُ كالعمرِ في بقبقِ الماءِ .

أبصرُ هاثور[2] تشربُ صورتها

ثم تسكرُ

ناسيةً عين رع تجفُّ

فتنفلتُ الأرضُ من قوسِ لعنتهِ .

كلما سَكَرَ المرءُ

خفَّ قليلاً

عن الأرضِ .

هذا الرنينُ يفاجئُني عابرًا سورَ بئرِ النعاسِ إلى الشرفاتِ المضيئةِ في أرقي فأحومُ فراشًا وأعرفُ أني ستحرقني لوعتي لا شفاهكِ .

مرتحلاً في المرايا أقشّرُ ضحكي وأبكي فيقبضُ ذهني على نجمةٍ تتشرّدُ بين الكمانِ ورمشكِ ترسمُ شكلَ اشتهائي

على حافةِ الكأسِ أو شفتيكِ .

---

(١) حبيبة هاملت في مسرحية شكسبير .

(٢) عبدها المصريون القدامى وكانت تمثل كبقرة مع قرص سماوي . تروي إحدى الأساطير أن إله الشمس (رع) اعتقد أن البشر يتآمرون عليه فأرسل عينيه على شكل هاثور لتدمير البشرية ، لكنه لم يكن يريد فناءهم كليًا فقام بإغراق الحقول بالجعة الملونة باللون الأحمر ، وعندما رأت هاثور صورتها منعكسة في الماء شربت من الجعة وسكرت ونسيت المهمة التي أرسلت من أجلها ، وهكذا أُنقذت البشرية .

لعلي سأمنحكِ الدفءَ في ليلةٍ لا مصابيحَ فيها[1] . على بعدِ نافورةٍ من قميصي رأيتكِ تبكين صفصافةً جفَّ من تحت أغصانها النهرُ .

مَنْ ستخيطُ ضفافي إذا جفَّ نبعي؟

أكلّمُ هذا الرمادَ الذي يتناثرُ بي ناثرًا قوسَ عمري على صدرهن نوافيرَ من عطشٍ

تغسلُ الصيفَ والطرقاتِ

فأنشقُ في العشبِ هذا الذبولَ

يموّجني فوق جرفكِ

تاركةً لوحَ بيمبا[2]

يقلّبهُ موجُ فارو .

هل الهجرُ ديدنهن؟

فقولي لكنتو[3] بأن يحفظَ الكيسَ في عبّهِ أينما سارَ

لكن ديدننا السهو .

---

(١) اقتباس من الشاعر الصيني آي كوانغ : «آه أيتها الصين هل يمكن في الليلة التي لا مصباح فيها أن تمنحك أبياتي الهزيلة بعض الدفء» .

(٢) تروي قبائل بامبارا التي تسكن على ضفاف نهر النيجر أن خلق العالم هو عملية مستمرة وأن بيمبا وفارو نزلا من السماء . كان بيمبا متجسدًا على شكل خشب ذي أشواك لم تحبه روح الماء فارو فقلعته من الأرض .

(٣) إشارة إلى ملك أوغندا شبه الإسطوري كنتو إذ أعطاه الإله الأعلى كاتوندا كيسًا وقال له لا تدع أحدًا يلمسه . وفي أحد الأيام سكر كنتو ناسيًا التعليمات وذهب إلى التل تاركًا الحقيبة فغضب عليه وحرمه من الخلود وأرسل إلى أوغندا المرض والموت .

لي فمها نصفُ رمانةٍ غير أني لفرطِ غبائيَ فرّطتُ حباتها فوق صحنِ الملامِ فلمْ يبقَ لي من هواها سوى دبقٍ في الأصابع أو حسرةٍ في الأضالع .

لي في السطورِ أضعتُ جناحي بياتريس[1] حين انشغلتُ بمرأى الجحيمِ

فطارتْ تواصل رحلتها في مدى اللازوردِ .

فما ذنبُ قلبي إذا كان هذا الأنين من الأرضِ يخرقني ، ممعنًا في الكتاب ولا ضالعًا في الغيابِ . لكي تكتبَ الآن إمحِ وواصلْ جنونَ البياض .

الكلامُ فصوصٌ

يثقّبها النظمُ

فالظمْ بخيطِ الشرودِ

هيولى الوجودِ ( . . . . . رأيتُ المعري

بمقبرةِ الكرخِ

ينشدُ من دهشٍ :

صاحِ ، هذي طغاتنا ، تملأُ الارضَ

فأينَ الطغاةُ من عهدِ عادِ . .

حين تناهى لناشرِ ديوانهِ وقعُ أقدامهم أخرجَ الطرسَ من عبّهِ . حكَّ بعضَ الحروفَ

وخبّأها) . . . خائفًا من ظلامٍ سيطعنُ

---

(١) بياتريس معشوقة دانتي التي قادته في سفرة وهمية رأى فيها طبقات الجحيم والمطهر ونعيم السماء - الكوميديا الإلهية - .

شمسي بحربته ، من فتاة تمايزُ ما بين أزهارِ شرفتها وذبولي على غصنها ، من صديقٍ يمشّطُ صوتي بكاتم صوتٍ (رأيتُ المحقّقَ . عيناهُ عاقفتانِ ، كمنقارِ صقرٍ ، تحطان فوق ضفافِ دموعي وتشربُ .

تدنو حمائمُ روحي شاردةً في البهيِّ من الغصنِ
يزجرها سوطهُ
فتطيرُ إلى هفوةٍ في خفوتِ البياضِ اعتياداً لكثرةِ ترديدهِ ما سيبقى يؤسّسهُ الشعراءُ[1]

على هامشِ النصِ) يغمزُ عبودُ :
تقصدُ كيما يخرّبهُ الأمراءُ
على متنِ الأرضِ
لو كنتُ أملكُ كأسكَ جمشيدَ[2] ، أبصرتُ أين ستمضي نهاياتُ هذا الزمانِ ، وواصلتُ نقلَ التفاصيلِ عن جثثٍ تتعفنُ في آخرِ السطرِ يتركها الشعراءُ المخانيثُ كي تعشبَ الأرضُ تحت خطى جنرالاتِ عصرِ الطواحين .

يا سيدي ، قد نما العشبُ
فوق محاجرِ قتلاكَ

---

(١) تنويع على الشاعر الألماني هولدرلن .

(٢) إشارة إلى ملك أسطوري كان يملك كأسًا يقال إنه يرى بها العالم كله وقد قتله الضحّاك .

والجنرالُ بعزلتِهِ
يطبخُ الوزراءَ ويأكلهم
في ولائمِهِ
واحدًا واحدًا . . .
(كلما نفخوا كرشَهَمْ ، . . . . .
قـرّبوا نعـشـهَمْ) . . . . . ، وهو يضـحكُ في سـرّهِ ،
عالكًا ضجرَ الملكِ والستلايت ، منتفخًا ليسدَّ به ضرسَهُ المتسوسَ كي لا
تصلَّ الهزائمُ (حين رآه الطبيبُ الرئاسيُّ
أوصاهُ أن يتوقفَ
عن مـضغِ حلوى الخطاباتِ) أحـصي مـقـاصلَنا
بالنياشينِ ، تلمعُ في صدرِهِ
كدموعِ الأراملِ ،
وهو يجرُّ البلادَ
إلى شرفةِ القصرِ ،
يتركها تتدلى على سور أعناقنا
غالقًا - آخر الليلِ - مبنى الإذاعةِ
يرنو لمرآتِهِ
ثم يحشو تجاعيدَ أقوالِهِ
بالهتافاتِ
يعصرُ عمرَ الجماهيرِ في كأسِهِ الذهبيةِ
يكرعُ منتشيًا نصفها ويخبّىءُ نصفًا بثلاجةِ الانقلابات
(يحدجهُ ابنُهُ من خلالِ عقاربِ أيامِهِ المسرعاتِ .

يقيسُ التضاريسَ في وجههِ ،

ثم يطرحُ من عمرهِ هرمَ الجنرالِ البطيءَ ،

فيكسرُ مرآتَهُ يائسًا) يعبرُ الرتلُ إيقاعُهُ ، ندمُ الطرقاتِ التي خبّأتْ خوفها في الصناديقِ . مالَ بنا فلكُ الثورِ نمسكُ قرنيهِ كي نعدلَ الأرضَ .

مالتْ بنا سفنُ الفتحِ نحو الخليفةِ ، يدلقُ أحشاءَ رمانةٍ في الكؤوسِ ، ليوهمنا دمهُ بافتداءِ البيادقِ بالجندِ [ كيف دخلتَ عليها بثوبِ الحدادِ

وما زالَ في حضنها دمُ مالكَ لما يجفُّ ،

كأنك يا ابن الوليد

تزاحمُ ربَّكَ

بالشهواتِ . . . ] فمن أينَ ندخلُ مكةَ؟

كلُّ القبورِ هنا

قبرُ مالكَ

بين اللوى فالفدادكِ[1]

تعلو السنابكُ ،

تعلو الدرابكُ .

أرنو إلى الشمسِ غبراءَ

أين تخبىءُ رأسك في النفثاتِ

---

(١) من قصيدة متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكًا الذي قتله خالد بن الوليد ثم تزوج امرأته .

وقد دخلَ الحرسُ الأمويُّ
ولطَّخَ أستارَها بدماءِ البكاراتِ[1]
حتى استحالَ الفضاءُ قرونًا
وربك يرنو إليهم
من الشرفةِ القزحيةِ ،
منشغلاً بروايةِ سلمان[2]

ينفث غليونَهُ سُحُبًا
ثم يضغطُ زرًا
فتنطفىءُ الشمسُ
يسدلُ أستارَ غرفته ،
وينامُ كعادتهِ سئمًا قبلَ موعدِ نشرتِهِ الكوكبيةِ

فاخرجْ إليهم وقاتلْ فما بين رأسكَ يا ابن الزبيرِ وبين بريقِ السيوفِ مسافةُ خوفكَ . .
إنَّ الشعوبَ إذا ذُبحتْ
ليسَ يؤلمها السلخُ)
لكن عرّافَ دلفي
يقولُ بأني سأُقتلُ

---

(١) إشارة إلى اقتحام جيش يزيد ١٢ ألفاً بقيادة مسلم بن عقبة بيوت المدينة وإباحتها ونهبها وإحراقها وفسقهم بالنساء داخل الكعبة .
(٢) آيات شيطانية .

ما بين نهديكِ
أو تحتَ قوسِ الطغاةِ
بلا شاهدةْ
ناثرًا حبرَ قلبي على وردةٍ صاعدةْ
وأمشي على الجمرِ ، أمشي على النهرِ ، أرقب بابَ البريدِ لعلكِ تأتين ، لكنهم يخرجون بلا همهماتٍ من الظَرْفِ ، كالطلقةِ الفاسدةْ

وأكتبُ للربِّ عشرَ رسائل
من ورقِ الدمعِ
أبعثها بالبريدِ المسجّلِ
لكنهُ لا يردُّ على عبدهِ . . . . . .
فلمَنْ أيها الربُّ
نبعثُ آلامَنا الكامدةْ

أكنتَ تقولُ إذا غَمَّسَ القومُ أيديهمو بالدماءِ ، فغمّسْ يديكَ بماء غدائرنا الباردةْ(١)
وكنتَ تقولُ عبادك في تعبٍ
فإلى مَ الأعنةُ مشدودة منذ ألفٍ بأعناقنا
ولمْ تتحررْ لنا قلعةٌ واحدةْ

---

(١) اقتباس من الفصول والغايات للمعري .

وكنتَ تقولُ . . . . . .
ويضحكُ قاتلنا من هديرِ إذاعاتنا الصامدةْ

. . . . . .

أيكفي الفراتُ ، ليغسلَ أقدامهم من دمانا
أيكفي السوادُ ، لكي يشبعوا من قِرانا
فلن يأكلوا الزرعَ والضرعَ والوالدةْ

. . . . . .

سأكفرُ بالدمِ إنْ خثّرَتهُ السنونُ ،
فسدَّ طريقَ جراحاتنا الماردةْ
وأكفرُ بالشعرِ
إنْ لمْ يزلزلْ عروشَ الطغاةِ
ويرسمُ في ريشةِ الفجرِ أحلامنا الواعدةْ

نازلاً من قطارِ الجنوبِ إلى آخرِ الشهداءِ ، ألمُّ التقاويمَ عن جسدي وسعالَ الملوكِ .
أنا لا يليقُ بحزني هدوءُ الكراسي الأنيقةِ في أولِ الصفِّ
أسمعهم شاعرًا ، باعرًا ، وشعاريرَ ،
يطفو بي القيءُ حتى الخياشم مختنقًا ،
لا أجيدُ الخطابَ المنمّقَ في الحفلاتِ .
تحاصرني لغتي مدنًا من نواحٍ ،
وأصرخُ منكمشَ الروحِ في جوفِ قنينتي
ولكنهم من وراءِ الزجاجةِ

لا يسمعونـ . . .( . . .

ـني .

ألوّح للأصدقاءِ :

خذوني ،

فما ظلَّ لي من هواءٍ هنا ،

لمْ يعد كافيًا

كلما مرّتِ الطائراتُ تسرّب من رئتي وطنًا من دخانٍ نبدّدهُ حسرةً ، حسرةً ، في السجائرِ والنأي

والناي

لي كلُّ هذا الخراب الذي يتمددُ تحت قميصي وأضحكُ للعابرين أمام المطاراتِ . كلُّ دخان القنابل في رئتي وأقولُ :

سلامًا هواء بلادي العليل [ أشيرُ لعبود ،

خلفَ الحديدِ المشبّكِ

وهو يشيرُ لقنينةِ البولِ :

قد طفحَ الكيلُ . . . . ] أمسكُ قنينتي لأرجرجَ ما ظلَّ في القعرِ

من عُمُرٍ يترسّبني ، نافثًا ، نصفَهُ

في الصراخِ

أغوصُ وأطفو على الموجِ ،

تلهو بي الريحُ .

. . . . . تأتي النوارسُ

. . . . . تنقر سدّادَ قنينتي وتطيرُ . . . . .

أصيحُ بأهلي البعيدين
بالطيرِ
بالسفنِ الماخراتِ عبابَ المصيرِ :
اقرأوا بي رسائلَ من غرقوا . . . . [ آه ما بالهمْ كلما ضيّعوا صاحبًا ، تبعتهُ المراثي إلى قبرهِ . . .

قلتُ : لا تندبوني . . يجرّحني صوتُ نادبةٍ ، لا تحيضُ
ولا تندبوا عمرَ عبود
خشيةَ أن تفزعوا القبّرات
على قبرهِ . . . . . ] . . . .

يبدأ البحرُ من عشبِ دمعتهِ ، مزبدًا في غروبِ التذكّرِ حتى تخوم القصيدةِ ، أو يتلاشى على رملِ مقعدهِ في القطارِ النحيلِ ، تكبّلهُ النظراتُ . . المدى غائمٌ ، قطرةً ، قطرةً ، يتسرّبُ من كفّهِ لحنينِ البلادِ التي علكتها المطاراتُ ثم رمتها قشورًا على الطاولاتِ . يوزّعُ نصفَ ملامحهِ في الجوازاتِ ، للطرقاتِ تنامُ على الرفِّ . من مطرٍ ونعاسٍ يصبُّ له النادلُ القهوةَ المرّةَ – الصحب مروا على جرحهِ المتيبسِ وافترقوا : موعدًا للجريدةِ ، موتى على طاولاتِ الحروبِ ، انكسارًا يجرُّ انكسارًا ، نهارًا من الركضِ خلف الطوابير . . . .

عبود أين أضعتَ جوازَكَ؟

يرفسهُ مخفرٌ في الحدودِ إلى مخفرٍ في الجلودِ ، فتدبغهُ الصفعاتُ .

على أيِّ عكازةٍ كان يمضي إلى البحرِ تتبعهُ نورساتُ الجنوبِ ، خطى الرملِ ، سيدةٌ عاقرتْ كأسها الطائراتُ المغيرةُ ،

ماذا تقولُ الإذاعاتُ عن موتنا . .

ارتبكنا أمام نيون المكاتب : أسماؤنا تتلوّنُ كالحشراتِ نقيسُ فجاجاتنا بين فرو النساءِ المموّجِ بالضوءِ ينسالُ ممتزجًا بظلالِ قرانا البعيدةِ أغرقها الروجُ . .

تطفو عليها الحضاراتُ مقلوبةً ،

تتـرآى على سطحها مدنُ اليَشنِ[1] [ نطلقُ ما ظلَّ في صدرنا من حمام حبيس

يحلّقُ بين المُدى والمدى ،

تتعقبهُ الطلقاتُ ، فيسقطُ في ريشهِ نازفًا

طائراتُ الحكومةِ

تنبشُ بين جذورِ الحشائشِ

والقصبِ المتطاولِ

عن بقعِ الهاربين

بهورِ الچبايش ] نسقطُ في دبقِ المدنِ - الصمغِ

نبني من الطينِ والسعفِ المتكسّرِ أكواخنا

---

(١) جمع مفردة إيشان وهي كلمة سومرية تعني التل ، وفي الموروث الشعبي يعتقد بأنها مدن قديمة كفر أهلها فأهلكهم الله بالزلازل والطوفانات ، وهي مملوءة بالكنوز لكن من يراها يصاب بالجنون أو يتعرض إلى هجوم الأرواح الشريرة عليه . ذكرها الرحالة الأجانب : الميجر هيجكوك في كتابة «الحاج ريكان» أو عرب الأهوار ، وليفرد ثيسكر في كتابه «المعدان» أو سكان الأهوار ، كافن ماكسويل في كتابه «قصبة في مهب الريح» ، وكافن يونك في كتابه «العودة إلى الأهوار» .

قالَ للغجرِ الربُّ :
لا تبتنوا منْزلاً . . .
كلُّ أرضٍ تقيمون فيها ،
ستغدو لكم
وطنًا آمنًا[1]

والجنرالُ بعزلتهِ . . . . . .
يرقبُ الحشدَ
ملتطمًا ، عند بابِ الجوازاتِ ،
يبصقُ :
- فلتذهبوا . . يا كلابْ
. . . . . .
أجوبُ العواصمَ وحدي ،
طريدًا ، هلوعا
تلوكُ الكلابُ ثيابي - الضلوعا
مَنْ بنا - أيها الربُّ - أكثر جوعا
وأمضي لأطرقَ بابَ الوكالاتِ ، السفاراتِ ، لا مَنْ يردُّ [ تقلّبني نظراتُ الموظفةِ المستفزّة
من فتحةٍ لا تبينُ ،

(١) من أغنية غجرية تقول : «عندما خلق الله الغجر قال لهم ينبغي أن ترحلوا / لا ضرورة للمنازل/ فالعالم هو الوطن» .

فتغلقُ شبّاكَها حين تبصرُ سعْفاتي الخضرَ ،
ذابلةً في السـؤالِ المذلِّ ] . . لكَ الله من وطنٍ نبـذتهُ المنافي –
العواصمُ ، حتى كأنَّ الفضاءاتِ أضيقُ من كوةِ السجنِ ،
يقذفني وطنٌ كالشتيمةِ في وجه آخر . .

أنسل بين العناق وبين البصاقِ ،
وأسألُ من عادَ من وطني :
هل أثمرتْ عند نافذتي
شجْرةُ البرتقالْ[1]

. . . . . .

أعينوا الغريبَ على حملهِ أيها العابرون ،
فقد نهشَ الحزنُ من لحمِ كتفي ، ومالْ
حنيني بوسع البلادِ
فكيفَ سأحمِلُهُ ،
وهمومُ المنافي ثقالْ

إلى أين يمضي بأحزانهِ ، المتنبي؟
وعشرون كافور فوق عروشهمو ،

---

(١) اقتباس من قصيدة الشاعر والرسام الصيني وانغ وي الذي عاش تحت حكم التانغ : «أنتم يا من تأتون من وطني/ تعرفون ولا شك عنه أشياء شتى / لدى رحيلكم ، هل كمثرى الشتاء/ أمام نافذتي/ أثمرت؟» .

يحلبون قوافيهِ - ليلَ نهارَ - ولا يتركونَ لهُ
غيرَ ريحِ السؤالْ

من زجاجةِ روحي ، خرجتُ إلى الطرقاتِ ، أفتشُ عن عنكبوتِ المديح ، يلفُّ بخيطانهِ الجفناتِ ، وقد رقدَ الضوءُ ملتحفًا غبرةَ الاحتضارِ . . ينوسُ على ما تقوّسَ من ظهرهِ في الكتابةِ أو في الكآبةِ . . ما كلُّ هذي الحصى درٌّ . مَنْ يعيدُ إلى السحبِ ما يتساقطُ من مائها

ولي ، كبدٌ مقروحةٌ

في العراقِ ،

فمن ذا يبادلني . . . . . لأعشق هذه الحياةَ ، كما ينبغي ، أتلصصها من وراءِ زجاجِ المطاراتِ ، لامعةً ، مشتهاةً . أرى بين إصبعها والرحيلِ مسافةَ دمعي فأمسحهُ خجلاً وأغصُّ .

دواؤكَ مرٌّ ودائي أمرُّ . . . .

**آآآآآآآآآآآآآآآآآآآآخذْ** دوركَ في الطابورِ؟ سنينٌ طازجةٌ في الثلاجةِ . حنجرةٌ تُستأجرُ للندبِ ، وأخرى للكذبِ ، وأخرى (باچر يجي عاشور واطبر طبرتين . .

وحده عله ولفي الراح ،

وحده عله الحسين) . . والعانسُ تعقدُ خيطَ البكرةِ بالسحبِ المارةِ في شباكِ حبيبٍ لن يأتي بالطابور ، بأغنية ، بخلاخل ،

تتسلّق سلّمَ نوتتها المفقودة حتى شقة بتهوفن
تحملُ أمرَ الإخلاءِ فيعملُ طبالاً في ملهىً ليليٍّ ليسدّدَ إيجارَ الفندقِ .
أينكَ فولر[1]؟
هلْ يكفي برقٌ لإضاءةِ هذا العالم[2] .
قلبي كهفٌ مهجورٌ تتناسلُ فيه عناكبُ هجركِ ،
لا معنى للشعلةِ في عينِ ضريرٍ .
أخرجُ من خطواتي
كي أدخلَ ذاتي .
لكن كيف سأمشي؟ . . .

منذُ ثلاثِ ليالٍ لمْ أستعملْ أدويةَ المغصِ الكلوي . نظرتُ إلى أعلى نافذةٍ في الشيراتون وتابعتُ مسيري . يكتبني عرقي فوق مرايا الشارعِ . لو ترفعُ عينيها نحوي . قادتني الزحمةُ نحو محلاتِ السعدونِ ، فأنعشني دفقُ هواءٍ مبترد ، ينسلُّ من البابِ . تأملتُ وراءَ زجاجِ الواجهةِ اللمّاعِ وجوهًا ناعمةً لم يُعرقْها القيظُ (أكانتْ تستقرئني من شقِّ حذائي . تهمسُ في أذنِ صديقتها ، فتضجّان بضحكٍ مكتوم) أعبرُ حاناتِ أبي نوّاس وأردافَ الفتياتِ إلى مكتبتي . إبداعكَ منفاكَ . لماذا لا يرفعنَ إليكَ النظراتِ ولو

---

(١) إشارة إلى رسالة الحب التي كتبتها مرغريت فولر إلى بيتهوفن بعد وفاته بست عشرة سنة : «اذا لم تأخذني بكليتي إليك فإني سأعتبر مفقودة في هذا العالم» .

(٢) اقتباس من الشاعر الفرنسي روبير ساباتيه : «لإضاءة العالم البرق لا يكفي» .

لثوانٍ حين تنوخُ عليكَ الأيامُ . المرّةُ قلْ لي ومتى تحلو؟
سقطتْ أسنانُ العمرِ ولا حلوى تقنعُ هذا الطفلَ الباكي فيَّ
بأنَّ العدلَ
أساسُ الملكِ (تسللتُ إلى وسْطِ زحامِ المعرضِ أخفي ثقبَ حذائي ، فتلقفني منتشيًا بحماسٍ يدفعني نحو اللوحاتِ ووجهِ فتاةٍ مبتسمٍ . . . . . .
- أختي
- الشاعرُ . . . . . .)
فتشتُ جيوبي في خجلٍ عن منديلٍ لمْ ألمسْ غيرَ قصاصةِ شعرٍ . . ماذا لو أمسحُ فيها أنفي المحمرَّ أمامَ ذهولِ العينين الآسرتين . دخانُ القاعةِ ما زالَ يحاصرُ أنفاسي . أسعلُ أكثر . . أخرجُ معتذرًا . . . كان رذاذُ المطرِ الناعم ينعشُ روحي من ضيقِ اللوحاتِ وبؤسِ الألوانِ المغبّرةِ في ذاكرتي . قلّبتُ الصحفَ اليوميةَ في عجلٍ . . استوقفني أحدُ النقادِ بضحكتهِ البلهاءِ ونظّارتهِ الطبيةِ ، متكىءَ الظهرِ على أحدِ الأعمدةِ التشكيليةِ ، وهو يثرثرُ عن أفكارِ اللوحاتِ وعمقِ البعدِ الهارموني في موسيقى اللونِ البنيِّ (بعيني صاحبةِ المعرضِ) والحلِّ الجذريِّ لأزمةِ نقدِ الفنِ التشكيليِّ بهونكوك ، تركتُ الصفحةَ في الباصِ العاطلِ . ضعْ حزنَكَ
في جيبٍ مثقوبٍ
وامشِ

قلتُ لأمشي ، فأنا لمْ أعتدْ أن أنتظرَ الباصَ القادمَ والحظَ القادمَ . . قربَ الساحةِ حدّقتُ بنصبِ الحريةِ ،
فانتصبتْ روحي ،

طارتْ سبعُ حمامات

وتهادى من بابٍ مفتوحٍ للنصفِ صدى أغنية : «الأفندي ، الأفندي ، عيوني الأفندي ، الله يخليْ صبري ، صندوق أمين البصرة»[1] . . ابتدأَ القصفُ شديدًا هذي الليلة ،

فاهتزتْ علبُ السردين بنا ،

لسنا أحياءً أو أمواتًا :

و[ . . . ولدتُ ، وتوفيتُ[2] ، . . .

و(لا خللٌ ، في القوةِ والقِدْرِ[3]) . . ] . .

تطوّقنا نشراتُ الأخبارِ على الموجاتِ الأخرى ، تتصادمُ فوق صخورِ الملجأ ، حاملةً زبدًا وعواصمَ بالمني جوب ، حروبًا ، قتلى بالجملةِ ، ثوارًا منفيين ، إعلانًا عن مسحوقِ الحبِّ العذري بالشكولاتا . وغدًا من يدري أين سنُدفنُ؟ . . ، من لا يملكُ شبرًا أو وطنًا قد لا يملكُ قبرًا أو كفنًا (تدفننا جرافاتُ الأمريكان ، بعيدًا في الصحراءِ ، فتخرجنا حيواناتُ البرِّ ، فيدفننا الأهلُ ، فتخرجنا جرافاتُ الحرسِ الجمهوريِّ ، فيدفننا الـ . . . . . ) انفجرتْ قنبلةٌ وتشظّتْ موتًا أسودَ . . ما زالتْ حصتنا بعدُ . . تعثّرَ محمودُ

---

(١) أغنية عراقية مشهورة .

(٢) استفادة من الكوميديا الإلهية لدانتي : «رأيت في الجحيم بشرًا لا يعيشون ولا يموتون» . وثمة إحالة إلى الشاعر السوريالي بيير ريفيردي (١٨٨٩ - ١٩٦٠) عندما طلبت منه إحدى دور النشر معلومات عن حياته كتب : «ولد في . . توفي في . . ليس هنالك من أحداث ، ليس هنالك من تواريخ ، لا شيء وهذا أمر رائع» .

(٣) كليشة تتردد كثيرًا في الكنيات العسكرية العراقية للجنود والبغال .

بصوتِ المذياعِ المغناجِ فأطفأهُ في ركلةِ بسطالٍ ، فتناثرَ أمعاءً خائسةً وحبالَ غسيلٍ لأكاذيبِ الحكامِ . نظرتُ إلى سقفِ الچينكو المهتزِّ تمنيتُ بأن أخرجَ رأسي لأرى الصحوَ الممتدَ . . . (عيونَ الموتى الشاخصةَ النظراتِ إلى الله) تمنيتُ بأن أخرجَ قلبي من معطفهِ الخاكي وأريهِ بلادي (ما صنعتْ أسنانُ السرفاتِ بها) لِمَ لمْ تخلقْ للموتِ عيونًا ، يا ربي ، قد يعطفُ حين يرانا – بالأحلامِ البيضاءِ المكويةِ والأعمارِ الغضةِ ، لا نملكُ حولاً أو قولاً في كلِّ حروبِ التاريخِ الممتدةِ من عصرِ المديةِ حتى الليزرِ – محضَ جنودٍ يلعبُ فينا ملكان غبيان على رقعةِ شطرنجِ الأوطانِ . . . . تمنيتُ بأن أعبرَ هذا النهرَ المتدفّقَ نحو . . . فماءتْ في الركنِ القطةُ . . مَنْ جاءَ بكِ الساعةَ ترتجفين أمامَ أزيزِ الطلقاتِ وتلتصقين بجسمي

هل أبعدها؟

فالقناصُ الأجلفُ لا يترصّدُ رأسكِ بل رأسي

لكنْ من يدري قد تخطىءُ هذي الفوّهةُ العمياءُ

فلا أحدٌ يضمن عمرَكِ أو عمري . .

مَنْ يضمنُ – في هذا العالمِ – عمرًا يتقاطعُ

في عيني قناصٍ . . .

في عـز الصـيفِ ، ركـضتُ وراءَ القطةِ ، منسـلاً من بابِ البـيتِ . انتـبهتْ أمي ، لكني . . .) قلتُ أخبّىءُ عـمري بين الأحـراشِ المتمـايلةِ السيقانِ مع الريحِ ، وأعبرُ هذا الموجَ – الفرحَ المترقرقَ ، مختنقًا بالغصّاتِ (سلامًا يا شطَ الكوفةِ ، يا نزقَ الصبيةِ يا ما خبأتُ الدشداشةَ ، بين غصونِ الصفصافِ ، ويا ما سرقوها ، فلبستُ سياطَ أبي ، ورجعتُ إلى البيتِ .

فماذا ألبسُ لو سرقَ القناصُ ثيابَ العمرِ) وثانيةً عدتُ إلى النهرِ ، وثالثةً للعينين السوداوين ، وعاشرةً بالركلاتِ إلى السجنِ ، وألفًا لصفيرِ الليلِ . تلمّستُ طريقي في العتمةِ كان القناصُ يثقّبُ بالناظورِ عباءةَ ليلِ الأبريسمِ ، يلظمها بخيوطِ الطلقاتِ . اللعنة ماذا لو أرمي القطةَ قدّام الموضعِ ، منتظرًا ماذا يحدثُ . نحن تساوينا بأواني الحربِ المستطرقةِ . انتفضَتْ روحي ولعنتُ حماقةَ أفكارِ الحربِ . تخيلتُ الجسدَ الناعمَ منخوبًا يتلوى بين الرملِ وكفي الممدودةِ بركةَ دم . لذتُ بزاويتي أتحاشى طولَ الليلِ مواءَ العينين اللامعتين ، دنوتُ أهدهدُ رأسَ المسكينةِ معتذرًا ، فأختبأتْ خلفَ الجلكانِ (دنوتُ فأزَّ الباصُ سريعًا ، واندفعتْ امرأةٌ ريّا نحوي في العقد الرابع (- في عينيه أبعدُ من امرأة . . (لا بأسَ اخترنا مصطبةً نائيةً قربَ الجرفِ المعشبِ . (كانتْ تتحدثُ عن أحلامِ طفولتها العرجاءِ وأطباقِ الوحدةِ والزوجِ المشلولِ بمعركةِ الخفجي (يشردُ قلبُ الشاعرِ تحت قناطرِ جفنيكِ مهيبًا كالبحرِ[1] . . . . (تأملتُ الزرَّ المفتوحَ ، ارتبكتْ بعض الشيءِ ،

وغطّتْ بيديها شبقَ النهرِ المتدفق ( . . . . مسّدتُ الوبرَ الناعمَ في رأسِ القطةِ ،

فارتجفتْ ترمقني بمواءٍ مرٍّ (- هلْ عندكَ كبريت؟

- لا . . .

---

(١) اقتباس من الشاعر الفرنسي سان جون بيرس : «أحيانًا يشرد قلب الرجل بعيدًا وتحت قوس عينيه كما تحت القناطر الكبيرة هذا الهدير الهائل لبحر يقف على أعتاب الصحراء» .

كانتْ نافذةُ الليلِ مرصعةً بنجومِ الرغباتِ
احترقتْ أعشابُ النهرِ ولمْ يبقَ على المصطبةِ الخشبيةِ غير بقايا الكرزاتِ ونصفِ الزرِّ المقطوعِ)
انتظرتْ باصًا آخر
ما زال الليلُ لذيذًا كالكرزاتِ
قطعنا الشارعَ مشيًا تحت رذاذِ نوافيرِ البوحِ الليليِّ
(سأعطيكَ إذن عنواني . . .) انفتحتْ بابٌ في منعطفِ الدربونةِ : كانت أصغرَ بالشعرِ المبلولِ تناثرَ يخفي نصفَ ملامحها (- هل عندك كبريت؟
- لا) قادتني في عتمةِ دهليزٍ ،
أتلمس ردفيها وطريقي المتعثّرَ . .
رغم العتمةِ أبصرتُ فحيحَ الرغبةِ في عينيها السوداوين ونصفَ الزرِّ المقطوعِ . . (- البارحة انقطعَ التيارُ) دنوتُ من الأزرارِ الأخرى .
اندلقَ النهدُ شهيًا من شقِّ الثوبِ .
انفرجتْ شفتاها ،
فانتصبَ الجذعُ المحني على النهرِ (ارفعني في قاربكَ الناحلِ ، خصرًا يتكسرُ في الريح ،
وشَعرًا مجنونًا يصهلُ فوق براري صدركَ
سدّدهُ إليَّ ، قويًا ، محتقنًا ،
وافتضَّ حنيني .
فأنا الفارعةُ المنذورةُ منذُ طفولةِ نهدي للشبقِ الطافحِ في عينيك ، ادفعْهُ كثيرًا ، أكثر مما يحتملُ القلبُ وقاربُكَ الغائرُ في أحراشي . . .) أفرغتُ بقايا القنينةَ في جوفي ، ظمأً . ثرثرنا حتى بانَ الخيطُ الأبيضُ في

ليلِ الخصلاتِ المنثورةِ فوق أريكتها ونعاسي . اقتربتْ من مرآةِ الزينةِ (- هل ستجيءُ غدًا؟) - لا أدري؟ هل يسمحُ لي القناصُ بيوم آخر . ململتُ برأسي بين الصخرِ قليلاً ، وتمددتُ على أكياسِ الرملِ ، أعلّقُ معطفَ طَرْفي في مشجبِ هذا الكونِ المترامي الأحلامِ . . .

أرى فوق خدودِ الليلِ دموعًا متحجرةً ، صعدتْ
من أحداقِ البشرِ الفانين
وظلتْ كالنجماتِ
معلقةً
في أهدابِ اللهِ . . . . .

اندلقَ الصبحُ نديًا فوق الزهرِ البريِّ ، خرجتُ من الموضع أبحثُ عن أزهارٍ لصباحكِ (قلبي قطعٌ متناثرةٌ مَنْ يجمعها[1]) مالَ الغصنُ
على الغصنِ
وأزّتْ قربي الطلقةُ
خبأت النبضَ المتسارعَ ،
بين النسغين الملتصقين

---

(١) اقتباس من مهربان خاتون ١٨٥٨ - ١٩٠٥ شاعرة كردية ولدت في العمادية وكانت جميلة تجيد نسج السجاجيد ، طلب يدها أمير برواري ولكنه حين سمع قصيدتها هذه التي صورت فيها حبها لابن عمها تراجع عنها : «لم يبق لي صبر ولا جلد / لقد أضحى قلبي قطعًا متناثرة/ وروحي شعلة من اللهب الذائب/ إن قلبي واحد لا يتعدد ولا يحيد يمينًا أو يسارًا/ هو شيء لا يباع ولا يشترى/ وليس أمره بيد أحد الشيوخ ورجال الدين/ إذا نفذ غرام إلى قلبين فلن يمكن فصلهما / ليس في دنيا الغرام وضيع ولا رفيع ولا صعلوك وسلطان» .

وقرفصتُ وراءَ الصخرةِ
لا أحملُ غير فُتاتِ الوردِ المتناثرِ
فكرتُ بسخريةٍ : هل يُقتلُ إنسانٌ يحملُ زهرًا
ماذا يمكن أن يجني هذا الأحمقُ من موتي . هل يبني بيتًا بنوافذَ واسعةٍ من جمجمتي . . . أيحبُ الشعرَ؟ أجربتَ كتابة شعر لفتاتكَ؟ ما طولُ ضفائرها؟ هل مسكتْ كفُكَ شيئًا آخر : فرشةَ ألوانٍ ، طفلاً ، خصرَ امرأةٍ ، زهرةَ غاردينيا؟ . . . . .
أبصرتُ القناصَ وراء الصخرةِ يرقبُ أحلامي عن كثبٍ
لا بأسَ ألمْ تتورمْ عيناك من الرصدِ لعنقي؟ مَنْ يدري قد يسخرُ مني الآن لأني . . (أطبقتُ البابَ ففزَّ الشوقُ الغافي في عينيها الواسعتين ، وفرَّ ابني من لعبتهِ وتشبّثَ في عنقي) هذا العنق المطلوب تحسستُ دبيبَ النبضِ به ، في غرفِ التعذيبِ السوداءِ ، فأدركتُ بأني مازلتُ . .
- [أريد قطارًا ، يا بابا . . لا تنسَ
أصغيتُ لأنفاسِ القناصِ - بهذي الساعةِ - هادئةً كالفجرِ الأجوفِ . . . . . .
سددتُ الفوهةَ السوداءَ إلى عينيهِ ، وأصغيتُ لأنفاسي لاهثةً يقطعها صوتُ حفيفِ شرائطِ طفلتهِ البيضِ (- ألم يأتِ بابا؟) اختلجتْ في عينيّ سنينُ اليتمِ ، وذابتْ في شفتي زوجتهِ أجوبةٌ شتى . . .) انطبقتْ بابُ البيتِ . الإصبعُ فوق زنادِ الـ . . . . لو أضغطهُ . التمعتْ في هلعٍ مجنونٍ عيناها الواسعتان . اقتربتْ نحوي (هل يأتي بابا؟) . . لا أدري ، وانهمرَ اللبلابُ على صدري المخنوقِ ، ثقيلاً مرًا . قمتُ لأغسلَ وجهي ثانيةً . . فكرتُ بماذا كان يفكرُ في هذي اللحظةِ؟ هذا المتأرجحُ في حبلٍ مشدودٍ

بين الموتِ وعنقي المهزولِ . رأيتُ شرائطها ، مرجَ طفولاتٍ وزنابقَ تخفقُ في الريحِ أمـامي ، وتطولُ ، تطولُ - مـتى يأتي بابا؟ يقطعـهـا صـوتُ قطارٍ ينحبُ . . هل يأتي بابا؟ لا أدري ، لا أدري ، كلٌّ يحـملُ مـوتَ الآخـر في كفيهِ . . أتسمعني يا هذا القناصُ الأبلهُ : كلٌ يحملُ بين أصابعهِ المشدودةِ فوق زنادِ الرشاشةِ ، أرملةً ويتيمًا . .

مسّحتُ دموعي في خجلٍ من نفسي . . . ]

يا ربي ، ما أتفهـهُ عمر الإنسانِ بهذا الشرقِ الداعرِ . من بابِ المسلخِ حتى بابِ المخفرِ (لا تتكاسل كالعادةِ ، دورُكَ حانَ ، بملءِ الجلكانِ . . «- كون العزيز يصير ترچية باذني وان گمتْ وان گعديتْ بالخد يحبني» . . . قـصـفتْ طيـاراتُ الحلفـاءِ - كـمـا جـاءَ بتـصـريحِ الناطقِ - فـرشـةَ أسـنانِ الدكـتاتورِ . برافو . . «- كـون انگلب فنجـان بيـد الگهوجي واوصل لحلگ هواي واشـچيلة وابچي» . . إيمانٌ خُطبتْ يا صگبان لسيارةِ أولدزموبيل! . . - ورسائلها؟ - نقعْها بالماءِ واشربْها . . ماذا فعلتْ مفرزةُ الإعداماتِ بأرتالِ الفارين من الجبهةِ؟

- كـ . . . . .س عرضكَ

- عرقًا أسودَ من فضلكَ

- لو تضعُ امرأتي ولدًا لملأتُ الخندقَ بالچكليتِ وبالـ . . . غائطِ . . كلُّ قذائفهِ ، . . قذفٌ[1] . .

---

(١) اقتباس من أنسي الحاج : «كل طلقة مدفع تطلقها أيها الرابض تظنها قذفًا جنسيًا ! مدفع بديل من رجولة . كرسي حكم بديل من سرير» .

كلكمُ تبكون
فمَنْ سَرَقَ المصحفَ[1]
ماذا فعلَ العسسُ المندسون بـ«خانِ النصِ»
مع الزوارِ الماشين حفاةً . .
ماذا صنعَ المتوكلُ بالأبكارِ[2] ،
وماذا صنعَ الحجاجُ بأعناقِ الثوارِ ،
وماذا فعلَ الحاجُ بخيرِ الله الجاري . . يا سالم يووي :
أتدري ما فعلوا فينا ،
يا سالم يووي : (من «العابد»
للفانوس . . أسمعْ يالريس[3]) . . [هربتْ
كلُّ أميراتِ القصرِ
مع الحراسِ السريين ،
وما زلتَ تجوبُ
بطْرفِ
عصاكَ ،
ممراتِ القصرِ الملكيِّ :

---

(١) إشارة إلى قول الحسن البصري أثناء موعظته وعيون المستمعين تذرف بالدمع .

(٢) وطىء المتوكل أربعة آلاف جارية . وقال الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك : «أتيتُ النساء حتى ما أبالي أامرأة أتيت أم حائطًا» .

(٣) من الأهازيج الشعبية الساخرة التي انتشرت أيام القصف وانقطاع التيار الكهربائي في حرب الخليج الثانية ١٩٩١ ، والعابد : هو اسم «الصاروخ» الذي «أنشأهُ» حسين كامل .

أسرّة نومٍ فارغةً ،

ومرايا تسخرُ

من شاربِكَ

المخرومِ . .] اشتدَ القصفُ بمنتصفِ الليلِ ، وما زالَ المذياعُ يواصلُ : «الدنيا ربيعٌ والجو بديعٌ . . قفلْ لي على كل المواضيعْ» . . أقفلُ مذياعي وأدسُّ برأسي تحت البطانياتِ :

التأريخ مجرد كابوسٍ وخلاف ملوكٍ وصحون جرائم[١]

لو . . . . لولا القناصُ (لماذا في الأسطبْلِ يطولُ الليلُ كثيرًا يا سيدَ حرز؟)

لنمتُ عميقًا حتى منتصف الظهرِ بيومِ الحشرِ ، كميْتٍ بعيونِ نساءٍ يرعشن من المتعةِ[٢] (علبةُ فاليوم لا تكفيهِ

إذا جنَّ الليلُ

ولا الاستمناءُ الأسودُ) في نصف التفاحةِ ما فيها

من طعمٍ لكني من فرطِ شرابي أشربُ نفسي ، العزلةُ مملكةُ الكلماتِ[٣]

---

(١) إشارة إلى جيمس جويس في عوليسيس : «التأريخ ، قال ستيفن كابوس أحاول أن أستيقظ منه . من ساحة اللعب أطلق الصبيان صيحة صفير مدوم» . وإشارة إلى تاريخ ابن الأثير وهو يؤرخ أحداث سنة ٤٠٦هـ : «وكان بافريقيا والغرب غلاء بسبب الجراد واختلاف الملوك» . وإلى فولتير : «التاريخ ليس سوى سجل من الجرائم وسوء الحظ» .

(٢) اقتباسات متداخلة فيما يأتي من جان أوريزيه : «أضلاع الهررة الضائعة تزداد بروزًا/ ميت في عيون نساء ترعش في المتعة» .

(٣) . . ومن شاتوبريان : «العزلة مملكة الأفكار» . وإلى نشيد لوتريامون وقوله : «الشعر يكتبه الجميع» .

الساحـاتِ . .

اكتبْ بدمائكَ

اكتبْ كلّ حياة سيرورةُ تدميرٍ[١]

الشاعرُ يعملُ[٢]

لا يكفي أن تصمتَ[٣] عارٌ أن نحملَ للقرنِ الواحدِ والعشرين

مجاعتنا ومنافينا وليالي الزنزانةِ[٤]

---

(١) . . ومن أدموند جابش في كتاب الهوامش : «قطرة دم هي شمس الكتاب» . وثمة إشارات إلى نيتشة - في هكذا تكلم زرادشت - الكتاب الأول/ النشيد السابع : «من بين الكتابات كلها لا أحب سوى تلك المكتوبة بالدم الشخصي . أكتب بدمك وستعلم أن الدم روح ، ليس سهلاً فهم دم غريب» . وإلى ما كتبه هنري ميشو عن الشاعر الاكوادوري الفريدو غانغوتينا الذي كان مصابًا بالهيموفيليا وهو مرض الاندلاق اللامنقطع للدم : «الدم الذي غادر جسده بشكل خطير في كثير من الأحيان يوجد في كل الأمكنة من عمله الشعري» . وإلى فيتز جيرالد : «كل حياة صيرورة تدمير» .

(٢) . . وإلى ما روي عن السريالي سان بول رو أنه كان عندما يذهب إلى النوم كل يوم يأمر بتعليق لافتة على باب منزله كتب عليها : «الشاعر يعمل» .

(٣) . . وإلى برخت في أعقاب انتصار النازية وسيادتها على المانيا : «إنهم لن يقولوا كانت الأزمنة رديئة بل سيقولون : لماذا ، لماذا ، صمت الشعراء؟» .

(٤) . . وإلى عبد الله كوران من قصيدة كتبها في السجن : «إنها وصمة كبرى أن يبقى إنسان في القرن العشرين دون عمل يشد على بطنه من أجل رغيف الخبز . . في المجتمع السعيد يعيش الإنسان الموهوب الفنان ليعتز به لا ليغدو عبرة سيئة» .

ساعاتُ الظلمِ بدونِ عقارب
فلنتحاسب

رباهُ لقدْ صليتُ وصمتُ وجعتُ العمرَ فماذا بعدُ[1] البطنُ الجائعُ لا تملكُ آذانًا ، أحملُ مسطرةَ الجوعِ أقيسُ مساحاتِ الكفرِ بقلبِ الإنسانِ ، عجبتُ لَمَنْ لا يجدُ القوتَ لماذا لا يشهرُ سيفًا في وجهِ الطاغوتِ - الفاقة[2] ،

يا بيروني ، قرصةُ خبزٍ تكفي في اليومِ ولا مدح السلطان[3]
سأتركُ خلفي اسمًا ملتمعًا كلفني عمرًا من حرمانٍ[4] قلتُ أنا أكثر يأسًا مما تتصورُ

سلّمني الجلادُ الأكبرُ للجلادِ الأصغرِ
هذا عصرٌ لا قلبَ لهُ

---

(١) . . والى قطعة شعرية كردية متداولة في كردستان العراق لا يعرف قائلها : «رباه لنتحاسب ها قد بلغت الخمسين من عمري ولم أر الراحة في أفيائك . صمت رمضان أربعين عامًا دون أن أفطر في داري . وما ملكت خفًا أنتعله . كان علي أن أتجول في عشر قرى من أجل طعام لذيذ . أكان هذا رزقًا أعطيتني إياه أكسبه كادًا سائرًا مثرثرًا فإذا لم أعاتبك أنا فهل أنت تعاتب» .

(٢) . . وإلى صرخة أبي ذر الغفاري .

(٣) . . وإلى قول البيروني : «اشتغلت بالرياضة وعلم الفلك عشرين عامًا وكانت حصيلتي منها قرصة خبز في اليوم ، ونظمت يومًا وآخر قصيدة مدح كانت حصيلتي منها ألف دينار» .

(٤) . . وإلى قول تاو تسيان : «ربما خلفوا وراءهم اسمًا مشرفًا ، ولكنه كلفهم حياة من الحرمان» .

أصرخُ خلفَ الأسلاكِ البدويةِ[1]
أرفعُ ثوبي المهروسَ وأعوي عو عو
عو . . .
لا أطلبُ شيئًا أو وطنًا . فسحةَ مرحاضٍ يا ربي . . .
لكنا جئنا ياعبودُ إلى الدنيا لنغني .
لنغنِّ حتى يتلاشى الدمعُ على وجناتِ العالمِ[2] ،
وليأتِ من خللِ القفلِ ضياءُ الشمسِ .
لنضحكْ من كلِّ قياصرةِ الأرضِ[3] ،

---

(١) . . وإلى حميد العبسي في مقتطفات من دفتر اللجوء/ مذكرات : «٣١-٣-١٩٩١سفوان مدينة الخراب والألغام ، كانت الحافلات تتجشأ طوابير من الفارين من قصف مدفعية الجيش ، شعبٌ يفر من حامي الديار ، كانت الدبابات الأمريكية تطالعنا وتحف بنا من الجانبين وعلى البعد تترامى موسيقى الجاز . . . الخ» - مجلة الاغتراب الأدبي - .

(٢) . . وإلى قصيدة منلاوس لاودمس التي كتبها في معتقل ماكرونيزوس الرهيب على شكل رسالة هُربّت من اليونان إلى السجين ناظم حكمت في زنزانة استانبول جوابًا على قصيدة له اتخذت الطريق نفسه : «لن نضحك إذا لم نضحك معًا/ لن نغني إذا لم تنتهِ دموع العالم» .

(٣) . . وإلى قصيدة بوشكين التي أرسلها مع امرأة إلى أصدقائه المثقفين المنفيين في سيبيريا : «يا ايها الذين يرزحون تحت حكم الأشغال الشاقة/ وفي الظلمة يتلمسون السبيل إلى النور/ ليأتكم النهار خلل قفل ومفتاح» . وقد تهرأت هذه القصيدة من كثرة القراءة وكتبوا له : «أيها الشاعر الذي تحرك قيثارته روح نبوءة/ لقد وصلتنا رسالتك فامتدت أيدينا للسيوف لكنها لم تصادف غير السلاسل/ ومع ذلك كن على ثقة / أننا وراء جدران السجون نضحك من القياصرة» .

ولكنَّ شظايا قنبلةٍ سقطتْ أقربَ منا
حصدتْ آخرَ حقلٍ للأحلامِ . .
وما الأحلامُ؟ . .
- سرابٌ . . . . . .
- أوليسَ الأمراءُ سرابًا؟[1] . .

## والجنرالُ بعزلتهِ

ضاحكًا من أناشيدنا الوطنيةِ ، حين نعودُ من الحربِ نسحلُ أشلاءنا والأرامل معولةً في الخيام .
فأين نساؤك يا سعدُ؟
منشغلات بجمع الغنائم ،
لا آيمٌ بينهنَّ تنوحُ[2]
فما تنفعُ الفتوحُ
ولا شجرٌ تحته ، نستريحُ
ولا وطنٌ ،
. . . . . أو ضريحُ

---

(١) . . وإلى سارتر - في مسرحية الفوضى والعبقرية -[ أيلينا : وما الممثل إذن؟ . الأمير : سراب . أيلينا : والأمراء؟ أليسوا بسراب ، هم أيضًا] .
(٢) إشارة إلى قول أحدهم يهجو سعد بن أبي وقاص في يوم القادسية :
«وابنا وقد آمت نساء كثيرةً
ونسوان سعد ليس فيهن آيمُ» .

أنحيا الحياةَ ، قتيلاً يجرُّ قتيلا
أم نكتفي بالقليلِ من العمرِ
والعمرُ ريحُ . . . . . .

وخلف العماراتِ
خلف الدروبِ
تنوءُ حبالُ غسيلِ الغروبِ
بأحلامنا البيضِ
نتركها لتجفَّ . . . . .
فيصبغها - في المساءِ - دمُ النجمةِ الآفلةْ
المدينةُ أحجارُها ندمٌ أصفرٌ يتفتّتُ بين يديكَ : شوارعَ متربةً ونساءً ينمنَ قُبيلَ الغروبِ ، أشادوا عماراتها من ضلوعك يا صاحبي : حجرًا حجرًا ونسوك على عتبةِ الآهِ تنحتُ بيتًا من الحلمِ :
مَرّتْ بكَ
المركباتُ الأنيقةُ ،
أسمالُ جان[1] ،
طفولاتنا في البساتينِ ،
بيضُ السلاحفِ ،
شامبو الصرائفِ ،
مرّتْ مشاحيفُ أسلافنا ،

---

(١) إشارة الى ديوان «أسمال» لجان دمو .

مرَّ عبدُ الكريم[١] على نهرِ دجلة
يرنو لما سيجيءُ
من الدمِ والطمي ،
مرَّ بي النفّريُّ وأدخلني سمَّ إبرتهِ
ثم أوقفني بين ضديهِ[٢] ،
مرَّ الرصافيُّ في عنقهِ بسطةُ التتنِ ،
مرَّ ديوجين يعرضُ مصباحَهُ في المزادِ ،
نكيرٌ ومنكرُ[٣] يختصمان على شطبِ فاتورتي ،
مرَّ ميرو يقودُ بلوحته الكلبَ[٤] ،
مرَّ السروجي[٥] ،
مرَّ أنابازُ[٦] ،

---

(١) إشارة إلى الزعيم عبد الكريم قاسم .

(٢) إشارة إلى قول النفّري : «وقال لي إن لم ترني من وراء الضدين رؤية واحدة لم تعرفني» .

(٣) في العقيدة الإسلامية يقوم الملكان منكر ونكير بمحاسبة المرء في قبره بسؤاله عن ربه ونبيه وعن أعماله في الحياة الدنيا .

(٤) إشارة إلى لوحة أشخاص وكلب أمام الشمس للفنان الإسباني اخوان ميرو ، وقد كتب عنه الشاعر الالماني بيتر يوكوسترا قصيدته عام ١٩٦٤ : «خفي كالأسرار هو الأثر الهندسي لظلالك» .

(٥) هو أبو زيد السروجي من أبطال مقامات الحريري .

(٦) إشارة إلى ديوان الشاعر الفرنسي سان جون بيرس ، وأناباز التي تعني باليونانية «الحملة إلى الداخل» هي كتاب ألفه اكسينفون تلميذ سقراط يروي فيه تقهقر جيش المرتزقة اليوناني . وقد كتب بيرس قصيدته تلك في بكين أثناء عمله في السلك الدبلوماسي خلال رحلة قام بها في صحراء جوبي .

بائعةُ القيمرِ الغجريةُ تتركُ أثداءَها في سريرِ العجوزِ فيحلبها ثم يركلها للزريبةِ ،

بيتر أرنت[١] يسمعُ في كرميان : الله ويسي[٢] وخفْتَ الحرائقِ ،

مرّ ميكائيلُ في فمهِ الأرضُ خردلةٌ ،

مرّتْ العاهراتُ بمبنى التعارفِ ،

مرَّ ابن المقفّعِ منسلخَ الجلدِ ،

مرّتْ قبورُ الرخامِ ،

الخورنقُ منحدرًا زبدًا من عظامٍ ،

معزُّ البويهيّ يسجي زناجيلَ عاشور فوق الظهورِ المدمّاةِ[٣] ،

مرّتْ عروشُ الطغاةِ المضادةُ للانقلاباتِ ،

مرّتْ عريبُ[٤] تلوكُ ايورَ الملوكِ ،

المحقّقُ يسألُ عما قصدتَ بشيصِ الحكومةِ ،

طاليسُ[٥] يسألني كيف تعرفُ نفسَكَ من دونِ معرفةٍ ،

مرَّ أعمى المدينةِ يحتكُ في ردفِ عاهرةٍ فتصيحُ على الجسرِ ، لكنهم

---

(١) مراسل حربي عمل في CNN صدر له عام ١٩٩٤ كتاب «من فيتنام إلى بغداد بث حي مباشر من أرض المعركة» شهد من فندق الرشيد قصف بغداد .

(٢) نوع من الغناء الكردي الشجي الشائع في كرميان ، وهي من مناطق جنوب كردستان العراق ، تعرضت لعمليات الانفال .

(٣) معز الدولة البويهي الديلمي أول من سن عزاء الحسين في العراق سنة ٣٥٢هـ .

(٤) عريب جارية لعوب ملكها ثلاث خلفاء .

(٥) إشارة إلى طاليس الذي سُئل عن أصعب الأشياء . قال : «أن تعرف نفسك» . وعن أسهل الأشياء . قال : «أن تسدي النصح» .

قبل أن يدفعوهُ إلى النهرِ من كمِّهِ ضحكوا من نصيحتهِ بقراءةِ شعر أبي
المغطشِ الحنفي[١] بذمِ النساءِ البدينات ،
مرَّ عدي بن زيد بصنّين يهجو أقانيمَ داريوس[٢] ،
مرَّ شبيهُ عديٍّ[٣] أمامَ المدرّجِ يستعرضُ الفتياتِ ،
ابنٌ سبعين يبحثُ عن جامع لا تعدّدَ للنفسِ فيهِ ،
الأستراليوبيثاكون[٤] ،
مرَّ لويسُ[٥] يفتشُ عن عرشهِ ضاعَ في لمحةِ العينِ ،
فاثيون ممتطيًا صهوةَ البادزهر ،
سافو[٦] يطاردها الشبقيون ،
قوتُ القلوبِ[٧] ،

---

(١) إشارة إلى قوله : «منيتُ بزنمردةٍ كالعصا/ ألص وأخبث من كندشِ» - الحماسة لأبي تمام - .

(٢) عدي بن زيد من أوائل الشعراء السجناء توفي في الجاهلية عام ٥٩٠ م . صنين مكان مرتفع قرب الحيرة . داريوس ملك فارسي بنى قصورًا فخمة .

(٣) اعتمد عدي صدام حسين على شبيه له يدعى لطيف يحيى ، أصدر بعد هروبه من العراق كتابًا بعنوان «كنت ابنًا للرئيس» .

(٤) تقول الاكتشافات الأثرية الجديدة إنهم أجداد الإنسان الأوائل عاشوا قبل ٣ ملايين سنة .

(٥) لويس التاسع عشر حكم ربع ساعة فقط عام ١٨٣٠ م .

(٦) أعظم شاعرة غنائية اتهمت بالشذوذ الجنسي وقد أُحرق جزء كبير من شعرها علنًا في روما وفي القسطنطينية عام ١٠٧٣ خشية من تأثيرها على الأخلاق .

(٧) كتاب في التصوف لأبي طالب المكي .

ابنُ مقلة[1] من دونا مقلتين ،
قلادةُ كوايتلكو[2] ،
اللسبياتُ[3] ،
الحصيري بمقبرةِ النجفِ المستديرةِ يبحثُ عن قدحٍ ،
بائعُ اللبلبيِّ ،
القحابُ ،
القطاربُ[4] ،

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسين الوزير الشاعر الأديب الخطّاط . اشتهر ببراعة خطه ، قال فيه الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عباد :

خط الوزير ابن مقله بستان قلب ومقله

وقد استوزر لثلاثة من الخلفاء : المقتدر ، والقاهر ، والراضي ، وتنقلت به أحوال ومحن ، أدت إلى قطع يده . قال ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة : «أمرني الراضي بالله بالدخول إلى ابن مقلة آخر اليوم الذي قطعت فيه يده ، فدخلتُ إليه فعالجته ، ثم ناح على نفسه ، وبكى على يده ، وقال : «يد خدمت بها الخلافة ثلاث دفعات ، وكتبت بها القرآن دفعتين ، تقطع كما تقطع أيدي اللصوص» ثم قطع لسانه ، وبقي في الحبس مدة طويلة ، ثم لحقه مرض ولم يكن له من يعالجه ولا من يخدمه ، إلى أن مات .

(٢) معناها السيدة الأفعى عند الأزتك قلادتها من قلوب البشر وأساورها من جماجم .

(٣) نساء شاذات في جزيرة لسبوس .

(٤) فئة من العفاريت في التراث الشعبي الأوربي . وقطرب في اللغة : هي دويبة لاتستريح نهارها سعيا . وفي الموروث الإسلامي : «سُئل وهب بن منبه عن الجن فقال : هم أجناس . فأما الصميم الخالص من الجن فإنهم ريح لا يأكلون==

مرَّ الغزاليُّ والجلدكيُّ بإشراقةِ الحقِّ[1] ،
مرَّ أخيلُ[2] يجرُّ بجثةِ هكتور ،
مرَّ جريضُكَ دون قريضِكَ[3] ،
مرَّ راميداس[4] يسخرُ ،
قمبر[5] في صبرِ سيدهِ يتعثرُ ،

---

== ولا يشربون ولا يتناكحون في الدنيا ولا يتوالدون . ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالى والغيلان والقطارب وأشباه ذلك» - الدميري ج١ ، حياة الحيوان الكبرى - .

(١) اشراقة الحق : وهي إشراقية السهروردي الحلبي والجلدكي والشيرازي القائلة بتجوهر النفس وتألق النور الإلهي في إشراقات العقل الفعال .

(٢) بطل ملحمة الالياذة وهو ابن الملك تيساليان وحورية البحر ثيتز ، وهو من المحاربين الأشداء لا يقهره الموت . جر جثة هكتور بطل طروادة من أرض المعركة بعد أن قتله في أول مبارزة . وتروي الأسطورة أن أمه غطسته في مياه النهر الجوفي «سيتكس» ليبقى خالدًا ، لكن أخمص قدمه ظل يابسًا لأنها غطسته وهي ترفعه من تلك المنطقة ، فلم يلمسها الماء . وقد توفي قبل سقوط طروادة حين أصابه سهم باريس المسموم في أخمص قدمه .

(٣) إحالة إلى مثل عربي قاله عبيد بن الأبرص للمنذر بن ماء السماء لما أراد قتله وهو يقول له انشدني من قولك ، فقال له الأبرص : «حال الجريض دون القريض» . والجريض الغصة والقريض الشعر .

(٤) أقدم إنسان عرفه التاريخ اكتشفه حديثًا فريق من العلماء الدوليين في اثيوبيا عاش قبل ٥ ملايين سنة .

(٥) مولى علي بن أبي طالب الذي قال له حين لامه على قعوده : «أمنتُ عقابك فتكاسلتُ» .

مرَّ صاحب علّه من تحتِ سلتهِ[١] ،
مرتْ أمُ كلثوم ،
لدلولُ أيوب[٢] ،
شيصُ الحروبِ ،
السالناماتُ[٣] ،
ابنُ لحيٍ[٤] يبولُ على رأسهِ الثعلبانُ ،
قصائدُنا كالحشيشِ المهرّبُ بين المطاراتِ ،
قصرُ الأخيضرِ[٥] ،
قصرُ النهايةِ[٦] ،
ختمُ الرقابةِ فوق ضريحِ أبي فرجِ الأصفهاني ،

---

(١) ثمة إحالة إلى ترديدة شعبية في أزقة الكوفة القديمة «صاحب علّه تحت السلّه حتى البزونة تندلّه» إشارة إلى اختبائه عند مداهمة العسكر لبيته في محلتنا .

(٢) لدلول ، القصيدة البابلية الشهيرة : «لأمتدحن رب الحكمة» . التي ألفت في العهد الكيشي وهي مونولوج يروي فيه نبيل بابلي عن ابتلائه بكل المحن والأمراض ، سمي أيوب البابلي .

(٣) مطبوعات سنوية تحتوي على الأخبار صدرت في عهد الدولة العثمانية .

(٤) عمر بن لحي : نشر عبادة الأصنام في بلاد العرب وقد أتى بهبل إلى مكة في زمن سابور ذي الأكتاف .

(٥) حصن الأخيضر يقع جنوب كربلاء بمسافة ٤٨ كم . ومن معالمه البارزة هذا القصر .

(٦) قصر النهاية في بغداد كان يسمى بـ (قصر الرحاب) في الزمن الملكي ، ثم تحول إلى مستشفى في زمن عبد الكريم قاسم ، ثم تحول إلى دار التعذيب في زمن الحكم البعثي .

مرّتْ آجي سيت[١] تعجبُ من عوجِ[٢] كيفَ تحدّرَ من رحمها ،
مرَّ ناظم[٣] ،
ننغالُ[٤] تتلو لسين[٥] أغانيها ،
مرَّ الكهانيمُ[٦]
في نهرِ جيحانِ[٧] ،
مرَّ الدقيقيُّ بالرودكيِّ[٨]

---

(١) الإلاهة القابلة الأم لشعب الياقوت التركي الذي يسكن قرب نهر لينا في سيبريا واعتقدوا أنها حاضرة في كل ولادة لتأتي من السماء بروح الطفل وتكتب اسمه في كتاب ذهبي ، أما التتر من قبيلة الطاي فيسمونها أم بحيرة الحليب ، وفي أسطورتهم يتحدثون عن الإله الأبيض الذي أرضعته أنثى خرجت من جذور الشجرة الكونية التي هي عمود العالم .

(٢) في الميثيولوجيا العربية أن عوج بن عنق كان يحتجز السحاب فيشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه ثم يأكله حتى أدرك الطوفان فما جاوز ركبتيه .

(٣) ناظم الغزالي .

(٤) ربة الشمس ، زوجة سين ، وأم شاماش .

(٥) سين ، إله القمر . ابن أنليل وزوج ننغال . أحضر النور المشرق ليراقب في الليل قوى الشر . نجح الأوتوكو في إطفاء ضوئه بمساعدة عشتار وشاماش ، فحدث الكسوف . ثم حاربهم الإله مردوك وأعاد إليه النور .

(٦) هم الكهنة الفينيقيون .

(٧) هو نهر الجنة كما يقول كعب الأحبار ، حيث يجري من تحت سدرة المنتهى وقيل من تحت صخرة بيت المقدس - بدائع الزهور- .

(٨) أبو منصور الدقيقي : (ت ٣٧٠ هـ) أول من نظم أساطير الفرس القدامى . أمر بهذا الأمير نوح بن منصور السامانى فاختار بحر المتقارب ونظم ألف بيت ==

يجرُّ بأبياتِه جندَ نصر بن أحمد حتى بخارى ،
مرَّ إيروستراتوسُ[1] يحرقُ نيرونَ ،
ذو النون يلبسُ طوقَ الحمامةِ[2] كيما يطيرُ إليه ،
أبو دهبلٍ يتبوقُ . .
. . في إستِ خالد[3] ،

---

== في سيرة الملك كشتاسب وانتصاره لزرادشت ، ثم قتل وهو شاب وظل عمله ينتظر من يكمله حتى جاء أبو القاسم الفردوسي فعكف على نظم الكتاب زهاء ثلاثين سنة . والرودكي : من أوائل الشعراء الفرس ، قال عنه الرشيدي : «وقد عددتُ شعره فإذا هو ألف ألف وثلثمائة ألف بل يزيد إذا عد كما ينبغي» . كتب قصيدة حرك بها الأمير نصر بن أحمد السامانى إلى بخارى بناءً على رغبة الجند ورؤسائهم بعد أن طال مكوث الأمير في بهراة .

(١) أحرق معبد ديانا بأفسس عام ٣٥٦ ق .م من أجل أن يجعل اسمه مشهورًا ومنه جاء المصطلح النفسي الذي يعني الميول المرضية عند المخبولين لإشعال الحرائق .

(٢) ذو النون المصري : المتوفى في ٢٤٥ هـ يعتبر مؤسس الحركة الصوفية في مصر قال بالعلم الظاهر والباطن وبالكشف . اتهم بالزندقة وقبض عليه وأرسل إلى بغداد حيث سجن هناك . طوق الحمامة : كتاب لابن حزم الأندلسي .

(٣) إشارة إلى الشاعر أبي دهبل الذي رأى عاتكة بنت معاوية في الحجيج فشبب بها . يقول حنا عبود : «وقد تدارس معاوية مع ابنه يزيد وخرجا باقتراحين كل اقتراح يدل على شخصية مقترحة ، فيزيد رأى أن يرسل بعض رجاله لنصب كمين للشاعر واغتياله ، لكن أباه رأى أن هذه الطريقة فجة وحمقاء ، وتفتق ذهن معاوية عن طريقة أخرى لاغتيال الشاعر ؛ فذهب إليه وقدم له مبلغاً من المال وهدايا نفيسة وزوجه من امرأة مشهورة وتكفل بجميع النفقات . . وقد نجحت هذه الطريقة أيما نجاح وبات أبو دهبل بوقًا داويًا لصالح البيت الأموي» . ==

مورغون في طبلهِ راكبًا دملةَ الروحِ ،
مرّتْ قبائلُ بانجا[1] تناكحُ في العشبِ ،
مرَّ زرادشتُ يضحكُ[2] ،
مرَّ النساطرةُ[3] ،
النيرنجاتُ ،
الشرطيُّ المعقّمُ ضد وباءِ الشعوبِ ،
التوماهوك ،
الدندنيون[4] ،
أوفيدُ[5] في الطرقاتِ يفتّشُ عن قلبِ عاشقةٍ لا تخون ،

---

== وثمة تداخل لحكاية خالد الضراط مع الخليفة هشام بن عبد الملك التي ذكرها أحد الشعراء مذكّرًا بها الخليفة : «أيضرط خالد من غمز ترس / فيحبوه الأمير بها بدورا / ولو نعلم بأن الضرط يغني/ ضرطنا أصلح الله الأميرا» . فرمى له هشام بصرة من المال وقال له : خذ لا حاجة لنا بضراطك .

(١) إشارة إلى قبائل البانجادا في أفريقيا حيث يقوم الزوجان اللذان أنجبا توأمين بممارسة الجنس في الحقول لشحنها بطاقاتهما الإخصابية الفياضة .

(٢) إشارة إلى قول نيتشه على لسان زرادشت : «لقد أتيت بشريعة الضحك ، فيا أيها الإنسان الأعلى تعلم كيف تضحك» .

(٣) نسبة إلى نسطوريوس أسقف القسطنطينية .

(٤) تسمية أُطلقت في القرن ١٩ على مدرسة الشعراء النرجسيين المتأنقين جدًا في هندامهم .

(٥) صاحب كتاب «فن الهوى» و«مسخ الكائنات» ، غضب عليه الإمبراطور أوغسطس فنفي خارج روما ، يقول إسماعيل كاتدريه الشاعر الألباني المنفي : «هناك خصومة طبيعية بين الأدب العظيم والأنظمة الاستبدادية ، أوفيد مثلاً كان أول كاتب في التاريخ يُجبر على العيش في المنفى على يد الدولة الاستبدادية» .

ابن عوفي[1] يدردمُ ،
هندُ تمزمزُ نشوى بفيشلةِ ابن الغنِ[2] ،
الكشتريون[3] تحت سريرِ سمورامات[4] ،
عفراءُ[5] تسألُ مَنْ عروةٌ؟ فهمُ كثرُ ،

---

(١) من مجانين الكوفة .

(٢) هند بنت ربيعة : كانت تلوك كبد الحمزة بن عبد المطلب وهي ترقص منتشيةً على جثته . الفيشلة : إشارة إلى قول ابن عقبة الأسدي يخاطب أسماء بنت خارجة حين زوج ابنته هندًا من عبد الله بن زياد : «جزاك الله يا أسماء خيرًا / فقد أرضيتِ فيشلة الأمير / إذا دفع الأمير الأير فيه/ سمعت له أزيزًا كالصريرِ/ لقد زوجتها حسناء بكرًا/ تجيد الرهز من فوق السريرِ» . ابن الغن : ذكر التيجاني - في تحفة العروس - أنه من قبيلة أياد كان إذا انتعظ احتكت الفصال بأيره فقيل أنكح الناس ابن الغنِ ، قال الفرزدق : «لحا الله هذا من حلالٍ ومن يقلْ/ سوى ذاك لاقاها بأير ابن الغنِ» .

(٣) من رجال الحرب أجازت لهم المادة ٣٣ من الكتاب الثالث من قوانين مانو الاستيلاء على النساء بالقوة .

(٤) هي سميراميس أي محبوبة الحمام ، كانت ملكة على بابل تختار لها كل ليلة خليلاً جميلاً من جنودها لليلة واحدة ثم تقتله خشية أن يفشي سرها ، عندما تآمروا على قتلها تحولت إلى حمامة طارت في الجو بصحبة بعض الطيور التي حطت على منزلها .

(٥) عفراء : حبيبة عروة بن حزام . وثمة تداخل في الإشارة بين قصيدته وقصيدة أبي فراس الحمداني .

مرَّ سطيحُ تطّوى على شقّه[1] ،

مرَّ بشارُ بالجلّنارِ يغالبُ شهوتَهُ ،

القاهرُ باللهِ في طرْكِ قبقابه آخذًا كفَّ ساسان[2] ،

مرَّ حسين بن مردان في نهدها يتضوّعُ في حانةٍ قربَ نصبِ الشهيدِ ،

ابنُ عمير بقصرِ الأمارةِ يفزعُ من رأسِ مصعب[3] ،

---

(١) سطيح وشق : من الكهان فسروا رؤيا تبع الحميري ، كان شق انسانًا بيد ورجل وعين لأنه ولد شقًا واحدًا - تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي - أما سطيح فكان يدرج كما الثوب ولا عظم فيه إلاّ الجمجمة - مقدمة ابن خلدون - .

(٢) إشارة إلى قيام الأتراك بعزل الخليفة القاهر بالله فكان يشاهد وهو يستعطي في أسواق بغداد لابسًا قبقابًا خشبيًا . ساسان : ملك من ملوك الفرس هزمه دارا وسلبه ماله فغدا فقيرًا يحتال في استعطاء الناس .

(٣) إحالة إلى ما ذكره القاضي الديار بكري الملكي المتوفى ٩٦٦ هـ أنه في «سنة ٧١ هـ هدم عبد الملك بن مروان قصر الإمارة في الكوفة ، وسببه أنه جلس ووضع رأس مصعب بين يديه ؛ فقال له عبد الملك بن عمير : يا أمير المؤمنين ، جلستُ أنا وعبيد الله بن زياد في هذا المجلس ورأس الحسين بن علي بين يديه ، ثم جلستُ أنا والمختار بن أبي عبيدة فإذا رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ، ثم جلست أنا ومصعب هذا فإذا رأس المختار بين يديه ، ثم جلست مع أمير المؤمنين فإذا رأس مصعب بين يديه ، وأنا أعيذ أمير المؤمنين من شر هذا المجلس ، فارتعد عبد الملك بن مروان وقام من فوره وأمر بهدم القصر» .

كووثُ بأخذةِ كش[١] يكشُّ ذبابَ الخطايا ،
الرها[٢] ،
الظاهرُ بيبرس ،
اوكارجينا[٣] ،
حرانُ[٤] ،
مرَّ آثرثر[٥] يصفقُ في كفهِ قربَ عگد النصارى ،
الرهنامجُ[٦] ،
مرّتْ حليوة[٧] في رأسها طبقُ الخبزِ يُؤكلُ ،
أمُّ حكيم[٨] تدهّنُ في رأسها وتلمّعُهُ ،

---

(١) هي الروح العظمى عند قبائل النوير في جنوب السودان خلق الكون بإرادته وهو عادل ويعاقب الخبثاء مهما طال الزمن . كيش : أول ممالك ما بعد الطوفان وملكها ايتانا الراعي .

(٢) أصلها من النصارى فيها أكثر من ثلاثمائة دير .

(٣) إشارة إلى أول نظام ديمقراطي في العالم في عهد الملك أوكارجينا حوالي ٢٤٥٠ ق م ظهر على أرض الرافدين .

(٤) ملتقى الطرق .

(٥) الثور في أساطير البربر في الجزائر قبل الفتح الإسلامي ، هام على وجهه في الجبال بعد أن تزوج عجله أجيمي من أمه ثاموز التي هي زوجته .

(٦) كتاب البحارة .

(٧) حليوة : خبازة لعوب في عگد اللوي في الكوفة .

(٨) شاعرة من الخوارج كانت تنشد : «أحمل رأسًا قد سئمتُ حملهْ / وقد مللتُ دهنه وغسلهْ / ألا فتىً يحمل عني ثقلهْ» .

مرَّ فريدون[١] في رأسِ ضحّاكه ضاحكًا من تضاحكِ أسنانهِ ،
مرَّ طاووسُ في بازيانِ بكاتاتِ ناهيد[٢] ،
مرّتْ سكينةُ[٣] بالكلبيةِ بين المصلى وقبلتهِ فاستعاذَ[٤] ،
مطايا الهنودُ ،
هوى الكاولياتِ ،
عيدُ البزارِ ،
شحاريرُ غاغوا بلا زاجرٍ[٥] ،

---

(١) أحد ملوك الأسرة البيشدداية الإسطورية وهو الذي خلص ايران من الضحاك وظلمه وكرم العلم الكاوياني الذي اتخذته ايران رمزًا لها حتى سقط في أيدي المسلمين أيام موقعة القادسية .

(٢) طاووس : هو المهيب المقدس عند اليزيدين . بازيان : مضيق بين كركوك والسليمانية . كاتات : أناشيد دينية زرادشتية . ناهيد : أنائيتا إلهة الجمال .

(٣) سكينة بنت الحسين خاطبت أهل العراق : «قتلتم جدي وأبي الحسين وعمي الحسن وزوجي مصعب بن الزبير» ، ماتت في المدينة .

(٤) الكلبية مذهب يحتقر العرف والتقاليد والرأي العام والأخلاق الشائعة . وثمة إشارة إلى رواية ابن مسروق أنه عندما ذكر أمام عائشة حديث أبو هريرة عن النبي محمد قوله : «الكلب والحمار والمرأة تقطع الصلاة إذا مرت أمام المؤمن فاصلة بينه وبين القبلة» ردت عليه : «تقارنوننا الآن بالحمير والكلاب ، والله لقد رأيت النبي «ص» وهو على أهبة إقامة صلاته وكنتُ هنالك ممددة على الفراش بينه وبين القبلة ولكي لا أشرد ذهنه كنت أتحاشى أن أتحرك» - صحيح البخاري جـ ١ - .

(٥) غاغوا : طائر . الزجر : الاستدلال بطيران الطائر بعد رميه بالحصاة تفاؤلاً باليمين وتشاؤمًا بالميسرة .

مرَّ أهلُ الدوابِ[1] بعبدة يبكون موتَ جواميسهم ،
مرَّ علقمةُ الفحل[2] في سقبِ ناقةِ صالح[3]

يرغو كقلبٍ طحا ،
الشعراوي[4] يهدي إلى الدينِ سلحفةً بالكنترولِ ،
مرّ نوري السعيد ببابِ المعظم مختبئًا بالعباءةِ ،
مرَّ أبو بكر الشلبي يميلُ من السكرِ في حانة اللهِ ،
يونسُ يبكي على رأسِ مولاهُ[5] ،

---

(١) ريفيون يرعون الجواميس على ضفاف نهر الكوفة . وتبيع نساؤهم القيمر والحليب والروبة على بيوتنا الشعبية . وعبدة امرأة شرسة معروفة هناك .

(٢) إشارة إلى قصيدة علقمة : «رغا فوقهم سقب السماء فداحصٌ/ بشكته لم يستلب وسليب» - شرح ديوان علقمة للشنتمري - .

(٣) ﴿وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ هود آية ٦٤ القرآن .

(٤) « . . ما أعلنه الشيخ متولي الشعراوي في تلفزيون القاهرة في برنامج «من الألف إلى الياء» من أنه «سجد لله ركعتين» فور علمه بالهزيمة العربية الكبرى في حرب حزيران ١٩٦٧ «لأننا لم ننتصر» . ولما سأله ابنه : كيف تشكر الله على هزيمة الوطن؟ أجابه الشيخ الوطني الجليل : «لو كنا انتصرنا يا ولدي لكنا قد فتنّا في ديننا من الشيوعية» - صادق جلال العظم/ ذهنية التحريم» . . و«(في التلفزيون) قال لم أقرأ كتابًا غير القرآن منذ أربعين عامًا . . - صنع الله ابراهيم / من روايته (ذات)» . .

(٥) وعاش في بيت المقتدر أحد عشر ألف خادمًا قبل أن تؤول إليه الخلافة . أحدهم كان يدعى يونس الخادم حدثت بينه وبين المقتدر وحشة أودت إلى حروب انتهت بمقتل الأخير ،فحملوا رأسه إلى يونس فلما رأى رأس مولاه بكى ولطم وجهه .

سامسا[1] يقلّبُ مكتبتي ويشخُّ على نصفِ فهرسها
ساخرًا من غبائي وآتيس[2] ،
مرَّ جميلٌ[3] يجاهدُ ما بينهنَّ ،
أنتجونا تعانقُ هيمونَ في قبرها ،
الدبرانِ[4]
يطاردهُ الشعريانِ[5]
ويرجعُ فجرًا بخفي حنين ،
جريرٌ[6] يدرّرُ من ضرعِ عنـزتهِ سطلَ أشعارهِ بالتفاخرِ حتى

---

(١) بطل رواية المسخ لكافكا .

(٢) قام بتشويه نفسه ليتخلص من مطاردة وحش أحبه .

(٣) إشارة إلى بيت جميل بثينة : «يـقـولـون : جاهـد يا جميل بغـزوةٍ
وأي جـهـاد غـيـرهـن أريـدُ»

(٤) منزل للقمر .

(٥) كانت تعبد في الجاهلية بقوله تعالى : ﴿وأنه هو ربُّ الشعرى﴾ .

(٦) ذكر الاصفهاني في الأغاني «أن رجلاً قال لجرير : من أشعر الناس؟ قال : قم حتى أُعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه عطية بن الخطفي وقد أخذ عنزًا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به : أخرج يا أبتِ ، فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنزة على لحيتهِ ، فقال جرير : ترى هذا؟ قال : نعم . قال : أو تعرفه؟ قال : لا . قال : هذا أبي ، أفتدري لِمَ كان يشرب من ضرع العنزة؟ قال : لا . قال : مخافة أن يُسمع صوت الحليب فيطلب منه . ثم قال جرير :- أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعرًا وقارعهم فغلبهم جميعًا» .

يفيض على ذقنِ والده ،
مرّتْ المانويةُ[1] ،
مرَّ الطوارق[2] ،
مرَّ شيخوفُ يحملُ سنارةَ الصيدِ في نهرِ نوبل ،
مرّتْ فطيمةُ[3]
في بئرِ مارمانا[4] المقدّسِ
تغسلُ كعثبها[5] المتهرّىءِ من كثرةِ

---

(١) مزيج من النصرانية والزرادشتيه ، كثيرة الأتباع - الآثار الباقية للبيروني- .

(٢) هم عرب الصحراء الملثمون ، درج المؤرخون والرحالة العرب القدامى على تسميتهم بالملثمين لمحافظتهم الشديدة على هذه العادة منذ فجر التاريخ ، حيث يغطي الرجل رأسه بعمامة من القماش الأسود يلفها حول رأسه بإحكام فلا يظهر من وجهه سوى أهداب عينيه ، وعليه أن يضعها في أي وقت ، ليلاً أو نهارًا حتى في منامه ، وأن يدخل يده من تحت اللثام إذا أراد أن يأكل ، أما إذا كشف عن وجهه فتلك فضيحة عند الطوارق ، أما النساء عندهم فهن سافرات .

(٣) امرأة كانت تمارس البغاء اشتهرت بقصصها المثيرة التي كنا نسمعها في طفولتنا وصبانا . أو نراها بجسدها الصارخ وهي تخطر في «عكد اللوي» في أحد أحياء الكوفة الشعبية .

(٤) في إسطورة لقبيلة مورنغن في شمال استراليا أن امرأتين كانتا تعاشران رجالاً من إحدى القبائل المحرمة ، وفي أحد المرات ذهبتا إلى بئر مارمانا المقدس حيث أن روح جدهما الأكبر تسكن في أعماقها الذي شم رائحة الفضيحة من طمث إحداهن فابتلعهن فاجتمعت الأفاعي لدراسة الموضوع وتقرر اعادتهن .

(٥) كعثب : القعب المكفو - الفرج ، قال الشاعر : لها كفل واف وبطن معكنٌ وأخثم مثل القعب غير منورِ .

الرفثِ[1] ،

مرَّ برموثيوس[2] يسألُ أين يسدّدُ فاتورةَ الكهرباء ،

الحطيئةُ ما بينهُ والغنى خطواتُ ليالٍ لعلقمةَ[3] ،

مرَّ عصرُ النطوفيِّ[4] في جسرِ سيدٍ صادقٍ[5] يبحثُ

عن عصرنا في كهوفِ الدناصيرِ ،

مرَّ فمُّ العسقلانيِّ[6] في جانبِ البدرِ ،

---

(١) من أسماء الجماع «الجنس عند العرب ج٣» وهي كلمة جامعة لكل مايريده الرجل من المرأة . قال أبو منصور الثعالبي : لعل أسماء النكاح تبلغ مائة كلمة عند ثقاة الأئمة ، ويجمع بعض علماء اللغة أن هناك ما يزيد على مئتي لفظ يدل على فعل نكح .

(٢) تروي الأسطورة اليونانية أن بروموثيوس سرق النار من الآلهة وأعطى علمها للبشر ، فعاقبته الآلهة بأن ربطته فوق قمة جبل وأوكلت به نسرًا يأكل كبده ، الذي يعود وينمو على الفور ، فيعود لأكله وهكذا إلى الأبد .

(٣) إشارة إلى قول الحطيئة حين بلغه نبأ وفاة علقمة بن علاثة وكان في الطريق إلى لقائه : «وما كان بيني لو لقيتك سالمًا/ وبين الغنى إلاّ ليالٍ قلائلُ» .

(٤) العصر النطوفي : منسوب الى وادي النطوف في فلسطين يعود إلى ٨٥٠٠ ق .م . ففي القدس والأراضي المجاورة لها ظهرت أعظم حضارة عرفها التاريخ البشري ، انتقل فيها الإنسان من حياة القنص وجمع الثمار الى الزراعة .

(٥) منطقة في كردستان شمال العراق ، تقع قريبة منها قرية «شيخ أوصال» التي كتبت في أحد اصطبلاتها المهجورة هذا النشيد .

(٦) إحالة إلى نص فريد للقاضي الفاضل البيساني العسقلاني شطره كلام لا وزن له عروضيًا وعجزه من بحر الطويل : «وصل كتاب مولاي بعدما/ أصاب المنادي للصلاة فاعتما// فلما استقر لدي/ تجلى الذي من جانب البدر أظلما» .

مرَّ السويديُّ[1] يؤرّخُ بالشعرِ لحيةَ والي المدينةِ ،
مرَّ الجبرتي[2] مندهشًا
في مدائنِ شداد[3] ،
مرّتْ رمالُ تهامة ،
خاتمُ جيكاز[4] ،
بوصلةُ السفنِ الغارقاتِ أمام سدوم[5] ،

---

(١) من ديوان السويدي (مخطوطة عُرضتْ عليّ من قبل دار الشؤون الثقافية لتدقيقها قبل الطبع بتأريخ ١١-١٢-١٩٩٠ أي قبل قصف بغداد بحوالي شهر) قال مهنئًا سليمان بك الشاوي ومؤرخًا إطلاق لحيته : «مولاي صبرًا فإني بحادث الدهر أعبثْ/ مثل الغريق ولكن بلحيتي أتشبثْ/ لم أخلُ من خبث دهرٍ إلاّ وقد جاء أخبثْ» .

(٢) عبد الرحمن الجبرتي (١٧٥٤ ـ ١٨٢٥) مؤرخ مصري ، ولد بالقاهرة ، وتعلم بالأزهر . شهد مقدم الحملة الفرنسية وأحداثها (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) والصراع بين الولاة العثمانيين الذي انتهى بتولية محمد علي حكم مصر . يعد كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» ٨ مجلدات ، أعظم تواريخ مصر في القرنين ١٨ و١٩ .

(٣) بنى شداد بن عاد جنة لينافس بها جنة الله وهي إرم وحين أهلك الله قوم عاد اختفت إرم وظلت - كما يرد في المثيولوجيا العربية - تطوف وهي مستورة في الأرض لا يراها الإنسان إلا مرة واحدة كل أربعين عامًا ، وسعيد من تفتح له بابها .

(٤) جيكاز الليدي : الذي بمساعدة خاتمه الذهبي ذي الفص السحري جعل نفسه غير منظور فتسلل إلى قصر الملك وقتله .

(٥) مجموعة قرى على شاطئ البحر الميت في الأردن ، عاش فيها النبي لوط . عاث أهلها فسادا فعاقبهم الله كما تروي الكتب السماوية حيث امتلأت سماؤها بكتل النار الملتهبة ، وتحولت زوجة لوط التي خانته إلى كتلة من الملح .

العماليقُ[1] ،

مرّتْ غزالةُ ،

مرَّ منشيوس[2] ممتعظًا ،

مرَّ هتلرُ في متحفِ الشمع مستعرضًا جندَهُ ،

مرَّ ابن فرجِ الرخجي[3] يمطُّ برقبتهِ ،

مرَّ يونغُ[4] بتفاكة الهورِ ،

---

(١) اسم أطلق على قبائل قديمة انقرضت . وقد أوردت بعض كتب التراث أخبارًا عنهم تمتزج بالأساطير . نقل لنا السمهودي رواية تزعم أن «ضبعًا وأولادها وجدت رابضة في تجويف عين رجل ميت من العماليق» . ويرى الطبري أن جدهم عمليق هو أول من تكلم اللغة العربية . وذكرتهم أسفار التوراة مرات عدة وسمتهم العماليق حينًا والجبارين حينًا آخر . ويطلق عليهم أيضًا : المردة أو الغيلان . وفي الأساطير اليونانية أنهم انبثقوا من دم أورانوس بعد أن خصاه كرونوس . هاجم العماليق آلهة الأولمب مستخدمين الصخور وجذوع الأشجار أسلحة . وكانت ثمة نبؤة تقول إنه لا يمكن للآلهة أن تحصد النصر دون مساعدة الإنسان ، فاستعانوا بهرقل الذي نصرهم ودحر العماليق .

(٢) الفيلسوف الخطيب الذي قال للملك يانج : «ما دام أسلوب الحكم يؤدي ببعض رعاياه إلى أن يموتوا جوعًا فإن الملك يعد في الحقيقة قاتلاً» ، وكان له رأي في الاقتصاد إذ يرى أنه له علاقة وثيقة بالأخلاق ويؤكد أن الشعب الجائع لا يمكن أن نتوقع منه أن يلتزم بالأخلاق .

(٣) أشهر رجل تحمل صفع سلطان إذ غضب عليه المتوكل فأمر أن يصفع في كل يوم ، فكان ستة آلاف صفعة وكانت مهنة الصفاع مشهورة في العصر العباسي .

(٤) إشارة إلى كتاب جيفين يونغ - العودة إلى الاهوار - : «عندما توفي الحاج يونس عام ١٩٧٦ وهو رجل مسن من عشيرة العاقر قيل بأنه تم إطلاق أربعة آلاف إطلاقة» .

مرّتْ بحارُ الخليلِ بسوقِ الصفافيرِ ،
مرّتْ بيوضُ النعامةِ ،
مرّتْ عليةُ ،
مرَّ الصباحُ المُسَلفَنُ ،
مرَّ المُدندنُ ،
مرَّ المقاولُ ، . . . . . .
مرَّ المناضلُ ،
مرَّ الربيعُ ، وما زلتَ ذبلانَ
تحني ببابِ العمارةِ
زهرةَ عمرِكَ
كي يصعدوكَ
سلالمَ . . . . .

. . . . . .

[عبودُ ، كان يبولُ على تيهها الكونكريتيِّ
ينثالُ . . . . .
ينسالُ في معطفِ النسوةِ الأجنبياتِ صمغُ الرجال الأنيقين
يختلسون - وراء زجاجِ براءتنا - القبلاتِ
ونخجلُ ] مما يدورُ بأذهاننا الجاهلةْ
عبودُ قالَ : الرجالُ الأنيقون
يمتلكون
النساءَ - مفاتيحَ هذي البلاد

وأعناقنا المائلةْ

ثم يرنو . . . .

إلى بطن زوجتهِ الحاملةْ

ويقيسُ المسافةَ ما بين صرخةِ مولودهِ

والطريقِ . . .

إلى المقصلةْ

وخلفَ العماراتِ

يلعبُ أطفالُنا بالشتائمِ والوحلِ [ قد يرسمون بفحمِ المواقدِ أسماءَهم وشواربَهم (الطباشيرُ ملك ذوي الأنملِ الناعماتِ) . . . . . وقد يرسمون بجمرِ النَزيفِ ، احمرارَ الرغيفِ ، على شكلِ خارطةٍ (للخرائطِ شكلُ الفجيعةِ والدمِ) تمتدُ (من مخفرٍ في الشمالِ

إلى مخفرٍ في الجنوب)

قيلَ هذا العراقُ الكبيرُ

وقيل . .

وقدْ يتجرأُ أحدُهم فيخطُّ على سورِ مبنى الحكومةِ :

عاشَ الـ . . . . . .

فينهرهُ الحارسُ المتلفّعُ بالمعطفِ الأجنبيِّ

- كمْ قبضوا آخرَ الشهرِ؟

- . . . . . .

(وخلفَ المنازلِ . . . . .

خلف المناجلِ

خلفَ سياجِ حدائقهم ومدامعنا

يركضُ العشبُ ، نركضُ ، نركضُ : يا مطرَ الله ، يا دفترًا ضيّعتهُ

طفولاتنا في الأزقةِ :

يا مطرًا . . يا شاشا[1]

هدّمْ قصورَ الباشا

يطلُّ بشاربهِ الكثُّ ، ينهرُ أحلامَنا

فنفرُّ لشباكِ زوجتهِ :

يا مطرًا . . يا شاشا

قللْ فلوسَ الباشا

يلوّحُ خادمُها بالعصا

فنهيمُ بشباكِ ابنتهِ البِكْرِ ،

إصبعها سكرٌ بالحليبِ المطعّمِ :

يا مطرًا . . يا شاشا

زوّجْ بنات الباشا

فترمي لنا عانةً ، كاستدارةِ عانتها

آهِ . . يا مطرًا نشتهيهِ ولا نرتجيه

(سيغسلُ أشجارهم والشوارعَ لامعةً ، ثم يغمرنا بالوحولِ) تغوصُ بنا ركبُ الطينِ بالبنسلينِ ، المدى أحمرٌ والشتاءاتُ حمراء .

كفي ضجيعي

---

(١) إشارة إلى ترديدة شعبية مشهورة للصبيان .

وللوغدِ خودٌ وعودٌ
يسيلُ على ردنهِ ، البولُ أحمر (مالك أغرقتنا يا فراتُ
بغيضكَ تجرفُ أحلامنا والقرى
واستكنتَ ببابِ القصورِ ذليلاً
تلملمُ أذيالَ طينكَ) هذي الوحول التي تتجمّعُ في قلبِ حارتنا وطنًا
للبعوضِ وللدركِ
نحملهُ في العرائضِ ،
ياما وقفنا ببابِ المديرِ بأسمالنا والعرائضِ . .
ياما اشتكينا لكلِّ الجرائد ظلمَ الحكومةِ والبقِّ . .
ياما . . . . فيمسحُ عبودُ في ردنهِ ساخرًا : الجرائدُ مشغولةٌ
بنجومِ المحافلْ
والنساءِ الخمائلْ
. . . وما تتطلبهُ المرحلةْ

آهِ . . . . حاراتنا الموحلةْ
آهِ . . . . . أوجاعنا القاتلةْ
- كمْ قبضوا آخرَ الشهرِ؟
- في آخرِ الشهرِ نحلمُ في سكرةٍ وكتابْ
نلوذُ بصبرِ الدكاكين (عبودُ قالَ : الليالي لهم والنهارُ لنا . .) سوف
يأتي لنا ببريدِ الأماني العذابْ
مرَّ المقاولُ - هذا الصباحَ - وقلّبَ عينيهِ ، في عجلٍ ، في الوجوهِ التي
اندلقتْ من بثورِ الحلاقةِ للطرقاتِ . . اشْرَأبَّتْ لهُ كلُّ أعناقنا - والمجاعاتُ ،

لكنّهُ اختارَ أضخمنا هيكلاً . .

وعدتُ إلى البيتِ كالعائدين نلوكُ السبابْ

يا سيدي ، ما الذي سأقولُ لدمعتها ، لصريرِ رحاها بدون طحين

للحمامِ على حضنها ينقرُ الحَبَّ

من مرجِ موّالها

وينامْ

يمرُّ نهارُ البطالةِ منسربًا بين كفيّ . . . .

لا شيءَ غير المرارات ،

غير غبارِ المدينة ،

غير الوجوهِ التي تتسرّبُ ضاحكةً في مرايا السرابْ

(عبودُ قال : الليالي لهم . . .

والنهار لهم) . . .

ثم غابْ

مَنْ يكحتُ الأرضَ

من سبخِ الظلم ، غيركَ ، يا صاحبي في الزمانِ ، ويا صاحبَ الزنجِ ،

يا أيها القرمطيُّ الذي لمْ يجدْ وطنًا في البلادِ

سوى الملح والجرح

يا أيها الأشعثُ[1] المتطاولُ حدَّ ملامسة السيفِ بالعنقِ والعنقِ

---

(١) ثار ضد الحجاج فأهمل الأخير الأراضي نكايةً بالعراقيين الثائرين عليه فانبثقت في زمانه بثوق أغرقت الأراضي لكن الحجاج لم يفِ بسدها لأنه كان ==

بالعرشِ
ما حدّكم للشراءِ[1] إذا بلغَ الجورُ حدَّ الـ . . . . .
ويا أيها الحردُ[2] لا تأمنن زمانًا يُباعُ به رجلٌ كالغفاري
بسطلِ شعيرٍ
ولا تركنن لعرشٍ يمدُّ إلى النعشِ
خطَّ التهافت
بين القضيةِ والقبضِ

هل كنتُ أخسرُ أكثرَ مما خسرتُ ،
أمدُّ يدي للسماءِ
فألمس سقفًا وطينًا : سأصعدُ . .
[يهمسُ عبود :
لا بدَّ
من
دَرَج . . . ] لأصلي
وأبكّي على كتفهِ

---

== أتهمهم بمالأة ابن الأشعث حين خرج عليه - فتوح البلدان - وقال المسعودي : «مات الحجاج وفي حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفًا مجردة عارية من الثياب» .

(١) في إشارة إلى معتقد الخوارج القائل بأنه يجب الخروج إذا بلغ عدد المنكرين على أئمة الجور أربعين رجلاً ، ويسمى هذا حد الشراء .

(٢) هو سليمان بن حرد الذي قاد ثورة التوابين بعد مقتل الحسين بن علي .

أيهـا المتـوحـدُ في نورهِ ، . . . . لأرى مـا ترى [ ثم يزعقُ : دعني أنام قليلاً . . . لقدْ أقبلَ الحرسُ الآنَ يستجوبون رفيقي الذي ابتلَّ بنطالهُ ليقرَّ عليَّ ، وعما قليل سيأتونني . . ]

مـا الذي سـأقـولُ لهم كلمـا رنَّ سـوطٌ على جلدِ قلبي ، رقصتُ من الألمِ المرِّ أصرخُ : يا وطني
والمحقّقُ يشتمني غاضبًا : أيها الكلبُ قلْ أيَّ شيءٍ سواه . . .
- . . . . . .

[في أولِ الفجرِ
دسَّ له حارسُ السجنِ كيسًا صغيرًا ،
فخبّأهُ بين أحضانهِ
صامتًا لا يريمُ
- أهذا إذن كلُّ ما ظلَّ من صاحبي؟

آخر الليلِ
أبصـرتُهُ حـذرًا يفـتحُ الكيسَ ، مُنْزويًا بين دمـعـتـهِ والشـمـوعِ المُذابةِ للنصفِ ، يقرأُ في المحوِ . . يقرأُ ، حتى تماهى مع الكلماتِ وشفَّ فما عدتُ أبصرهُ ] فبكيتُ . . . .
رأيتُ رؤوسَ الكلامِ يموتون
في سجنِ غردار

حتى استفاق من الحلم الملكُ الغرنويُّ[1] ،
فقام إلى شرفةِ القصرِ مُنْزعجًا
فرأى الأفقَ أسودَ مثلَ غرابٍ
فصاحَ بعسكرِه :
ويلكمْ اثقبوا الليلَ .
هذا الظلامُ يكلكلُ أعجازَهُ
فوق صدري
ويخنقني ،
أيكم يحملِ الشمسَ يحصلْ على خلعةٍ وفتاةٍ ،
فهاجتْ رماحُ الجنودِ وماجتْ ،
فقامَ إليه حكيمٌ من الهندِ : يا سيدي ، لن يصيبَ جنودُكَ جنحَ الظلامِ وإن ملأوا البحرَ والرملَ ،
لكنني أستميحكَ عذرَ الكلامِ ، جهلتَ مقامَ الضريرِ[2]

---

(١) السلطان محمود بن سكتكين الغرنوي : استولى على خراسان وسجستان والري ، نفى المعتزلة ، وأحرق كتبهم - شذرات الذهب ج ٣ - . وذكر البيهقي أنه كان في الري في عهد الصاحب مكتبة عظيمة دخلها فوجد فهرست كتبها وحده يقع في عشر مجلدات . وقالوا إن السلطان أخرج كل ما فيها من كتب الكلام وأحرقها - معجم البلدان ج ٦ - .

(٢) إشارة إلى قول الجامي : «ولقد انقضت عظمة محمود وولت ولم يبق في هذا الزمان سوى قصة جهله بقدر الفردوسي» ، فقد أخطأ في حقه فاضطر للرحيل من غرنة ، ويقال إن الغرنوي شعر بذلك فأمر بأن تعاد له الهدية التي كان وعد بها لكتابة الشاهنامة وترسل إلى حيث يقيم ، وما إن وصل الركب إلى طوس حتى وجدوه محمولاً على الأعناق في طريقه إلى القبر .

بأرضِكَ ،
فالحقْ به الركبَ ممتلئًا بالهدايا ،
عساكَ ستدركهُ قبل أن يحملوهُ إلى قبرهِ . . .

أفقتُ على ركلةٍ : ما الذي كنتَ تهذي به
لا شيءَ يا سيدي . . .
كان أضغاثَ حلمٍ ومرَّ . . . . .

ما الذي خلفَ هذا الجدارِ الحديديِّ : هذي الحياةُ التي علمتنا التشبّثَ في طرفِ الغصنِ يهتزُّ بالعندليبِ المغرّدِ بين الرصاصةِ والبرعمِ المتفتّحِ .

نهتزُّ بين المشيمةِ والقبرِ ،
غصنًا طريًا من الصبواتِ ،

ونعجبُ من صرخةٍ تتناهى لطفلٍ سيولدُ بين خرائبنا ، ليس من سببٍ للزهور لتزهرَ إلاّ لتزهرَ[1]

(١) إشارة إلى بيت للشاعر انجيلوس سيلسيوس الذي عاش في القرن السابع عشر : «ليس للوردة سبب ، فهي تزهر لأنها تزهر» .

هل نستريحُ إذنْ تحت ظلكَ يا ياكسجي ، لتلبي اكستابُ[1] لنا ما فقدناهُ من ثمرِ الأمنياتِ تساقطهُ الريحُ قبل النضوجِ .

الغناءُ لهاثُ الوجودِ[2] .

أقلّبُ أوراقَ توث[3] لأبصرَ شمسًا

تلوحُ على غرةِ الكونِ يحملها تسوهانوي[4] على ظهرهِ ،

ليعلّقها في المساءِ على بابنا .

ما الذي كان يحدثُ لو لصها عابرٌ .

لو توازنَ نصفا آشورا[5] .

---

(١) إشارة إلى إلهة المايا للانتحار اكستاب ، إذ يعتقد أن المحاربين وضحايا القرابين الإنسانية والنساء اللواتي يتوفين أثناء الولادة يذهبون رأسًا إلى الجنة ، وتاتي اكستاب وتجمع أرواحهم ويستريح الجميع من عناء التعب قرب الشجرة الكونية ياكسجي ، ولا يحتاجون إلى شيء إذ تُلبى كل رغباتهم .

(٢) إحالة إلى ريلكة : «أيها الشاب ليس في ثورة الحب الأول يصّاعد الصوت المشحون بالعاطفة إلى الفم المغلق/ تعلم أن تنسى أنك غنيت ، لقد كان غناؤك دونما جدوى/ إن الغناء الحقيقي يتطلب نوعًا من اللهاث» .

(٣) هو كاتب الآلهة المصرية عزي إليه كتابة القانون والعلوم والاختراع والكتابة الهيروغليفية .

(٤) إله الشمس عند قبائل النافاهو ويصورونه على شكل رجل يحمل الشمس على ظهره ، وتروي قصصهم بأنه يعلق الشمس في داره الواقعة غربًا في المساء .

(٥) تمثل في الرغ فيدا الروح العظمى ثم أصبحت تعني الشيطان والأشورا يكمل أحدهما الآخر ، وهما في حروب مستمرة ولا يمكن لأحداهما الانتصار إذ إن انتصار أحداهما يجعل الآخر مملاً ومكررًا لنفسه ؛ لأن الحياة مبنية على المتناقضات .

الحياةُ بتكرارها تفسدُ الطعمَ .

نابي[1] مضى بشموعي إلى النهرِ تطفو على خشب يتآكلُ كالعمرِ ، يسحبهُ وحشٌ وشبوش[2] حتى الضفاف ليبلغَ كويوت[3] ثم يموتُ وحيدًا على الجرفِ .

أحمل سكينتي وأقسّمُ هذي الشفاهَ
شعوبًا كما أشتهي

---

(١) إشارة إلى الإله الخالص نابي لدى قبائل الأرجل السوداء من الهنود الحمر ، تروي أسطورتهم أنه بعد أن خلق الناس من الطين وقدم نفسه لهم على ضفاف النهر سألته إحدى النساء : ماذا سيكون مصيرنا هل سيكون لنا نهاية؟ أجابهم : لم أفكر بذلك ، سأرمي بقطعة خشب في النهر فإن طافت سيموت الناس ويعودون للحياة بعد أربعة أيام أما إذا غاصت فلن تكون نهاية للموت . وطافت الخشبة في الماء .

(٢) هو وحش القندس عند قبائل نيزبيرسي قرب واشنطن ، كان عندما يقترب منه قارب أحد الصيادين يسحبه بمخالبه إلى الأعماق ، رماه كويوت «الذئب المخادع» بالرمح فحاول الهرب لكن كويوت سحبه وأدى صراعهما إلى توسيع حوض الأنهار وشق التلال ، ووصل وشبوش إلى المحيط الهادي وبدأ يأكل الحيتان لاسترجاع قوته ، فتحول كويوت نفسه إلى قطعة حادة طافت في البحر فابتلعها وشبوش دون أن يدرك ، وأعاد كويوت نفسه إلى حيوان وقطع قلب القندس ومن الجثة الكبيرة خلق الهنود الحمر ونسي إعطاءهم عيونًا وأفواهًا فاستخدم سكينًا صدئة مما جعل بعض الشفاه غليظة ومتدلية .

(٣) يمثل قوى الدمار والخديعة لدى قبائل المايدو ، وهم شعب كالفورني قديم ترك له الخالق ونومي مكانه بعد أن قام الناس باتباعه .

لترتّلني في مباخرِ معبد ايرزولي[١] ،

فأمدُّ يدي للغيومِ القصيرةِ كالعمرِ أجمعها وأفرّق شَعْراتي الخمسَ[٢] بين نسائي ، يَشكينَ من قِصَرِ الحبِّ . ماذا سأفعلُ في ساحِ بوتلاج[٣] ، لا ريشة لي أو بلاد سوى أن أرى تحت دخانِ مرآةِ بوكا[٤] طوالعَ حظي وأمنحُ قلبي للشمسِ كي تتألقَ جالجي[٥] على ضفةِ النهرِ ، تخضرُّ .

---

(١) إلهة عند النوردو تراجيدية المزاج تعيش ببذخ وتسرف في حبها وهداياها وتلبس ثلاثة خواتم زواج في يدها ، إذ إن أزواجها هم : دمبالاها وآغوي إله البحر وآغوون المحارب ، وهي ترفع ركبتها وتغلق يدها وتنحدر الدموع من مآقيها حزنًا على قصر الحياة وحدود الحب .

(٢) إشارة إلى إحدى أساطير قبائل السليش من الهنود الحمر في أمريكا الشمالية التي تروي أن أموتكين الإله الخالق صنع خمس نساء من خمس شعرات من رأسه ، وعندما سألهن ماذا يردن سمع خمسة أجوبة مختلفة ، إذ أرادت الأولى أن تصبح أم الشر والثانية أم الخير والثالثة أم الأرض والرابعة أم النار والخامسة أم الماء وقد حقق لهن رغباتهن .

(٣) إشارة إلى احتفالات البوتلاج لدى قبائل هايدا ونوتكاوكو اتكول في الساحل الشمالي من المحيط الهادي لتبادل الريش الذي يعتبرونه مقدسًا .

(٤) تيزكاتل بوكا : ومعناها المرآة المدخنة كانت تصنع من حجر الاوبسيديان الأسود اللون ، استخدمها سحرة الازتك لقراءة المستقبل ، وتوجد تفصيلات في طقوسهم عن قيام شاب يتقمص شخصية الإله تيزكاتل بوكا لمدة عام وبعدها يقتلونه في الربيع ويمنحون قلبه للشمس .

(٥)جالجي هويتلكو : سيدة الخضرة الثمينة وهي إلهة الماء لدى شعب الأزتك ، وترسم على شكل شابة جميلة وعلى شكل نهر تنمو على ضفافه شجرة العرموط الممتلئة بالثمار وتمثل العرموطة قلب الإنسان .

أرفعُ كفي لكاسو[1]

فترتدُّ فارغتين من الخبزِ (كنتُ أعضُّ قيودي من الجوعِ

والضابطُ المستريحُ على دكّةِ السجنِ

يطعمُ قطتَهُ ، وهو يرمقني ساخرًا

فـأمـوءُ . .) على زندها البضِ أنقش تأريخَ جـوعي ،

فتصرخُ : مجنون . .

- سيدتي ، المجاعاتُ نصفُ جنونٍ ونصفُ هواكِ .

أشيخُ إذا هجرتني وأولدُ ثانيةً كلما حملتني إلى العشب نديان ، تنمو على شفتيها زهورُ اللذاذاتِ مما تقولُ البناتُ تريهنَّ عضتَهُ في فخذيها ،

فيشـهـقن في شـبقٍ . قلتُ : فـيـستـا[2] اخرجي من دوائرِ شعلتنا ،

فالعذارى احترقن بنارِ الفوروم وناري ،

ولا توقظي حلمنا بالصراخِ

إذا قرصتكِ أصابعُ شهواتنا .

---

(١) كاسو غوناغا : كما تقول قبائل جاكو من عشيرة البامبا هي المطر من صنع روح امرأة معلقة في السماء .

(٢) إلهة الموقد عند الرومان تعبد في كل بيت وتعيش في الشعلة الأبدية داخل معبد دائري في الفوروم ، وترعاها ست عذارى يسمين عذارى فيستا لا يجوز خرق قسمهن بالعذرية وإلاّ فيعاقبن بالحرق وهن على قيد الحياة .

قلتُ : أجناد كورتيس[1] ينحدرون

على سورِ تينو جتتلان

فالتبر يثقلُ من كاهلِ المرءِ

وقتَ الهزيمةِ

قلتُ : مرَّ بي الزيرُ[2] يحملُ قتلاهُ تغريبةً للهلالي لمْ يحملِ الأرضَ إلاّ مسافةَ غربتنا عن زمانِ التجمّلِ في الصلحِ بين القتيلِ وقاتلهِ .

قلتُ هذي الحروف تكبّلني بسلاسلَ من أحرفِ الجرِّ ، والجالسون على وبرٍ من كروشهمو ينثرون التثاؤبَ بين القصيدةِ والمني جوب .

أحزّمُ حنجرتي بالديناميت .

أصرخ فلتحذروا لغتي منذ عصرِ الكهوفِ وصدري تعششُ فيهِ الفواجعُ . .

---

(١) الفاتح الإسباني الذي غزا المكسيك في ١٥١٩-١٥٢١ وقضى على امبراطورية الأزتيك ، وهم قبائل من الهنود الحمر كانت لهم حضارة غنية ونظم سياسية متقدمة وتراث ثقافي وفني . وضع بيرنال دياث ديل كتابه «فتح أسبانيا الجديدة» وهو جندي ذو حافظة مذهلة من قوات كورتيس التي عبرت خيولها البحر إلى أمريكا . وهناك إشارة إلى سقوط جنود كورتيس من ثقل غنائمهم من مدينة تينو جتتلان ، وكانت الأساطير تروى عن شعب غامض ، مدنه وشوارعه مغطاة بالذهب الخالص ، وعن ملك راهب يسمى ايلدورادو كان يطلي جسمه بتراب الذهب ، وقد شجعت هذه الأساطير الغزاة الأسبان على الوصول إلى أمريكا .

(٢) إشارة إلى الزير سالم وتغريبة بني هلال .

أكفرُ بالثائرين يبيعون أنقاضَ ثوراتهم بالمزاداتِ
أكفرُ بالمتشاعرِ ، بوق المديح ، بسوقِ المزاداتِ
أكفر بالعاشقين يكيلون أشواقَهم بالملاعقِ أو بالمزاداتِ
أكفر بالعمرِ تحملنا ريحُهُ للمزابلِ أو للمعاقلِ أو للمزاداتِ
أكفرُ بالنادبين أمامَ طلولِ التواريخِ
يبكون عصرَ المزاداتِ

أكفر ،
أكفرُ ، أكفرُ ، أكفرُ ،
أكفرُ ، أكفرُ ، أكفرُ ، أكفرُ ، أكفرُ ، أكفرُ ،
أكفرُ ، أكفرُ . . . . . . . . .
. . . . . . . . . . . . . . .
هذي اللحى المتدلاةُ لا تسترُ العريَ ،
هذي القصائدُ لا تسكتُ الجوعَ ،
هذي السحائبُ لا تمسحُ الهمَّ ،
هذي الكؤوسُ الموشّاةُ بالنصرِ لا تغسلُ الدمَ . .
هذي الـ . . . . . . . . . . . .

ااااااااااااااااااااا**ستوقفني** أحدهم في بابِ الحفلِ الشعريِّ ، غليظ الطبع ، تفحصني من أطرافِ حذائي حتى أسناني (قدّمتُ لهُ نفسي ، قلّبني ببرودٍ ورمى سنارةَ عينيهِ لعابرةٍ نافرةِ النهدين انسكبتْ

كالغيمةِ خلفَ زجاجِ المقهى بالبنطالِ الضيقِ . همّ بأن ينهضَ لكنَّ السنارةَ عادتْ خائبةً ورأينا الأنثى تلبطُ في شَبكِ الماليبو ، تتباعدُ ضحكتها الملصوقةُ بالعلكِ وراءَ سرابِ الدخانِ المتبدّدِ) لكنَّ فتاةً هبطتْ من سيارتها بالفروِ الأبيض منسكبًا كالثلجِ على عري ذراعيها . هتفتْ حين رأتني بحماسٍ غنج : بالأمسِ استوقفني حزنُ قصيدتكَ المنشورةِ كانتْ . . . . . .

وانتشلتني - من بين عيونِ البوّابِ ، المسؤولِ الذاهلِ - للحفلِ الصاخبِ . . كانتْ تتحدثُ وهي تراقصني وأنا كنتُ أراقصُ إيقاعَ أساي على مسرحِ نهديها المفتوحِ الأستارِ . . .

- أتشربُ شيئًا؟

مَنْ لا يشربُ من وحلِ العصرِ الآسنِ هذا لن يستقبلَهُ العصرُ الآتي إلاّ بالبيضِ الفاسدِ والنسيانِ ، تلفّتُ فلمْ أبصرْ غيرَ ضفادع تقرأُ أشعارًا للمستقبلِ لا يفهمها أحدٌ . والشعراءُ النظّامون؟ رأيتهمو يجترونَ العلفَ الرسميَّ . . صرختُ بهم من وحلِ خنادقنا :

يا شعراءَ ويا نقّادَ الصالاتِ الفخمةِ

يا مَنْ ستجيئون غدًا

هذا هو عصري

ملتفًا كالأنشوطةِ في عنقي

فلتغفرْ لي أحلامكمُ البضّةُ أظفاري المنشوبةَ في لحمِ الكلماتِ ، لتغفرْ لي الطرقاتُ الترفةُ حين أمرُّ بقلبي الحافي ، رجلاً من كتب ورضوض ، ووداعًا سيدتي ، هذا العالمُ لائحةٌ من خانات متقاطعة ، مازلتُ أحاولُ أنْ أملأها بالكلماتِ فأخفقُ . لا أحدٌ يشبهُ في المبنى والمعنى أحدًا . . . - اعربْ : هل ماتَ المتنبي مقتولاً بالكلْمةِ أم بالسيفِ؟

- بنادي الأدباءِ غدًا سيموتُ المتنبي من فرطِ الشربِ أو الكذبِ . فأوقفني أستاذُ النحو أمام السبورةِ : احذرْ أن تشبهَ بالإعرابِ غرابًا ضيّعَ مشيتهُ أو تطلب نابًا من ذئبٍ يفتضُّ فريستَهُ . .

ووداعًا سيدتي أسقطُ بالإعرابِ وتصعدُ بالأنخابِ إلى غرفتها بالفروِ الناعمِ تفتحُ ديواني بالإهداءِ المتردّدِ ، تأخذُ دوشًا وتدندنُ . . أحملُ بطانياتي بين الثكناتِ ،

غريبًا ، تعبًا ، وأدندنُ .

لكني لمْ أبصرْها في اليومِ التالي . .

بعد سنينٍ أبصرتُ البوابَ ، على بابِ المستوصفِ محنيًا هرمًا . - طردوني كالكلبِ بلا سبب . . لا أحدٌ يتوعّظُ من أحدٍ . . (سيظلُّ على نافذةِ الصالاتِ الموصودةِ أنفي مضغوطًا أرقبُ رقصكِ) لا تقربْ من نصلٍ حادٍ أو امرأةٍ فاتنة . فالنصلُ سيجرحُ كفكَ ، لكنَّ الحبَّ سيجرحُ كلَّ حياتكَ[1] . . [ أصعدُ سلّمَ بيتي . .

يصعدُ خلفي حشدُ مساءاتٍ فائضةٍ

تصعدُ خلفي امرأةٌ

منذ مساءِ الحفلِ أفكّرُ في شفتيها

فيحومُ على ذهني النحلُ طنينًا

---

(١) إحالة إلى الشاعر الصيني القديم مينج جياو : «ابتعدْ عن السيوف الحادة / لا تقربِ المرأة العاشقة/ فالسيف الحاد سيجرح يدك حتمًا/ والمرأة الجميلة ستجرح حياتك أيضًا/ خطورة الطريق ليست في مسافتها/ فعشر ياردات كافية لكسر العجلة» .

يصعدُ خلفي رجلٌ ممسوحٌ
يخفي نصفَ ملامحهِ
خلفَ جريدته
أصعدُ مرتجفًا أتلمسُ زرَّ المصباحِ الشاحبِ
أخرجُ من جيبِ المعطفِ مفتاحًا صدئًا
وأديرُ المقبضَ
أصغي لسعالٍ مكتومٍ يشبهني وحفيف خطى امرأةٍ تفتحُ لي البابَ ، أرى صدري بالشَعرِ الكثِّ الأشيبِ يخفقُ تحت أناملها العاجية . . . . – مَنْ أنتِ؟ – أنا حلمُكَ في تلكَ الليلةِ ، هل تذكرني؟ مازلتُ أهدهدُ صدرَكَ كي تستيقظَ . . . . . .
أهبطُ سلمَ بيتي
يهبطُ خلفي حشدُ نهاراتٍ بائتةٍ . النهرُ على دراجتِهِ يسألني عن أقربِ دكان لشراءِ القيمرِ
منذ متى لمْ أبصرْ كنّاسًا في شارعنا؟
أهبطُ يهبطُ سربُ ذبابٍ ليغطي كومةَ أزبالٍ نثرتها قططُ الأفكار الليليةِ . .
أهبطُ ترمقني عينا الجارةِ من شقٍّ عباءتها بمواءٍ فضيٍّ ، أنظر للساعةِ لمْ يأتِ الباصُ ولا بائعةُ الكشكِ . تتابعني عينا الرجلِ الممسوحِ وراءَ ثقوبِ جريدته
أهبطُ في ميناءِ الساعةِ منشغلاً برتابةِ دقتها ، أدفعُ عقربها الأسودَ يحردُ ، أبدلهُ بذراعي وأظلُّ أدورُ أدورُ أدورُ :
أرى سيدةً تسرعُ حين تراني متبرمةً من ضيقِ الوقتِ والحاحِ ابنتها ،

رجلاً يتوقفُ إذ يسمعُ دقات المذياعِ ، يعدّلني بعضَ الشيءِ إلى رقمٍ في حوزتهِ ويهمهمُ . . . . . .

- كمْ ساعتك الآن؟

يراني من خلفِ زجاجتهِ ويشير إلى منتصفِ الليلِ ، فيكرعُ آخرَ كأسٍ ويغادرُ منتقمًا مني . .

ما ذنبي؟

الفتياتُ يؤخرنَ الخطوَ - الميلَ ، قليلاً قبلَ الموعدِ

ما ذنبي حتى يركلني العاشقُ في منتصفِ الشارع . . . . .

ما زلتُ أدورُ

أدورُ ،

فيركنني الساعاتيُّ إلى الرفِّ ، أرى حولي جثثًا ، حشرجةً ، تتصاعدُ من صدرِ فتاةٍ يخنقها الماءُ ، عجوزًا مبتورَ الساقِ تأبّطَ عكازًا يسألني بتواتر رقاصٍ

- ما الوقتُ الآنَ؟ ضجرتُ مكوثي

هذي المرأةُ تدنو بعقاربها منكَ

أما زالَ الناسُ على عجلٍ

منذ متى فارقت يديها؟ . . . . .

حين أفقتُ رأيتُ الجرسَ الأحمقَ يضربُ رأسي والساعةَ جاوزتِ الـ . . . . . أهبطُ في عجلٍ . . (هل تقضمُ بالنوم إجازتك الدورية) ، أهبطُ . . . أهبطُ ، تأخذني فيروزُ إلى المرآةِ لأحلق ذقني . . . أهبطُ والمطرَ الناعمَ حيث الفتياتُ يقينَ الشَعرَ المصفوفَ بجلدِ حقائبهن ويهبطنَ سراعًا يتحاشينَ الغزلَ الفجَّ من السياراتِ الفارهةِ . الأشجارُ تدثّرني بمعاطفها

الخضراءَ ، أرى الباصَ يخضُّ الركابَ المنحشرين إلى الخلفِ ، فتلتصقُ الأجسادُ قليلاً ، يعطلُ ، يخرجُ حشدُ الناسِ إلى الساعاتِ التكسياتِ الأعذارِ الغزلِ الماطرِ

أهبطُ نحو العذرِ المألوفِ لفاتنتي ، فأرى موعدها يتأرجحُ كالرقاصِ الأبلهِ بين الباصِ العاطلِ والأهلِ ، فأضحكُ من كذبِ الفتياتِ الأبيضِ في الحبِ . فلا موعدَ للمرأةِ والموسيقى[1] .

لا بأسَ سأهبطُ . . . . . .

. . . . . من كذبِ الفتياتِ ، إلى كذبِ الحكّامِ الأسودِ ، منشغلاً بتصفحِ ما في صحفِ اليومِ ، لأهبطَ منسلاً لرفوفِ المكتبةِ القوميةِ بالأطمارِ ،

إلى كذبِ التأريخِ ،
أجرجرهُ من لحيتهِ للحانِ ،
وأسألهُ ، بعدَ الكأسِ الأولِ :
مَنْ ساوى رأسَ الحجاجِ
برأسِ الحلاجِ
على طبقٍ
ثم أقولُ له ثملاً ، بعد الكأسِ الثاني :
- أمجادُكَ محضُ ضراطٍ تأريخيٍّ
في إستِ العالمِ

---

(١) اقتباس من غولدوين : «النساء والموسيقى لا موعد لهما» .

لكني بعد الكأسِ العاشرِ ، أطفو منكسرَ العينين
على رغوةِ خيباتِ التأريخ
بكأسي

فأرى :
أعناقًا ، كالبصلِ اليانع
في أسواقِ الكوفةِ
تنتظرُ القطفَ ،
وأخرى أتعبها الرقصُ
وأخرى شظّاها القصفُ
وأخرى تنتظرُ الطَرَقاتِ الليليةَ ، فوق البابِ ] أتعرفُ معنى الطَرَقاتِ الليليةِ فوق البابِ؟ . . .
أتعرف ماذا تصنعُ إذَ يختلجُ القلبُ
أمام توقفِ إحدى السياراتِ السوداءِ أمامكَ؟ . .
إذْ تسمعُ وقعَ خطى جزماتٍ سودٍ ترقى السلّمَ . . .
إذْ تتوقفُ في بابكَ . .
إذْ تتوالى القبضاتُ ككابوسٍ مرٍّ . . .
إذ يصفعكَ الصوتُ قويًا من أدغالِ العتمةِ : افتحْ ، . .
إذْ أهبطُ داخلَ جلدي
إذْ يهبطُ مثل نزيفٍ أسود قلبي في قدميّ
وأسقطُ . . . . . .

[في آخرةِ الحفلةِ ، ألقيتُ قصيدةَ شعرٍ عن عينيها ، فارتجَّ الحفلُ

الصاخبُ بالتصفيقِ . ارتبكتْ حين التفتَ الطلابُ لعينيها الزرقاوين ، فأسبلتِ الرمشَ المجنونَ الناعسَ في خجلٍ .

في الصيفِ انحسر الثوبُ

عن الساقِ المصلوبةِ ،

كنّا نتحاورُ عن دستوفسكي .

لمْ تلحظْ ذلك في البدءِ ،

ولكنَّ الرعشةَ في صوتي . .

وضعتْ ديواني فوق الركبةِ وابتسمتْ في شبهِ عتابٍ .

ماذا أفعلُ قولي لوقاحةِ قلبي . .

لا بأسَ ، وواصلنا الثرثرةَ الحلوةَ تحتَ ظلالِ الأشجارِ إلى جسرِ الصرّافيةِ .

دوّتْ في البعدِ قذيفةُ صاروخٍ ،

فارتجَّ الموجُ الأزرقُ في عينيها .

لا ترتجفي

ما زال الموتُ بعيدًا حتى هذه الليلة (دوّتْ في البعدِ قذيفةُ هاون

فارتجَّ الموضعُ ،

وانطفأَ الفانوسُ . .

بيومِ التأميمِ صعدتُ على كتفِ صديقي أقرأُ أولى أشعاري وسطَ هتافاتِ المحتشدينَ وموجِ الطلقاتِ . اخترقتْ صوتي إطلاقةُ رشاشٍ طائشةٌ ، فانثقبَ البيتُ العاشرُ ، واختضبتْ كفُّ صديقي بنَزيفي . .

فمضيتُ على النقّالةِ محمولاً . .

بعد سنينٍ أسمعُ بين صدى صفاراتِ الحربِ وطابورِ الشعبِ المتزاحمِ في بابِ محطةِ زيتٍ فارغةٍ ، أطفالاً يشدون بسخريةٍ : «ها يا سعدْ ، يا جدنا غازْ ونفطْ ما عندنا»

. . . . . سلامًا ، وطنَ النفطِ ،
لقد نفدَ الزيتُ بفانوسِ البيتِ . .

بعيدِ التأميمِ التاسعَ عشرَ وجدتُ صديقي ذا الكَتِفِ المائلِ من حملي ، يسخرُ مني
وأنا أتدافعُ في طابورِ التنكاتِ الممتدِ . . . . الخ . . .

(اسخرْ ، اسخرْ
ما أنتَ إذا لم تطلق
في إستِ العالم
سخريتَكَ المرّةَ . . . .

صحتُ :
سلامًا يا وطنَ النفطِ - الشهداءِ
سأصعدُ هذي المرّةَ كتفَ صديقي المائلَ
وسطَ هتافاتِ المحتشدين

وطابورِ الأحزابِ المتدافعِ ،
أصعدُ من جهةِ الكتفِ الأخرى
وأبولُ على . . . . . ]

## والجنرالُ

بعزلتِه
في المفاقسِ قافًا على البيضِ ،
منتفخَ الريشِ .
حتى إذا فقسَ الشعبُ من تحتِه ،
ورأى للرعيةِ
تخرجُ زاغبةً للشوارعِ
وهي تكأكىءُ . . .
يضحكُ منتشيًا للقطيعِ
ينقّرُ حباتِ نعمتِه ، فيَ مراعي البلادِ
ويرفعُ أعرافَهُ ،
ليسبّحَ في حمدِه . .
يرفعُ البيطريُّ خلاصةَ تقريرِه ، كلَّ شهرٍ
– لقد سمنَ الشعبُ ، يا سيدي
كلما صاحَ ديكٌ تولاهُ جندُ المطابخ

نسرٌ يطوّق هذا الفضاءَ جناحاهُ ثم يطوقني
ويطيرُ بقلبي إلى اللهِ . . .
يفتحهُ بمخالبهِ ،
فأرى :
- ويلكِ يا بصرةْ
من جيوشٍ تجيئكِ دون غبارٍ
. . . . . .

- وأنت؟
دقوا الصنوجَ لإبرهة الحبشيِّ
تظلله طائراتُ الأواكسِ
وأسألُ في التيهِ عما أضاعَ ابنُ خلدون
يندبُ في سرّهِ ، أمةً
دفنتْ رأسها بين أفخاذها
ثم راحتْ تفسّرُ قرآنها بالتلاوينِ
فاختلفتْ حولَ نقضِ الوضوءِ .
وكلٌّ لهُ آيةٌ
سيفصّلها جبةً
وأنا . . . . . .
جبتي
الله .

أنشـدُ خلفَ زجـاجِ المطاراتِ : هم ضـيّـعـوني ، وأيّ فـتـىً . . دخل الفاتحون إلى بابِ قشتالةٍ ونسوني بجيبِ المؤرّخِ أحصي دراهمَهُ ،

صكّها من جماجمنا الخلفاءُ

صرختُ بأطولهم سبحةً : ألمْ تختلفْ حول عرشِكَ هذي الرعاعُ ،

فألهيتها بالدنانيرِ . . . . .

يدفعني الحشرُ في الهذيانِ إلى الهرجِ ، شقشقةً ، أزبدتْ في فمي ثم مالتْ إلى الدرجِ ، وهو بمنظارِه الطائفيِّ يقسّمُ تأريخنا حصصًا وطوائفَ .

لا ذهبٌ في جماجمنا أيها الفاتحون

ولا تنتظرْ أحدًا يا أميرَ البلادِ المشرّدَ .

لا تنتظرْ مطرًا لؤلؤيًا بكلسِ الغيـومِ ولا حجـرًا في السـدومِ . نطيلُ الكلامَ لكي لا نقول[1] .

تطاردنا كالنبالِ المنايا

وقالوا : انتهتِ الحربُ .

لمْ ننتهِ بعدُ من نَشْرِ خيماتنا

أترجّلُ عن زمني

ثم أدخلُ بوابةَ المسلخِ العربيِّ

أرى ما أرى من ملوكٍ عرايا

تلوطُ بإستِ الشعوبِ السبايا

---

(١) اقتباس من اندريه شينيه : «إننا نطيل الكلام عندما لا يكون لدينا ما نقوله ، ونختصر عندما نملك ما نقوله» .

ولمْ يزلِ الملتحون
أمامَ مرايا الزمانِ الحليقِ
يفكّون ألغازَ سورةِ يوسف
هل قُدَّ من دُبرٍ عمرنا أيها الربُّ؟

مزقني الجبُّ لا الذئبُ
منذ رأيتُ الكواكبَ تسجدُ لي
وأنا ساجدٌ تحت سوطِ المحقّقِ :
- من أين تعرفُ يوسفَ؟
- يا سيدي ، قلتُ أضغاثَ حلمٍ . . ومرَّ

يمرُّ بنا قمرٌ عابرٌ نحو أحواضِ غمدان ، نتبعهُ فتتيه خطانا على الرملِ . من أين ندخلُ؟ مرّتْ خيولُ المغولِ على جسدي ، مرّتِ السرفاتُ السريعةُ ، مرّتْ سباياكمُ ، فاستكنتمْ وراءَ الإمامِ :
خذوا أرضنا
واتركونا نعدُّ العشاءَ لأطفالنا
ونضاجع زوجاتنا حسبَ ما تقتضيهِ الشريعةُ ، مثنى ، ثلاثًا ، رباعًا ، وما سوفَ يملكُ أيماننا[1] . .

---

(١) إشارة إلى الأية ٣ من سورة النساء . وفي كتب التاريخ تزوج الصحابي المغيرة بن شعبة سبعين امرأة ممن ملكت ايمانه ، وتزوج الوليد بن عبد الملك في خلافته التي دامت ٩ سنوات ٦٣ امرأة .

هم ملأوا القلبَ قيحًا[1]

وقالوا : لماذا غناؤكَ مرٌّ؟

وهم ضيعوني وقالوا أضلَّ الطريقَ إلى بيتهِ .

آهِ يا أبتي ، لا تشمَّ - بشقِّ القميصِ الذي حملوهُ - دمي

كلما ضيعوا وطنًا

بحثوا عنه في جبِّ أمريكا

ويقولون لي ، عربٌ وأعاربةٌ

تركوا في الصحارى

حليبَ النياقِ العتاقِ

وجاؤوا لحاناتنا يكرعون الخمورَ ، معتّقةً ،

ويبولون نفطًا على فمنا .

قلتُ : لا بأسَ

كلٌّ يبولُ

كما زقّهُ

الله .

هذا زمانُ التبوّلِ بالنفطِ . .

---

(١) إشارة إلى خطبة الإمام علي بن أبي طالب : «لقد ملأتم قلبي قيحا ، وشحنتم صدري غيظا ، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسا وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان» - نهج البلاغة - .

سبحانَ مَنْ سخّرَ الغربَ كي يصنعوا الطائراتِ لنا ، بدلاً من طيورِ
الأبابيلِ [ يسألني الطفلُ تحت قميصي المشجّرِ :
ما كان يحدثُ
لو نسيَ العنكبوتُ
- على بابِ حراءِ -
أن ينسجَ السيرةَ النبويةَ

يقفزُ - من جحرِ منبرِهِ - الشيخُ ، مرتعبًا :
اطردوهُ ،
لقد أفسدتهُ مواخيرُ أمريكا . . . . . ] آهِ ، أمريكا . .
آهِ ، شماعةَ الخطأ العربيِّ
إلى أين تذهبُ هذي الصواريخُ عابرة الأرضِ يا أيها العربُ النائمون
على الصهواتِ الموشاةِ بالرجزِ : الحربُ كرٌّ ، وفر . . .

- أما قر . .!؟
- سيدي ، بعد كلِّ السياطِ التي دبّغت جلدَهُ
ظلَّ يهذي إلى الفجرِ ،
لكنه لمْ . . . . . .

. . . . . الطوائفُ تعدو ورائي

أباضيةٌ[1] من يمامة تحملُ راياتها لعُمان مضرجةً ، وأزارقةٌ[2] ينكرون على اللهِ رجمِ الزناةِ ، ومرجئةٌ[3] يتركون ليومِ القيامةِ قائمةَ المعصياتِ ليشطبَ منها الذي شاءَ يومَ الحسابِ ، جناحيةٌ[4] سيحلّون روحَ الإلهِ بعبدِ الإلهِ على جبلٍ بأصبهان . . . . .

---

(١) من فرق الخوارج يُنسبون إلى عبد الله بن إباض .

(٢) أتباع أبو راشد نافع بن الأزرق وهم أول انشقاق في فرقة الخوارج يتبرؤون من القعدة ويكفّرون من لم يهاجر إلى معسكراتهم .

(٣) «القائلون بتأخير العمل عن الايمان ، وفصله عنه ، وبأنه لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة» . وهم يؤمنون بإرجاء الأحكام إلى يوم الحساب .

(٤) ينسبون إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيار يقولون بتناسخ الأرواح وأن روح الله حلت بإمامهم مرورًا بآدم وبنيه ، ويقولون بأبدية الدنيا وينكرون القيامة ولا يحرّمون الميتة والخمر ، ثاروا في عهد مروان بن محمد واستولوا على حلوان وهمدان والري وأصبهان .

سنةً[١] ومحكّمةً[٢] وثماميةً[٣] وخياطيةً[٤] وجبائيةً[٥] وبهشميةً[٦] وصيامية
وبيانيةً[٧] ومغيريةً[٨]

---

(١) وهم أصحاب الحديث وأهل السنة ، و«جمهور الأمة وعامة أهلها . قالوا إن أفعال العباد مخلوقة لله . والخير والشر بقضاء الله وقدره - فهم جبرية متوسطون - ويمتنعون عن الخوض في صراع الصحابة على السلطة ، ويرتبون الخلفاء الراشدين في الفضل ترتيبهم في تولي الخلافة . ويرون البيعة لمن تولى الخلافة برًا كان أو فاجرًا . وينكرون الثورة والخروج كأسلوب وسبيل لتغيير الظلم والجور . ويقولون إن الأرزاق من الله ، يرزقها عباده حلالاً كانت أو حرامًا- على عكس المعتزلة الذين يخصصون الرزق بما كان حلالاً دون ما كان حرامًا-» .

(٢) وهي الخوارج أول الفرق الإسلامية نشأت على عهد الإمام علي بن أبي طالب ٢٣-٤٠هـ . من أقوال الخوارج : الحكم لله لا للملوك . وإن الإيمان هو العمل وليس الاعتقاد فقط .

(٣) من المعتزلة أصحاب ثمامة بن أشرس ، قالوا اليهود والنصارى والزنادقة يصيرون في الآخرة ترابًا ولا يدخلون جنة ولا نارًا .

(٤) يسمون المعدوم شيئًا .

(٥) من المعتزلة ، ينسبون إلى أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي .

(٦) من المعتزلة ، ينسبون إلى أبي هشام الجبائي .

(٧) يقولون بحلول جزء إلهي في علي بن أبي طالب انتقل منه إلى بيان بن سمعان الذي ادعى النبوة . وهم مشبّهة مجسّدة . يقولون إن الله على صورة إنسان وإنه يهلك كله إلاّ وجهه . ظهروا في العراق أوائل القرن ٢هـ .

(٨) دعوا إلى إمامة النفس الزكية ، ثاروا بالكوفة ضد بني أمية ١١٩ هـ فأحرقهم القسري .

وعبيدية[1] وخطابية[2] وخلالية[3] ودكينية[4] ورشيدية[5] وزيادية[6] ويزيدية[7]
وسليمانية[8] وسميطية[9]

---

(١) هما فرقتان ، الأولى : من المرجئة ، مشبهة ، قالوا إن ما دون الشرك مغفور لا محالة ، وإن الله على خلق صورة الإنسان ، لأنه - كما قال - قد خلق آدم على صورته . والثانية : فاطمية من الشيعة الإسماعيلية ، سموا بذلك نسبة إلى أول خلفائهم : أبو عبيد الله المهدي .

(٢) ادعوا نبوة الأئمة وأنه لا بد من رسول صامت مع الرسول الناطق ، وأن محمد هو الناطق وعلي هو الصامت . قتلهم والي العباسيين في الكوفة عيسى بن موسى ١٤٣ هـ .

(٣) من الشيعة العباسية ، ينسبون إلى أبي سلمة الخلال .

(٤) من الشيعة الزيدية ، ينسبون إلى الفضل بن دكين .

(٥) من الخوارج العجاردة ، انشقوا عن الثعالبة . انفردوا بآراء في الزكاة .

(٦) من الخوارج العجاردة ، ثبتوا على قول الثعلبية ، نسبتهم إلى زياد بن عبد الرحمن .

(٧) وهما فرقتان ، الأولى : مذهبهم مزيج من الإسلام والديانات الفارسية القديمة يسكنون شمال العراق . والثانية : من الخوارج الاباضية ينسبون إلى يزيد بن أنيسة ، «يخالفون الحفصية في الإكفار والتشريك ويتولون الخوارج قبل نافع بن الأزرق ويبرئون ممن بعده» .

(٨) يقولون إن الإمامة شورى وسبيلها العقد ، ويصححون إمامة أبي بكر وعمر لأن الأمة تأولت فبايعت لهما وعدلت عن علي بن أبي طالب .

(٩) ينسبون إلى يحيى بن أبي سميط .

وسنوسيةٌ[1] وشريعيةٌ[2] وضحاكيةٌ[3]
وضراريةٌ[4] وعجاردةٌ[5] وعمريةٌ[6]
وعميريةٌ[7] وغماميةٌ[8]
وعليلاهيةٌ[9] وقضائيةٌ[10]
وناووسيةٌ[11]

---

(١) حركة صوفية مناهضة أسسها محمد بن علي السنوسي .

(٢) يعتقدون بحلول الله في خمسة : النبي وعلي والحسن والحسين وفاطمة .

(٣) ينسبون إلى الضحاك بن قيس الشاري . وهم من الخوارج ، انشقوا عن رأي الأباضية ، الذين توقفوا في إيلام أطفال المشركين في يوم الآخرة .

(٤) يقولون : «إن الفعل الإنساني شركة بين الله وبين الإنسان ، فالله خلقه والإنسان اكتسبه ، فالله فاعل لأفعال العباد في الحقيقة ، وهم فاعلون لها في الحقيقة» .

(٥) ينسبون إلى عطية بن الأسود الحنفي . انشقوا على أصحاب نجدة بن عامر .

(٦) نسبتهم إلى عمرو بن عبيد ، وهم من المعتزلة .

(٧) «من غلاة الشيعة ، وهم فرع من الخطابية ، ينسبون إلى عمير بن بيان العجلي . أقاموا لهم منعزلاً بالكناسة ، إحدى محلات الكوفة ، ولقد قتل إمامهم على يد يزيد بن عمر بن هبيرة» .

(٨) سموا بذلك لقولهم إن الله ينزل كل ربيع إلى الأرض في غمام فيطوف الدنيا .

(٩) القائلون بألوهية علي بن أبي طالب . وهم من غلاة الشيعة ، «ألهوا عليًا وكذبوا النبي وزعموا أنه أدعى الأمر لنفسه على حين أن عليًا قد وجهه ليبين أمره ويدعو إليه» .

(١٠) من المشبهة قالوا إن الله هو القضاء .

(١١) هم أتباع عجلان بن ناووس ادعوا أن الصادق لم يمت وسيظهر لإحياء الحق وإماتة البدع والأهواء ، روي عنه أنه قال : «إذا رأيتم رأسي يدهده عليكم من الجبل فلا تصدقوا بوفاتي» - - الاختيار في معرفة الرجال للكشي- .

وواقفيةٌ[١]
ويونسيةٌ[٢] ويعقوبيةٌ[٣]
ويعفوريةٌ[٤] ويارويسيةٌ[٥]
وواصليةٌ[٦] وباقريةٌ[٧] وواحديةٌ[٨]

---

(١) جماعة قالت بالتوقف عند إمامة الإمام موسى بن جعفر الكاظم ورفض إمامة الإمام الرضا ويقولون : «إن الكاظم هو المهدي الموعود وإنه حي ولم يمت وسيظهر ليملأ الأرض قسطًا وعدلاً» - كتاب الفهرست للنجاشي ، الخلاصة في الرجال للعلامة الحلي - .

(٢) هما فرقتان ، الأولى : «من المرجئة ، ينسبون إلى يونس السمري ، قالوا إن الإيمان هو اجتماع المعرفة بالله والخضوع له ، وهو ترك الاستكبار عليه والمحبة له» . والثانية : من الشيعة ، مشبهة ، ينسبون إلى يونس بن محمد بن عبد الرحمن القمي .

(٣) «من الشيعة الزيدية ، وهم يتولون أبا بكر وعمر ، وينكرون الرجعة» .

(٤) غلاة من الشيعة ، نسبتهم إلى محمد بن يعفور .

(٥) ينسبون إلى ياروس . وهم من الشيعة الأمامية تفرعوا عن الجعفرية وقالوا : إن جعفر بن محمد حي ، وهو المهدي المنتظر .

(٦) نسبتهم إلى أبي حذيفة واصل بن عطاء ، وهم من المعتزلة .

(٧) وهم من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر وابنه جعفر الصادق ، الذين توقفوا عند إمامتهما أو عند إمامة أحدهما .

(٨) «من المرجئة . فرع من الكرامية . وهم مشبهة مجسمة» .

وفطحيةٌ[١]
وأثنا عشريةٌ[٢] وأبو مسلميةٌ[٣] ومعتزلةٌ[٤] وإماميةٌ[٥] وحشيشيةٌ وهيصميةٌ[٦]
وهزيليةٌ[٧] وهاشميةٌ[٨]
ونونيةٌ[٩] ونميريةٌ[١٠]

---

(١) هم أتباع عبد الله بن جعفر الصادق المعروف بالأفطح شقيق إسماعيل ؛ وقد رووا عن الصادق تأييدًا لدعوتهم أنه قال : «الإمام في أكبر أولاد الإمام ولا يغسل الإمام إلاّ الإمام» وهذه الصفات كانت لعبد الله على حد زعمه - تلخيص الشافي للشيخ الطوسي - .

(٢) «هم جمهور الشيعة ، وقفوا بأئمتهم عند الثاني عشر ، فهو الغائب المنتظر» .

(٣) ينسبون إلى أبي مسلم الخراساني الذي يعتقدون انه لا زال حيًا .

(٤) أصحاب واصل بن عطاء ، يقولون بالأصول الخمسة : العدل ، التوحيد ، الوعد والوعيد ، المنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(٥) «هم الشيعة الذين قالوا بالنص والوصية على الأئمة من آل البيت ، وبالذات أبناء علي من فاطمة» .

(٦) من المرجئة وهم أيضًا مشبهة مجسمة ، وفرع من الكرامية .

(٧) ينسبون إلى أبي الهزيل العلاف ، وهم من المعتزلة .

(٨) من الشيعة الكيسانية ، نسبوا الإمامة لأبي هاشم ، أبن محمد بن الحنفية ، وهم يقولون : «إن لكل ظاهر باطنًا ، ولكل تنزيل تأويلاً ، ولكل مثال في هذا العالم حقيقة» .

(٩) فرع من الكرامية . وهم من المرجئة .

(١٠) من غلاة الشيعة ، وهم فرع من الشريعية يقولون بأن الله حل في زعيمهم «النميري» ، كما كان قد حل في محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة .

ونعمانيةٌ[١] ونجديةٌ[٢] ونجاريةٌ[٣]
وميمونيةٌ[٤] وموسويةٌ[٥] ومكرميةٌ[٦]
ومفوضيةٌ[٧] ومفضليةٌ[٨] ومعلوميةٌ[٩]

---

(١) ينسبون إلى محمد بن النعمان الذي يلقبه أهل السنة «شيطان الطاق» ، ويلقبّه الشيعة «مؤمن الطاق» .

(٢) ينسبون إلى نجدة بن عامر الحنفي ، وهم من الخوارج انشقوا على الأزارقة . يقولون : «إن من الدين ما لا تسع جهالته ، وهو معرفة الله ورسله وتحريم دماء المسلمين وأموالهم ، وتحريم الغصب والإقرار بما جاء من عند الله جملة . ومنه ما تسع جهالته وهو ما عدا ذلك حتى تقوم فيه الحجة» .

(٣) ينسبون إلى الحسين بن محمد النجار ، وهم من المرجئة . قالوا : «إن الإيمان هو جماع المعرفة بالله وبرسله وفرائضه المجتمع عليها ، والخضوع له بجميع ذلك والإقرار باللسان» .

(٤) «من الخوارج العجاردة . ينسبون إلى ميمون بن عمران من أهل بلخ . يقولون بالقدر على مذهب المعتزلة ، وأن الله يريد الخير دون الشر ، وأطفال الكفار في الجنة» .

(٥) «من الشيعة الإمامية . قالوا إن الإمامة بعد جعفر بن محمد هي لابنه موسى ، نصًا عليه بالاسم» .

(٦) نسبتهم إلى أبي مكرم العجلي . يكفرون تارك الصلاة لا لتركها بل لجهله بالله ، وكذلك قولهم في مرتكب الكبيرة .

(٧) قالوا إن الذي خلق الدنيا هو النبي لأن الله فوض إليه كل الأمور .

(٨) هم فرع من الخطابية . ينسبون إلى المفضل بن عمر الذي كان يعمل صيرفيًا .

(٩) فرقة من الخوارج العجاردة «يثبتون القدر للإنسان ، وأن الاستطاعة مع الفعل . ويقولون إن من لم يعلم الله بجميع أسمائه فهو جاهل به» .

ومعبدية[1] ومعاذية[2] ومزدارية[3] ومختارية[4] ومحمدية[5] ومجهولية[6]

ومتبرئة[7] ومبيّضة[8]

ومباركية[9]

وماتريدية[10] ومالكية[11] وكيسانية[12] وكيالية[13] وكلابية[14]

---

(١) ينسبون إلى «معبد» . لهم آراء منفردة في الزكاة ، وهم من الخوارج العجاردة .

(٢) هم من المرجئة ، ينسبون إلى أبي معاذ التومني . قالوا إن الإيمان ما عصم عن الكفر ، فهو اسم لمجموع الخصال التي إذا تركها المرؤ كان كافرًا .

(٣) من المعتزلة نسبتهم إلى أبي موسى عيسى بن صبيح المزدار .

(٤) ينسبون إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي . وهم من الشيعة الكيسانية .

(٥) يقولون بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن المكنى بـ«النفس الزكية» .

(٦) «يثبتون القدر للإنسان ويقولون إن من علم بعض أسماء الله لم يجهله» .

(٧) «من الشيعة الزيدية ، يتبرأون من أبي بكر وعمر ولا ينكرون الرجعة» .

(٨) تسموا بذلك لتبييضهم ثيابهم مخالفة للعباسيين . وهم من المشبهة ، وقائدهم المقنع هاشم بن الحكم المروزي .

(٩) «من الشيعة الإسماعيلية ، ينسبون إلى المبارك ويقولون إن إسماعيل بن جعفر الصادق مات في حياة أبيه فصارت الإمامة لابنه محمد» .

(١٠) نسبتهم إلى أبي منصور الماتريدي ت : ٣٣٣هـ - ٩٤٤ م ، ومذهبهم الفقهي : الحنفية .

(١١) ينسبون إلى مالك بن أنس ، إمام المدينة ، وهم من أصحاب الحديث .

(١٢) وهم من الشيعة «ينسبون إلى كيسان ، مولى علي بن أبي طالب . والإمامة عندهم في محمد بن الحنفية . وهم عدة فروع تصل إلى إحدى عشرة فرقة» .

(١٣) «من الشيعة الإمامية ، ينسبون إلى أحمد بن الكيال . قالوا بإمام مستور بعد جعفر الصادق» .

(١٤) ينسبون إلى محمد بن كُلاب ، وهم من المشبهة .

وكربيةٌ[١]

وكراميةٌ[٢]

وكاملية[٣]

وقرامطةٌ[٤] وقدريةٌ وفضليةٌ[٥] وفديكيةٌ[٦] وغيلانيةٌ[٧] وغسانيةٌ[٨]

---

(٦) ينسبون إلى أبي كرب الضرير ، وهم من الشيعة الكيسانية . «يقولون بحياة محمد بن الحنفية في جبل رضوى وهو المهدي المنتظر» .

(٢) ينسبون إلى محمد بن كرم السجستاني . قالوا : «إن الايمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب ، ولذلك فالمنافقون عندهم مؤمنون على الحقيقة . والكفر عندهم هو الجحود والإنكار باللسان . وهم مشبهة مجسمة . وقد انقسموا فرقًا بلغت الاثني عشر ، أهمها العابدية ، والنونية ، والزرينية ، والإسحاقية ، والواحدية ، والهيصيمية» .

(٣) يكفّرون الصحابة لعدولهم عن علي بن أبي طالب ويطعنون في علي لأنه ترك طلب حقه .

(٤) من أبرز تيارات الشيعة الإسماعيلية . قالوا : «إن محمد بن إسماعيل هو الإمام بعد جعفر بن محمد وأنه حي ، وهو المهدي» .

(٥) من الخوارج ، نسبتهم إلى الفضل بن عبد الله .

(٦) فرقة من الخوارج انشقوا على النجدات . ينسبون إلى أبي فديك .

(٧) ينسبون إلى غيلان بن خرشة الضبي ، قالوا : إن الإيمان هو المعرفة الثانية بالله التي تأتي بالنظر والاستدلال ، لا المعرفة الأولى ، الاضطرارية .

(٨) ينسبون إلى غسان الكوفي ، وهم من المرجئة . قالوا : «إن الايمان هو معرفة الله ورسوله وإقرار بما أنزل الله ، مما جاء به الرسول في الجملة دون التفصيل . وإن الإيمان يزيد وينقص» .

وغرابيةٌ[١] وعوفيةٌ[٢]
وعليانيةٌ[٣]
وعقبيةٌ[٤]
وعـاذريةٌ[٥] وعـابديةٌ[٦] وظاهريةٌ[٧] وصلتـيـةٌ[٨] وصـفـريةٌ[٩]

---

(١) «من غلاة الشيعة . سموا بذلك لقولهم إن علي بن أبي طالب كان أشبه بالنبي من الغراب بالغراب» .

(٢) من الخوارج البيهسية يقولون بكفر الرعية لكفر إمامها ، وهم فرقتان اختلفتا في البراءة من الراجعين من دار هجرتهم إلى القعود بدار مخالفيهم .

(٣) ينسبون إلى العلياء بن ذراع السدوسي ، وهم من غلاة الشيعة ، يفضلون علي بن أبي طالب على النبي .

(٤) من الشيعة الزيدية ينسبون إلى عبد الله بن محمد العقبي . «قالوا بصلاحية الإمامة في ولد علي ، ولم يحصروها في ولد الحسن والحسين» .

(٥) «هم الذين عذروا الناس بالجهالة في الفروع» .

(٦) فرع من الكرامية وهم من المرجئة ، مشبهة مجسمة .

(٧) يقفون عند ظواهر النصوص وينكرون التأويل ويرفضون الرأي والقياس .

(٨) ينسبون إلى عثمان بن أبي الصلت . وهم من الخوارج العجاردة . «يبرؤن من الأطفال حتى يدركوا فيدعون إلى الإسلام فيقبلونه» .

(٩) «من الخوارج ، ينسبون إلى زياد بن الأصفر . وهم انشقاق على النجدية ، وعنهم تفرعت فرق الخوارج غير الأزارقة والإباضية والنجدات . وهم يجوزون التقية في القول دون العمل . ولا يكفرون القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد» .

وصرخابيةٌ[١]
وصباحيةٌ[٢]
وصالحيةٌ[٣]
وشيبانيةٌ[٤]
وشمريةٌ[٥] وشعيبيةٌ[٦] وشبيبيةٌ[٧] وشافعيةٌ[٨] وسبئيةٌ[٩] وزيديةٌ[١٠]

---

(١) ينسبون إلى صرخاب الطبري وسموا بالخشبية لخروجهم على السلطان مسلحين بالخشب .

(٢) وهم من المجبرة . نسبتهم إلى أبي الصباح بن معمر .

(٣) ينسبون إلى أبي الحسين صالح بن عمرو الصالحي . وهم من المرجئة . «قالوا : إن الإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وهذه المعرفة هي الحب له والخضوع له . والكفر هو الجهل به فقط . وهم يجمعون بين القدر والإرجاء ويجوزون قيام العلم والقدرة والسمع والبصر مع الميت ويجوزون خلو الجوهر من الأعراض كلها» .

(٤) فرقتان واحدة تنسب إلى شيبان الذي خرج أيام أبي مسلم الخراساني وتعاون معه ضد الأمويين . وأخرى تنسب إلى شيبان بن مسلمة قالوا بالجبر ونفي القدر .

(٥) ينسبون إلى أبي شمر سالم بن شمر . وهم من المرجئة .

(٦) ينكرون القدر ، وهم انشقاق على الميمونية .

(٧) وهما فرقتان : الأولى من المرجئة ينسبون إلى محمد بن شبيب . والثانية : من الخوارج البيهسية ينسبون إلى أبي الصحارى شبيب بن يزيد النجراني الذي حارب الحجاج . وهم يجوزون إمامة المرأة ويقولون بالإرجاء .

(٨) هم من أصحاب الحديث ، ينسبون إلى محمد بن إدريس الشافعي .

(٩) ينكرون موت علي بن أبي طالب . ويقولون بالرجعة «رجعة الأموات إلى الدنيا» ، وهم «من غلاة الشيعة ، ينسبون إلى عبد الله بن سبأ» .

(١٠) ينسبون إلى زيد بن علي ، وهم عدة فرق .

وزعفرانيةٌ[١]
وزربنيةٌ[٢] ورزاميةٌ[٣]
وراوندية[٤]
وراجعةٌ[٥] ودروزيةٌ[٦] وخلفيةٌ[٧]
وخازميةٌ[٨] وحنفيةٌ[٩] وحنبليةٌ[١٠] وحمزيةٌ[١١]

---

(١) قالوا كلام الله غيره وكل ما هو غيره فهو مخلوق ومن قال غير ذلك فهو كافر .

(٢) فرع من الكرامية وهم مشبهة مجسمة .

(٣) من الشيعة العباسية ، انشقوا عن الأبو مسلمية ، وقالوا إن أبا مسلم الخراساني قد قتل .

(٤) جعلوا الإمامة نصًا أو وراثة في بني العباس بن عبد المطلب .

(٥) «من الخوارج ، وهم الذين رجعوا عن مقالة صالح بن مسرح» .

(٦) من الإسماعيلية الفاطمية بدأت دعوتهم على يد درزي وحمزة بن علي زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي ثم انتشرت في سوريا ولبنان .

(٧) وهما فرقتان ، الأولى : من الشيعة الزيدية ينسبون إلى خلف بن عبد الصمد . والثانية : من الخوارج العجاردة ، ينسبون إلى خلف . وهم يثبتون الصفات ويخالفون الخوارج الميمونية في القدر .

(٨) «من الخوارج العجاردة يثبتون القدر» .

(٩) من أصحاب الرأي . ينسبون إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت . وهم من المرجئة . «قالوا : إن الإيمان هو المعرفة بالله والإقرار به والمعرفة بالرسول والإقرار بما جاء عن الله جملة ، لا تفسيرًا» .

(١٠) ينسبون إلى أحمد بن حنبل . وهم من أهل الحديث .

(١١) قالوا بالقدر وبقتال السلطان ومن أعانه خاصة .

وحلوليـــةٌ[1] وحفصيةٌ[2] وحشويةٌ[3]
وحسـينيـةٌ[4] وحسنيـةٌ[5] وحربيـةٌ[6] وحبيـةٌ[7] وحازميـةٌ[8]

---

(١) «من غلاة الشيعة . قالوا إن الله هو روح القدس وإنها حلت في النبي ثم في أئمتهم : علي ، فالحسن ، فالحسين ، فعلي بن الحسن ، فمحمد بن علي ، فجعفر بن محمد بن علي ، فموسى بن جعفر ، فعلي بن موسى بن جعفر ، فمحمد بن علي بن موسى ، فعلي بن محمد بن علي بن موسى ، فالحسن بن علي بن علي بن محمد بن علي بن موسى ، فمحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي . ولذلك قالوا بألوهية هؤلاء الأئمة» .

(٢) من الخوارج الاباضية ، ينسبون إلى حفص بن المقدام .» وهم يميزون بين الشرك - وهو الجهل بالله وحده - وبين الكفر- وهو إنكار ما سوى الله ، من رسل ومعاد وطاعات - وبين الإيمان .

(٣) «هم الذين قصرت بهم مداركهم عن مراتب فكر التنزيه والتجريد بالنسبة للذات الإلهية وذلك لتمسكهم بالظواهر ، ومن ثم كانوا مشبهة مجسمة . والمعتزلة يطلقون هذه التسمية على خصوم فكرهم العقلاني» .

(٤) وهم مرجئة ينسبون إلى أبي الحسين ويقولون إن الدار دار حرب . وهناك فرقة أخرى وهم من الشيعة يقولون إن الإمامة بعد أبي منصور تكون لابنه الحسين بن أبي منصور بناءً على توصيته .

(٥) نسبة إلى الحسن البصري ، وهم من أهل العدل والتوحيد .

(٦) ينسبون إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي . وهم من الشيعة الكيسانية ، انشقوا عن البيانية .

(٧) يقولون إنهم يعبدون الله حبًا له ، لا خوفًا ولا طمعًا . وقد جاءت تسميتهم نسبة لقولهم هذا .

(٨) وهما فرقتان ، الأولى : جبرية قالوا إن الله هو خالق أفعال العباد . والثانية : من الخوارج ينسبون إلى شعيب بن حازم .

وحارثيةٌ[1]
وحائطيةٌ[2] وجواليقيةٌ[3]
وجهميةٌ[4] وجعفريةٌ[5]
وجحدريةٌ[6] وجبريةٌ[7] وجازميةٌ[8]
وجارودية[9] وجاحظيةٌ[10] وثوبانيةٌ[11]

---

(١) قالوا بالقدر وبالاستطاعة قبل الفعل ، وأثبتوا طاعة لا يراد بها الله .

(٢) ينسبون إلى أحمد بن حائط ، وهم من المعتزلة .

(٣) ينسبون إلى هشام بن عمرو الجواليقي ، وهم من المعتزلة .

(٤) ينسبون إلى الجهم بن صفوان ، «وهم القائلون بالجبر المحض . والإيمان عندهم معرفة قلبية لا علاقة لها - زيادة ولا نقصان - بالعمل الذي تأتيه الجوارح» .

(٥) «من المعتزلة ، ينسبون إلى جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب» .

(٦) ينسبون إلى جحدر بن محمد التميمي ، وهم من المرجئة .

(٧) هم عدة فرق إسلامية .

(٨) ينسبون إلى جازم بن عاصم .

(٩) من الشيعة الزيدية . «قالوا إن النص على علي بن أبي طالب بالإمامة كان بالوصف لا بالاسم والتعيين ، وإن الإمام بعده الحسن فالحسين ، وإن الإمامة بعدهم شورى في ولد الحسن والحسين» .

(١٠) من المعتزلة ، «قالوا : يمتنع انعدام الجوهر . والخير والشر من فعل العبد» ، ينسبون إلى أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .

(١١) «قالوا إن الأيمان هو المعرفة والإقرار بالله وبرسله ، وبكل ما يجوز في العقل أن نفعله . وما جاز في العقل تركه فليس من الإيمان . وإن العمل كله مؤخر عن الإيمان» ، وهم من المرجئة ، أصحاب أبي ثوبان المرجئ .

وثعالبةٌ[١] وبيهسيةٌ[٢]
وبكريةٌ[٣] وبطيخيةٌ[٤] وبشريةٌ[٥]
وبزيغيةٌ[٦] وبرغوثيـــةٌ[٧] وبدعيـــةٌ[٨]
وبتريـــةٌ[٩] وأشعريـــةٌ[١٠]

---

(١) «أتباع أبي ثعلبة ، قالوا : ليس للأطفال ، عامة ، ولاية ولا عداوة ولا براءة ، حتى يبلغوا فيدعون إلى الإسلام ، فيقرون أو ينكرون» .

(٢) انشقوا على الخوارج الميمونية . إمامهم أبو بيهس هيصم بن جابر ، قطع والي المدينة عثمان بن حيان يديه ورجليه بأمر الوليد .

(٣) وهما فرقتان ، الأولى : هم الذين قالوا بأن «خلافة أبي بكر هي بالنص عليه من الرسول لا بالاختيار المطلق من الصحابة» . والثانية : هم أتباع أبي بكر بن زياد الباهلي ، قالوا «إن كبائر أهل القبلة نفاق ، ومرتكبوها عبدة للشيطان . مكذبون بالله وجاحدون له ، خالدون مخلدون في النار إذا ماتوا مصرين عليها غير تائبين منها ، ومع ذلك فهم مؤمنون مسلمون» .

(٤) ينسبون إلى إسماعيل البطيخي ، وهم من المجبرة .

(٥) أصحاب بشر بن المعتمر وهم الذين أحدثوا القول بالتولد .

(٦) يقولون بشيوع الوحي وينكرون اختصاص الأنبياء به .

(٧) «هم الذين قالوا إن كلام الله إذا قُرئ فهو عرض وإذا كتب فهو جسم» .

(٨) أبدعوا بقطع الشهادة على أنفسهم أنهم من أهل الجنة . ولهذا سموا بذلك .

(٩) من الشيعة الزيدية ، يصححون بيعة أبي بكر وعمر ، لأن عليًا ترك لهم الأمر . ويتوقفون في الحكم على عثمان .

(١٠) نسبتهم إلى أبي الحسن الأشعري . وهم يمثلون الوسط بين المعتزلة والسلفية والجبرية الخلص (الجهمية) . قالوا في فعل الإنسان : «إن خالقه هو الله ، وللإنسان فيه كسب ، أي كونه محلاً للفعل فهو فاعل له على سبيل المجاز . ==

وأطرافيـــةٌ[1] وأسواريـــةٌ[2]
واسماعيليةٌ[3] واسكافيةٌ[4]
وإســـحـــاقـــيـــةٌ[5] وأحـــمـــديةٌ[6] وأخنســـيـــةٌ[7]

---

== وفي التأويل يجيزون بعضه فلا يمنعونه كله كما هو حال أصحاب الحديث ولا يعتمدونه سبيلاً لنصرة برهان العقل على ما يعارضه من ظاهر النقل كما هو حال العقلانيين . وفي صفات الله يثبتون له الصفات باعتبارها لا هي هو ولا هي غيره ، أي على نحو يجعلهم وسطًا بين تنزيه المعتزلة وتجسيد المشبهة والمجسمة» .

(١) من القدرية ، قالوا : « إن أهل الأطراف ، التاركين لما يعرفونه من الشريعة ، معذورون» .

(٢) هم من المعتزلة ، ونسبهم إلى الأسواري «يتميزون عن النظامية بقولهم إن الله لا يقدر على ما أخبر بعدمه أو علم عدمه ، والإنسان قادر عليه» .

(٣) وهم من الشيعة الإمامية ، «قالوا إن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه اسماعيل وليس موسى الكاظم كما قالت الاثني عشرية . وهم يمثلون التيار الثوري في الإمامية ، ويعرفون أيضًا بالباطنية ، لقولهم بأن لكل ظاهر باطنًا . وفي تعاليمهم يمتزج الإسلام بالفلسفة اليونانية» . ومنهم إخوان الصفا ، الجماعة السرية التي قامت في البصرة في القرن ٤ هـ .

(٤) قالوا إن الله لا يقدر على ظلم العقلاء .

(٥) وهما فرقتان ، الأولى : فرع من الكرامية ، مشبهة مجسمة . والثانية : من غلاة الشيعة الكيسانية ، يشركون علي بن أبي طالب في النبوة مع الرسول .

(٦) من الشيعة الإمامية ، نسبتهم إلى أحمد بن موسى بن جعفر .

(٧) هم «انشقاق عن الخوارج الثعالبة ، سموا باسم زعيمهم الأخنس ، يحكمون بالتوقف عن جميع أهل دار التقية سوى من عرفوا إيمانه أو كفره ، ويحرّمون الاغتيال والقتل سرًا والبدء بالقتال دون دعوة» .

ومجسمةٌ[١]

ومريسيةٌ[٢] ومعطلةٌ ومقاتليةٌ[٣]

ونصيريةٌ[٤] ومنصوريةٌ[٥]

وشمراخيةٌ[٦]

ونعيميةٌ[٧] وزراريةٌ[٨] ومعمريةٌ[٩]

---

(١) «هم المشبهة الذين يتصورون الذات الإلهية جسمًا ، عن طريق ما يثبتون لها من صفات زائدة على الذات» . على نحو ينفي التنزيه والتجريد عن الذات الإلهية ، الأمر الذي يؤدي إلى التشبيه والتجسيد للذات الخالقة ، من نحو القول بأنه جسد ، وله يد وعين . . الخ . .

(٢) نسبتهم إلى بشر المريسي . يقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب واللسان جميعًا .

(٣) ينسبون إلى مقاتل بن سليمان ، وهم من المشبهة .

(٤) «من غلاة الشيعة ، يؤلهون الأئمة ولكنهم يختلفون في كيفية حلول اللاهوت في ناسوت الأئمة» .

(٥) ينسبون إلى أبي منصور العجلي الذي ادعى النبوة وأنه صاحب التأويل والرسول صاحب التنزيل . وهو بدوي سكن الكوفة . قتل وصلب على يد يوسف بن عمر الثقفي .

(٦) ينسبون إلى عبد الله بن شمراخ ، وهم من الخوارج .

(٧) من الشيعة الزيدية ، «يفضلون علي بن أبي طالب ، ويصححون إمامة أبي بكر وعمر ، ولكنهم يقولون بخطأ الأمة لتقديمها المفضول على الأفضل» .

(٨) وهم من المشبه ونسبهم إلى زرارة بن أعين بن أبي زرارة .

(٩) وهما فرقتان ، الأولى : ينسبون إلى معمر بن عباد السلمي ، وهم من المعتزلة . والثانية : فرع من الخطابية ، يقولون بالتناسخ ، وأن الجزاء – ثوابًا أو عقابًا – هو في الدنيا ، أي ما فيها من نعيم وشقاء ، ويسمون أيضًا باليعمرية .

ووهابيـــةٌ[1] وهشاميـــةٌ[2]
ونظاميةٌ[3]
وشميطيةٌ[4] . . . . . .
. . . . . [5]

---

(١) قادها في نجد محمد بن عبد الوهاب ، وهي امتداد لمذهب أهل الحديث ، : أحمد بن حنبل ، وابن تيمية .

(٢) وهما فرقتان : الأولى ، من المعتزلة تنسب إلى هلال بن عمرو الفوطي ، قالوا بأن الجنة والنار لم تخلقا بعد . وقالوا لا دلالة في القرآن على حلال أو حرام . وقالوا إن الإمامة لا تنعقد مع الاختلاف عليها . والفرقة الثانية : من الشيعة الإمامية ، وهي مشبهة ينسبون إلى هشام بن الحكم .

(٣) ينسبون إلى إبراهيم بن سيار النظام ، وهم من المعتزلة .

(٤) من الشيعة الإمامية ، يقولون إن الإمام بعد جعفر هو ابنه محمد .

(٥) ثمة استفادات من «تيارات الفكر الإسلامي» لمحمد عمارة ، «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الاندلسي ، «الملل والنحل» للشهرستاني ، «الفرق بين الفرق» للبغدادي ، «المسند» لابن حنبل ، «الطبقات» لابن سعد ، «السنن» للترمذي ، «السنن» لابن ماجة ، «السنن» للنسائي ، «صحيح البخاري» ، «صحيح مسلم» ، «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، «المعارف» لابن قتيبة ، «مقاتل الطالبين» للأصفهاني ، «الحكومة الإسلامية» للخميني ، «الأعلام» للزركلي ، «صبح الأعشى في صناعة الانشا» للقلقشندي ، «الأصول من الكافي» للكليني ، «أدب الدنيا والدين» للماوردي ، «التشيع» لمحمد باقر الصدر ، «عقائد الإمامية» لمحمد رضا المظفر ، «وقعة صفين» للمنقري ، «دائرة المعارف الإسلامية» ، ومراجع أخرى .

فرقٌ تتفرّقُ
عن فرقٍ . . . . . .
والمغولُ على بابِ بغداد

قلتُ : يا سيدي ، أين أقبرُ عقلي
وكلُّ القبورِ امتلتْ بالحيايا
فمالَ إلى برزخٍ
بين صمتي ونطقي
ودحرجَ زارًا كبيرًا
وقالَ : إذا أنتَ أبصرتني في الهيولى
تساوى لكَ الكشفُ والحجبُ
. . ثم اختفى قبل أن أتلمسَ دربي لضوءِ الفتيلةِ
أمسكتُ عبودَ يهذي بحمّاهُ في الركنِ :
أين اختفى؟
فأشارَ إلى ماءِ إبريقهِ ،
ساكبًا فوق وجهي :
يقلّلني ما يكثّرني
ويكثّرني ما يُكاثر بي
ثم قامَ

إلى طرسِ صاحبهِ ،

ذوّبوه بماءِ الأسيدِ :

بحقّكَ

*بهياش طمّاش يطّاش اطشين طيّوش هيّهوش ياهوش بقشوش شيغاب سلعاس فنطاس شلياه بطميس دمليخ مشليخ دملاخ خيخاخ شمّاخ رمّاخ شنّاخ خيوخ بحباح بحّاح منفاح ملطاح حيّوم قيّوس طليوس طلسوم ديّوم ديوم ردوا الغريبَ الى أهله . قال ساحرُ هَطْمَهْطَلقيائيل*[1] :

*اخفقْ ثلاث بويضات ديك بزيت مرارة ثورٍ وعود من الزعفران وبخّرْ به ليلة السبت جسمك باسمك يافور ياروث ياشوش ياموش ياشيط يامط ياخيم آخين شمعوط شبشوب أش أش أشياش كمش كمش كمروش كمروش اكمش اكمش اكمشوا على « . . . . . » عجلوا عجلوا باسم عطّوم ، فطوم حَمْ حَمْ حَمْ حَمْ ناطور اَلْر اَلْر اَلْر اَلْر حمعيص جمعيص كشكش كشليخ ك ك س س ك ك x ز ز ب ب هـ هـ هـ هـ ا ا ا ا ا ء ء ء = ص ص ب ح ق ا ل س م ا و ا ت و ا ل ا ر ض أ ر ح م ن ا م ن ص د ا م ب ن ص ب ح هـ ب ا س م ك يا هـ م ا م ٣ ياقهار يامطار الساعة ٢ الساعة ٢ الساعة العجل العجل ٢٢٢ ٥ ٥ ٥ ٥ ٥ ق ق ق*

---

(١) إحالة إلى مخطوطات وكتب السحر العربية وإلى كتاب «الجفر» ، «شمس المعارف الكبرى» ، وإلى «منبع أصول الحكمة» ، و«بغية المشتاق في علم الأوفاق» للبوني ، و«السر المظروف في علم بسط الحروف» للخلوتي الحنفي ، و«الدرة البهية في جوامع الأسرار الروحانية» للشيخ الطندتائي ، و«السحر الأسود» لبرنوخ المغربي .

*باسمك دردياثيل ينقلبُ السوطُ أفعى ويلدغُ يدَ حامله . ثم نقعْ بحيضِ فتاة لها شامةٌ تحت سرتها العسليةِ هذا الحجابَ المُجابَ . وحكٌّ به :*

*قفلَ سجنكَ ، يُفتحْ*

*أو بطنَ زوجكَ ، يُنفخْ*

*أو عرشَ حاكمٍ ، يـ . . . . . .*

. . . . . .

أخرجتُ رأسي بين السطورِ

فأبصرتُ وقعَ بساطيرهم

تتقدمُ في نسقٍ صاعدٍ . . .

صاحَ ضابطُ إيقاعهم : إلى اليسارررررر . . . دررررر

فاستداروا إليّ . . . . . .

– أنا . . . . .؟

– انسَ الزنازينَ ، انسَ يديكَ على ناهديّ ،

ونْمْ . .

لنْ يمرَّ بهذي المحطةِ غودو

لينصرَكَ المسرحُ العبثيُّ ولنْ . .

لنْ يجيءَ البرابرةُ الآنَ

لنْ تستديرَ بكَ الكأسُ ، صافيةً ، كسماءِ عيوني

ولنْ تستجيرَ الطبولُ التي أدمنوا قرعها بالأكفِ : كفى . . .

فلماذا استجرتَ أمام السياطِ؟

- أنا . . . .؟

. . . . . .

- أنتَ أتلفتَ نفسَكَ ، أتلفتهُ ، تدلكُ البحرَ في رملِ كفيكَ كي يلدَ الزبدَ . الفتياتُ تجردهنَّ على قنفاتِ المقاهي ، وفي الليلِ تفتحُ شباكها عن مدىً يتشابكُ منتظرًا أن تجيءَ من السهرةِ . الخمرُ في شفتيها تفوحُ وأنتَ تفوحُ من العطْنِ في الخندقِ الرطبِ . مالي أقلّبُ شرشفها عن بياضِ الخيانةِ ، حبلى بأمطارهِ ، فأغارُ عليكِ من الشعرِ ، لكنني لا أرى غيرَ نحلٍ خجولٍ يحومُ على وجنتيها ، وقنينةٍ من كحولٍ يخبّئها الله ما بين نهدين من مرمرٍ ومرايا . . . . .

- أنا . . . . . .؟

. . . . . .

- مطرٌ ناعمٌ في الحديقةِ

تسحبُ معطفها وتظلّلني فيشبُّ بأوردتي عطرها ، صاخبًا . . أتنفسها وهي تخفقُ بين الممراتِ تعبرُ زهر الأناناسِ والشرطةَ المحتمين من القَطَراتِ بسقفِ المحطةِ ، والنظراتِ

انزلقنا إلى السينما

الفيلمُ يوشكُ - قالَ مقصُّ التذاكرِ - أن ينتهي

ابتسمتُ . . لا يهمُّ . . . . .

ومالَ على أذني عطرُها هامسًا : المهمُ النهايةُ

في الظلمةِ انتبهتْ ليدي تجوسان تحتَ القميصِ المهدّلِ غاباتها [ تتقرى ظلامَ الجدارِ . أدقُّ فأسمعُ بعد قليلٍ أنينًا ضعيفًا . . (فأغمضتُ جفنيَّ أخشى إذا ما فتحتهما تتلاشين . .) في الفجرِ أبحثُ مرتبكًا عن مفاتيحِ سجني بمحفظةِ البنتِ (توقظني الطرقاتُ على البابِ :

- مَنْ؟

فيواجهني شعرُها الفوضويُّ ، نثيثًا لذيذًا ، يبللني ، وأراني بغرفتها : كأسها فارغٌ

وبقايا سجائر مدعوكةٌ

أتلفّتُ أسألها : مَنْ هنا كان؟ . . . .

- لا أحد

- والقميصُ المعلّقُ؟

- أنتَ نسيتَ قميصَكَ!! ،

. . . . . تذكرُ في حفلةِ الأمسِ؟ ]

- أنا . . . . . ؟

. . . . . .

- إلى مَ ستدفنُ عمرَكَ بين الملفاتِ؟

يدفعنا ضجرٌ عابرٌ - في المساءِ - إلى حانةٍ يتقطّرُ منها غناءُ السكارى ، ملامحهم تتكلّسُ في السقفِ أخيلةً تتعقبُ إيقاعَ راقصةٍ للفراشِ المبعثرِ .

نختارُ ركنًا بعيدًا

يلامسنا البحرُ والجازُ . .

نرقصُ ملتصقين إلى الفجرِ .

ضوءُ الكريستالِ والفجرِ يختلطانِ . . . (وفي المكتبِ الفخمِ كنتُ أدافعُ عن جسدي بالحقيبةِ حين مررتُ بهِ ، لفّني بذراعيهِ ثم طواني . . .

أحـدّقُ مـأخـوذةً بالثـريا كـأني مـخـدّرةٌ لا أتملاكَ إلاّ شـآبيبَ تقطرُ . . . . . ) ألثم ثغركِ في خلسةٍ عن عيونِ المساءِ فيهربُ وجهكِ في بحةِ الناي ،

أتبعهُ ثملاً ، فنميلُ إلى جانبِ التختِ ،

تدفعنا امرأةٌ : آه . . . ، ما أفحشَ عشاق هذا الزمانِ . . . .

نضحكُ من ثملِ الحبِّ . . .

(أسمعُ وقعَ خطىً تتقربُ . . .

- قفْ . . .!!

واقفٌ في عراءِ الزمانِ!

- ارفعْ يديكَ

رفعتُ يديَّ

فلامستِ السقفَ أوطأ من جحرِ فأرٍ

رأيتُ سخامَ العيونِ يغطي التعاريجَ) . . . . . لَمْ أرَ غيرَ يدَيْ . . . ،

تلمسانِ يديك

فتبتعدين قليلاً عن الآسِ

أتبعُ خطوكِ مرتعشًا بتموجِ شَعركِ في الريحِ

[يطرقُ بابي المحقّقُ . .

(لمْ أرَ غيريَ في ظلمةِ الانفراديِّ) :

- هل قلتَ شيئًا؟

- لا . . . . . .

- لماذا إذن تطرقُ البابَ؟

- أنا . . . . . .؟

. . . . . .

- نصفكَ يا صاحبي في المنافي . . . . .] ونصفكَ في باحةِ البيتِ . تطعمُ قطتكَ المنْزليةَ تلصقُ ظلّكَ بالظلِ ، هلْ تتشابهُ أحلامنا في السجونِ المعرّاةِ . يرسمُ أفقَ المطلِّ على زهرةِ الكستناءِ بضحكتها وينوسُ على ما تفرّطَ من عمرهِ في صحونِ الكتابةِ . تغمّضُ أهدابَ خاطرها عن براثنهِ شهوةً في الخيانةِ أو في الخياطةِ جانحةً بانعكاسِ الوميضِ على عضوهِ ، في التواءاتهِ ذكريات تجرُّ هوادجَ ناووسها المتعرجِ بين الفضا والفضيحةِ في غبرةِ الظعنِ ، لكنّهُ ليس يقوى على الطعنِ يحدو فتنضجُ أثداؤها وهي تشعلُ فانوسها قربَ مخدعهِ وتسدُّ الرتاجاتِ عن أفقٍ من رقىً ستتيحُ لكاهنها أن يراودها خلسةً في البخورِ ، ترى نهدها عاريًا بين كفّيهِ يمضغهُ وهي تسمعُ وحوحةَ الشهواتِ فيرمحها مالئًا قحفها ببخارِ المنيِّ وتضحكُ رافعةً ذيلَ فستانها فوق موقدهِ ، سيقالُ تبطنها النسرُ في غارةِ الشمسِ لاهبةً بطنها بطنُهُ تتعرقُ في رقصها الوثنيِّ فيمسحُ بيرونو[1] بكارتها

---

(١) إله الرعد القديم عند السلافيين ، جاء من طقوس محلية في روسيا حول الصاعقة ونزول المطر ، إذ تقوم فتاة عذراء مغطاة بالزهور بالدوران في حلقة وتدعو أن ينزل عليها ندى بيرونو .

بالأزاهيرِ مضمومةً ويواصلُ عزفَ النجومِ بسرتها تحت أقواسِ ماوليز ، من شجرِ المرِّ مرَّ أدونيس في بركةِ الماءِ أبصرها برسفونةُ[1] عاريةً تتماوجُ من لوعة فطواها فمالتْ له افروديتُ من الوجدِ سكرى يجامعها غيرةً وهي تلهثُ مشبوبةً بالبايوتيلِ يختصمان على دمنا فتمرُّ أيوس[2] بمركبةِ الفجرِ تحملنا بين طياتِ فستانها اللازورديِّ حتى إذا بانَ خيطُ الصباحِ بمفرقنا طوّحتنا على قارعاتِ الدروبِ ، هل الحبُّ يهزمه الشيب؟

هل سيبقى بتفاحة[3] قَسَمُ الحبِّ يا اكونتيوس بعصرِ المفاتيحِ مرَّ كريمُ[4] على طاولاتِ المحبين فاحترقوا بأناملهم ، مرَّ انليل يحمل ننليل في قاربٍ فيطقُّ الحليبُ بحلمتها ساكبًا ماءَ مسلامٍ في فرجها ضيقًا : لِمَ أيقظتِ في قلبي الرغباتِ إذا كان لا ينبغي لي أن أَردَ المستحيلَ[5] . الوحيدُ سيبقى وحيدًا توحّدهُ في الأنينِ أصابعُهُ لا مباهجَ خارجَ روحكَ . محصورةٌ بين قوسين هذي الحياةُ . أحتُّ المرايا ليعبقَ من إبطها حبقٌ عالقٌ

---

(١) اسمها في ايطاليا بروسيربينكا ملكة العالم السفلي ، خطفها هيدس بن كرونوس حيث كانت تلعب مع بنات المحيط أوقيانوس .

(٢) إلهة الفجر المجنحة عند الإغريق ، صورت على شكل امرأة راكبة عربة تهجر السماء في مطلع الفجر ، وكانت تحب الشباب وتخطفهم كما حدث لتيثونوس حيث حجزته عندها حتى كبر وعجز .

(٣) إشارة إلى التفاحة التي خط عليها اكونتيوس : «أقسم بديانا لأتزوجن اكونتيوس» ، وبعثها إلى سيديبي ، ولما تلتها أمام الملأ أصبحت ملزمة بالقسم .

(٤) إشارة إلى كريم وهو رجل أسطوري تحول إلى رماد لأنه حاول أن يحل أزرار قميص معشوقته .

(٥) استفادة من كلكامش .

في الظهيرةِ

يرسمُ شكلَ اشتهائي على كلِّ عابرةٍ

كيف أمسكُ نفسيَ عن نهدها وهو ينداحُ في الراحِ

يرسمكِ السكسفون على رهجِ الغصنِ حالمةً بالنثيثِ يوقّعُ أنغامَهُ فوق شعركِ . كيوبيد من لي بسهمكَ أرشقُ فيه قلوبَ الصبايا خرجنَ من المسبحِ البلديِّ تقطّرُ من شعرهنَّ مياه التشهي (ستختارُ روحي صحبتها ثم تغلقُ من خلفها البابَ[1]) تأتي الفتاةُ ،

تعدُّ لنا شاينا ، في الصباحِ ،

لتأتي عجيزتها في المساءِ

تعدُّ لنا حلمنا ،

سنضيفُ لها قطعتي سكرٍ من خيالٍ لتحلو ، ونندسُّ [ وهي توشّجُ أحلامها بالغناءِ ،

فمًا لاهثًا يرتقي ظهرها لاصقًا بالجدارِ حيامنه تحتَ صورةِ مارلين مونرو ،

ليلحظَ في جنبها ندبةً .

تتكورُ في غفلةٍ من يديهِ عجيزتها . لا رهانَ على دهشةٍ في المصاعدِ ، يوقفهُ كي يواصلَ ] . . . ترجفُ من خوفها غير أن يديهِ تواصلُ . . . يغرسُ أضلاعها في المهبِّ ، يدحرجها ثم يشخرُ منكمشًا مثل فأرٍ قضى وطرًا في الدهونِ ونام على جنبهِ في الصفيحةِ لا في الصحيفةِ [ تسألها الجارةُ

---

(١) اقتباس من الشاعرة الأمريكية اميلي ديكنسون التي عُرفت بكآبتها وعزلتها : «تختار الروح صحبتها وتغلق الباب» .

الجنبليةُ[1] ،

عن طولهِ . . . . ،

وهي تغمزُ ضاحكةً (- سوف أحتاجُ منفاخ دراجةٍ ، لأقيس له . . .)

الصافراتُ تدوي بأعلى العمارات . .

تنهضُ تاركةً عريها في فراشي

لتلظمَ خيطًا من الباميادِ ، تقطّعَ في حضنها (تتقافزُ فئرانُ رغبتها ، تتناهشهُ نيئًا[2] ،

ثم تعرج نحو السريرِ . .

لتحملَهُ لابطًا في المياهِ إلى خصرها ] والبقيةُ . . . .!

هرّبها طالبٌ ثم طالبةٌ وقحةٌ!

في الصفوفِ الأخيرةِ ، حتى تناهى الفحيحُ لسمعِ المديرةِ - وهي تفتّشُ بين الحقائبِ - ينسلُّ من غرفةِ الولدِ البكرِ يطوي المزاميرَ في شمعةٍ أو كتابٍ بحضنِ صديقتهِ ويدرّبُ أعضاءَهُ

---

(١) الجُنبل : الفرج العظيم .

(٢) اقتباس من جويس منصور الشاعرة السريالية ولدت في بريطانيا من عائلة مصرية ١٩٢٨ وتوفيت في باريس ١٩٨٦ ، تقول : «التلفون يرن وقضيبك يجيب/ لم أعد أتحمل ألمي أعتقني من الزمن الميت الذي يضغط على عنقي / الذي يتباطأ بين فخذي/ والذي يذوب/ فئران الرغبة تأكل القضيب النيء الذي تحجبه يد نحات مجنون / ما من كلمات غير زغب العانة / في عالم بلا أعشاب / حيث ثدياي عاهلان / ما من حركة غير جلدي والنمل الذي يعج بين فخذي الطريين يلبس قناع الصمت أثناء العمل / تعال ليلاً ونشوتك/ وجسدي الشاسع هذا الاخطبوط البلا فكرة / يبلع قضيبك الهائج وهو يولد» .

لولوجِ البنفسجِ . (تغفو المدينةُ ، لكن عينيكَ تلتصقان بنافذةٍ لقطارٍ يمرُّ وسيدةٍ في كثافةِ وردٍ[1] سيذبلُ ، تلصقُ رأسَكَ في صدرها وتنامُ . . .)

– أنا . . . . . ؟

. . . . . .

– تموجنا كركراتُ مساءاتهن . تجفُّ على فمنا كاللهاثِ . أنطفئهُ بالأريكةِ أمْ بالتلصصِ من فرجةِ البابِ؟ [ أرقبُ من ثقبِ حمامها

عريها يتوغفُ في رغوةِ الحوضِ ،

أزرقَ .

أصلبُ أنفاسيَ اللاهباتِ على الثقبِ

تخلعُ سروالها

وتعلّقهُ

ثم تهبطُ سابحةً في بخارِ التهدّجِ

يشهقُ نهدكِ

في رغوةِ الماءِ والدلكِ .

تنْزلقين ،

فأمسكُ قلبي خشيةَ أن تتساقطَ دقاتُهُ

وترنُّ

فتنتبهين إليّ ] ولكنهنَّ سيمسكن هذا الفتى المتلبّسَ بالحلمِ من أسفلِ البنطلونِ يفتشُ في دغلهِ ناتئًا عنهُ .

---

(١) اقتباس من الشاعر الفرنسي رينيه شار : «لك كثافة الوردة في ذبولها» .

يضحكن في سرهنَّ . . . . . .

- أنا . . . . . .؟

. . . . . .

- أكانَ دخانُ الحروبِ سينسيهِ أثاثَ غرفتها ينفضُ الورقَ المتساقطَ من عمرهِ كلما هزّها في اللهاثِ الأخيرِ فتكنسهُ البنتُ [ ملتصقًا بعجيزتها وهي تنفضُ أغطيةَ النومِ . تضحكُ في شبقٍ داعرٍ من تراعشِ أغصانهِ بين أغصانها . .

- آه لو تفهمُ الآن معنى ارتعاشِ الذبالةِ

في آخرِ الشمعِ

هذي الغريرةُ ،

هذي التي تخدمُ الغرباءَ

وتحلمُ بالبحرِ والشوكولاتا . . . . ]

- أنا . . . . . .؟

. . . . . .

- عابرًا ديرَ مانو بحزني وهذي الحقيبة ،

أجمعُ فيها عظامي ،

فيسقطُ في خلجانِ أوكلان توجون[1] قلبيَ ،

---

(١) روح الماء عند شعب الياقوت الذي يسكن بين سيبريا - منغوليا ، لذا عاملوا الماء باحترام ، كما قدم المغول القرابين لعبور المياه واعتقدوا أنها تصب في خلجان ثلجية تتحكم فيها أرواح تأكل روح الإنسان .

تنهشهُ الريحُ تعوي بأصقاعِ مملكةِ الله مأخوذةً مثل بينتين[1] بالموسيقى والدخانِ الذي يتصاعدُ من قلبِ حورية ودّعتْ بعلها أوراشيما[2] تحت موجِ القرونِ يعمّدها بانُ كو[3] ، تاركًا قشرةَ البيضِ تنحلُ فوق ضفافِ الهيولى سماءً ضبابيةً رأسه شمسها ويداه هي الأرضُ طافحة بتعاليمِ بودهي[4] تقدّسُ هذا الفراغَ الذي ضاءَهُ قلبُ دانشي -

(١) تحولت في الفولكلور الياباني إلى نهر بفعل الموسيقى .

(٢) صياد سمك تزوج حورية بحر وعاش في قصر تحت الأمواج ، وعندما أراد رؤية والديه أعطته زوجته علبة على أن لا يفتحها ليعود إليها ، لكنه فتحها وخرج منها دخان أبيض فتحول إلى شيخ عجوز ثم جثة هامدة وضريحه اليوم في تانغو .

(٣) -بان - كو : هو آدم في الإسطورة الصينية وقد ولد من بيضة كونية على حافة الكون فقست وأصبح جزء منها السماء والنصف الآخر الأرض ، وبدأ بان كو الذي خرج من البيضة بالنمو عشرة أقدام كل يوم وتوفي بعد ١٨٠٠٠ عام ، وبعد وفاته تمزق إلى أجزاء مثل البيضة التي خرج منها إذ صار رأسه الشمس والقمر ودمه الأنهار والبحار وشعره الغابات وعرقه المطر ونفسه الريح وصوته الرعد وقمله أصبح بشرًا .

(٤) بودهي دراما : هي مدرسة الضوء الداخلي التي تعد من أكثر الطوائف غرابة في إنتاج العقل الصيني ، وقد حيكت الأساطير عن دراما الراهب الغامض فقيل إنه نام مرة وهو يتأمل فغضب وقطع أهدابه التي سقطت على الأرض وأنبتت شجرة الشاي الذي أصبح مشروب الرهبان منذ ذلك الحين . ويتحدثون عن مقابلته لإمبراطور الصين الذي قال له : لقد نشرت العقيدة البوذية وبنيت الأضرحة والمعابد والأديرة فكيف سأجازى على ذلك في الحياة الأخرى؟ اجاب الراهب : لا شيء على الإطلاق . وتعجب الإمبراطور وسأل : ما هو مبدأ البوذية الأساسي؟ أجاب الراهب : لا يوجد لأن كل شيء فراغ ولا يوجد شيء مقدس . سأله الإمبراطور : من أنت؟ أجاب بودهي دراما : لا أعرف . وسافر ثم نزل في أحد الأديرة حيث قضى بقية حياته يتأمل في جدار أمامه .

كوبو[1] بأرضِ الأفاعي التي عكّرتْ صفوَهُ فنساني بأحضان راتي[2]
ترينـــي الحيـاةَ بأهوائهـا زهرةً تتفتحُ في شفتيها وتمضي وأنا حاملٌ كتبَ
الزّنِ[3] في قاربي يتأرجحُ في لجةِ الخوفِ من ريحِ ايرلك[4] تتبعني وفتاة

---

(١) إشارة إلى دانشي نيوري وهو بوذا ماهافيا روكانا ، أي الذي أضاء الطريق العظيم ويعتبر تجسيدًا إلى بوذا المشرق لطائفة السنغون اليابانية ومعناها الكلمة الصادقة ؛ وقد أسسها في اليابان كوكاي ٧٧٤ - ٨٣٥ م وعرفت تحت اسمه المستعار كوبو دايشي ، وتعني ناشر القانون وقد سافر كوبو دايشي إلى الصين وأسس ديرًا في جبل كوبا وأصبح رئيس الرهبان في مياكو ، وعندما شعر بأنه قد تم تبشيره طلب الناسك المتأمل دفنه حيًا وهو في حالة الغيبوبة ساما دهي في منطقة نائية من جبل كايو ، ويقال إن جسده لم يتفسخ وسيبعث حيًا في عهد بوذا .

(٢) راتي معناها الرغبة الجنسية ، وفي منطقة «بالي» ، يوجد اعتقاد قديم بأن أرواح الأجداد تسكن في منابع الأنهار وأن راتي تقف عائقًا في وجه المتنسكين والزهاد فالمرأة تقود الرجل للحياة الدنيا .

(٣) مدرسة أسسها بودهي دارما لا تعتمد على الكتابات وبلا كلمات ، وكانت الطريقة تتضمن الوصول إلى الروح مباشرة . ويقول اليابانيون إن الفضل في مدرسة الزن يعود إلى الطريقة التاوية وأساتذتها مثل لاوتزو .حيث يعتقدون أن بوذا قد أدرك أن طريق الإشراق لا يفسر بكلام لذا فإن الطريقة التي لا يمكن التعبير عنها ولدت من ابتسامة بوذا أمام زهرة اللوتس . يقول دو - كن : عندما نرقب الشاطىء ونحن نبحر يتراءى لنا بأن الساحل يتحرك ولكن إن نظرنا قرب القارب أدركنا أن القارب يتحرك ، وعندما نرى الكون في اضطراب الجسد والعقل نعتقد خطأً ان العقل دائمي ولكن إن تبعنا طريقة الزن ورجعنا إلى أنفسنا نرى خطأ ذلك .

(٤) روح الشر وسيد الموت عند قبائل التاي من التتر - قاموس أساطير العالم لآرثر كورتل ، ومعجم الأساطير لماكس شابيرو ، ورودا هندريكس - .

المني جوب تحشو ثآليلَ أحلامها بمواعيد عشاقها
وهي تلثغُ بالغين تدلكهُ فإذا جفَّ تلحسُ أحرفَهُ في المجلاتِ سريةٍ
تتداولها العانساتُ بمبنى البريدِ المجاورِ .
تلحظهنَّ وراءَ الستارِ
فيزلقُ كالروجِ في فمها
وهو يعبرُ من إبطها
لشحوبِ صديقتها في السريرِ
تداهمها أمُّها في الفحيحِ الأخيرِ
فتبلعهُ بدخانِ سجارتها ،
حسكًا يتوقفُ بين المريءِ وبين لهاثِ تنفسها
غير أن العجائزَ لا يخطئنَ ملامحَهُ في اصفرارِ الأنوثة . تنفخُ في بطنها النظراتُ المريبةُ قالوا : تسلّلَ عبر الحدودِ وقالوا : تركناهُ ينْزفُ في ساترِ الحربِ ،
ينْزفُ بين السطورِ وهمْ ينظرون إلى بطنها .
غير أن فتاةَ المني جوب لمْ تكترثْ كلما بدّلتْ لونَ جوربها
بدّلتْ عاشقًا .
ستقولُ لخياطها وهي تعلكُ ضحكتها
أن يخيطَ الذي فتّقتهُ
أيو . . الرجالُ .
العريسُ على البابِ تحملهُ - فوق منديلهِ أبيضًا - زغراتُ النساء تدلُّ الفراشاتِ نحو احتراقِ الأزاهير في شفتيها فتدهنها باللمى أو بروجِ الكلامِ اللذيذِ عن الحبِّ ، لكن نصفَ الذين أحبوا مضوا في دهانِ الكلام إلى

المطبخِ المنْزليِّ يعدون وجباتِ أحلامهنَّ : بقولاً ووصلاً .

تمانعهُ غنجًا أولَ الكأسِ

حتى تدوّخهُ شهوةُ المستحيلِ

فيرمحها عجلاً .

تتعالى الزغاريدُ تحملها - فوق منديلها أحمرًا - في الدفوفِ إلى الفجرِ . ما كان خَلاً سيصبحُ خمرًا ولن يصبحَ الخمرُ خلاً . فمن يرثُ الذكرياتِ من الفتيات . ستتركُ ممحاتها تعبر القلبَ نحوي . . . . .

- أنا . . . . . ؟

. . . . . .

- كلما قلتُ : آه تكسّرَ غصنٌ أمام حديقتها . وهي مشغولةٌ بالحياكةِ ترفو مكائدَ حواء . هلْ أغمضتْ مقلتي بعلها عن مباهجها بذخًا بالنقودِ

فما عادَ يبصرُ أبعدَ من كأسهِ [ - آهِ ، سيدتي لزّهُ في دمي ثم غادرني للبلادِ البعيدةِ ،

منهزمًا من دخانِ الحروبِ

التي شوّهتْ روحَهُ ،

فتلاقفني الآخرون ] وأنتِ . . . . . .

- أنا . . . . . ؟

. . . . . .

- استدارتْ لمرآتها تتأوّهُ [ للحرملِ المتفرقع في جمرِ غيرتها ، أجّجهُ ساحرٌ أكعبٌ فاستشاطَ الغروبُ : فتاةٌ تمشطُ سالفَها للحبيبِ الذي لن يعودَ

سترسمُ ضحكتها بدهانِ الخطيئةِ حتى إذا سالَ فوق المرايا رأتْ أمها تستجيرُ بقبرِ الإمامِ

وتحشو السريرَ المزّقَ بالقطنِ والدعواتِ

ولكن جارتها ستشمُّ البخورَ

فتهرعُ هامسةً نحو جارتها .

بعد شهرٍ ستعرفُ كلُّ المدينةِ أخبارَ حملِ البناتِ من السائحِ الأجنبيِّ الذي كان يبحثُ عن شهرزاد بكتبِ التراثِ المُحقّقِ . . . ] أرقامُ هاتفها تتناسلُ في غرفاتِ الفنادقِ حيثُ الأجانبُ ينكسرون على قوسِ حاجبها البدويِّ المزجّجِ .

تفتحُ قنينةَ الجنِّ

عن رغوةِ البيدِ صاهلة في دماها .

تهبُّ الخيولُ إلى الفتحِ فوق رمالِ الأسرّةِ - هذي الدموع التي تتكسّرُ تحت ارتعاشاتهم ستجففها الطائراتُ - المرايا التي أعتمتْ أولَ الحربِ لكنهم قبل أن يحملوا عطرَها في الحقائبِ ينسونها في المطاراتِ .

تحدجهم حسرة من وراء الصفيحِ المزنجرِ ، نهدًا عجوزًا تلوى على ألفِ صدرٍ يمزّقهُ في الليالي الوحيداتِ نصلُ السعالِ الذي كان يلمعُ بين وميضِ سجائرها ووميضِ القنابلِ تصرخُ في ردهاتِ الفنادقِ فارغةٍ : أين راحوا؟ يجيءُ الصدى : أيها الراحلون على عجلٍ فوق أجفاننا ، امهلونا قليلاً من الوردِ .

يأسى لها حارسٌ في المصحِّ الذي خرجتْ منه قبل شهورٍ تصحّحُ ميلَ الفناجينِ في ٥ ميل[1]

---

(١) ٥ ميل : منطقة في البصرة .

يشاكسها العسكرُ العابرون السكارى :

إذا كنتِ عرّافةَ الغيبِ قولي :

متى تنتهي الحربُ؟

تشتمهم :

يا خنائى ، متى تشبعون نساءَكمُ ، تنتهي الحربُ ]

لكنَّ حربَكَ لن تنتهي

- أنا . . . . . ؟

- سالَ من ذقنه الحبرُ ،

سالَ الغروبُ على دمعةٍ مازجتها مدامعُهُ ، تترقرقُ خلف زجاجِ القطاراتِ يمسحها قبل أن يستدلَّ العريفُ على اسمهِ في القوائمِ .

يحـــملُ مـــا وسعَ الأفقُ من ندمٍ ونبـــاحٍ وراء ظلالِ الشموسِ البعيدةِ ،

لكنها رحلتْ

قبل عشرِ خزامى وصيفٍ [ تمرُّ على الجسرِ ساهمةً

تسأل الريحَ والعابرين :

ألمْ تبصروه حبيبي؟

على شفتيه حنينٌ ونخلٌ

نذرتُ سنيني شموعًا إذا جاء أوقدتها فوق موجِ الفراتِ . المدينةُ لمْ ينطفىءْ ضوؤها وأنا وشموعُ نذوري مُطْفَأتانِ على النهرِ . . . أستحلفُ الموجَ أن يترفقَ ربّتما سيجيءُ بأثوابهِ البيضِ يشعلني ثم يجلسُ فوق المسنّاةِ

يرقـبني هادئًا سـارحًـا في تراقصِ دمـعي على الموجِ حـتى أذوب رويدًا رويدًا . . . ] . . وجئتَ فشبّ الحنينُ بأوردتي . . .

- ما الذي صنعتْ فيكَ هذي الحروبُ؟

نسـيتُ يديكَ تجوبان بسـتانِ صـدري ، وتقطفُ من زهرهِ مـا تشـاءُ .

وجئتكَ نافورةً في عراءِ المدينةِ ، أنثرُ أقواسَ عمري على عشبِ صدركَ ،

ذبلانَ من عطشِ الحربِ . .

لكنهم جرجروكَ بعيدًا

وأذكـرُ . . . . [ لكنَّ عـربدةَ الداخلين إلى البـارِ ، قـصّتْ شـرائطَ أحلامها ، فتناثرَ صوتُ المغني على صحنِ وجنتها

ثم سالَ

وأذكرُ . . . [ فوق سطوحِ المنازلْ

كانتْ تنوحُ سماءُ الأصيلِ

مثقّبةً ، برصاصِ الحروبْ

وفوق، سطوحِ المعاملْ

كانت تلوحُ عثوقُ النخيلِ

مضرّجةً ، بانكسارِ الغروبْ

وبينهما ، تنشرُ الأمُ أثوابَ أطفالها ،

شاحباتٍ من الفقرِ . .

تنسلُّ

خيطانها تحت شمس الظهيرة ، . . . .

تنسلُّ . . . . . .

من معطفِ الحارسِ الفظِّ ، خيطًا طويلاً من الآهِ :

تمتدُ من بيتِ عبود

حتى نهاياتِ هذا الفضاءِ المعلّبِ

يكبرُ لافتةً . . . . .

ثم شمسًا

ستمتدُ من باحةِ السجنِ حتى أقاصي الحقولِ

نرى في اخضرارِ الدموعِ براعمَ أيامنا

تتفتحُ نابضةً في غصونِ البنادقِ ،

تعبرُ قوسَ الفصولِ إلى دمنا

والأغاني التي خبّأتها الحبيباتُ

تحت القلائدِ ، دافئةً بيننا

ما الذي يجعلُ القلبَ أكثرَ حزنًا وقمحا

ما الذي يجعلُ النايَ أدفأَ بوحا

ما الذي يجعلُ الشعرَ جرحًا يضمّدُ جرحا

وأذكرُ . . . . . .

[خلف انكسارِ المساءاتِ

خلف العباءاتِ

ضجّتْ محلتنا بالعويلِ

على بابهم

- قيل جاؤوا بتابوتهِ لُفَّ بالعلمِ الوطنيِّ

- عبود؟

- لا . .

- أخوهُ؟

- . . . . . .

- وعبود أين؟

- . . . . . .

. . . . . .

عبودُ في السجنِ يركلهُ الحارسُ الفظُّ

يشعلُ سيجارةً ثم يطفئها

فوق طبلةِ خصيته

. . . . فتشم المدينةُ رائحةَ الشويِّ

تغفو على جوعها جرسًا يابسًا . .

من طحينِ القنابلِ ،

نصنعُ خبزَ الحياةِ الشهيَّ ،

ونحلبُ هذا السرابَ . . . .

جروحي مسيّجةٌ بالكريستالِ ،

تضوي أمام السياطِ

بحكمتها

كلُّ موتٍ يجذّرني بالحياةِ

تشوغُ من الضربِ روحي ، فأصعدُ

في السنديانِ الوريفِ

إلى آخر الأفقِ

هل تسمعين حفيفَ الغصونِ التي تتساقطُ . .

هل تسمعين رفيفَ البراعمِ تزهرُ . . . .
هل تسمعينـ . . . ني **ني** ني **ني** ني **ني**
بأفواههم
يمضغونـ . . . ني **ني** ني **ني** ني **ني** ني **ني** ني
ني **ني** ني **ني** ني **ني** ني
وهم يحتسونَ النبيذَ الفرنسيَّ
كان المفوّضُ ينقلُ عينيهِ
بين الأضابيرِ
والزرِّ
يزبدُ محتدمًا
- أكنتَ تخطُّ الشعاراتِ ضدَ الوطن؟
- الحكومةُ ليست وطن
- . . . . . .
- . . . . . .
- خائن
- . . . . . .
وفي باحةِ البيتِ ، كان أخوهُ مسجّىً
- جبان
وخمسُ ر **ر** ر **ر** رصا **صا** صا **صا** صات
**ت**
ت
**ت**

ت

يلمعنَ في الصدرِ ، مثل النجومِ المضيئة

– . . . . . .

. . . . . .

. . . . . كـان ليلُ المدينة يهـمي نجـومًـا من الدمع تلمعُ في حلكِ النائحاتِ أمام القبورِ التي اندرستْ فاستحالَ الترابُ خَدودًا مخمّشةً بأناملهنَّ الرقيقةِ .

تمسحها العجلاتُ التي عبرتْ بالمدافع

في غبشِ الفجرِ نحو القرى

فتطايرتِ الشجراتُ – البيوتُ

حمائمَ مذبوحةً

في الفضاءِ – الضريحِ . . .

[وأنتَ

على الأرضِ ، بينهمُ ، كرةٌ تتقاذفها الركلاتُ ،

فتبصقُ عمرَكَ

فوق بلاطِ الزنازين ،

سنًا ،

فسنًا . .

فما بين موتٍ وموتٍ ،

مسافة أن تعترفْ . . . .]

– ألا تعترف . . . . .

يا بن منيوكة الـ . . .[1]!؟

. . . . . .

كثيرون خانوا وأنتَ وراء المتاريسِ تشتلُ صبرَكَ صبّيرةً في العراءِ .

تدخّنكَ الحربُ سيجارةً تورّثُ من عقبِ سيجارةٍ في فمِ العقداءِ؟ ، تدافع عن شجرٍ لمْ تلامسْ شفاهُكَ خضرتَهُ ، وشوارع لمْ تنتشِ بمباهجها .

قلتُ : لا بأسَ روحي مفخخةٌ بالحقولِ .

سأفتحُ شباكها

وأرى كيف تندلعُ السنبلاتُ - الحياةُ

**الحياةُ** . الحياةُ . **الحياةُ** . الحياةُ

الحياةُ . **الحياةُ** . الحياةُ

**الحياةُ** . الحياةُ . **الحياةُ** على بعد نبضٍ ونافذةٍ من مكاتبهم

فلماذا رموني هنا في الخنادقِ كالفأرِ أقرضُ خيطًا سيوصلني للنهايةِ .

هل نكتفي بالإجازاتِ مسروقة لنقولَ بأنا ارتكبنا الحياةَ . أفي وسع زرقةِ هذا المدى أن تبلّلَ روحي؟ أنمسكُ كفَّ الفتاةِ لنرعشَ عامين من شهوةِ الحبِّ؟

هل عمرنا غلطٌ يتعقبُ خطوَ المصحّحِ للبارِ؟

أطفالنا غلطٌ

والسنين التي سقطتْ قبل أسناننا غلطٌ .

حالًا

---

(١) فشّورة . .

في المقاهي
أصيد الشرودَ
ورائحةَ العابراتِ
ولكنَّ هذي الغيومَ التي شتّتني على شفتيكِ
أضاعتْ خطى القلبِ
بين القصيدةِ والسجنِ . .
هذي جروحك أكثر مما تُعدُّ ، . . . . . ويبتسمُ الندلُ :
- كانت هنا في انتظاركَ . . . . . .

لي وطنٌ ضيعته الحروبُ
ولي امرأةٌ شتّتْها الدروبُ
ولي حسرةٌ في الرياحِ تلوبُ . . . . . .
فمن أين ألتمُّ في وجعي - يا سياطُ -
إذا ازرقَّ جلدي ،
وشفَّ سماءٌ لها كلُّ هذي النجوم الموشّاةِ
تكشطُ عن روحيَ الصدأَ المتقرنَّ . . . . . .
. . . . . .
- سوف أريكَ نجومَ النهارِ
- . . . . . .
رأيتُ النجومَ تلامس روحي ،
وأصعدُ محتقنًا بالعذاباتِ
نحو الإله ، . . . . . .

أُريهِ المساميرَ في جسدي . .

- تفْ . . . . . .

- . . . . . .

. . . . . .

أريدُ من الله موتًا نظيفًا

ودالية فوق قبري

أشدُّ الأسى وترًا فترنُّ الرياحُ

. . . . . ولم أكترثْ

ما الذي سوفَ يعني القتيلَ المُسَجَّى على الأرضِ شكلُ المسدسِ

مَنْ حضروا لجنازته؟

ما الذي سوف يعنيهِ لونُ الأكاليلِ ( . . عبود خطبوا له مَرَّة ، هيه ، هيه ، هيه . . . من غير حمرة محمرة ، هيه . . هيه . . هيـ . . . . . )

- ستزوعُ بأسمائهم . .

أو تزوعُ المصارينَ

- . . . . . .

من فتحةٍ بين كدسِ بساطيرهم ،

يتدلى الفضاءُ على شكلٍ مشنقةٍ . . .

زاعني فتخثرتُ

فوق البلاطِ

وما لمَنَي أحدٌ . .

ما لهم كلما عبروني ،

أشاحوا بأعينهم . . . . . .

في الطريقِ ، لعينيكِ
أوقفني الرجلُ الجمركي
وفتّشَ قلبي ومحفظتي . . . . . .
لمْ يكنْ في دمي غير خارطةٍ للعذاباتِ
لمْ ترها عينهُ الزئبقيةُ
- واللهِ ، يا سيدي إنها صورتي
ناحلٌ كالقطارات في البرد
متشحٌ بالتشردِ والمفرداتِ اللعينةِ
. . . . . يا ليتها تعرف الآن أيَّ المخاوفِ تقتسمُ القلبَ - هذا المجوّفَ ، كالطبلِ - هذا الكسيرَ أمام وجومِ المفوّضِ . . . . .
- والله يا سيدي إنها . . . . . .
كان وجهي خلاصةَ جوعِ المدينةِ
كان صديقَ الكلابِ التي قاسمتني فتاتَ المزابلِ والبردِ
ها إنني أعرفُ الناسَ والأثرياءَ المرابين - ياسيدي - واحدًا ، واحدًا ،
من خلالِ امتلاءِ مزابلهم . .
أعرفُ الآن
أيَّ اللحومِ ، يفضّلُ هذا المفوّضُ . . . .
. . . . . .

كان بيني ، وبين المفوّضِ ،
طاولةٌ للحوارِ العقيمِ
وزرٌّ . . . . .
ومن خلفِ نافذةٍ مسدلةْ
كنتُ أسمعُ ليلَ المدينةِ يعوي كذئبٍ جريح يمزّغهُ الجوعُ في قفصٍ ، والشوارعَ منسيةً بين أدراجهِ . بين ظلِّ السما والزجاجةِ ظلُّ القتيلِ الذي كان يكبرُ في خطواتِ المصابيحِ والخوذِ السودِ ، يمتدُ ، يمتدُ ، . .
تقطعهُ السرفاتُ ولا أحدٌ في المدينةِ غير الجنودِ يشيلون أثاثنا كالغبارِ بأكمامهم . كربلاء - يبوس[1] - سراييفو ، بأجراسها كبغالٍ مطقّمةٍ[2] . المكانُ هو الإرثُ .
لا أرضَ لي
أتعثرُ بين الزنازينِ والناطحاتِ
وأسقطُ بين صدى طلقةٍ وندى زهرةٍ ، تتفتّتُ تحت تخوتِ الحدائقِ . كلُّ سماء أكوّرها في يدي سوف تفلتُ مني كرملِ الشواطىءِ ( . . . . تنحدرُ القطراتُ : تُ ، تك ، تكُ ، تُ ،تُ تك ،

---

(١) يبوس : اسم مدينة القدس الأقدم .

(٢) ثمة إشارة الى قصيدة «سراييفو» كتبها لورنس دوريل صاحب رواية «رباعية الاسكندرية» نشرها عام ١٩٤٨ في ديوانه «حول ما يبدو افتراضًا» : «البوسنا تشرين الثاني والطرق الجبلية/ ترابية لكنها تمامًا تناسب/ هذه الأحاديث الطويلة الحميمة للزحف المضاد الذي/ يسير على وقع صرير العربات الهائمة المتخبطة/ فوق ممرات السحاب / وها هم يتحركون الآن/ بأزواج من البغال كالحشرات مطقمة بجرس/ معلق على حافة نافذة سماء شتائية» .

تك ، تك ، تك ، تك ، تك ،

ت ، تك ،

تك ،

تـ . .

ك

كـمـا إبرٍ في السكونِ تمزقُ رررررر . .ااااااااااااااااااااااااااسـ . . سـ . .
ـسي . أروّض جسمي لأقصى العذاباتِ ، كي يستمرَ أمام السياطِ

امنحيني ولو قطرةً من شرابكِ
يا كاردوين لأبصرَ أبوابَ سيبيل[1] أين ستفضي؟ . . .
الرباباتُ تنبتُ بين أصابعنا طرقًا ليس نعرفها
صاحَ أَقدَمُنا في السجونِ :
أهينوا بأجسادكم تصمدوا)

لن يعودَ لنا الكرْزُ[2] . . . عبود روحي معلّقةٌ من غلاصيمها .
أنتشي بالورودِ ،

---

(١) المتنبئة في الأسطورة الرومانية يصف فرجيل في الإنياذة معبدها : «إن مدخله في صخرة وله مئة مدخل ومئة فتحة ويخرج من الفتحات مئة صوت متدفق هي إجابات سيبيل» .

(٢) «زمن الكرز لن يعود» أغنية شاعت قبل الحرب العالمية الأولى .

فيصعدُ في رئتي المستفزةِ رائحةُ البولِ ( . . . . . اعتني بحديقةِ روحي ، إذا متُّ) لا تتركوا الكتبَ والضوءَ قربَ ضريحي أنا تعبٌ وأريدُ أنامَ[١] . يقولُ لي النايُ ما لا تقولُ الرياحُ . زفيرُ الطبيعةِ هذي البراكينُ[٢] . أين زفيركَ يا صاحبي؟ خذْ صليبكَ واتبعني[٣] . أنفتّشُ عن موتنا لا نراه؟ . . . ونرغبُ فيه فيهرب بين أصابعنا[٤] . . . كان آخر ما قالهُ في الملفِّ : لماذا الغموضُ وقاتلنا واضحُ[٥] ، واضحٌ كالمسدسِ في رئةٍ زفرتْ كلَّ أرجائها في الخزانةِ ، أو غامضٌ كالخزانةِ في غرفةِ البنتِ ، علّقتُ صبري بمشجبها ومضيتُ . . . (أعلّقُ في مشجبِ السوطِ جلدي الممزّقَ متشحًا بالملفاتِ ،

أماهُ لِمْ جئتِ بي للشجونِ[٦] . كمرآتها
وهي تندبُ وحدتها في الظلامِ
ولا قمرٌ فوق قضبانِ نافذتي أو يداكِ . .

---

(١) اقتباس من رشدي العامل : «أرجوكم لا تضعوا المرايا في قبري ، ولا الكتب ولا الأوراق تحت رأسي ، فأنا تعب أريد أن أذوق طعم النوم» .

(٢) اقتباس من عبد القادر الجنابي : «البراكين زفير الطبيعة» .

(٣) المسيح .

(٤) اقتباس من سفر الرؤيا - الإصحاح ٩ - العدد ٦ : «وفي تلك الأيام سيطلب الناس الموت ولا يجدونه ، ويرغبون أن يموتوا فيهرب الموت منهم» .

(٥) اقتباس من معين بسيسو : «القاتل واضح والضحية واضحة فلماذا الغموض» .

(٦) إشارة إلى بيتين عثر عليهما في مخطوطة شيوعية صادرها رجال الشرطة في عام ١٩٥٤ في سجن بعقوبة : «مالج يايمة جبتيني للظيم / والدنيا بس وياي تمطر بلا غيم» العراق - حنا بطاطو .

لشدة يأسي أضئتكِ ،

هل أخسرُ الأرضَ كي أربحَ القبرَ ،

نمشي وثالثنا الهجرُ[1]) عمن يوضحُ لي شهوتي لصق ساقيك ،

منفرجين على مقعدٍ عابرٍ ،

لأرى كيف تزلقُ عيني ،

فأرفعها للكتابِ . . . (فأزلقُ فوق براز قديم يفتّتهُ الدودُ ، أنهضُ متسخًا لاعنًا) أيّ مزبلةٍ تسعُ الأرضَ . . . [ يبصقُ عبود في الدودِ يحملُ أسلابَهُ . كلُّ تأريخنا صدفةٌ

يقتضيها

السياقُ . . . . ] احتذاني وسارَ يفاصلني بلباقتهِ عن أساي بشتى الشروحاتِ ،

شتى نصفّقُ في البرلمانِ عن الفولِ والوحدةِ الوطنيةِ . أضرطُ أضرطُ[2] . . . . . .

أضرطُ ، فوق مدارِ حياتي بكلِّ قواي . . . . (أرى الدودَ يدنو ، فأبعدُ ماعوننا عن غلاصمهِ) سرقتنا الشوارعُ من ظلنا في الشوارعِ .

لمْ يكنِ الوهمُ أبعدَ من ضحكاتِ الصخور عن البحرِ غيّبها في

---

(١) اقتباس من ناظم حكمت في «الحياة جميلة يا صاحبي» : «كنا نتمشى جنبًا إلى جنب ، ثلاثتنا / أنا وأنوشكا والفراق» .

(٢) اقتباس من عقيل علي في «طائر آخر يتوارى» .

التماهي تنفسُ أحلامها في الرمالِ على لغةٍ علستها البلاغةُ ثم رمتها على فمنا كالنفاياتِ . ما عمرهُ زبدُ البحرِ؟ ما ثقلهُ؟ ناتفًا ريشَ معت[1] لكي أزنَ الظلمَ تحت بساطيرهم تزنُ الأرضَ كوّرها إلتجرا[2] على قدمٍ كالنعامةِ تسبقنا نظرةٌ قتلتْ جوجوليان[3] كيف مضى بين هام وزا فوق بغلّتهِ تيلبينو الكسيح إلى جرحنا سوّرتهُ لقدموس[4] أسنان تنين تمتدُ من عصرِ هسيود

حتى حذاء الرئيسِ المبطّنِ بالفروِ والغزوِ :

يا سيدي ، لا ذرائعَ تحتاجها[5] (تتفجرُ أجسادنا مثل بالونةٍ تحت

---

(١) إلهة الصدق عند المصريين تمثل لابسة ريش نعامة واحدة ولعدالتها استخدمت ريشتها لوزن روح الميت في يوم الحساب أمام اوزوريس .

(٢) إشارة إلى إلتجرا وتعني : «من لم يعلمه أحد» وهو إله الحلم في الزمن القديم أعطى الأرض صورتها الحالية وهو أبو قبيلة الأرانداً في استراليا يصورونه على شكل رجل في السماء وقدماه مثل النعامة الاسترالية ويعتقدون أنه لم يعد يهتم اليوم بالبشرية .

(٣) بطل ايرلندي نصف أسطوري عاش في القرن الأول ق . م كان وسيمًا تحبه النساء ومحاربًا عنيفًا يخرج من تاجه دم أسود على شكل دخان . حاصر في أحد الأيام قلعة أميان ماجا وخرجت من القلعة مائة وخمسون امرأة عارية وبأيديهن أوعية ماء ، وعندما حول نظره عن الحصار للتفرج عليهن رمين عليه ماءً باردًا ومغليًا فاستسلم وأنقذت القلعة .

(٤) أسس مملكة طيبة ، وللحصول على الماء ذبح تنينًا من أولاد إله الحرب آريس وحكم عليه بالخدمة لمدة كعبد ، فنصحته آلهة أثينا بزرع أسنان التنين فخرج من الأرض محاربون أشداء . ويعزو الإغريق إلى قدموس أنه أدخل الحروف الأبجدية من فنيقيا وتتألف من ١٦ حرفًا .

(٥) إحالة إلى أدموند بيرل : «نادرًا ما يحتاج الطغاة إلى ذرائع» .

كرباجهِ ، وهو يضحكُ منتشيًا) امتلا ثورُ فاليس من لحمِ صرْخاتنا[١]

رافعين بأقداحهم نشوةً لخوارِ المدينةِ :

كومود[٢]

هليوجالا[٣]

مكسيما[٤]

نيرون

هتلر . . الخ

جنكيز خان

سيموزا

هولاكو

يونغ لو[٥]

---

(١) طاغيـة أجـريجنتـوم الـذي طلب من الفنان الأثيني بيـريلوس أن يصنع له ثورًا نحاسيًا يحشر في بطنه المحكومين ويحرقهم أحياءً فتصدر صيحاتهم تحاكي خوار الثور .

(٢) طاغية روماني وضعت له السمٌ عشيقته وخنقته ، يقول المؤرخون : «إن فساده وإباحيته قد بلغت حدًا تخجل الكلمات عن وصفه» .

(٣) طاغية قطّعتْ أوصاله الجماهير في ميادين روما عام ٢٢٢ .

(٤) حملت الجماهير رأسه ورؤوس وزرائه على أسنة الرماح . علّق أحد المؤرخين : «إن الطغاة لا يموتون في أسرتهم» .

(٥) إمبـراطور صيني حكم على الكاتب لغ ون بالإعدام ضـربًا بالسيف ، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة استطاع أن يكتب بالدم كلمة خائن .

كاليكولا[1] . . . الخ

القائدُ الأوحدُ ، الرمزُ . . .
القائدُ الفذُّ
- نعم سيدي[2]

الجميع يقولُ : نعم سيدي . . . . . .
الواحدُ ، الأحدُ ، الصمدُ ، الفردُ ، يغني ، ويفني ، يميتُ ، ويحيي ، و . . . .[3]

(النفاياتُ تعلو على لغتي

---

(١) طاغية روماني (٣٧-٤١م) كان يتمنى : «لو أن الشعب الروماني برأس واحدة لأقطعها بضربة سيف واحدة» ، وفي مقطع من مسرحية رومانية قديمة عنه : «كل فرد لا يحب كاليكولا فهو خائن/ وكل خائن يجب أن يعدم/ وبما أن الشعب كله لا يحب كاليكولا/ إذن الشعب جميعه يجب أن يعدم/ ولكنها مسألة وقت» .

(٢) ثمة اقتباس من عنوان مجموعة الشاعر أونسيمو سلفييرا «الجميع يقول : نعم سيدي» ، وهو من جزر الرأس الأخضر ولد ١٩٣٥ قضى ٣ سنوات في مزارع سان طومي محكومًا بالأشغال الشاقة .

(٣) إشارة إلى الرسالة الخامسة من رسائل حمزة بن علي إلى الحاكم بأمر الله ٣٨٦ - ٤١١هـ : «توكلت على مولانا الحاكم الأحد ، الفرد الصمد ، المنزه عن الأزواج والعدد» .

ما أقلَّ القصيدةُ!
خمسونَ ألف قتيل على الأرضِ
لمْ يبكْهم أحدُ[1])
القذيفةُ في السبطانةِ ، ماذا إذن يلدُ الغدُ
. . . . . أو يَعِدُ[2]
وما نحن إلاّ حجار الطواحينِ .
اقلبوا أرضنا حجرًا حجرًا ،

---

(١) إشارة إلى انتفاضة الشعب المنغولي ٤ شباط - ١٥ آذار ١٩٦١ والتي سقط فيها ما يزيد على ٥٠ ألف قتيل نتيجة القصف بالنابالم والمذابح الجماعية التي قامت بها القوات الاستعمارية ، وقد خلدها الشاعر المنغولي فرناندو كوستا اندرادي في قصيدته الرابعة من نشيد الاتهام : «على الأرض خمسون ألف قتيل لم يبكهم أحد/ بلا قبور/ كانما أفواه الخمسين ألف قتيل/ كانت في لحظات الاحتضار/ تدين كل أحياء الأرض» . وثمة إحالة إلى قصيدة الشاعرة الدادوا سبرتيو سانتو التي شهدت مذابح باتيبا وما قام به الجيش الاستعماري ضد سكان جزيرة سان طومي في أيام ٣ - ٥ شباط ١٩٥٣ : «الدم يتساقط قطرة قطرة على الأرض/ الدم يجلجل يجلجل/ على أولئك الذين ذهب بهم البحر/ آهًا . . / بحر فيراوو دياس الذي ابتلع تلك الأجساد البشرية/ لقد صار لون البحر أحمر قانيًا» .

(٢) إشارة إلى قصيدة بشار بن برد :

«ترجو غدًا وغدٌ كحاملةٍ
في الحي لا يدرون ما تلدُ» .

تجدوا دمنا راعفًا[1] . .

آهِ من أمةٍ لا تعيشُ بدون حروبٍ ،

فإن خرجتْ من ليالي البسوسِ ، مضت لحروبِ البنوكِ ،

فإن بدأ القصفُ غطّتْ على رأسها الرملَ .

ليتك قلتَ بأنّا نحاربُ هذا الهواءَ ليعبرَ جندُ التتارِ ، على جثتي ، كي يقيموا لأهلي مأدبةً للسلامِ

وكنا سنبقى نعمّرُ هذي البلادَ

كما شاءها الربُّ في حلمهِ البابليِّ

جنانًا معلقةً ، يترقرق فوق مدارجها الماءُ والصلواتُ

---

(١) إشارة إلى ما قاله لوي ماشورون المندوب العام لمنظمة صيادلة بلا حدود الذي وصف الوضع في مدينة كربلاء بأنه مأساوي ، وأن أحد مستشفيات المدينة تحول إلى ساحة معركة حيث الدماء في كل مكان ، ودمر كل شيء في كربلاء فلا ترى في الشوارع إلا سيارات تحمل نعوشًا ، وأضاف أنه عندما اقترب من مدخل المدينة شاهد عددًا ضخمًا من الجنود وأن كربلاء توحي بأن كارثة حقيقية أصابتها . وما قاله أيضًا ريتشارد باوتشر نائب الناطق بلسان وزارة الخارجية في مؤتمر صحفي يوم ١٢-٣ : «نظرًا للقتال العنيف الذي يدور حول النجف وكربلاء ، ونظرًا لاستعمال الحكومة المعدات الثقيلة فإنني أفترض أنهم يقومون على الأقل بقصف بعض المناطق القريبة من المساجد ، هذا إذا لم يكونوا يقصفون المساجد نفسها»- نشرة الأنباء العربية / وكالة الإعلام الأمريكية ليوم ١٣- ٣- ١٩٩١ ص ١٢ رقم ٣٠٥ - .

ولكنهم هدمونا
أشادوا على دمنا المتيبّسِ ، زنزانةً
وادعوا أنها وطنٌ
ثم قالوا : هنيئًا بما يخصبُ البلدُ

. . . . . .

لا بحرَ نثلمهُ بالمراكبِ
يا أيها النائمون على حجرِ الثورةِ المستحيلةِ
لا رمل أو زبدُ
رأيتُ دمي في الطوابعِ يلصقها المبعدونَ . .
إلى أين تسعَى بنفسكَ؟
إن الحياةَ - البلادَ التي تبتغي[1] . . . . . .
محض أغانٍ تفرّشُ أسنانها في وضوحِ الكلامِ
أعلّقُ نفسي على جذعِ ياكِ[2] لأقطفَ ذكراكِ . كورماك[3] لا تظهر الآنَ كأسَكَ
أين مضى الشعراءُ؟

---

(١) من خطاب صاحبة الحانة سيدوري إلى كلكامش .

(٢) إشارة إلى ياك دارسيل الرماد الكوني أو شجرة الدردار في الإسطورة الجرمانية ، وغصونها تمتد على العالم وتصل السماء ، وقد علق ياغ دار سيل نفسه في الشجرة الكونية لمعرفة ذاته .

(٣) إشارة إلى كأس كورماك ماك آرت سليمان الحكيم الايرلندي ، وهي كأس ذهبية عجيبة إذا قيلت أمامها ثلاث أكاذيب تتكسر إلى ثلاث قطع ، وإذا قيلت أمامها ثلاث حقائق تعود إلى ما كانت عليه .

يسوطهمُ الخوفُ نحو كهوفِ الغموض
وكلبهمُ باسطٌ ذيلَهُ بالوصيدِ[1]

الجليدُ يغطي المديدَ

وأقصدُ : كم جُلدوا؟ من بعيدٍ ، أرى من بعيدٍ ، ظلالَ المدينةِ والحافلاتِ التي تحشرُ الصيفَ والفتياتِ الجميلاتِ في كأسهِ (ما الذي سوف يعنيكَ؟ ماذا سيعني السجين اخضرار السهول) سأرجعُ من وطنِ النفيِ بعد ثلاثين عامًا

لأطرقَ بابَ البلادِ بعكازِ شيخوختي - مَنْ ستفتحُ للكهلِ سيقانها؟

وأقصدُ عمرًا يسيرُ بعكازةٍ
ما الذي ظلَّ منه؟) . . . يرفعهُ نخبَ غربتهِ
فيرى حزنَهُ طافيًا كالفراتِ ،
على رغوة الخمرِ

يكرعها ظامئًا فتفرُّ خطى الفتياتِ سراعًا إلى تخمةِ الزوجِ ، مرَّ هو الزوجُ بالبُنِّ تلعقهُ فتسيلُ على شفتيها لزوجةُ مكرِ الرجالِ وطعمُ السجائرِ (تمضي البناتُ إلى السُكْرِ في آخر الحبِّ ، نمضي إلى الشعرِ في أولِ الحبِّ ، نرمي فحولاتنا كالحصى في اختلاطِ المياهِ) إلى أين يمتدُّ خيطُ زفيري[2] ،

---

(١) استفادة قرآنية : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ سورة الكهف آية ١٨ .

(٢) إشارة إلى آلهة القدر عند الإغريق يغزلن خيوطًا تمثل مدى حياة الإنسان الفاني .

يا مواري ،

بين القصيدةِ

والقصدِ .

ترزمني الطرقاتُ وترسلني في بريدِ الدموعِ إليها (- الرجال همُ غرفٌ لانتظارك) تضحكُ حين تراني أغلّفُ قلبي بكيسِ البلاهةِ ، مرتبكًا مثل طيرٍ تعلّقَ في الشوكِ (- لا عاشقٌ جاهزٌ في الحقيبةِ ،

يصلحُ للحفلاتِ الأنيقةِ) سيدتي ، الطيورُ تنوحُ على شجري ،

وتغني على فنِ الآخرين (- أقلبك قبري؟ . . .) لقد تركتني أهشُّ قطيعَ مدامعها

عن مروجِ جنوني .

كأنْ لمْ يكنْ بيننا والحجونِ

أنيسٌ سوى . . . . . .

فوّضتني الدروبُ إليكِ ، أضيعُ وراءَكِ في كلِّ خطوٍ[1] . . إلى أين أمضي ، أنا ، رجلٌ ليس لي في يدي غيرُ عشرِ أناملَ ، لمْ تتهجَ سوى الكلماتِ وجسمكِ . أيُّ جحيم ، إلهي ، سأرضى سوى هجرها . أيُّ دكانِ تبغٍ صغيرٍ أبيع بهِ .

---

(١) اقتباس من أميليو برادوسن : «أسير في اثركِ خطوة خطوة ألا ترى ذلك؟ فإنني أضيع خطوة خطوة» .

أيُّ شيءٍ سأرضاهُ غير عذابِ الكتابةِ[1] (أغلقُ بابي وأحكمُ فيها الرتاجَ

بسلسلةِ السنواتِ المريرةِ) نحنُ الجميلين في الموتِ ،

أكثر موتًا من الوردِ .

ثمة ما يشبهُ البرقَ في غفلتي ، لافحًا لمحَ سيكة[2] ، في شجرِ الاشتباك ، مجازًا مررتُ عليها الحياةَ ،

نشكّلها بالأغاني وليس بسيفك .

هذي الحروفُ إفاضاتنا في الإضافاتِ .

هل أتداركُ بالمتدارك ، سهوَ مداركَ .

يسألني : أين دارُكَ؟ دارَ المقيلُ وضاعَ الدليلُ

ومات حصاني قبيل الصهيلِ على بابِ قيصر . . . .

أين بكى صاحبي؟

أين دربُ العراق ، ونحن بصفوان ها؟

أين غابَ الوعاءُ المقدّسُ[3]؟ لا لانسلوت بأحضانِ جنيفر ، ينسى

---

(١) اقتباس من أزرا باوند : «رباه ، فينوس ، ميركور يا شفيع اللصوص / امنحوني دكان تبغ صغيرة/ أو أعينوني في أية حرفة/ عدا هذه الحرفة اللعينة ، حرفة الكتابة» .

(٢) معناها النفس هجرها كيوبيد لأنها خالفت وعدها ونظرت إلى وجهه ، وقد ظهر في عهد بوذا اثنان وستون رأيًا في النفس .

(٣) إشارة إلى قصة الوعاء المقدس التي تناولها الشاعر الألماني ولفرام فون إشنباخ والشاعر الانكليزي كرتيان دي تروا ق ١٢ وهو الإناء الذي صب فيه دم المسيح ولا يجوز لغير الفارس الطاهر أن ينظر إليه ، وقد حاول لانسلوت أن يمسه ==

المليكَ المعلّقَ في سيفِ اكسسكالبور[1] ، لا شيءَ في أرضك البورِ . يستلُّ آرثر - من صخرةٍ - سيفَهُ ويدورُ ، وأنتَ على الفاتِ ملقىً على رملِ ملقارتِ[2] ، بين عمودين من ذهبٍ وزمردَ ، يلتمعان أمام السفائنِ

أهلي بأرصفة الشحنِ ينتظرون المراكبَ والبحرُ عاتٍ ، ولكنني سأواصلُ هذا الغناءَ[3] .

سأخبركمْ باسمِ هذي الينابيعِ ، تغسلُ أحجارنا[4] ، بالمحقّقِ يعرف كيف يُقِرُّ السجينَ بأسمائنا .

---

== فخانته قواه بعد أن أحب جنيفر زوجة الملك آرثر وأحبته رغم القسم فحلت الكارثة بالمملكة وحدثت معركة كبرى قتل فيها كل فرسان المائدة المستديرة وجرح الملك فرمى سيفه في بحيرة خرجت منها ثلاث جنيات حملنه إلى أفالون .

(١) السيف الذي لا يقهر وقد استله آرثر من صخرة لم يقدر من قبله على إخراجه منها أحد .

(٢) هو هرقل الكنعاني وإله مدينة صيدا ، ذكر هيرودوس بأن معبده يحتوي على عمودين من الذهب والزمرد يضيئان في الليل وارتبط بالبحر والملاحة .

(٣) اقتباس من روفائيل البرتي : «أعرف أن الجوع يذهب بالنعاس/ ولكن عليَّ أن أستمر بالغناء / وأن السجن يغيّم الأحزان/ ولكن علي أن أستمر بالغناء/ وأن الموت يقتل الحلم/ ولكن عليَّ أن استمر بالغناء» .

(٤) اقتباس من سان جون بيرس في قصيدته المنفى التي كتبها بعد صمت عشرين عامًا : «اغسلوا أحجار أعتابكم/ وسأقول لكم بصوت خفيض/ اسم الينابيع التي سنغسل فيها غدًا/ غضبنا الطاهر» .

اصمتوا ، إنني الآن أصغي لقلبي[1] . تعلمني الأرضُ أكثر من كتبي والمعاجمِ[2]

كم مرةً

سنضيعُ لنكتشفَ الدربَ؟ (أفترضُ النملَ ، يدبي إلى سنبلي ، حاملاً حبةً ثم أخرى

ولا تمتلي كتبي ولياليكِ) - يا سيدي ، ما الذي سوفَ يحكي فمُ العندليبِ ، إذا ما تكلّمَ؟

أين مدينةُ نيقوسُ[3]؟

الرياحُ يماميةٌ والدفوفُ وراءَ المغني تشيلُ العروسةَ من فخذيها إلى قصرهِ .

يتأملها ساعةً هائمًا بالأيائلِ ،

تمرحُ بين الغديرِ وسرتها .

يأمرُ العبد

يخرجُ مفتاحَهُ . . (فتدقُّ الطبولُ

لبيتِ العريسِ

---

(١) اقتباس من أراغون : «اصمتوا الآن ، اصمتوا لأصغي إلى قلبي» .

(٢) اقتباس من اكزوبري : «تعلمنا الأرض أكثر مما تعلمنا الكتب ذلك أنها تقاومنا» .

(٣) إشارة إلى هيليو باليتان وترجمتها مدينة شمس المساواة بناها أرسطو نيقوس عام ١٣٣ ق .م أعتق عبيده من نير العبودية ونادى بمبادىء المساواة بين الجميع تحت الشمس المشرقة ، سحقها الرومانيون عام ١٢٩ ق .م ولا تزال آثارها باقية في قايين بآسيا وفيها العديد من المسارح والمكتبات والمعارض والقصور .

يدندشها ذهبًا ، وهي تبكي . . . . (تخفُّ الدفوفُ التي انتظرتْ كي يمرَّ الشهيدُ

وحين تباطأ موكبُهُ

زمَّرَ الأبُ في ضجرٍ :

آه . . ، لو يسرعوا بجنازتهم

فالطريقُ لنا) ولنا ما تبقى لنا من فتاتِ المذيعةِ ، تعنسُ قبل نهايةِ أخبارها ،

فنفلّي الوجوهَ ونفصلها عن معانٍ ، ترى البحرَ ملحًا أجاجًا وهذي النجومَ دبابيسَ ربٍّ يهندسُ شكلَ السماءِ بدولابِ ضحكتها :

أين مروا (ضغطتُ على جرسِ البابِ ، مرتبكًا ، فتناهى سعالُ أبيها

يغطي على عهرِ ضحكتها . .) ما الذي خضّني حين أبصرتُ ابنتها البِكْرَ في حضنه . تتراعشُ . في فمها . الكأسُ للنصفِ (في فمهِ شفتيها ويحلم بامرأةٍ . . . .)

- إن أردت النضالَ ،

تعالَ ، وناضلْ هنا بين فخذي

. . . . . .

- سأعزمكمُ في المساء على . . . . . [1]

- كم قبضوا آخرَ الشهرِ

---

(١) فشوّرة .

قـوّادةُ الحيِّ تعـرفُ أسـمـاءَهم ، واحـدًا ، واحـدًا (قـالهـا ضـاحكًا واستـرابَ . . .) ونعرفُ

أسماءَهمْ

من خلالِ الجرائدِ :

هذا الـذي يتـأبطُ مـحـفظةَ الجلدِ ، أبصـرتهُ في المزارعِ يحـصي الغـلالَ

ويوعدهم بالغيومِ وبالكهرباءِ

وهذا القميءُ المضمِّخُ أيامهُ بالعطورِ الأميركيةِ الصنعِ

ينشرُ كلَّ صباحٍ مقالاً عن الوطنيةِ والفقراءِ

. . . . . .

وماذا ستنشـرُ أرملةٌ في نهـارِ السلامِ سـوى حـبلِ أحـلامـهـا ، عـالق النظراتِ على سطحِ جارتها بالثيابِ الشفيفةِ تجمعُ في طشتها عمرها ، ذائبًا في شـموسِ الأزقةِ ، تعجنهُ ثم تخبزهُ قُرصًا كاستدارةِ شـمسِ المغيبِ ومن خلفـهـا ابنهـا يعلكُ التبنَ والنظراتِ لَمَنْ يقـرصـون اسـتـداراتهـا فـتطاردهمْ بالشتائمِ .

أحذيةُ الجندُ تهرسُ أقراصَنا في السجونِ ،

فتبلعها الأمهاتُ .

بأيِّ الوجوهِ تقابلُ ربَّكَ؟ تثرمُ إصبعَهُ وتشيّشهُ في الكبابِ . (إذا مرتِ الهاوناتُ

تذكرتُ ليلى تشيلُ عباءتها

ثم تركضُ محنيةً تحتَ سقفِ العماراتِ ،

يبعصها رجلٌ

فتفزُّ من الحلمِ مذعورةً .

تبصرُ الخبزَ منتثرًا تحتَ أحذيةِ الانكشاريةِ . الدودُ منتفخًا في العجينِ – الفطائس يدبي إليها ، ومن خلفها ابنها نائمًا كغريقٍ على الجرفِ ، منتفخَ البطنِ والنظراتِ . . . . . .

. . . . . .

كان المفوّض يبصقُ في وجهه ، مزبدًا
طافحًا بالسبابْ

. . . . . .

وكنتَ أمام أخيكَ المضرّجِ بالدمِ ، مختنقًا بالبصاقِ – الغيابْ
وكانتْ بنادقهم في انتظاركَ
ترسمُ وجهَكَ في كلِّ بابْ

– ستضيعُ كبولٍ بهورٍ

رأيتُ إلى السقفِ أحمرَ يقطرُ بين جفوني وأقدامهم ، والسهولَ المغطّاةَ بالثلجِ تجلدها الريحُ ، تصفرُ بين الخرائبِ والشجرِ المتساقطِ نادبةً نهرَ شوبور .

هل تمسحُ الريحُ تنهيدتي في الهواءِ؟

أدورُ الشوارعَ فارغةً – ريثما ينتهي من كتابةِ تقريرِهِ – أتأملُ تابوتيَ الخشبيَّ تراقصُ بين أصابعهِ جملاً تتوارثُ من جملٍ سيعدّلها لتلائم جسمي المسجّى (– وهذي السياطُ على جسدي مَنْ سيدفعُ أثمانها؟)

انتبهتُ إلى الحبرِ سالَ على شكلِ قافٍ طويلٍ

رأيتُ وراءَ المغلّفِ :

حشدًا من اللاطمين ،

وأعمى يرتّلُ آيًا بطيئًا ،

وطفلين منكسرين وراء الشناشيلِ . .

أينَ تحطُّ الطيورُ؟

(أدورُ . . . . . .

- دقائقَ لله ، يا محسنين!) . .

إذا دخلَ الخيطُ في إبرةِ المرءِ خاطَ الذي بين جفنيهِ ، حتى تراءى لهُ اللهَ أقربَ من قوسِ حاجبهِ

كمْ طريقًا يؤدي إلى الربِّ

لكنني اخترتُ أرقصُ[1] في حلقاتِ المذاهبِ ، منهُ ، وفيهِ ، . . . .

فإنْ هزَّهُ طربي

فانظروهُ ، تروني .

انظروني تروا كلَّ شيءٍ ولا شيء

قلتُ : سأصلحُ مما أرى . . [ ضحكَ السهروردئُ من فقرِ روحي ، حتى استفاقَ الصحابُ من السكرِ في حانةِ الذِكْرِ ، ثم أشارَ :

اطفئوا أيها الساهرون سراجَ الحقيقة والشك ، يشرقْ بكمْ نورُ أنوارهِ ، نيّرًا

ثم مالَ إلى النورِ ، حتى اختفى في السراجِ

---

(١) إشارة إلى قول جلال الدين الرومي : «كثيرٌ من الطرق تؤدي إلى الله أما أنا فقد اخترتُ طريق الرقص والموسيقى» . وإلى الصوفيين الفارسيين الذين قالوا «إن الطرق إلى الله كعدد أنفس بني آدم» .

. . . . . .

وأسهل مما تدخّنُ سيجارةً
أن أموتَ لديكَ
بضغطةِ زرّ
وتُشطبُ دون اكتراثٍ حياتي الحزينةْ
كأنْ لمْ يكنْ أيّ شيءٍ يعكّرُ صفوَ المدينةْ

في غفلةٍ من دموعي ، سأضحكُ . أبصقُ ما مرَّ في الطرقاتِ . خطاي الممالكُ مفتوحةٌ في هزيمِ المرايا . الفضاءُ جيوبي أعبّئها بالنجومِ وأركضُ ، حنجرتي في يدي ودموعي إلى الأرضِ . محتلبًا بالبياضِ الكثيفِ ، أكدّسُ معناي في سلّةِ الشمسِ ، نصًا يسرّبُهُ العدميون . مختبصًا في تعاريجِ أورامهِ ، مدنًا بين معنىً وراحلة . المحطاتُ بين يديكَ وما ظلَّ في القلبِ من عسلٍ وحنينٍ تناهبهُ حرسُ الجنرالِ المدجّجِ بالغازِ .

لا وقتَ للحبِّ ، أقلّبُ ريماركَ[1] .

لا وقتَ للموتِ ، أقلبُ كافكا .

ولا وقتَ للوقتِ ،

فادفنْ حنينكَ ، وامشِ ،

ففي الأرضِ متسعٌ للبكاءِ - الرحيلِ

---

(١) إشارة إلى رواية أريك ماريا ريماك «لا وقت للحب لا وقت للموت» .

المطاراتُ مقفلةٌ والبلادُ على بعدِ سنبلةٍ من وريدكَ يا أيها الشاعرُ المتسكّعُ بين القواميسِ .

لا لغةٌ غير هذا الأنينِ الذى يتصاعدُ

من باطنِ الأرضِ نحو السماواتِ ،

حيث النجومُ التي هدهدتْ جرحَنا

واستطالتْ مساءً ثقيلاً

يجرجرهُ حارسُ السجنِ

فوق وسائدنا . .

- . . . . . .

أذكرها - سيدي - شارعًا ، شارعًا

وزقاقًا ، إلى النهرِ نسبحُ حتى امتلاء الخياشمِ بالطينِ

ياما غرقنا ، وياما طفونا

ولكنَّ للنهرِ رائحةً لا تغيبْ

- . . . . . .

إنها صورتي ،

من زمانِ الطفولةِ - يا سيدي - وأبي يسرقُ اللحمَ من لحمِ أيامهِ ، ثم يطعمنا لقمةً بالحلالِ . وما كنتُ أعرفُ أنَّ طريقَ الحلالِ يقودُ إلى السلِّ يومًا .

وما كنتُ أعرفُ أنَّ أبي كان يمضي بتابوتهِ ،

غارقًا - في الديونِ - إلى رأسهِ .

وعويلُ النساءِ على بابِ دكانهِ (يتفحصهنَّ المرابون - أبصرهمْ من وراءِ الزجاجِ الأنيقِ - يسيلون عافيةً وصكوكًا . يعدون صفقاتهم : وطنًا بالمزادِ

وما كنتُ أملكُ

غيرَ حذائي الممزقِّ والقلب) . . . .

- . . . . . .

فعن أيِّ شيءٍ تفتّشُ ، يا سيدي؟

إنها صورتي

ربما أنكرتْ كدماتي عيونُ المدينةِ

[ - من أينَ ندخلُ بغدادَ؟

كلُّ الدروبِ تؤدي إلى ليلها :

ساحةً تتوسدُ أسفلتَها القططُ/ الحافلاتُ

ويصحو على قيئها الديكُ والقيمرُ المرُّ

أصحو على جارتي صوتها يتثاءبُ تمسحُ ما قد تبقى على صدرها من لهاثِ السكارى الُمخمّرِ

أمسحُ عن شرشفي الحبرَ والجمرَ

أهبطُ في درجِ البائعين . أرتّقُ دربا وأمشيهِ ، منشغلاً بالقصيدةِ ]

عيناي فوق السياجِ تنزّان فجرًا مدمىً . أحدّقُ من كوةِ البيتِ نحو السماءِ التي نسجتْ صوفَ غيماتها البيض ، شالاً على كتفِ الناطحاتِ وأسألُ : مَنْ سرقوا كفنَ الشهداء ، ولمْ ينتهِ حفلُ تأبينهم [ - أول الحربِ ودّعني ومضى

كلُّ ما عادَ منه إذا كان عادْ

علمٌ من حدادْ

يرفُّ على بيتنا ،

وليالٍ رمادْ ]

أرجُ المآذنَ يصعدُ فيها شهيقُ المصلين نحو السماءِ ، ويسقطُ منكسرًا فوق أرضيةِ المسجدِ المرمريةِ . أسألُ : أين صلاةُ أبي؟ المئاناتُ منفوخةٌ بالعواءاتِ والبولِ . أفرغُ من نظمها :

وطنًا يتواثبُ بين حروفِ المضافِ ، وبين ثغاءِ الخرافِ وعودًا يدندنني للمديحِ ، وأنثى تقاسمني سقطاتِ الفحيحِ بدانتيلها . غائبًا في الخواتمِ أفتحُ بابًا لنسيانِ روحي . بطوبِ القوانينِ تُبنى السجونُ ، ومن حجرِ الدينِ تُبنى المواخيرُ . ما أفظعَ الظلمَ[1] ،

لكننا سوفَ نعتادهُ بالتداريجِ

أو بالتخاريجِ

التواريخُ[2] مثل يدي تتكفلُ باللحظاتِ الأخيرةِ .

كيف طلعنا من العشبِ في غفلةِ الذئبِ . خضراءُ أرواحنا ، لا انثلامَ بأقنومها غير هذا التمازجِ : بين الفسيحِ وبين الضريحِ بفوضى العبارةِ تفنني وتثبتُ أشكالنا في المعاني بأشتاتِ ديكارتِ . لا تحكموا من سطورٍ مفرقةٍ . أقرأوني بكلي[3] ، بكلِّ سفالةِ هذي الحياةِ ، وروعاتها . كنْ شبيهي لتشبهني - الكتابةُ تعريةٌ[4] ،

---

(١) إشارة إلى صرخة سارتر عندما زار الأهرامات : «ما أفظع الظلم» .

(٢) ثمة إحالة إلى روبرت فيسك مراسل التايمز في كتابه «لعنة وطن» : «التاريخ يتكفل بالدقائق الأخيرة» .

(٣) إشارة إلى وصية جورج صاند قبل وفاتها عندما قرر مجلس الشيوخ الفرنسي سحب كتبها من المكتبات عام ١٩٤٨ : «اقرأوني كاملةً ولا تحكموا عليّ نتيجة قراءة أجزاء متفرقة» .

(٤) إشارة إلى لورانس : «إن الكتابة عملية تعرية» .

غير أنَّ الحقيقةَ عاريةٌ لا تثير[١] .

اختصرْ كلَّ شيءٍ بحرفكَ[٢] .

ضاعفْ له الأجرَ .

فالكلماتُ هي العَرَقُ المتصبّبُ . دعها ككمثرةٍ تتدلى على فيكَ ، طالبةً قطفها[٣] . أنتَ تستعجلُ الكلماتِ كما لو تأخرتَ[٤] . انظرْ وراءَكَ في غضبٍ[٥] . كمْ خسرتَ من الأرضِ حتى وصلتَ لمنفاكَ . كلُّ بلادٍ بقلبكَ منفى . وكلُّ المنافي جحيمٌ[٦] بدونِ نوافذَ بيتُ شجوني يقرضُ أطرافَهُ الشعرُ والقبّراتُ . .

خلطنا النواقيسَ بالعيسِ كي ينْزلَ الوردُ أبهى من الطلقاتِ .

على كلِّ قارعةٍ وطني قارعًا جرْسَه .

كيفَ لي أنَّ أمرَّ على حزنهِ دون أن يترصدني

---

(١) إشارة إلى جون كوكتو : «الحقيقة عارية جدًا ولهذا لا تثير الناس» .

(٢) إشارة إلى ابن سنان الخفاجي في «سر الفصاحة» .

(٣) إشارة إلى فرجينا وولف : «أما فيما يتعلق بكتابي الجديد فإنني سأمنع نفسي من كتابته إلى أن يفرض نفسه عليّ ككمثرى ثقيلة في عقلي تتدلى مطالبةً بقطفها» .

(٤) إشارة إلى الشاعر الفرنسي رينيه شار : «أنت تستعجل الكتابة ، كما لو أنك متأخر في الحياة» . وإلى الروائي الانكليزي انطوني بيرجز : «من العبث أن يظل الكاتب يقول لنفسه سأكتب يومًا عليه أن يضع أفكاره على الورق دون تأجيل» .

(٥) إشارة إلى عنوان مسرحية جون أسبورن : «انظر خلفك بغضب» .

(٦) إشارة إلى حوار مع الكاتب التركي يشار كمال (- لماذا تتحامل دائمًا على اسطنبول وتصفها بالجحيم ؟) يشار : «كل مدينة في العالم هي الجحيم» .

- من وراءِ الجريدةِ -

فأرٌ قميءٌ

إذا سقطَ المرءُ أصبحَ

مخبرررررر . . .

أش أش أش أشششششششش!!

(يسحبُ عبودُ أذني إلى فمهِ : حين تخرجُ ، يا صاحبي ، لا تسرْ مع مومسةٍ ،

أو شرطيٍّ ،

بدربٍ ، وإنْ ضاق)

. . . . قدْ يصبحُ السمُّ ترياق

لكنَّهُ لن يُذاق

أُلاوي زماني وأضمرُ خوفَ الشماتةِ أحّايَ . . . . مرماي في عنقي . كلُّ سهمٍ سيُخطِئُني ، خطأً ، عابرٌ حتفهُ في الضلالاتِ ، منكسرًا بالنهاياتِ .

أبصرُ رعبَ التواريخِ

يركضُ في لججِ النارِ بين الضحايا وقاتلها .

من سياطٍ تُقِرُّ السجينَ إلى وطنٍ فائضٍ في السياط

أقاموا حوارَ الكلابِ التي جوّعوها ثلاثَ ليالٍ على قبرهِ .

ومن الثقبِ أطفالُهُ ينظرون

إلى لحمهِ قطّعتهُ بأنيابها

ورمتهُ

مناشيرَ سريةً
يتداولها الناسُ في الغرفِ الموصداتْ

ارصيفٌ
وبابٌ بليدْ
وقوادةٌ ، وقمرْ
وشرطي . . . . .
كثيرُ التلفّتِ
رقبتهُ من حذرْ
وتنورتانِ تضيقان ، حين يضيقُ الزقاقُ
وتتسعانِ أمامَ المحلاتِ والـ . . .
- أما زلتَ في العسكريةْ؟
تحسستُ عمري :
حذاءً قديمًا
وعينين من مطر ونعاسٍ
- وأنتِ؟ . .
استدارتْ لطفلتها : بيننا ظلُّ صورتهِ في الجدارِ المثقّبِ ، أطّرها الدمعُ والطائراتُ المغيرةُ والـ . . . . . .
- كمْ غيرتكَ صروفُ الحروبِ
ارتبكتُ أمام مرايا المعارضِ والنسوةِ العابراتِ ، أخبّىءُ في أسفلِ البنطلونِ اضطرابي
- تدخنُ؟

- لا . .

- تشربُ؟

- لا . . . . . ]

يقــولُ العــريفُ المحنّكُ : اغــمضْ عــيــونكَ ، حين تمرّ القنابلُ والذكرياتُ . . . . . .

أريدُ أشاهدُ موتي بعينين مفتوحتين . فقد أنهكتني ظلاماتُ روحي وليلُ الملاجىءِ . . .

قلتُ : شـوارع بغداد يغسلها الضوءُ والحافلاتُ . فـمَنْ يغسلُ الآن جدرانَ روحيَ ، من ذكرياتِ الذين مضوا ، ودخانِ الفتيلةِ . . . . . .

. . . . . ( . . **را**

وغتُ عيونَ النادلِ من بابِ المرحاضِ إلى الشارعِ ، منفلتًا من فاتورته ، يتبعني سيلُ شتائمه . . . . . - ماذا يخسرُ لو لـمْ أدفعْ فاتورةَ إحباطاتي هذي الليلةَ . لذتُ بزاويةٍ أجمعُ أنفاسي .

اصطدمتْ عيناي بدينارٍ مدعوكٍ . . - يا للحظ!! وفكرتُ بأنْ أرجعَ للخنْزيرِ الخمريِّ المنتفخِ الجيبِ لأصفعهُ - ما أغبى العالم تملكُ دولارًا تملكُ حقَّ الصفع . ابتعتُ «الأقلامَ» لأقرأ ما كتبَ الناقدُ مدني صالح عني (- ما جدوى كلّ رثاءِ العالم ، كلّ موائده الدسمة من أجلكَ حين تموتُ غدًا محرومًا من وجبةِ فاصولياء) . . . أبصقُ فوقَ وجوهكمُ المطليةِ بالكذبِ التأريخيِّ وأصرخُ فيكمُ : من أين لكمْ هذا؟ (- لا تتدخلْ فيما لا يعنيك . .

- أنا تعنيني خضرةُ أشجارُ التفاحِ

بعيني طفلٍ مرتبكٍ
يعنيني عبقُ الفجرِ بساحاتِ بلادي ،
تعنيني شمسُ الكلماتِ وراءَ القضبانِ الممتدة
يعنيني أنْ أعرفَ فيمَ يفكرُ هذا القناصُ المصلوبُ الأنفاسِ
أمام عصافيرِ سنيني الغافيةِ الآنَ

على أشجارِ البلوطِ المتأرجحِ قدّامَ الموضع) - من بعدِ ثلاثين نناضلُ يا حسن السوداني من أجلِ رغيفِ الخبزِ وكهربَةِ الريفِ ، فماذا كنا نفعلُ؟ - مَنْ يقنعُ هذي الطلقةَ أني لا أملكُ عنوانًا في هذي الدنيا ،

مَنْ يقنع هذا الساعي الدبق الكفين بأني لمْ أبصرْ طيلةَ عشرةِ أعوامٍ من عمري المتشرّدِ غير كراجِ علاوي الحلةِ والنهضة . .

يطغي المبتلُّ على كتفيَّ وخيباتي . تعرفني نقطُ التفتيشِ على طولِ الجبهاتِ :

كنيً متنقلةً تختصرُ العمرَ بقافاتٍ تحكي أعوامَ الثكناتِ المرّة

آه . . كراجَ النهضةِ ، فيك تعلمنا الأسرارَ ، رأينا الفتياتِ يقصّرنَ الأثوابَ بعيدًا عن نظراتِ الأهلِ ، ابتعنا أدوات حلاقتنا الأولى ، جرّبنا كيفَ نغازلُ بائعةَ القيمرِ ، دخّنا ، ثرثرنا ، وضحكنا ، وبكينا ، وقرأنا فوقَ مصاطبك الكتبَ الممنوعةَ . . آه ، كراج النهضةِ ، كمْ وُدِّعنا فيكَ وكم ودّعنا ، لكنا ما زلنا نأتيكَ جنودًا ، طلابًا ، منفيين . تفرقنا ثانيةً ، وتلاقينا ، وتشردنا ، وتغنينا . . . . . .

أحصيتُ سنيني بأصابع من ندم وشوارع (عمر واتعده التلاثين لا يا فلان . .) وتداركتُ أمامَ فتاةٍ عابرةٍ بعضي في البنطالِ الكاكيِّ وسرتُ بظلِّ الأقفاصِ الورقيةِ في الشارعِ يحملني قفصُ الباصِ . . . . . .

إلى قفصِ البارِ .

أحلّقُ في أبخرةِ العَرَقِ المغشوشِ ،

فيوقفني النادلُ :

أغلقنا البارَ ألا تملكُ بيتًا . .

أمضي في قفصِ الليلِ إلى البيتِ ، أرى : خمسةَ أقفاصٍ تفتحها امرأتي

أترددُ أينَ سأدخلُ؟

هذا العالمُ أقفاصٌ في أقفاصٍ . .

في قفصِ المطبخِ أصغيتُ إلى زقزقةٍ في القفصِ المَعَوي . خلطتُ الراتبَ في المقلاةِ مع البيضِ . . امتلأتْ حنجرتي بالقيءِ فلمْ أصرخْ في وجهِ موظفةِ الاستعلاماتِ لكي لا تتلطخَ تنورتها .

تابعتُ صعودي حتى طاولتي في رأسِ رئيسِ التحريرِ الطالع من قفصِ التبريرِ .

رأيتُ تصاويرَ الجنرالِ الضاحكِ دومًا تتراكضُ في عجلاتِ الطبعِ فيمتدُ الطفحُ اللغويُّ إلى حلقي ، أفرغهُ في أولِ دورةِ مياهٍ ستصادفني :

- لِمَ أهذي والكلُّ يغنون . .؟

يؤنبني في الصبحِ رئيسُ التحرير المنفوخُ الكرشِ بريحِ مقالاتي الممنوعةِ :

ما أكثرَ ما تشربُ في الليلِ ، فتبصرُ صبحَ العالمِ ، في رغوةِ كأسِكَ ، مسودًا (كلٌّ يبصرُ ما يرغبُ أن يبصرَ من عالمِه . . أنتَ تراهُ من الشرفةِ وضاءً كثريات كريستالٍ ، وأراهُ أنا من شقِّ حذائي أضيقَ من عينِ الفأرةِ) . .

هذا الكرسيُّ - القفصُ الدوّارُ يضايقني . هذي الهذياناتُ ستدفعني
- أعرفُ - من كتفيّ إلى القائمةِ السوداءِ .
ستطردني مدنُ القصديرِ وتلفظني دورُ النشرِ .
الهذياناتُ مراياكمْ ، تأريخُ الوطنِ السريُّ . .

رفعتُ الكأسَ المجَّ لأشربَ نخبَ غباءِ رئيسِ التحريرِ . تقيأتُ على الطاولةِ البيضاءِ فشتمني النادلُ . بالدفعاتِ خرجتُ من البارِ ، أحاولُ أنْ أصلحَ من أوضاعِ الشجرِ المائلِ في الساحةِ
قلتُ لسكرانٍ مرَّ يغني : لِمَ لا نعدلُ ميلَ الأشجارِ بهذا العالمِ
قهقه في وجهي ، ومضى يترنحُ في جوفِ الليلِ الحائلِ :
أنتَ المائلُ لا الأشجارُ
وأنت الخاسرُ لا الحكامُ
أشتمُ كلَّ القوادينِ . .
يجرجرني الشرطيُّ : أتشتمنا يا ابن الكلبةِ؟ . . . .
قلتُ : القوا . .
لكنَّ اللكماتِ انهالتْ في فكي
فلفضتُ الـ . . «دين . .» ،
بابِ المسجدِ ،
مختلطًا بدمي ووضوئي
ينهرني شيخُ الجامع :
ليسَ يصحُ وضوؤكَ بَالدمِ . . . .
أبصقُ

(لا تبصقْ في الشارعِ . . .
كلُّ ترابِ بلادي
معجونٌ بالدمِ) لكنَّ الأوراقَ
اختلطتْ ،
يا عبود

الأخضر في سعر اليابسِ . قلتُ تعالَ نغني للزهرِ النابتِ بين اللغم وبين الأحجارِ ، لهذا العصرِ المتأرجحِ في ماسورةِ قناصٍ ، لنوارسَ لا تملكُ أرضًا ، للحرسِ المستيقظِ كالنجماتِ بليلِ الطرقاتِ . للبسطاءِ ينامون بدونِ أسرةِ نومٍ وقواميس) . . تعالَ لننتفَ ريشَ طواويسِ الشعراءِ المنفوشةِ في الحفلةِ . . . .

أزّتْ في أُذني الطلقةُ ،
أحني قلبي كي تعبرَ
صفّفتُ على عجلٍ كتبي وفراشي فوق صناديقِ عتادِ «البي كي سي» ، ما أدهشَ أنْ يتحولَ صندوقُ الموتِ إلى مزرعةٍ
- حتى في الخندقِ تملكُ مكتبةً؟
ضحكَ الحلاقُ وقامَ على أربعةٍ ، يحملُ إبريقَ الماءِ إلى . . . . . (يالي من فوضىً دائمة . .
قلتُ غدًا سأرتّبُ آثاثَ الكلماتِ بصالةِ عمري) هتفتْ بذهولٍ ، ضاحكةً :
أفكنتَ تنامُ ، وتحلمُ ، تقرأُ ، تستمني فوق أصابع ديناميت . يا لحياتكَ من لغمٍ شعريٍّ موقوتٍ . . . (أشعلتُ الفانوسَ - البَقَّ فلَمْ أقرأْ غيرَ سطورٍ

من زوربا . أحسستُ بروحي ترقصُ فوق مرايا الرغبةِ ، ارقصْ . . . . . .

ارقصْ ارقصْ ارقصْ ارقصْ

إنْ يمتلىءَ الإنسانُ ، سيرقصُ .

ارقصْ كي تنفضَ عن غـابةِ روحكَ كلَّ الأغـصـانِ الميـتـةِ النسغِ .

ارقصْ ، فالدنيا خطأٌ إيقاعيٌّ ، أو خطأٌ إملائيٌّ

بينهما خطٌّ سريٌّ ، يمتدُ من الصفِّ إلى . . .

صفِّ رصاصٍ

وبنادق :

١ ،

٢ ،

٣ ،

إرمِ . . . . .

فيطلُّ مذيعُ التلفازِ :

**الغوغائيون** . . . . . .

افتحْ قوسًا واكتبْ (ماذا أكتبُ والدركيون يفلّونَ الآنَ الشارعَ ، بيتًا ، بيتًا ، حجرًا ، حجرًا . . بالدوشكاتِ المتوثبةِ السوداءِ ، يجوبون مساماتِ الرئتين ، شهيقًا ، وزفيرًا . ويسدون المنعطفاتِ .

جماجمهمْ من حجرٍ ورصاصٍ ، ولهذا لا يبكون . مفارزهم تستجوبُ حتى الريحَ :

إلى أين . . .؟ ومن أين . . . .؟

رأيتُ لأحدهمْ يتحسسُ رأسَ جنينٍ في بطنِ الحاملِ : ماذا يمكنُ أن يحملَ هذا الرأسُ غدًا . . .

افتحْ صندوقَ الرأسِ ، افتحْ عجلاتِ الدراجةِ ، افتحْ صنبورَ الماءِ ، افتحْ أشرطةَ الكاسيتِ ، افتحْ بالوعةَ بيتكَ ، افتحْ هذي البطيخةَ ، افتحْ . . افتحْ . . . .

. . . . . .

**انتبهتُ** لحشرجةِ الهامشيين خلفي ، فأغمضتُ جفني كي لا يرونكِ ، في مقلتي شاهدٌ أعورُ ، يتقرى بأنشوطتي ، أسطرَ الخوفِ خلفَ رموشي ، فلا يتلمسُ غيرَ ضجيجِ السنابلِ تحت السنابكِ ، تركضُ في رئتي فأشدُّ الغرابيلَ من خصرها وأعلّقُ تيجانَ روحي على زهرةٍ هرستها بساطيرُ مَنْ عبروا .

الأرضُ سجادةٌ من دمٍ كيف نمشي عليها ونختالُ ، نمضي إلى البيتِ نحملُ كيسَ الخيارِ وأسنانَ ساقطة من أبي . خففوا تلحقوا[1] . قلقي باكرٌ والحقيقةُ ثيبٌ (أعدُّ الفخاخَ لأصطادَ مما أرى من نجومِ السماءِ الوسيعةِ تومضُ في السطحِ ، أجمعها بين طياتِ كتبي فيندهشُ الصحبُ .

حين كبرتُ رأيتُ السماءَ تسقّفها الطلقاتُ .

تلفّتُ أسألُ مَنْ ظلَّ لي من صحابي .

رأيتهمُ يومضون بأعلى السماءِ نجومًا ، فأدركتُ أني وحيدٌ . .) أنا حيُّ بنُ يَقظانَ ،

من ظبيةٍ أرضعتني حليبَ الوجودِ

تعلمتُ سرَّ الحياةِ : هياكل تطفو على زَبَدِ الأبديةِ . هل أنتشي بغبارِ

---

(١) اقتباس من علي بن أبي طالب : «تخففوا تلحقوا» .

التراكمِ يعلو على قامتي فأغيبُ وضوحًا على صفحةِ المتلمسِ ، منغرسًا في السؤالِ المغفّلِ ، عما يجرّدهُ من أصابعِ صفصافةٍ أخرجتْ روحَهُ من ثقوبِ الحجارةِ أكثرَ ضوءاً ، ليكتبني في الطروَد

– عبود

. . . هل عمرنا قبرنا؟

رأيتُ إليهِ يقرفصُ في البردِ

يرنو لقبّرةٍ

سارحًا بتكرر أطيافهِ في الليجنداتِ[١] وهو يغيبُ على ظهرِ كوش[٢] ليعبرَ ميرونغ[٣] ينْزل غو[٤] لُفَّ بالغري غري[٥] بأحضان غوكو[٦] يراقصنَهُ الكارياتُ[٧] فتطوي الغورغونات[٨] جدائلهنَّ على شكلِ رمح

---

(١) قصص يتداخل فيها الواقعي والتاريخي والإسطوري .

(٢) الثور الفارسي .

(٣) غوتردا ميرونغ : غسق الأرباب الجرماني .

(٤) القمر الإفريقي .

(٥) غري غري : تعويذة أفريقية .

(٦) غوكوماتز : إله الغواتيماليين .

(٧) ربات الجمال الرومانيات .

(٨) يشتركن بعين واحدة وسن واحدة كما يصفهن أسخيلوس . وهن بنات فورسيس الثلاث من أخته سيتو ، مجنحات لهن شعر من الأفاعي ، اذا حدقن بالإنسان حولنه حجراً . منهن ميدوزا التي قطع برسيوس رأسها عندما كانت الأخوات يتبادلن العين المشتركة .

غونغنير[١] صوّبهُ في التلاشي إلى صدرِ هاكيا[٢] بأفلاكِ هوتشي[٣]
وحين أفاق تحوتمس[٤] من غفوةِ الرملِ آوى إلى هاست[٥] يسألُ
هيمدال[٦] عن عقدها[٧] قبلَ أنْ يختفي هوشيغان[٨] بصرّةِ أفعى ليحرمها
النطقَ حين رأى وتيزيلو[٩] بكاملِ عدته - الريش يسخرُ من هوركان[١٠]
كيف يقدحُ في نارِه رأسَ هيدرا[١١] تصلُّ على سهلِ يانغ كو[١٢] لتحصي
ممالكَ ياما[١٣] لما يعتلي هيغيلاك[١٤] سحابَ التوصّفِ

---

(١) رمح أودن الضخم لا يحيد عن هدفه .

(٢) ربة ديار الموتى في جزر هاواي .

(٣) مؤسس أسرة تشو الصينية .

(٤) نام بين ساقي أبي الهول فأبصر منامًا بأن التمثال يرجوه أن يعزل الرمل الذي يغطيه .

(٥) هاست سيهوغان : رب المنزل عند الهنود الغافاهويين .

(٦) حارس جسر قوس القزح .

(٧) عقد فراي الذي سرقه لوكي واسترده بيفروست .

(٨) كائن بوشماني اختفى ففقدت الحيوانات القدرة على الكلام .

(٩) وتيزيلوبوتشلي : طائر الجنوب الطنان عند الأزتيك .

(١٠) أحضر النار للبشرية عند المايا .

(١١) أفعى بعدة رؤوس قطعها هرقل .

(١٢) وادي عند الصينيين تعيش فيه عشر شموس مع أمهن يسقطهن الرامي بسهمه السحري إلاّ واحدة فينقذ الأرض من لهيب الحرارة .

(١٣) ملوك الياما : قضاة صينيون على بلاطات الجحيم كل واحد مختص في محاكمة إحدى الجرائم .

(١٤) ملك الجيتيين في ملحمة بيولف .

فـي وصـف تـفـاح آريـس[1] بـين الجـمـيـلات رشـوتـهُ ثغرُ هيلـين تحرسـهُ عـينُ ايـدون[2] كـي يتسلّلُ بـندر[3] في سـحرِ ميـرلن[4] يقطفُ تفاحـها واضعًا بين أحضـانِ ايلماتير[5] بيضَ بطاتهِ تتـفـقّسُ بالنجـمـاتِ على جلدِ الأفقِ إنواه[6] تشـرقُ أنتي[7] بقـرصٍ ، وايسولت[8] في فرجها الهيبومانيس تشربُ من جرعةٍ خطأ الحبِّ . حتى إذا صـادها تحـتـهُ بشـبـاكٍ حـديديةٍ في السـريرِ أثارتْ مكائدَها في الأثيرِ لتلتهبَ الشمسُ في حبٍّ كوثري فإن علمتْ كليتيه وشتْ لأبيها ليطمرها

---

(١) عندما رمت آريس تفاحة ذهبية كُتب عليها : «إلى الأجمل» ، بين المتنازعات : افـروديت وهيـرا وأثينا . أصـدر باريس قـراره «حكم باريس» الذي حكم به لافروديت حيث وعدته بالزواج من أجمل امرأة في العالم «هيلين» .

(٢) حارسة التفاحات السحرية التي تجدد شباب الآلهة عند الاسكندنافيين .

(٣) يوثر بندراغون : أحب ايغريني فتنكر لها على هيئة زوجها الدوق كورنوال بعد استخدامه سحر ميرلين ومنها خلق آرثر في الأسطورة السلتية .

(٤) ساحر في الأسطورة الآرثرية أوقع بفنونه السحرية الملك آرثر وأغرين التي كانت زوجة لدوق كورنويل . يقولون إن المائدة المستديرة من أعماله . قال كاوين من فرسان المائدة المستديرة : «أنا أيضًا أكبر مجنون أحببت امرأة أكثر مما أحببتُ نفسي وعلمت حبيبتي كيف تربطني بسحر حبها ولا يقدر أحد الآن على اطلاق سراحي» .

(٥) ابنة الهواء الفنلندية خلقت العالم من البيض الذي وضعته في ركبتها .

(٦) القوة المهيمنة عند الأسكيمو .

(٧) الشمس في الجنوب الأمريكي .

(٨) إيسولت : ملكة ايرلندا وتريسترام المغني الجوال شربا بطريق الخطأ من جرعة الحب .

في الرمالِ فذوّبَ كنتارهُ فوقها كي يضوعَ البخورُ
وهامتْ على وجهِ زوجتهِ قطراتُ الندى وهي ترنو إلى ضوئهِ زهرةَ عباد[1]
يأسى لها ايناخوس
يروي بأدمعهِ نهرهُ لغيابِ ليو تحت جوبير
حتى إذا ما تناهى الخوارُ لجونو
رمتْ أرجسًا[2] بينها ورياش الطواويسِ
لكنّهُ عادَ يغوي كالسيتو وينجبها دببا في السماءِ سماكين[3] . .

---

(١) في «مسخ الكائنات» لأوفيد ، أحبت فينوس مارس ومارست معه الخيانة الزوجية فوشى فيها إله الشمس لزوجها الذي صنع شباكاً حديدية لا ترى بالعين واصطادهما على انفراد ، فانتقمت فينوس من إله الشمس بأن جعلته يلتهب بحب ليوكوثوي الذي دخل إلى فراشها ذات يوم ، وعندما علمت زوجته كليتييه وشت بهما الى أبي ليوكوثوي فطمرها تحت الرمل فنثر عليها إله الشمس النكتار العطر وذاب جسمها ، ثم طلعت من الأرض جذور شجرة البخور ، أما كليتييه التي هجرها زوجها فظلت بلا طعام مصوبة وجهها إليه وذابت أطرافها فتحولت إلى شجرة عباد الشمس .

(٢) . . وتستمر الحكاية لدى أوفيد : أما نهر ايناخوس فهو يغذي بقطرات دموعه مياهَهُ لغياب ابنته ليو وانقطاع أخبارها بعد أن هام بها جوبير فغطى الأرض بالسحب حتى لا تراه زوجته جونو وهو يضاجعها ، ثم حولها إلى بقرة خوف أن تشك زوجته التي وضعت لها حارسًا «أرجس» بمئة عين ، وعندما مات أرجس تحولت عيونه إلى لآلىء في ريش الطاووس .

(٣) وكالسيتو عذراء جميلة من أركاديا أحبها فحولتها جونو إلى دبة ، وعندما أراد ابنها أركاس قتلها دون أن يعرفها حولهما جوبيتر إلى نجمتين هما السماكان الدب الأكبر والدب الأصغر .

سيميليه[١] أحرقها نورهُ ساقطًا فوق شباكِ داناي
قطرَ ندى
تتراقصُ كاتشي[٢] على روحها
في أناشيدِ كاليفالا[٣]
لتسرقَ كيري[٤] دمَ النارِ من نوم بومبا
وتقرأ في صحفِ الكوجيكي[٥] سلالاتها قبلَ أنْ تتحطمَ أعمدةُ الأفقِ من قرنِ كونغ كونغ[٦]
فأحملُ كوسا[٧] لهرقل كي يسلخَ الكون من جلده
فيدبُّ لولاتي بأحراشِ ليشي[٨] رأى ليندر[٩] يسبحُ في ضوئها عابرًا

---

(١) واحترقت سيميليه عندما طلبت منه أن يظهر لها بناءً على مكيدة جونو .

(٢) روح الجدود المقدسة عند الشعب الهوبي في شمال أمريكا .

(٣) الملحمة القومية الفنلندية طبعها الياس لونروت في مجلد بخمسين نشيدًا عام ١٨٣٥ .

(٤) كيريكري : ابنة الملك الكونغولي خدعت بومبا وعرفت منه سر النار ثم نبذته .

(٥) كتاب الليجندات اليابانية القديمة جمعه هيدا نوار عام ٧١٢ق م .

(٦) تنين صيني حطم أعمدة السماء الزرقاء فظهر الطوفان .

(٧) كوساناغي : السيف العجائبي عند اليابان .

(٨) لولاتي : خالق العالم في جزر الإخلاص الاوقيانوس . ليشي : من ساتيرات الغابة المضللة .

(٩) عاشق هيرو الذي كان يسبح مسترشدًا بضوء برجها حتى غرق فرمت نفسها في البحر .

نحو دافني[١] بهيئةِ أنثى
فطارَ العقابُ ليوليو[٢] للوكا[٣]
على سورِ ماكو[٤]
وقدْ دبكتْ فوقهُ الباخياتُ[٥]
مع الميوساتِ[٦]
فصفّقَ ماهيوكي[٧] يراقصُ ماماكويلا[٨]
على لحنِ لاكوكاراتشا[٩]
أمامَ القضيبِ المذهّبِ[١٠]
تحملها حبة التوتِ[١١] واضعةً بين خصلاتها ابنها[١٢] قبلَ أنْ

---

(١) قتلت ليوسيبوس الذي تنكر على هيئة فتاة ليستحم معها .

(٢) ليوليو غوفس : تحول إلى عقاب في ويلز بعد أن قتلته زوجته وعشيقها .

(٣) لوكا : إلهة الموتى في الاقيانوس .

(٤) ماكو بيكو : إحدى مدن الأنكا القديمة .

(٥) اللواتي يرقصن في مجون باخوسي .

(٦) ربات الفنون الإغريقية .

(٧) خالق العالم البولينيزي .

(٨) ربة القمر الأنكية .

(٩) لحن مكسيكي راقص .

(١٠) إشارة إلى مانكو كاباك وشقيقته ماما أوكلو ، أخبرهما أبوهما رب الشمس أن يرحلا حتى المكان الذي ينغرز فيه قضيب الذهب في الأرض .

(١١) إشارة إلى مارجاتو التي حبلت بعد أن أكلت حبة من توت بري .

(١٢) إشارة إلى ماوي تيكي التي كانت تضعه أمه في شعرها لصغره .

تصطلي مستلي[١] باللهيبِ
ولكنَّ طوفانهم أطفأَ النارَ في قلبِ مونان[٢] لما تناهتْ بسورتِ[٣]
أغاني البيولف[٤] من فمِ اوما وقدْ حفرَ الربُّ مولوكو[٥] صهيلَ الخليقةِ
سهوا وبادلَ ذيلهما هل رأى في ميسيني[٦] اندريانا ناهاري[٧] لينْزلَ
أمطارَهُ خلفَ مركبِ نرثوس[٨] تبحثُ عما تبقى بصفحاتِ ليبهارَ[٩]
والفستا الفولسونغا من البشريةِ تحملُ صلصالها دعبلاً كالنبلونغ[١٠]

---

(١) ربة القمر والليل .

(٢) عند الثوبي أغواراني أراد تدمير العالم بالنار عقابًا على آثام البشر لكن الطوفان خلصهم منه .

(٣) سورت : حاكم الموسبلهيم أرض النار .

(٤) بطل قصيدة ملحمية انكلوسكسونية هب لمساعدة هروتغار ملك الدنمارك لتحرير بلاطه من الوحش غريندل .

(٥) الرب الأعلى في موزنبيق انتزع من القردين ذنبهما ووضعهما للرجل والمرأة وقال لهما فلتكونا من القردة وقال للقردين فلتكونا من البشر .

(٦) مدينة فوق سهل أرغوس .

(٧) الرب الأسمى عند المدغشقريين أرسل المطر مكافأة على بحثهم عن ابنه .

(٨) ربة الأرض سافرت كما يروي المؤرخ الروماني تاسيتوس عبر الدنمارك في عربة لنشر السعادة .

(٩) ليبهار غابهالا : كتاب يسرد غزوات ايرلندا .

(١٠) النبلونغ : أطفال الضباب من الأقزام ، كتب ريشارد فاغنار أربع أوبرات عنهم .

دحرجَهُ الربُّ مارا بكتبِ النبلونجنليد والنيهونغي[١] فيمسكُ نينيغي[٢] بصولجانه ليرى نونكومالا[٣] المياهَ التي تغمرُ الأرضَ نحو سكولد[٤] تمزقُ نسجَ الفضاءِ لتبكي نيامبي[٥] على ما يطوفُ : ضياء النحاسِ بأوبلسك[٦] فيما يدبّجهُ أوغما[٧] على شكلِ كتلي[٨] يطيرُ بميد إلى الأسفارد كأودن[٩] يعجبُ كيف حللتَ لهُ اللغزَ أوديبُ[١٠] فانطفأتْ عينُ لايسوب

---

(١) نبلونجنليد : ملحمة جرمانية كتبت حوالي ق ١٣ . نيهونغي : تاريخ اليابان حتى عام ٧٢٠ بعد الميلاد .

(٢) حفيد أماتيراسو .

(٣) في الإسطورة الكوستاريكية أرسل الطوفان .

(٤) من النورنات هي المستقبل تمزق نسيج الحاضر والماضي .

(٥) الشمس الزامبية .

(٦) الأوبلسك : المسلة المصرية .

(٧) الرب الفصيح لتعلم الشعر عند السلت .

(٨) اومتيوكتلي : خالق الكون الازتيكي .

(٩) أودن : رب الحرب والسحر والشعر حصل على شراب السحر «الميد» .

(١٠) أوديب : ابن لايوس ملك طيبة تقول له نبوءة إن أول مولود ذكر ينجبه من زوجته جوكاستا ، سيقترف جريمة قتل أبيه ويضاجع أمه . لهذا عندما ولد لهما أوديب ، قام لايوس بربط رجليه وأمر أحد الرعاة أن يتركه على قمة جبل سيثيرون ، ليموت هناك . لكن الراعي أشفق عليه وسلمه إلى صديق له فأخذه هذا إلى بوليبوس وميروبي ، ملك وملكة كورنثه ، فاتخذاه ابنًا لهما . وحين كبر تناهت له شائعة تقول بأنه ليس ابنهما فذهب إلى معبد دلفي ناشدًا الحقيقة ، فعرف أن قدره أن يقتل أباه ويتزوج أمه . ولكي يتجنب أي خطأ ترك كورنثه واتجه إلى طيبة . لكنه في الطريق صادف رجلاً عجوزًا وقتله دون أن يعلم أنه ==

حين رآك بحضنِ جوكاستا تمارسُ ما سطرتهُ النبوءاتُ ، أعطنا يا اورندا[١] بقايا الأماني التي غيبتها بصندوقها باندورا ، أعطنا نهرَ بكتولوس[٢] أعطنا ناي بان[٣] أعطنا ضوءَ مرآةِ تزكا[٤] لنقرأَ في السامهيتاش[٥] التفاضلَ بين الأليزيوم والراغناروك[٦] جسرًا يمرُّ على

---

== أبوه لايوس . فتحقق الجزء الأول من النبوءة . وعندما وصل طيبة أنقذ أهلها من الغول السفينكس فكوفيء بتسلم التاج والزواج من الملكة جوكاستا وأنجب منها أطفالاً أربعة . وعندما حل الطاعون في المدينة بسبب مقتل لايوس صمم أوديب على البحث عن القاتل ومعاقبته غير ملتفت لتحذير العراف تريسياس بأن نتائج البحث ستكون خطيرة . وفي الأخير انكشفت له الحقيقة بأنه هو قاتل أبيه ومضاجع أمه . فانتحرت جوكاستا وقام أوديب بسمل عينيه . استلهم هذه التراجيديا الكثيرون ، منهم سوفوكليس وسينيكا وفولتير وغيرهم .

(١) الروح الفائقة بين قبائل الأيروك .

(٢) النهر الذي أستحم به ميداس فتحولت رماله إلى ذهب .

(٣) لاحق حورية فأمسك بدلاً منها قصبة .

(٤) تزكايلتبوكا : الإله الأكبر في السلالة الازتكية مرآة من الزجاج البركاني تعكس أفعال الإنسان والمستقبل .

(٥) اسم أطلق على الكتب الهندية الأربعة التي تشكل وحدة كاملة وهي : «فيدا ريغ ، فيدا ساما ، فيدا ياجور ، وفيدا أتورفا» .

(٦) الراغناروك : في الأسطورة الاسكندنافية هو يوم الدينونة الذي تفنى فيه الأرباب والكون وسكانه . ويتطابق مع يوم القيامة الألماني المسمى غوتردامميرونغ .

صرخات الكتـرا[١] وأحجارِ بترا[٢] لما سوفَ يُترى من العربات أتعرفني يوريكليا[٣] إذا عدتُ من سبعةٍ ضدَ طيبة طرًا أعلّقُ بالأيدتان[٤] الحسانِ أزاهيرَ إلين[٥] ينشقها انديمون بغفوته عاريًا فوق لاتوص مضًا وأشعارُ سافو تلمّعُ أعضاءَها لفيون[٦] وبندار[٧] يتلو ترانيمَهُ خلفَ رحلةِ بوسانياس[٨] يعبرُ جسرَ فيكونتا لفيدا على ظهرِ ابوليوس صهوتهُ ذهبٌ من أثينا لتقرأَ لوهي[٩] بألواحهِ ما تغافلهُ بوبول فو[١٠] في النصائحِ والطوفاناتِ أوقعهُ

---

(١) قتلت أمها وعشيقها .

(٢) البتـراء ، عاصمـة الأنبـاط العرب الذين حطوا رحالهم فيـها قبل ألفي عام ، اشتـهرت بأحجارها الوردية ذات البهاء . تقع على مسافة ٢٦٢ كيلو مترا الى الجنوب من عمان . وقد وصفها الشاعر الإنجليزي بيرجن بأنها المدينة الشرقية المذهلة ، المدينة الوردية التي لا مثيل لها .

(٣) يوريكليـا ، عـرفت أوديسـيس من ندب في قـدميـه بعـد أن عـاد مـتنكرًا بزي الشحاذ .

(٤) سجلان ايسلنديان للميثولوجيا ، الأكبر للشعر والأصغر للنثر .

(٥) عذراء السوسن في الأدب الآرثري أحبت لانسلوت .

(٦) فيون : كتبت عنه سافو قصائد الحب ، رمى نفسه في البحر لأنه لا يحبها .

(٧) بندار : شاعر غنائي يوناني في القرن الخامس قبل الميلاد قصائده غنية جدًا بالليجندات .

(٨) جغرافي اغريقي من القرن الثاني قبل الميلاد .

(٩) عرافة فنلندية .

(١٠) كتاب النصائح في القرن السادس عشر عند المايا .

عشقُ تمثالهِ في التماثلِ بينهما خاصيًا نفسَهُ[١] رافعًا رئتيهِ لسيلا[٢] ليصعدَ في جوفِ بلادنير[٣] يشدو اوليكومي[٤] حواريةً شادها كونُ شاماش[٥] رفّتْ على رأسهِ شعراتٌ لسيف[٦] فإنْ شرّبتهُ غويهيلد في غفلة قدحَ الحبِّ[٧] ضيعها ناسيًا أمبلا[٨] تتسكبُ من خمرةٍ لمْ يمرَّ بها يوربيدس[٩] أو اورشانابي[١٠] يسألها أيا قدمين ستختارُ[١١]؟ أو دافنًا رأسَ سفينكس[١٢]

---

(١) إشارة إلى اتيس الذي خصى نفسه .

(٢) سيلا : الهواء في الاسطورة الاسكيموية .

(٣) سكيد بلادنير : سفينة تضيق وتتسع لحمل الأرباب .

(٤) أغنية اوليكومي : قصيدة تسرد أعمال كوماربي كانت موجودة في المكتبة الملكية في عاصمة الحيثيين .

(٥) رب الشمس أحضره الأكديون إلى بلاد ما بين النهرين .

(٦) إشارة إلى سيف التي قص شعرها لوكي فجعل لها الأقزام شَعراً من ذهب .

(٧) قدح الحب : أحب الفالكيري برنهيلد وعندما ذهب إلى أرض النبلونجن جرعته غريهيلد زوجة الملك كيوكي شراب الحب فنسي حبيبته ووقع في غرام ابنتها غودرون فتزوجها .

(٨) المرأة الأولى عند الاسكندنافيين خلقت من خمر وشجر الدردار .

(٩) شاعر أثيني .

(١٠) المعدّي الذي نقل جلجامش بسلام عبر المياه إلى مسكن الأموات حين قصد أوتانابشتم بعد موت انكيدو .

(١١) طلبت الالهة من سكادي أن تختار زوجًا منهم وكانت طريقة الاختيار أن يقف الأرباب خلف الستارة فلا تظهر سوى أقدامهم .

(١٢) سفينكس : أبو الهول . كان يطرح لغزًا إن لم يحله المرء ألقاه من أعلى الصخرة وإن حله سيقتل السفينكس نفسه ، وهو : «ما الحيوان الذي يمشي على أربع ==

في الرملِ يحرسهُ لغزهُ قبلَ أن يتقهقرَ أوديبُ لو كانَ مزقها مثلَ سن هو تزو[١] ليغضبَ سوباي[٢] عما تناقصَ من قرنِ سفانتوفيت[٣] من الفصلِ غاصتْ به الأرض من ثقلِ هذي الحقيبةِ[٤]

ماذا بها؟

فتصادم سمبلغادَ[٥] ريشُ الحمامِ لتنجو سفينتهُ ثم يرمون

---

== في الصباح وعلى اثنتين في الظهيرة وعلى ثلاثة في المساء» ، وقد حل أوديب اللغز وقال إنه الإنسان الذي يزحف على أربع في بداية حياته ويمشي على اثنتين ، ويحتاج إلى عكاز في أواخر حياته ، فقتل السفينكس نفسه على الفور وذهب أوديب إلى طيبة ليحقق النبوءة التي كانت تقول إنه سيتزوج أمه .

(١) سن هو تزو : عندما أخذ مكبلاً إلى ديار الموتى مزق الصفحة التي وجد اسمه مكتوباً عليها كما تقول الإسطورة الصينية .

(٢) رب الموتى في الميثولوجيا الانكية طلب الأضاحي البشرية والأطفال ليجعل مملكته آهلة بالسكان .

(٣) له في معابد البلطيق تمثال بأربعة رؤوس مما يجعله ينظر في كل الجوانب ويمسك في يده قرنًا ، وحسب كمية الخمرة المتبقية فيه يتنبأ في خصب السنة القادمة وجفافها .

(٤) إشارة إلى سفيا توغور ، بطل ليجندي ، زنت زوجته مع صديقه أيليا موروميتس فذبحها ، كان قادرًا أن يرفع العالم ولكن في أحد الأيام حاول أن يرفع حقيبة صغيرة فغاص في الأرض تحت ثقلها ؛ لأن المحفظة كانت تمسك بثقل الأرض وهكذا انتقمت الأرض منه .

(٥) الصخور المتضاربة في مدخل البحر الأسود الضيق تحايل عليها بحارة الأرغو فأطلقوا حمامة ثم جذفوا سريعًا .

تاربي[١] من الصخرات ليدخلَهُ الموتُ من عقبهِ يا ثياطس[٢] لكنْ أطابتْ لتيثونوس[٣] الحياةَ؟ فها هو يبكي على نهرِ كوسيتوس[٤] ويعزفُ بالكانتلي[٥] روحَ إلسيست[٦] تشرقُ في كانونو[٧] حيثُ طافَ بها الكروبيون[٨] تحت مدى العرشِ يطفو على الماءِ غاصتْ به الصابئية[٩] في هزْجِ أعراسها فاستمالتْ على المجسطي[١٠] كواكبنا نحو زيج

---

(١) عذراء الموقد التي أرشدت الصابيين إلى طريق روما مقابل أساورهم ، لكنهم عندما دخلوها رموا جسدها من صخرة على الهضبة الكابتولية سميت بعد ذلك باسمها ، فصارت المكان الذي يلقى منه الخونة ليلاقوا حتفهم .

(٢) أم أخيل أرادت التوبة والخلود لولدها فغطسته في نهر سفيكس لكنها أمسكته من عقبه وبذلك أبقت فيه نقطة ضعف .

(٣) تيثونوس : أمير طروادة وهبته أيوس الخلود لكنها نسيت أن تهبه الشباب الدائم فناء بالعمر ، ولم يستطع أن يموت فحولته إلى جرادة .

(٤) نهر النواح .

(٥) الكانتيلي : قيثارة فنلندية صنعها فينا مونين الحكيم الساحر من عظام السمك النهري ، استطاع بموسيقاها أن ينيم سكان بوجولا وأن يسرق السامبو .

(٦) قدمت نفسها فدية لزوجها ملك تساليا أدميتوس .

(٧) المكان الذي تشرق منه الشمس في سومر .

(٨) ملائكة عاكفون في حضرة القدس للتسبيح ليلاً ونهارًا .

(٩) الصابئة : دين يشتمل على ملامح زرادشتية ومانوية وبابلية ، وممارستهم الدينية الرئيسية هي الغطس في الماء الذي يعتبرونه القوى المولدة للحياة في العالم .

(١٠) مرجع فلكي هام كتبه بطليموس يشتمل على ١٣ مقالة فيها وصف للسماء ومدارات النجوم والتقويم الشمسي والخسوف والكسوف وكروية الأرض ، ترجمه يحيى بن خالد البرمكي كما ترجمه الحجاج بن يوسف بن مطر عن ==

الفزاري[1] على كتبِ السند هند فاختلطَ الفرسطون[2] بتسبيع دائرةٍ حملتها يدُ البوزجاني[3] بين التعري وبين التنثّرِ دائرةً لا تبين طواهَا إلى الكندي

على شكلِ موسطين

يمحو بها اسقلاوسَ[4] أو وترًا شذَّ حتى بناها على حرتين إذا ما اشتكى جندهُ من حُمياتهم

فاستعان بابن بقيلة[5] منحدرًا عن مبقتها

---

== نسخة سريانية ثم ظهرت على منواله مؤلفات عربية عديدة مثل المجسطي لأبي وفاء البوزجاني والقانون المسعودي لأبي الريحان البيروني .

(١) إشارة إلى إبراهيم بن حبيب الفزاري ، وضع كتابًا استند به على السند هند استخرج زيجًا حول فيه سني الهنود النجومية إلى سنين قمرية عربية ، أول من عمل الاصطرلاب .

(٢) الفرسطون من كتب أبناء موسى بن شاكر . وقد تمكن الهندسيون العرب أيام عضد الدولة بن بويه من حل مشكلة تسبيع الدائرة التي استعصت في التراث الهندسي اليوناني . وللرازي رسالة في التعري والتنثر .

(٣) برع في الهندسة . يقول ابن خلكان في وفيات الأعيان إنه توفي سنة ٣٧٦ هـ بمدينة بوزجان في بلدة بخراسان .

(٤) إشارة إلى كتب الكندي في الهندسة (كتاب في عمل شكل الموسطين ، وكتاب في تقريب وتر الدائرة ، وكتاب في تصحيح أقوال اسقلاوس) .

(٥) يذكر الخضري في إتمام الوفاء أن سعدًا شكا إلى عمر أمر الحميات «الملاريا» التي أصابت جنده فأمره عمر أن يبني للناس على حرتين ، والحرة رمل حار مرتفع فأتاه رجل يدعى ابن بقيلة ودلّه على مكان الكوفة واصفًا موقعها بأنه : «انحدر عن الفلاة وأرتبع عن المبقّة» .

كيف غاصَ البليعُ[1]؟

وأين مضتْ للصروطِ فليفلة[2] تمدّ ضفائرها فوق نهرِ الفراتِ تغني :

«يا زيد أريد أنخاك هدْ وارد أشوفك . . ومدرّغ ومربوط أبيض خروفك»[3]

فيساقطُ فوق بيرامو[4] وتيسبي

دمُ التوتِ

يصبغُ صوفَ الخروفِ

فتقذفُ فيليس في نفسها فوقَ أمواجهِ لتتيهَ بنا السبلُ التسعُ نحو

---

(١) إشارة إلى خبيب بن عدي الذي وقع أسيرًا لدى المشركين في غزوة الرجيع فصلبوه على خشبة ، فأمر الرسول المقداد والزبير بإنزاله عن صليبه فحملوه ، وعندما لحقهم المشركون قذفه الزبير فابتلعته الأرض - الإصابة ج١ - .

(٢) فليفلة والصروط : اشتهرا في حبهما في جنوب العراق ، أصبح شعرها الذي كانت تمشطه على نهر دجلة جسرًا في قضاء علي الغربي .

(٣) من الترديدات الشعبية جنوب العراق ، ومثلها : «يازيد أجاك اهواي واشماغه بيده / وبس لا يرد فشلان انطه الي يريده» . وكلمة «المدرّغ» : أي في رقبته طوق وهو مربوط نذرًا إليك . .

(٤) بيرامو : البطل البابلي انتحر عندما لم يجد حبيبته تيسبي في المكان الذي تواعدا فيه تحت شجرة التوت ، معتقدًا أن اللبوة قد افترستها ، وعندما وصلت حبيبته أفجعها مرأى حبيبها المقتول بيده فانتحرت بدورها وسقطت فوق الجسد المسجى ، فاحمرت شجرة التوت البيضاء ، ومثلهما قصة بيراموس وثيزبي التي وقفت تندب حبيبها : «وأنتِ أيتها الشجرة التي تظللين جثة واحدة ، عما قريب ستظللين جثتين فلتحملي للأبد رمز موتنا بأن تنبتي دائمًا ثمارًا قانية قانية عابسة كي يتذكر الناس دائمًا دمنا الذي نزفناه معًا» - أوفيد ، مسخ الكائنات - .

تمارا[1] الشقيةِ تلقي بعشاقها قبل أن يلقيَ الفجرُ أضواءَهُ

فوق أبراجها : جنوثي سياوتون[2] دامية تضاجعُ تمثالها الخشبي وبنتُ صفوك تجرُّ نجيّةَ[3] للدربِ خلفَ نخيلِ البلوشِ فتنتشرُ الشائعاتُ بعگد البو ردّاس[4] لكنها ستوزّعُ في گبة الزركةِ[5] الخبزَ والتمرَ نذرًا لرأس أبي فاضل لو يعودُ الأسيرُ . أراني وحيدًا كنهرٍ تخثّرَ بين ظلالِ العماراتِ .

جعّدني جرسٌ لا يكفُّ عن الصمتِ
في بابِ قشلةِ يسألُ أين رباطاتُ بهروز[6]؟
أين المقاهي بأوجارها والتخوتُ؟

---

(١) أميرة تعيش في برج عال تختار لها واحدًا من الأسرى لتقضي معه الليل وتلقي به من أعلى البرج إلى النهر قبل أن يطلع الفجر ، كما يروي الأدب الشعبي الجيورجي .

(٢) كلمتان منقوشتان على أعلى باب معبد أپوللو في دلفي ومعناها «اعرف نفسك» .

(٣) بنت صفوك ونجية : فتاتان لعوبتان وقد كنا صغاراً نردد خلفهن : «طلعن بنات اصفوك عشرين بصفر  راحن لفينوس يطگن صور»
وفينوس مصور بارع ومشهور في النجف تم تسفيره في الثمانينات إلى ايران بتهمة التبعية الايرانية .

(٤) البلوش : منطقة زراعية في أطراف الكوفة وعگد ألبو رداس : زقاق في أحد أحياء الكوفة الشعبية .

(٥) بيت الإمام علي بن أبي طالب لا يزال موجودًا في الكوفة .

(٦) موقع عند سوق المدرسة النظامية وقد سكنه الزهاد والصوفية ، وعندما احترقت بغداد قبل سنة ٥٤٤ هـ أتت النار عليه .

وقد رقصَ الساسُ بالطاسِ
أدخلُ مقهى جغالة[١] أسمعُ جالغي رشيد يراقصُ طيرةَ[٢]
بين الجنائبِ والجسرِ
بالرستِ والبنجكاه[٣] ،
فأركضُ «خلفَ المدللِ حافي
وعبيتي علْه چتافي
بوسه من الأسمر كافي»
فكلُّ الأمورِ تهونُ بتتنٍ وگهوة ما دام «لا قريةً خلف عبادان» ولا ديكَ من بعد عباس[٤] .
مَنْ جرشَ العمرَ يا ملة عبود من دونِ مجرشةٍ[٥] غير هذي السياساتِ تطحننا وتثرثرُ : «كل حي بالدنيا عليه موته[٦]»

---

(١) أول مقهى فتحت في بغداد ١٥٨٦ في زمن الوالي جغالة سنان باشا .
(٢) طيرة : راقصة قديمة اشتهرت في بغداد .
(٣) من أنواع المقامات الغنائية ، مثلها اللامي والقطر والابراهيمي والبهيرزاوي .
(٤) الحاج عباس الديك : بطل المصارعة في بغداد خلال الثلاثينيات .
(٥) إشارة إلى القصيدة الشعبية المعروفة للملة عبود الكرخي : «ذبيت روحي عالجرش/ وأدري الجرش ياذيها / ساعة واكسر المجرشة/ وألعن أبو راعيها» .
(٦) إشارة إلى عبيد المسودن الذي شد على جسده حزمة من الحطب وصب عليه النفط ، ثم تقدم إلى أحد قلاع شرطة السلطة الرجعية في سوق الشيوخ وطلب من جماعته المهاجمة من الجانب الخلفي ، ثم أشعل النار في الحطب المشدود وهجم مثل كتلة من النار على باب المركز وهو يهزج : «كل حي بالدنيه عليه موته» .

فيجيب صدى اليَشنِ : «بس داور مد ايده وصاده[1]»

والولدُ السمجُ يبلعُ آلةَ كاتبةٍ ويتكُ

حروفًا

ويمحو

يقودُ قطيعَ اللغاتِ

إلى رفِّ مكتبتي زهرةً علّقتها من القرطِ أسحارُ هاروت ماروت[2]

في أُذنِ الليلِ .

مَنْ يكملُ الآن وردةَ دي مونج[3]

أو عابـرًا رغـم ميتاتـك الألـفِ غابتـكَ المستضاعـةَ[4] تصحـبُ

---

(١) إشارة إلى أهزوجة قيلت عند تشيع أحد شيوخ العشائر في الأهوار ، فقد حيكت إسطورة شعبية عن زورق ذهبي يطل ليلاً بعد مرور كل أربعين ليلة لم يتمكن أحد من الحصول عليه ، فلما وصل إليه الشيخ قفزت عليه ضفدعة ملك إيشان أبو ذهب وقتلته في الحال .

(٢) إشارة إلى الملكين هاروت وماروت اللذين هبطا إلى الأرض فافتتنا بجمال امرأة تدعى الزهرة ، فعلماها الكلام الذي يصعدان به إلى السماء ؛ فلما صعدت هي إلى السماء نسيت الكلام الذي تنزل به إلى الأرض ؛ فبقيت مكانها وأصبحت ذلك الكوكب الجميل الذي نسب اليه عرب الجاهلية الطرب واللهو والسرور- عجائب المخلوقات للقزويني - .

(٣) إشارة إلى قصيدة «قصة الوردة» التي كتبها شاعران فرنسيان لا عن طريق التعاون ولكن في تتابع ، إذ أتم الجزء الأول وليم لورس في النصف الأول من ق١٣ ليتم الجزء الثاني جان دي مونج بعد ذلك بنصف قرن تقريبًا .

(٤) إشارة إلى إلى قول نيرودا في مذكراته عن البرتي بأنه يحيا «برغم الميتات الأف التي أعدت له» . وإلى مذكرات روفائيل البرتي «الغابة الضائعة» .

مايو[1] لجدرانِ مدريد مترعةً بالدماءِ فيفزعها وقعُ أقدامهم
تتقدمُ في نسقٍ كالرصاصِ
إلى صدرهِ (- سيدي ،
واشتريتُ كبابًا لها
ثم رحنا إلى الصحنِ
كـانـتْ تسـبُّ الـ . . .[2]) صـاعـدًا بمـدرجِ
كولوسيـوم[3] أسمعُ أناتهم
تتدحرجُ للبحرِ .

---

(١) ماروخا مايو : هي الرسامة السريالية التي تحدث البرتي عن علاقته العاطفية المأساوية الممزوجة بظل الخيانة بها ، يقول في غابته : «اقتربت مني آنذاك وهي وحيدة تمامًا وثمة ورقة خريفية مرسومة على طرف القبعة الملونة في حين تتناهى إليّ من بعيد أصوات العيارات النارية التي أعدم بها البطلان الجمهوريان : فيرمين غالان وغارثيا ايرناندیث ، وفي حين كنت منهمكًا بحس الثوري النقي الغاضب بلصق قصيدتي - مرثية وطنية على جدران الشوارع المدريدية - منتعلاً جزمتي . . لا بد لي أن اموت» .

(٢) إشارة إلى أحد التقارير الأمنية التي عثرتُ عليها في ملفات الأمن السرية في النجف أثناء انتفاضة ١٩٩١ حيث كتب أحد المخبرين تقريرًا عن نشاطه جاء فيه أنه استطاع التعرف على زوجة أحد المعدومين وذهب معها لزيارة كربلاء ، ثم يرفق تقريره لمسؤوله عن استدراجها للتهجم على السلطة مع قائمة بصرفياته ومنها وجبة الكباب التي تناولها معها في صحن الإمام الحسين .

(٣) مدرج روماني يعود تأريخه إلى ٨٠ م شهد تعذيب المسيحيين .

البحر . البحر . صاحَ جنودُ كيسنوفون[١] .
صاحَ ابن عباد في قبو أغماتِ[٢] :
لا عذرَ في الغدرِ[٣] .
صاحَ بـ لاكروث[٤] :
أرواحنا تترقرقُ كالماءِ بين يدي تيريسا .
صاحَ خورخةُ[٥] :
أين مضى نهرنا سيصادفهُ البحرُ .
كلٌّ بما سوفَ يكسبُ مرتهنٌ .

---

(١) إشارة إلى كسينوفون مؤرخ وقائد أثيني اشتهر بكتابه أناباز أو الرحلة ، الذي وصف فيه مسيرة تقهقره بعشرة آلاف مقاتل من الفرات إلى البحر الأسود وهم يصرخون : البحر ، البحر .

(٢) إشارة إلى المعتمد بن عباد الذي استنجد بأمير المرابطين «يوسف بن تاشفين» على الملك ألفرنسو السادس ؛ فأنجده ثم طمع في ملكه فأسره ونفاه إلى أغمات في أفريقيا حيث مات فيها وكان شاعرًا مترفًا مرهفًا .

(٣) إشارة إلى أبي حيان التوحيدي : «لا عذر في غدر» .

(٤) إشارة إلى سان خوان دي لاكروث الشاعر والقديس الذي عمل مع القديسة تيريسيا على إصلاح الرهبانية الكرملية فكان هذا سببًا في سجنه في طليطلة لأنه هرب بمعونتها ، أصبح ديره مأوى لاقتران العشاق ، يقول في قصيدته النشيد الروحي : «فلننعم بالمتعة/ هلم بنا لتريني حسنكِ/ حيث يتدفق الماء الزلال / ولنمضِ عميقًا في الآجام» .

(٥) إشارة إلى الشاعر خورخه مانريكه في مرثيته الشهيرة لوالده : «حيواتنا هي الأنهار التي تمضي لتصب في البحر الذي هو الموت» .

كلُّ هذي الحياةِ من الملحِ في دمعنا[1] حين نبكي الحياةَ ليمسكها زيدُ وهو يقلّبُ آياته

بين آياتِ بنتِ جحيش

وما نالهُ من شكوكِ الصحابة صفوانُ[2] حيث يقيمُ ببيكرُ[3] نسيانَهُ سوفَ ننسى بأرضِ البشارات[4] ما ضيعتّهُ السنونو برحلتها من ممالك .

أين خوانا[5]؟ سريرٌ من الزهرِ تفرشهُ لتنامَ الخيولُ[6] . أكانتْ تسودُ

---

(١) إشارة إلى الشاعر الايرلندي شيماس هيني الحاصل على جائزة نوبل ١٩٩٥ : «وعند أداء القسم ينبغي للزعماء أن يقسموا على الحفاظ على القانون غير المكتوب وأن يبكوا / للتكفير عن تجرّئهم على البقاء في المنصب/ ويجب أن يؤكدوا إيمانهم بأن كل الحياة نبعت من الملح في الدموع التي ذرفها إله السماء عندما حلم بأن وحدته لا نهائية» .

(٢) إشارة إلى زيد بن حارثة وزينب بنت الجحش وصفوان بن المعطل وحادثة الإفك - الطبري جـ ٣ - .

(٣) إشارة إلى ديوان لويس ثيرنودا «حيث يقيم النسيان» . وثمة استعاره من إحدى قصائد الشاعر الريفي بيكر التي يقول فيها : «عند صخرة منزوية لا نقش فيها أبدًا/ حيث يقيم النسيان هناك سيكون قبري» . وإلى قول بيكر أيضًا : «ستعود أسراب السنونو القاتمة» .

(٤) هي الأرض الجبلية الأندلسية التي لجأ إليها العرب بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ والكلمة عربية الأصل .

(٥) هي ملكة قشتالة ق ١٥ التي اختل عقلها بسبب وفاة زوجها فيليب الجميل .

(٦) كان الأزتيك ينظرون إلى الجياد كانها مخلوقات سماوية فأعدوا لها فراشًا من الأزهار لتنام عليه .

الذيولُ تفاصلُ ما بين رستم يبكي وزعرب[1] يغربُ في حتفه صلةً بالسبارتيِّ[2] تختمهما بالعقاربِ سيلكتُ[3] من أين نمسكُ ميمنغَ[4] كي نفصلَ **الصادَ والألفَ** عن اسمه لتسيلَ البقيةُ من نحره في الميادين . . أدخلُ في كهفِ بوذا وأقرأُ في اليوبانشاد[5] سفرَ الخليقةِ : من أين جئنا؟ وأين نقيمُ؟ وأين سنذهبُ؟ ينكرُ بيرون[6] معرفتي بالحقيقةِ . لا تنطقوا أيَّ شيءٍ ولا تعرفوا أيَّ شيءٍ ولا . . . . .[7] قافزًا قوسَ عمري بدخانِ سيجارةٍ لا يفرّقُ بين أصابعهِ والغيومِ تلامسُ هدبي كأشتات كهلٍ يقابلُ نسيانَهُ

---

(١) زعرب ورستم : أعظم أبطال الشاهنامة ، وقد أعاد ماتيو أرنولد عام ١٨٥٣ قصة معاركهما .

(٢) السبارتي : هم الخمسة من المقاتلين الذين نبتوا من زراعة أسنان التنين بعد المعركة التي دارت بينهم .

(٣) حامية الجثث المحنطة عند المصريين ترسم على شكل عقرب برأس إنسان .

(٤) السيف السحري الوحيد لقتل بادلر الذي لا يموت إلاّ بهذا السيف ، يحرسه ميمنغوس .

(٥) أسفار تلخص الفلسفة الهندية القديمة ، وموضوعها هو السر الذي عز على الإنسان فهمه : «من أين جئنا؟ وأين نقيم؟ وأين نحن ذاهبون؟» ، وهو ذيل للبراهمانا الذي يشرح كتاب الفيدا .

(٦) أول فلاسفة اليونانيين الشكاكين ، أنكر على الإنسان مقدرته في معرفة الحقيقة .

(٧) إشارة إلى قول الحكيم التاوي لي تسو لأتباعه : «لا تقولوا شيئًا ولا تعرفوا شيئًا ، إذ لا يوجد ما لم يُقل أو لم يُعرف من قبل» .

بالمرايا . أقلّبُ في الجتاكا[1] ، فأرى وجهَ بوذا تناسخُ بين السطورِ ، وجوهًا لرهبان تسعى بطاساتها الصفرِ تستجدي العابرين - الخلاصَ . فيلتفتون لمايا تصيحُ : لقد دخلَ الفيلُ رحمي فيضحكُ وهو يواصلُ تحت ظلالِ المبو صلاةَ النرفانا بإشراقةِ الروح . يلتفُّ موشا على جسمه المترقرق كيما تمرَّ عواصفُ مارا وسربُ التوماهوكِ تدكُّ البيوتَ الفقيرةَ تاركةً قصرَهُ . البلاغةُ أن تعرفَ الوصلَ من فصلهِ في الوصولِ . أكانَ لنا أن نطأطىء قاماتنا كي تمرَّ الرياحُ .

كأنَّ المدائحَ عاطلةٌ عن أشوكا .

كأنَّ المنائحَ باطلةٌ عن نثاري . تشبّهُ قاربَهُ بالكناياتِ ، يمخرُ في شهقاتِ الوصولِ الأخيرِ فتغويهِ ، سسماتيلا ،[2] بالمتاعِ فيغرقُ زورقُهُ

---

(١) كتاب يصف الحيوات التي عاشها بوذا وهي ٥٤٧ رواها عن ولاداته السابقة كطير وحيوان ورجل ، وبعضها تسبق الديانة البوذية وهي إعادة للبانجاتانترا ، تقول إحدى الأساطير إن أمه الملكة مايا حلمت أن بوذا دخل إلى رحمها على هيئة فيل أبيض ؛ وقد فسر لها هذا الحلم ٦٤ راهبًا براهميًا ، وقد تكلم بوذا عند خروجه للحياة ، وعندما مشى كانت زهرة لوتس تنمو تحت قدميه حين يخطو وولدت معه شجرة المبو التي وصل تحت ظلالها إلى مرحلة النرفانا - الإشراق والاتحاد بالذات الإلهية . وقد حاول الشيطان مارا وبناته إغواءه فلم يهتم بذلك ، وفي الأسبوع الأخير من تأمله حدثت عاصفة ولكن ملك الناغا موجالندا حماه بحسمه الذي كان على شكل أفعى . وأشوكا الطفل الذي أعاده بوذا للحياة ثم صار ملكًا حكم للفترة ٢٧٢ - ٢٣٢ ق .م قام في حياته ببناء معابد بوذية بلغت ٨٠ ألف معبد وأرسل بعثاته التبشيرية إلى مصر وسوريا .

(٢) سسماتيلا : ابن الشمس في إسطورة جزر تونغا ، أغرته زوجته بفتح الطرد الثاني الذي حذره أبوه فخرجت منه كمية من المتاع بحيث أغرقت الزورق الذي كانا فيه .

فضعي في فمي عانةً[1] .

إنَّ شارونَ لا يقبلُ الفقراءَ بمركبهِ للعبور .

هل الربُّ يُرشى؟

أكانتْ تحرضّهُ أدواتُ حلاقتهِ أن يزيلَ التجاعيدَ عن وجنةِ الغيمِ كلَّ صباح وينسى التجاعيدَ في روحنا . هل ستسفحنا العاشقاتُ قواريرَ دمع وعطرٍ على قبرِ هينا . أتدفعنا الريحُ فوق مياهِ الظلامِ لنبصرَ تونينلي[2] يراقصُ بهلولَ منفلتًا يتمخطُ في ثوبهِ في أزقةِ هورمان ، يرنو إلى جارهِ يتقلّبُ في جوعهِ مثلما يتشحطُ في دمهِ فيسبُّ القبيسَ ويعفطُ في عتباتِ قصورِ السلاطين : الموازين ضيزى ، ولا عدل في الكيلِ . يحملُ أيامَهُ بالجنونِ ونحملُ أيامنا بالظنونِ .

فهل تركَ الظبي ظلاً على ظلنا فاختفى الظلُّ بالظلِّ[3] .

---

(١) إشارة إلى قطعة النقود التي كانوا يضعونها في فم المتوفي كأجرة لشارون - بحار العالم السفلي العجوز - لعبور أنهار الجحيم هيدس .

(٢) إشارة إلى إله المطر الذي يرش الماء على قبائل النافاهو في اريزونا ، ويعتبرونه إلها عابثًا ويحب اللهو حاملاً جرة الماء ، ويصور على شكل مقنع في الرقصات القبلية ، ويمثلونه كشخص مجنون ولكنه سعيد بما يقوم به .

(٣) إحالة إلى انسيسبرغر وهو شاعر شرير مشاغب ولد في المانيا الاتحادية عام ١٩٢٩ : «ظل أكثر إضاءة من الشمس / ظلال الحرية المعذبة/ كاملاً في الظل اختفى ظلي» .

لا نادلٌ في السماءِ يعدُّ الفطائرَ للنائمين . اويكا[1] بماذا حلمتَ وماذا رأيتَ وراءَكَ من مدنٍ لمْ يمرَّ بها لاوتزو[2] لاصقًا عمرنا - قطعة الطينِ في فمِ أولغانِ يبصقها حين نكبرُ ما بين أسنانه الصفرِ سيمون ماغوس[3] حرزْ من الطينِ أرواحنا في يديكَ وطرْ فوقَ روما حذارِ السقوطَ فكلُّ دروبِ السماءِ معلّقةٌ بالشباكِ ولكن لقمانَ طارَ بسبعةِ أنسر

حتى هوى بعدُ لبد[4] على رأسه

فرأى الأرضَ من ثقبها تتملى الجموعَ وتضحكُ من شهقة النونِ كهفًا سيوصدهُ حجرٌ لا يزحزحهُ أحدٌ غير أطفالنا الألفِ يا ايزانامي[5] مندهشًا

---

(١) تروي إحدى أساطير قبيلة اسكاليبوس على نهر كونغو في البرازيل أن أويكا لاحظ موت الحيوانات تحت شجرة ضخمة ، وعند اقترابه أحس بدوار ونام فرأى في حلمه الإله سنا جد قبيلة الجورونا النمر يمنعه من الاقتراب فالتزم أويكا بالنصيحة وعمل شرابًا من لحاء الشجرة ، وحصل على قوة خارقة وصار يعالج الناس بلمسة من يده ، وعندما يحلم تتحقق أحلامه ، ولكن زوجته خانته وكانت له عينان خلف رأسه ، اختفى في شق الأرض ولم يظهر .

(٢) أشهر فلاسفة المدرسة التاوية ، قال لكونفوشيوس : «إنني أتجول في الذي لم يلد بعد» ، سأله موظف الحدود قبل رحيله واختفائه أن يكتب كتابًا فوضع كتابًا تحت عنوان : «الطريقة الصحيحة للعيش» .

(٣) ساحر كنعاني رُئي يطير فوق روما ويسقط بدعاء من القديس بطرس .

(٤) كان لقمان قد خُيّر في عمره بين سبع بعران وبين سبعة أنسر ، اختار الأخيرة حتى كان آخرها لبد - إلاكليل للهمداني - .

(٥) أم الشتنو الأولى وجدت أن زوجها ايزاناغي قد أغلق باب عالم الموتى بحجر لا يزحزحه ألف رجل ؛ فهددته بأنها ستقتل ألف رجل من مملكته كل يوم وهددها بأنه سيجعل ١٥٠٠ امرأة تلد كل يوم .

بالطبيعةِ لكنهُ لا يرى نفسَهُ[1] ما الذي ينفعُ الضوءُ عينَ الضريرِ .

أطلَّ على الحشدِ يمضي بتابوتهِ ضاحكًا

ثم بالَ على رأسهم :

أين كنتمْ إذن في حياتي .

أشيرُ لمدخنة تنفخُ السحبَ عاثرةً ، تلك أحلامنا بددٌ قبل أنْ ينفدَ الخيطُ حاكَ لهُ كفنًا وتمدّدَ في جومةِ النسجِ) . . . . . **يا سالم يووي** ، أكنتَ رأيتَ الحبلَ طويلاً

يهتزُ بعنقِ المشنوقِ

فلا يطرفُ رمشٌ أو يعلو همسٌ

والناسُ تصفقُ ناسيةً أنَّ الحبلَ

سيلتفُ عليهم بعدَ قليلٍ

. . . . . .

فنطاردُ خلفَكَ أطفالاً بقشورِ الرقي ، حتى النهر ، لتنحتَ في الجرفِ ، فتاةً عاريةً نهداها تلا رملٍ ، لا تتركنا نتلمسها . ستهزُّ بنا محتدمًا . يا ثابتُ ، هل تذكرهُ كان سمينًا بضًا بين يدينا الناعمتين ومكتنزًا . بصقتْ في وجهينا واقتادتْ للخانِ مطيتها . . . . . .

- يا يووي متى تتزوج؟ . . . . . .

هزّ يديه وبالَ على الحائطِ .

---

(١) إشارة إلى قول القديس أغسطين : «وما برح الإنسان يبدي دهشته لشموخ الجبال ولأمواج اليم الجبارة وامتداد الأنهار الشاسع ودوران المحيط وتعاقب دورة النجوم ، لكنه في نفسه هو لا يتأمل» .

أغمضتِ امرأةٌ عابرةٌ عينيها ،

صارخةً في فزعٍ مكتومٍ .

يضحكُ منتشيًا :

أوَ تدرون لماذا تفزعُ؟

صحنا : اسكتْ يا يووي . . . .

فرشٌ بقايا البولِ علينا . ومضى يركضُ في الطرقاتِ بدشداشتهِ الملقومةِ في فيهِ . ممتطيًا خيلَ الجريدِ لقتلِ الشمرِ

فتضحكُ فطّومةُ

– لِمْ لا تختاركَ بعلاً ، بدلاً من عثقِ الموزِ . تريّحها وتريحُ .

وتترك وطءَ حمارتها المربوطةَ في جذعِ النخلةِ (هل كانتْ تلتصُّ عليكَ وتهتاجُ) وبينكما هذا الصيفُ الوهاجُ

ولكنكَ تهزأُ منا . تتركنا نتوجسُ سرًا .

وتطاردُ فوق مسنّاةِ النهرِ سرابَ امرأةٍ هجرتكَ (وتدمعُ عينا أمكَ : كان وحقك زينَ الشبّانِ ، ولكنَّ الحربَ ومكرَ النسوانِ) . . . . .

أفتحُ عيني فأرى عصفورًا نزقًا حطَّ على مسمارِ المشنقةِ المنصوبةِ في الساحةِ منتشيًا

يتأرجح في الحبلِ المثلوثِ ، بدونِ مبالاةٍ ، ويغني ثم يطيرُ . . . . . .

(إلهي . عصفورٌ مسجونٌ في قفصٍ ،

سيثيرُ بكَ السخطَ ،

فكيفَ ألا تبصرنا الآن؟)

رأيتُ : الديناصورَ ، على ماكنةِ الطبع العصريةِ
يستنسخُ آلافَ الصورِ البرّاقةِ ، عن أمجادِ تفقّدهِ آثارَ القصفِ
يمضغُ ساندويشًا من لحمٍ بشريٍّ ، . . . .
و . . . . . .
يتحدثُ للصحفيةِ ، بالشورتِ الأحمرِ ، عن حرياتِ الشعبِ المدعومةِ بالثاليومِ ، زياداتِ النسلِ بحاضنةِ التفريخِ ، وإمكانيةِ تصديرِ الأوطانِ . . . . .
لهُ الأسماءُ الحسنى ،
وتقاويمُ الأيامِ ،
وعلمُ الأرحامِ ،
وأسماءُ الطرقاتِ ،
تماثيلُ الساحاتِ .
لهُ الصلواتُ . الدباباتُ . وماكنةُ الثرمِ
له الأطوادُ ، الأعوادُ تميلُ فتعدلها الأعناقُ
له الأرزاقُ وما تحملهُ الأطباقُ وهذا المجدُ العملاقُ وسبحانَ الخلاقِ . . . . . .

سيخرجُ في الأعيادِ الوطنيةِ من إبريقِ الشاي وشاشاتِ التلفازِ حليقًا منتفخَ الأوداجِ يحييّ الشعبَ المتلاطمَ (لاحظْ : يتلاطمُ) أسفلَ شرفتهِ ، فتطوفُ على أمواجِ الصرخاتِ قواربُ ضحكتهِ **الذهبيةُ** ، تدفعها الريحُ على مهلٍ للحاراتِ . فيعلقُ فيها الصبيانُ (تأكدْ من كلمةِ : يعلق) يطبقُ في ردفي خادمهِ الخصيِّ شهيقًا مرًا يكتمهُ بالأمرِ الملكيِّ :
ارفعْ .

احنِ .

والسفراءُ انتظروا خمسَ دقائق أخرى . تختضُ شمعداناتِ القصرِ فيمسحُ عن فخذيهِ العسلَ الملكيَّ . . .

أمن أجلِ تدحرجِ رأسكَ فوق الإسفلتِ غدًا تتساقطُ آلاف الأعناقِ . . .

رأيتُ : مَ يفتّشُ في الخابورِ الخابطِ عن خيمِ الكردِ المنثورةِ في عيني زين الخائفتين من الخردل . يبكي في المنفى وطنًا أو يبكي في الوطنِ المنفى : من أجلكَ عطّرتُ ضفائرَ شَعري ، لكنكَ لمْ تلثمْها . ويلكِ يا أيامُ[1] . . . أتدري

نسفوا جسرَ الزابِ

أمام قطيعِ الأكرادِ الهاربِ من نيرانِ الطياراتِ .

رأيتُ : لأشجارِ اليوكالبتوز على كورنيش البصرةِ تسّاقطُ أسماء العشاقِ المحفورة داكنةً يابسةَ النبضِ ، لينقشَ فيها العشاقُ الجددُ الأسماءَ الخضرَ ، القبلاتِ الخضرَ ، ويمضون سراعًا .

قولي ما طعم القبلاتِ

إذا تركتني شفتاكِ

رأيتكَ : في عتمةِ هوركَ

---

(١) إحالة إلى ملحمة م زين لأحمد خاني . وإلى قصيدة الشاعر الكردي بيره مرد .

متشحًا في بابِ المرْكَزِ تنتظرُ التوقيعَ اليوميَّ ونظراتِ المخبرِ ، مكدودًا تسعلُ
من فرطِ التدخينِ ، وداءِ القرحةِ
تحملُ أسماكَ النهرِ إلى طيبِ موائدهمْ
وتظلُّ أمامَ البابِ ككلبٍ منبوذٍ تجمع ذلَّ الفضلاتِ بكيسكَ تطعمُ
أفواهًا زغبًا بالأسمالِ وبالبلهارزيا
وتطرُّ بمشحوفك أوجاعَ الهورِ الغافي في الليلِ
فيستيقظُ فيكَ صدى موالٍ
يصّاعدُ من أعماقِ الموجِ
أنينًا مكتومًا نحو سماواتِ الله الشاسعةِ الأحلامِ
تنامُ على حلم بالفجرِ . . . . .
ولكنَّ الفجرَ بعيدٌ . . .
ما زالَ وراءَ القضبانْ

رأيتُ : القمرَ الناعسَ يحملهُ الحوتُ بفكّيهِ ، فنهزجُ فوق التنكاتِ :
«يا حوتتنه البلاعهْ
ردي گمرنا بساعهْ»
لكنَّ الحوتَ غدا ديناصورًا ،
والقمرَ المبلوعَ تناساهُ الصبيانْ
ونحن يجمّعنا المنفى وتفرقنا الأوطانْ
فمَنْ ينشدُ للإنسانِ المكسوفِ الخاطرِ لحنَ تغرّبهِ في بطنِ الإنسانْ

رأيتُ : طفولتنا ترسمُ نخلاً أعلى من سورِ حديقتهم

نهرًا أعذبُ من ماسوراتِ عمارتهمْ
نرسمُ أشجارًا ملأى بالأثمارِ وبالأقمارِ
أراجيحَ
كما الدنيا تعلو ، تهبط ، تـ . . . . . .

لكنَّ معلمَنا الطيبَ أخفى ضحكتَهُ خلف السبورةِ ، أخفى الطفلُ العائرُ حسرتَهُ بعد سنين خلفَ جدارِ الزنزانةِ حين رأى من كوّته :

أشجارًا تقصرُ كلَّ صباح
ومشانقَ تكبرُ كلَّ مساءٍ

أصرخُ أين معلمنا الطيبُ؟

كيف تركتَ لنا في الكراسةِ جرحًا ، ومضيتَ إلى الشيخوخةِ قبل أوائلِ أوراقِ تقاعدكَ الصفراءِ ، سيحملها المصعدُ للتوقيعِ ، ويهبطُ فيها لعيادات أطباءِ السُكّرِ والقرحةِ . كيف تركتَ لنا حريةَ رَسمِ العالمِ وفقَ مقاساتِ أصابعنا الناحلةِ الأغصانْ

رأيتُ : ضبابَ الفجرِ يغطي السعفَ المائلَ للحمرةِ ، والصدرَ المائلَ بالرمانِ يهفهفُ خلفَ خوارِ الأبقارِ ويغفو فوق العشبِ نديًا منتفضَ الحلمةِ [- لِمْ زوجتَ ابنتكَ المعسولةَ للقصبِ الأجوفِ من أجلِ ثلاثِ بنادقَ وامرأةٍ عانسةٍ (تسمعُ في نقرِ دفوفِ العرس شخيرَ لياليها ، ملتفًا كالقنفذِ ، يسعلُ

تبكي

يسعلُ . تهرعُ بالكبسولاتِ) ينفضُ عنهُ الطينَ ويزحفُ مقتربًا نسغًا نسغًا من برعمها المتفتحِ . مرّتْ أسرابُ البطِّ ، القرواتُ بأحمالِ الكَرَبِ ،

الليلُ المتوجسُ بين النخلِ . . وإذْ أبصرتِ الثعبانَ الأملسَ
يزحفُ مقتربًا من مخدعها
انتفضتْ صارخةً ،
لكنَّ النخلَ المتطامنَ هدأَ صرختها ] فانكفأتْ بين الدغلِ
تقطّعُ أعشابَ العلّيقِ ،
وتنثرها تحت عباءتها كي لا تتعفرَ بالطينِ
ارتعشتْ لدقائقَ ، ثم انطفأتْ هادئةً لصقَ سريرِ الزوجِ النائمِ مبتور الساقين (- أكانَ ضروريًا أن تمضي للحربِ وتتركني؟)

رأيتُ لنفسي : في منتصفِ الشارعِ ، أفتح سروالي وأطلُّ غيابًا
أفكاري لي والكلماتُ لكم[1] ، تسبقني في الأرضِ خساراتي . لا أملكُ أيَّ سلاحٍ في وجهِ الأيامِ سوى أشعاري[2] (- لِمَ يا أمي بعتِ دفاترَ أشعاري للقصابِ . بكيتُ على شيشِ الحلمِ المشويِّ . ولمْ أقضمْ - رغم طفولةِ جوعي - غيرَ أظافرِ يتمي) عشرةُ آلافِ كتابٍ بعتهما بالجملةِ للأكشاك ، وأخرى عند الأصحابِ ، وأخرى في التنورِ (وما زلنا ننتظرُ الأرزاقَ المقطوعةَ منذُ . . . . تحسستُ نقودي لا شيءَ سوى أوراقِ قصائدَ لا تملأُ أمعاءً تتلوى . . . . هل يكفيها «الكامخُ والمكموخُ وما بينهما[3]» . . .)

---

(١) اقتباس من سبنسر : «أفكارك لك وكلماتك ليست لك» .

(٢) اقتباس من ليوبولد سنغور : «لا أملك أي سلاح في وجه الأيام سوى الكتابة» .

(١) أو . . الشاطر والمشطور وما بينهما : اسم السندويشة ، حسب نظرية التعريب في المجمع اللغوي العربي .

لا شيءَ سوى طيارات ترمي الأرزاقَ وأخرى ترمي النابالمَ وأخرى ستصوّرُ آلافَ الجثثِ المطمورةِ . لا شيءَ سوى كسرةِ خبزٍ يابسةٍ في كيسِ النايلونِ وفأرٍ وقحٍ . هل نتقاسمها؟ بالعدلِ؟ بدائرةِ العدلِ رأيتُ : الحاكمَ (- واللهِ ، أقولُ الحقَّ) يداعبُ ثدي الأرملةِ الشابةِ ، تربكهُ عينا الطفلِ الفاضحتان (بعينيهِ ، سيأكلُ عشبَهما الدودُ) رآها من ثقبِ البابِ الموصدِ تستجديهِ التوقيعَ على ذلٍّ عريضتها ، فيوقّعُ في « . . . .[1] »

كبرَ الطفلُ (بعينيه سينخرُ أحلامهما الظلمُ) رأى : أطفالاً للبيعِ بسوقِ مريدي

ورأى : حكامًا من ثقب شعارات الثورات «تنيـ . . . .» الأوطانَ

ومن ثقبِ القلبِ ، رأى : الأرملةَ الشابةَ في بابِ السهلةِ كلَّ ثلاثاءٍ تستجدي التوبةَ - يا صاحبَ هذا الزمنِ الحالمِ في غيبتهِ الأبديةِ ، إغفرْ للمسكينةِ توقيعَ الحاكمِ في إليتها . إغفرْ فالجوعُ الظالمُ لا يغفرُ (- ما أقسى الجوعِ بعصرِ الثوراتِ)

ومن ثقبِ بلادي ، أبصرتُ : النسوةَ يسألنَ بأروقةِ المبنى عن آخرِ قائمةٍ للأسرى ، ويعدنَ بلا . . . . . .

رأيتُ : إلى عينِ القناصِ تشيرُ إلى النصفِ وخمسِ رصاصاتٍ . يبصقُ ممتعضًا ، أمسحُ عن وجهي ضجرَ القنّاصِ الحامضَ ، يفركُ عينيهِ بإصبعهِ المطبقِ طولَ الليلِ على . . . . (أفركُ) عنقي المتشنّجَ من علوِ وسادةِ نومي ، (يتمطى) بحبورٍ ، ما كان (يليقُ) به أن ينسى (فزعي) يتثاءبُ

---

(١) كلمة نابية .

(أملأُ) صدرى بشهيقِ نهارٍ آخر (يبسمُ) ، (أفتحُ) ثغري ببلاهةِ طفلٍ . هل (يشكرني؟) هو أيضًا من أجلِ صباحٍ آخر أم . .

تأخذني الرعشةُ

حتى أصغر عشبةِ قمح في مرج دمي

أرحلُ أبعدَ من شفتين تعيدُ أمامَ المرآةِ صباحًا حمرتها

تنساها ذائبةً في شفتي

وتغادرُ مسرعةً قبل : «صباح الخيرِ»

إلى المكتبِ

أيقظها من كسلِ الحلمِ وجومي المتصنّعُ

فابتسمتْ

تنفثُ في وجهي

آخرَ سطرٍ من دخانِ تغنجها

أطفأتِ السيجارةَ في منفضةِ القلبِ ، وهمّتْ أن تنهضَ

أمسكتُ يديها الدافئتين

اقتربتْ أكثر . . . . .

فتّحتُ بقيةَ أزرارِ الفستانِ

المذياعُ يثرثر . . . - حتى هذي اللحظة؟ (كان الدكتاتورُ الحامضُ يخطبُ منتشيًا : «يا محله النصر بعون الله») صحتُ : انتظريني . . . . .

- ألو . . . . . ن . . . . .

- لا . . . سافرتِ اليوم إلى فينسيا

وأنا قضّيتُ العطلةَ في حفرِ مجاري ناحيةِ الهاشميةِ

رأيتكِ : تضطجعين على الرملِ فتنكسرُ الشمسُ وقلبي فوق مرايا ظهركِ يلحسُ من سكرِ عريكِ هذا الزبد الطافي فوق دمي . مجنونًا أتعقبُ آثارَ غروبكِ ، ناعمةَ القدمين على الرملِ ، فتطمركِ الريحُ! يقهقهُ مدُّ البحرِ : وداعًا . . . لا شيء سيبقى فوق الرملِ . سأختارُ لحزني مصطبةً أرقبُ آثارَ خطىً ناعمة ، يمسحها الموجُ وآثارَ خطى رجلٍ مجنونٍ يتعقبها حتى البحر ، وحين تضيعُ ، سيختارُ له ركنًا في المقهى يرقبُ مثلي آثارَ خطى رجلٍ مجنونٍ يتعقبُ آثارَ خطى امرأةٍ يمسحها الموجُ وحين . . . [سأمضي للبحرِ ، أرى : مصطبةً للفجرِ يغطيها زبدٌ ونوارسُ بيضاءُ ، تدنينَ فيضطربُ الموجُ على قدميكِ الناعمتين لذيذًا ،

يتعقبني التقريرُ السريُّ : (**مضى في الفجرِ إلى البحرِ حييًا**) أهمسُ : هل يكفي رجلاً وامرأةً بحرٌ ويراعٌ (**أحيانًا تصحبهُ امرأةٌ للشقةِ، كان يوشوشها: هلْ يكفي رجلاً وامرأة بحرٌ ويراعٌ. ما معنى: ويراعٌ**) يتعقبني التقريرُ السريُّ

إلى مكتبتي

ينبشها ، حرفًا ، حرفًا . .

ويضيفُ : (عثرنا بين الأكداسِ على كتبٍ لا نعرف مصدرها)

الحبرُ الأحمرُ يرسمُ خطًا تحتَ (عثرنا)

ويهمّشُ : ما رأي سيادتكمْ . .

يكتبُ في طرفِ التقريرِ سيادتُهُ بالقلمِ الأخضرِ : تُحجزْ . . . .

(أُحجزُ . . . . . .)

مرَّ بي السجانُ ولمْ يبلعني فسقطتُ إلى الأرضِ الرطبةِ ، أبلعُ أولَ صحنِ بصاقٍ بحياتي وبقايا كسرٍ من خبزِ سجينٍ ، أقْدَم من نوحٍ ، أخذوهُ

من الليلِ إلى . . . .

في القبوِ قرأنا كتبًا لا نعرفُ مصدرها ، هرّبها البعضُ إلى البعضِ وغابوا ونغيبُ لنتركها لضيوفٍ يأتون غدًا ليغيبوا . .

الكلُّ سيتركُ في أقبيةِ العالمِ شيئًا ما (لكنني أتركُ نفسي بين الطلقةِ والطلقةِ ، غصنًا مشبوبًا . أختارُ لنفسي فسحةَ بوحٍ لتأمل هذي الزرقة ما أشبهها بالبحرِ لأغسلَ عينيَّ بزرقتها من سخمِ العصرِ . لماذا لا يتركني السجّانُ/ القناصُ/ الكوسجُ/ أخلعُ جلدي الخاكيَ المتقرّنَ من عرقِ الحربِ وأرمي جسدي بين الأمواجِ بعيدًا) : من صفر إلى عشرين . أجبْ . اقتربَ الطوربيدَ كثيرًا

ألقيتُ بجسمي فوق سريري تعبًا منخوبَ القلبِ . بعيني بكاءُ قرونٍ يطمرها النسيانُ ، خلعتُ البسطالَ اللاصقَ منذ سنينٍ وتمدّدتُ على ضفّةِ نهرِ الكوفةِ ، منتشيًا كالجذعِ الطافي قلتُ لأدفنَ جسمي بين العشبِ وبين الطينِ كما كنتُ إذا اشتدَّ القيظُ لعلي أطفىءُ هذا الوهجَ المتأجّجَ في رأسي ، أنسى عرقَ العصرِ المتحدّرَ فوق مساماتي ، منحدرًا في الموجِ رأيتُ :

شموعَ الخضرِ تطوفُ على الماءِ

تلامسُ حافةَ وجهي تتلألأُ ،

فارتعشتْ روحي فوق الأفقِ المطلي بدمِ الشفقِ المذبوحِ . وأوقدتُ بقايا العمرِ شموعًا بيضًا ، فوق الجذعِ الطافي ، نذرًا لسلامِ بلادي . قلتُ : سلامًا . . ابتعدَ الضوءُ رويدًا ، حتى ذابَ وراء الأفقِ فأحسستُ بكلِّ أمان الدنيا ، يهبطُ في معبدِ روحي ، وتمشيتُ على الجرفِ المتآكلِ ، أرنو لظلالِ بيوتِ الكوفةِ تنسابُ على الموجِ بوجدٍ أخاذٍ : أين منارةُ يونس؟

بيت علي الرماحي؟

شباكُ العلويةِ لمْ يُطفأْ بعدُ؟
نواعيرُ الماءِ ببستانِ الأعسم؟
مكتبةُ السباك؟
قبابُ الذهبِ الخالصِ؟
أغصانُ النارنجِ على طولِ طريقِ التلميذاتِ؟ . . .
مشيتُ طويلا حتى انتصفَ الليلُ بأحلامي . عرّجتُ على البيتِ حييًا ، أشعلتُ الضوءَ على حذرٍ ، فالتفتتْ لي زهرةُ عبادِ الشمسِ .
رأيتُ : الأهلَ يغطون بأحلامِ النومِ الآمنِ . قبّلتُ العصفورين مثنى ومهند ، فاستيقظتِ امرأتي وتمطّتْ في كسلٍ عذبٍ . نظرتْ للساعةِ في شبهِ عتابٍ : منتصف الليل . (الجرسُ الأحمقُ يُقرعُ . – لن أنهضَ!! وامتلأَ البيتُ ضجيجًا . . – لن أنهضَ . . يا أمي . قلتُ لكم : لن أنهضَ . . لكن صديقي ربّتَ فوق البطانيةِ معتذرًا أرقًا : أستيقظْ . واجبكَ الآن) فتحتُ عيوني في هلع ، يا للعنة ، ما زالت عيناهُ تحاصرُ أحلامَ الفجرِ الأولى . .
كان صباحُ الوطنِ المستيقظُ للتوِ وراءَ التلّةِ يفركُ عينيهِ . فركتُ بإصبعِ قلبي ، عينيَّ المغمضتين . وصحتُ : صباحَ الخيرِ ، بلادي يا ضوءَ اللهِ ، لماذا يكرهك القناصُ ، لماذا يكرهكَ العملاءُ ، لماذا يكرهكَ الدكتاتورُ ، . . سلامًا يا فجرَ بلادي ، فأطلقت روحي فوق الماءِ . . .
رأيتُ : على الجسرِ شموعَ الشعرِ
تضيءُ تضيءُ تضيءُ
**سدُ القوسَ لقد رحلوا..)**

رأيتُ : رذاذَ المصابيحِ

يهمي على وجهها والجسور
يبلّلُ غربةَ روحي وهذا القميصَ الذي يتوكأُ أضلاعي الناحلةْ
فنمضي معًا : شاعرًا وضجرْ
إلى أين؟كلُّ الليالي تؤدي إلى حانةٍ نصفِ مطفأةٍ
والأزقةُ تفضي لأخرى
وحزنُ الغريبِ بلا خارطةْ
تتصاعدُ روحي عند الغروبِ فيخنقها الأفقُ
لا أفقَ غير السماءِ - الرمادْ
- (لا تبتئسْ . . كلُّنا هكذا
يبدأُ الأمرُ من إصبعٍ غادرٍ في الزناد
أو الـ . . . . . .
ثم يجيء الزبائن والـ . . . . . .
. . . . . شهداء)
- كالشظايا تناثرتُ فوق الأسرةِ : لحمي الذي مضغتهُ القصائدُ والقملُ ، لحمي الذي وزّعتهُ الحروبُ على الثكناتِ ، ولحمي الذي شطّبتْ نصفَهُ اللذةُ الخاسرةْ
- إنهم يطرقون على البابِ . .
هل ترغبُ الآن؟
- لا . . . . . .
سأنامُ قليلاً إذن ، أيقظيني إذا انتهتِ الحربُ - أرجوكِ - أو فاتركي البابَ نصفَ موارب
- إش . . . . . .

[الجنودُ يدقّون بابي ، تدقُّ النوارسُ بابَكَ
ما بيننا النصلُ والنخلُ
مرتجفًا

ومدرعتان على البحرِ .

والبحرُ يرنو بعينين هائجتين . رأيتكَ : تنسلُّ في آخرِ الليلِ نحو فمي نصفَ منطفىءٍ . . قلتُ آويكَ حتى إذا طلع الفجر كانت ثيابي ممزقةً والجنودُ يسوقون جلدي إلى غرفةِ الجَلدِ . . . . .

- من أين نبدأُ (يرفسني في مؤخرتي) - سيدي . . . . . (بدلاً من فمي ستجيبُ السياطُ على كلِّ أسئلةِ الضابطِ المتمددِ فوق أريكتهِ ، برمًا من تمزقِ جلديَ ، في أولِ السوطِ) . . - يا سيدي لم يكن بيننا غير هذا الشميمِ المذرذرِ بين حديقتهِ وقميصيَ . . . . (يُدخلُ قازوقَهُ)- كيف كان يضاجعكِ الكلبُ؟ . . . . . - يا سيدي ، إن عبودَ ماتَ وتعرفُ قبلَ انهمارِ الحليبِ على شفتيَّ ، فكيف . . . . . ]

- إش . . . . . .

[أفاقَ العجوزُ - السعالُ فأبصرها فوقَهُ
تترنحُ من شدّةِ الرهزِ .
عيناهُ جاحظتانِ على الحجلِ .
والهرُّ خلفَ الجدارِ يشبُّ على القطةِ المستكينةِ ، وهي تموءُ . . . . . ]

- الجنودُ وراء العمارةِ ،
ينتظرون خروجكَ . . . . . ، لا تشعلِ الضوءَ
- . . . . . .

- أرجوكَ . . . . . .

- . . . . . .

- ما زالَ للفجرِ أكثر من . . . . . (مخرجٍ

- . . . . . .

بين طيـاتِ ردفكِ ، أو طرقـاتِ المدينةِ - لا فـرقَ - لكنهمْ فهـمـوا من إشارتها) . . . . في الستار الذى فتحتهُ قليلاً بأن المسا سالكٌ في يديها [ وقد خرجتْ لتشمَّ هواءَ الحديقةِ

تاركةً زوجها طافيًا فوق رغوةِ ضحكتها .

عضوهُ الرخو كالبامياءِ يشبُّ ، فتنهرهُ ] وتلمظَ حلقُ العريفِ . ولكنها قفزتْ قبل أن يتغلغلَ في جوفها الحارِ - حين تناهى لسمعهما سعلةُ الهرِّ خلفَ الجدارِ - فقامَ العريفُ يولولُ في عريهِ راكضًا [ فاستدارت لتطفىءَ مذياعها ويناما . . . وراحتْ تجوبُ بأدغالهِ (- لو تباطأتَ في القذفِ) وهي تلمُّ الغروبَ وتَفقأُ قيحَ الندوبِ على جلدهِ ، بقعًا من سياطِ المفوّضِ .

أو جلدها بقعًا من بقايا فحولاتهم . . . .

- لو تبيتُ هنا ريثما تقفرُ الطرقاتُ . . .

تناهتْ إلى سمعهِ الطلقاتُ فخبّأَ كيسَ مناشيرهِ عجلاً بين طياتِ سروالهِ واستدارَ إليهم وراء الستائرِ يرقبُ من فتحةِ الغسقِ ، المطرَ الأسودَ ، الصرخاتِ التي تتعثرُ بين غصونِ البنادقِ والسحبِ - اللافتات التي اصطبغتْ بالنَزيفِ تغطي المدارَ - السنينَ التي قوّستْ ظهرَهُ كالحارةِ من ثقلِ ما حملهْ

كان وسعَ مروجِ البلادِ قميصُكَ يخفقُ في الريحِ
وسعَ القصيدةِ قلبُكَ

لكنّهُ حارسُ السجنِ ضيّعَ مفتاحَهُ
فانكفأتَ إلى البارِ
تبحثُ بين الحباحبِ
عن فسحةٍ لمرور أناملها العسليةِ
عن زهرةٍ تتفتحُ في صدأ السلسلةْ
. . . . . .

الكآباتُ تنمو على ذقنهِ دغلاً ناتئًا يتجذّرُ في روحهِ . كيف يحلقهُ؟ يدخلُ الحفلَ منبهرًا بكريستالِ ضحكتها ، يتلامعُ فوق الكؤوسِ (يطنُّ الذبابُ على صحنها وأنا أتأملُ مغرورقَ العينِ ، قلبي استحالَ إلى أيلٍ - حين رأى عريها يتفضفضُ في كأسها - مزقتْهُ كلابُ اكتيون[1]) كلانا يظلّلهُ الآخرُ .

المنفضاتُ امتلتْ بسجائرهنَّ
وأنتَ تدخنُ حزنكَ في رئتي .
لن أقولَ عن الحبِّ أكثر مما تقولُ لكمْ زهرةٌ
عن مجاهيلِ خضرتها
حين تلمسها كفٌّ قاتلها بحنانٍ .
وإمّا ثملتُ أبوحُ الذي في حشاي .
الملامُ يجرُّ الكلامَ إلى برنهلد[2] تعلّقُ في رمحها رحمَها يتقوسُ فوق

---

(١) إشارة إلى تحوّل اكتيون إلى أيل جزاء اقتحامه عزلة عشتار - ديانا ، ورؤيتها عارية تستحم في النهر ، فغضبت عليه وحولته إلى أيل ، فلاحقته كلابه ومزقته إربًا .

(٢) إشارة إلى برنهلد وسيجفرد في ملحمة نبلنجن ليد «أغاني أهل الظلام» كتبها شاعر مجهول عاش في القرن الثاني عشر جمع فيها أساطير أبطال الأولين ==

ضريحِ النهارِ حواشيَ مقددةً في صحونِ اللجاجةِ تفضي لسيجفرد .
ينفرطُ الخاطبون من الفتياتِ غلاة المهورِ
إلى جمر راحاتهم .
هل يظلُّ لنا الفقرُ مائدةً
- أيها الربُّ -
لا تنتهي .
كلُّ مفترقٍ لا يتاخمُ صمتي يضللكِ في طرفِ القوسِ .
لمْ يبق مني سوى رشفةٍ
لتقولَ الحقيقةَ في كأسِ سوما[1] لأشربني في الحوانيتِ
أو في المعابدِ .
من سيعيدُ إلى ملكِ الصيدِ كأسَ الغزالِ[2] يطحلبُ ماهيةَ الكونِ

== الذين ظهروا في شعوب الشمال ويرويها الراوي في ٣٩ مغامرة لها في نفوس الألمان ما للإلياذة والأوديسة ؛ فقد كانت معينًا استمد منه الفن في العصور الحديثة فأخذ عنها فاغنر مسرحياته الغنائية .

(١) إشارة إلى ماء الخلود أو الحياة امريتا الذي تم الحصول عليه بانحسار المحيط عندما قام الشيطان رهو بالحصول على رشفة منه فقام الإله فشنو بقطع رأسه لمنعه من الوصول إلى مرحلة القدرة التي لا تقهر . وتقول أسطورة أخرى إن شيفا أقنع أحد الشياطين أن يأكل جسده فلم يبقَ منه سوى الشفة السفلى ، وامريتا مثل شراب السوما للآلهة والبراهيميين الذين كانوا يتناولونهما عند أداء الطقوس .

(٢) إشارة إلى كأس العشاء الرباني الأخير وقد نقط فيه دم المسيح ، وضياع الكأس شغل فرسان القرون الوسطى وهو محفوظ في قصر غامض محاط بأرض وعرة وملك الصيادين المجروح وغير المتحرك لأنه ليس حيًا وميتًا سيكمل شفاؤه البحث عن الغزال .

خمرًا مقلاً يطشُّ جواهرهن على صندلٍ .

ارقصي يا هوتاكا[1] ليسكرَ هذا الزمانُ بكافا فنرقصُ من حولهِ بالصنادلِ

وهي تطقطقُ .

منفتحًا كالمحاراتِ . لي في السؤالِ ذهولُ مطلقةٍ فقدتْ قرطَها في السريرِ

يزيّفُ أحلامَها عاشقٌ نائمٌ فوق سرتها

حالمًا بسواها .

وتسأل عن سرِّ هندسةِ النصِ

لي صمتُ منحوتةٍ خرجتْ للشوارعِ

تبحثُ عن وجهِ نحاتها

لي دمُ الوردِ يكتمُ أنفاسَهُ في القواريرِ ما ذنبُهُ؟

دمنا في المناشيرِ لا يتخثرُ أو يتقطّرُ .

نمضغُ أشواكنا ونبيعُ الورودَ إلى الغرباءِ

كمستأجرين نقيمُ على الأرضِ .

أصطادُ - في كتبِ اينوخ - ليفيا[2] بسنارةٍ في المتاهاتِ .

---

(١) إلهة السكر والانغمار والعربدة عند قبيلة الجبجا في كولومبي وكافا : شراب مسكر في الطقوس الدينية في بولينيزيا ويستخدم لإيقاف الجوع ، وقد نبتت شجرة الكافا كما تروي أساطير جزر تونغا من قبر طفل طبخته أمه طعامًا لأحد الملوك لأنها لم تجد ما تطبخه .

(٢) ليفياثان : إشارة إلى الأفعى الملتفة في الأساطير اليهودية ، وكان يهوذا يسأل البشر : هل تقدر على اصطياد ليفياثان ، وقد وصف اينوخ ولادتها في كتابه .

ما أوحدَ الربَّ
يخلقنا ليبدّدَ وحشتَهُ .
فنؤسسُ ما لمْ تقلْهُ الطبيعةُ .
هذي الغصونُ ركامُ الخطيئةِ في رئةِ الريحِ .
تلك البناتُ فروجٌ ممغنطةٌ .
تلك نورسةٌ تحملُ البحرَ في قفصٍ .
تلك فزاعةٌ لا تخيفُ سواها إذا أقبلَ الليلُ .
تلك الصخورُ خطايا الطبيعةِ

في خطوتي بعضُ عشبٍ طريٍّ يقودُ القطيعَ إلى عزلتي في القصيدةِ ، حين رأيتُ إلى فنِ مارا[1] وقد هبطتْ بالنسيجِ المجنّحِ تسبحُ في بِرْكَةٍ جنبَ بيتي فخبّأتُ أجْنُحَها فبكتْ ، حين طارَ الحمامُ

تنغّمُ وحشتها في الكمانِ يطيرُ إلى عدمٍ أسود والدبابيرُ تمتصُّ حمرةَ أزهارها ضاغطًا في السلالمِ سُكّرَها الهشَّ أو قدَماكِ نعاس الموسيقى ولكنها غافلتني وطارتْ .

رأيتُ الندى : أزرقًا في قميصكِ
يفتحهُ الموجُ والشهواتُ .

---

(١) إشارة إلى تاغروا في الإسطورة الماليزية الذي رأى في يوم من الأيام نساء مجنحات ينزلن من السماء ليسبحن فسرق زوجًا منها وخبأها فرحلت كل النساء إلاّ التي فقدت جناحها ، فظلت عنده وجلست في البيت تبكي على مصيرها ، فازالت دموعها التراب عن الأجنحة ، فقامت بلبسها ورحلت إلى السماء ، وكان اسمها فن مارا ومعناها النسيج المجنح .

رأيتُ إلى النهدِ يبزغُ تحت الغيومِ ، فتبرقُ هذي السماءُ بكاساتِ وِرْدِ[1] التي خلطتْ دمها بالرمادِ ليشربَ أنخابها الشعراءُ .

تمرُّ خطى الحسراتِ إليكِ ،

يمرُّ فراقكِ والشاحناتُ الطويلة . . . .

على مقعدين لصيقين في حانة

لمْ تكنْ قد مضتْ قبلتانِ على أوّل الحبِّ

انتبهتُ لنفسي :

المقاعدُ مملوءةٌ بالرمادِ

بكيتُ على جثثِ الأصدقاءِ ، تغطي الوهادْ

الفتاةُ معي ارتبكتْ

وهي تحملُ وردتها وحقيبتها

وتغادرُ مسرعةً

ارتبكَ الندلُ

قمتُ أغسّلُ وجهي

الصنابيرُ دمْ

والمرايا سوادْ

. . . . . .

أكانَ عليّ اجتنابُ المرايا لأنسى تجاعيدَ روحي وأنسى ارتجافَ البيوتِ التي تتلاصقُ من خوفها كلما مرّتِ الطائراتُ . وطفلي الذي لمْ يرَ الموزَ

---

(١) ورد : حبيبة ديك الجن الرومي التي قتلها وخلط رمادها بكأسه .

يكبرُ في الخوفِ والبالةِ الأجنبية [ ماذا يقولُ لأطفالهِ القادمين من التيهِ
حين يشيرون نحو الخرائطِ .
يختصمون على اسمهِ؟ ]
ليس لي وطنٌ لأحنَّ إليهِ [ أهذا الترابُ الذي سيّجوهُ بأضلاعنا
وطنٌ؟]
ليس لي عتبةٌ لأحنَّ إلى نخلةٍ
في جنوبِ الطفولةِ والإرجوانِ [ أهذي المدافعُ نخلي؟ ]

- البلادُ بخير
- وعبود
- في باحةِ السجنِ يرفلُ بالقملِ والركلِ
ينْزفُ من طلقةٍ أخطأتْ رأسَهُ - صدفةً -
فانحنى ريثما تعبرُ الروحُ
أو . . . . . ريثما يستريحُ الرماةْ
سيطنُّ الذبابُ على جرحهِ
ويطيرُ
يطيرُ
ليلعقَ ما ظلَّ في وجهنا ، من بصاقِ الغزاةْ
آهِ . . .

ع . . . . . .

ب . . . . . .

و . . . . . .

د . . . . . .

د د د

ددددددددد

سألتُ الشوارعَ عنكَ

البناياتِ والشجرَ المستريحَ

فأوقفني الحرسُ الوطنيُّ

وفتّشَ أحدهم دمعتي والحقيبةَ

ثم استدارَ إلى ضابطٍ ناحلٍ

كان يمتصّني مثل سيجارةٍ

– ضبطناه ، يا سيدي ، كان يسأل عن . . . . . .

. . . . . .

[يا دارَ عبود هدّمها القصفُ .

كيف استدلَّ إليكِ اليمامُ

ولمْ أستدلَّ بدمعي .

غير أني تذكرتُ حين اختلفنا على مقطعٍ من قصيدة «يا دارَ مية»

أوقفتني فجأةً

وأشرتَ لفرخِ حمامٍ

تشبّثَ في غصن شباككَ المتطاولِ

كانتْ دماهُ الحبيسةُ ترسمُ شكلَ ارتجافِ الرصاصةِ في جنحهِ

فحملناهُ ، نبضًا قتيلاً إلى دارةِ الحوشِ

يا دارَ عبود دارَ بنا الفلْكُ
دار الزمانُ على فلْكنا دورتين . . من العمرِ
ها إنني بعد هذا التهدّجِ أدنو على حذرٍ
أقرعُ البابَ مرتبكًا
فتفزُّ العناكبُ في مقلِ المخبرين . . .
تطلُّ من البابِ جارتُهُ اليمنيةُ :
- لا أحدٌ ، سيدي . . . .
منذ عشرين صيفًا وهذي الغيومُ
تعلّقُ أمطارها فوق شباكهِ
ثم ترحلُ . . . ]

واقتادني للدهاليزِ
أصغيتُ
كان الظلامُ يجوسُ معي
في الممرِّ الطويلِ :
كوابيسَ منسيةً
جثثًا وبلادًا
وأنهارَ دم . . . . . .
كنتُ أرى خلفَ كلِّ جدارٍ يمرُّ . . . . . .
ملامحَ عبود
يرسمهُ حارسٌ . . . ثم يمحوهُ . . .
وعبود . . . . .

ملقىً بلا وجه
تكنسهُ الاعترافات حتى القمامة
كان يحدّقُ - من كوّةٍ في الجدارِ -
إلى زرقةِ الأفق
يصغي لخشخشةِ القيدِ ما بين كفيهِ
مختلطًا بحفيفِ الغصونِ البعيدةِ
. . . . . .
هل كان لي أن أشيرَ الى شجرِ السيسبانِ يظلّلُ منْزلَهُ في أقاصي القصيدةِ . . .
هل كان لي أن أمرَّ على جرسِ البابِ
أقرعُ هذا الحنينَ الذي كنتُ أخفيهِ بين قميصي ونبضي ،
فيهرعُ سربُ الكراكي
إلى نبع قلبي . . .
أنا جدولٌ يابسٌ غادرته الضفافُ إلى عتمةِ الدغلِ
شقّقني
عطشي
في بلادِ
المياهِ
. . . . . التي تترقرقُ
ما بين جفني وكفي
ولكنها الروحُ حين ترى النهرَ ألصقَ من دمعةِ الغرباءِ إلى وطني . .
النهرُ أقربُ مما تظنُّ الكراكي القتيلةُ .

مرّوا فرادى على حزنهِ المتكسّرِ
أبصرتُ في خطوهِ المترنّحِ هذا التويجَ الذي يتفتحُ
في أسفلِ الجرحِ ،
في الملحِ ،
في مطرِ الفتياتِ على الشرفاتِ
انتبهتُ إلى ما وراء السياجِ ، غصونًا تحرّكها ريبةُ الريحِ
- هذي الستائرُ مَنْ كان يتركها
في المسا
مسدلةْ؟

. . . . . .

[في بيتِ عبود شجْرةُ لوز فقطْ
ومكتبةٌ أكلَ العثُّ أطرافها
والديونُ التي تتناسلُ من حولهِ كالقططْ
كان يحنقها أن تراهُ مكبًا ، ينقّحُ ما تركتهُ القصيدةُ
- في روحهِ -
من دمامل
أو أسئلةْ
كان يربكها أن ترى كلما عادَ من مخفرٍ
- كيف تكرجُ في أسفلِ الجفنِ -
دمعتُهُ المهملةْ
ما الذي يفعلُ الشعرُ في روحنا الخضلةْ؟
ما الذي يفعلُ الشعرُ - سيدتي -!؟

سوف يعلكُ أيامنا ، ثم يرمي بها
كالقشورِ
إلى المزبلةْ

[كيف أقنعُ جارتَهُ
أن تخفّفَ إيقاعَ حفلةِ ميلادها
ريثما يبردُ الدمُ والشايُ
والذكرياتُ
على الطاولةْ ]

اغلقوا أيها المتخمون نوافذَكم
أتقلقكمْ بحّةُ الحزنِ في ناي قلبيَ
ينسلُّ من جرحِ بردية ، زنرتها جروحُ الأصابعْ . . .
وما ذنبُ قلبي
إذا كان كلُّ الفرحْ
في شتاتِ الأضالعْ
لا يسدُّ مساماتِ قنبلةٍ
- عبرتْ جسدي ، في الصباحِ -
إلى جرسِ المدرسةْ
فتشظّى التلاميذُ فوق الزجاجِ المشظّى
حروفًا مبتّرةً
ستصفّفها عاملاتُ المطابعْ

بين أعمدةِ النعي
والحفلاتِ
وتسعيرةِ الرزِّ
- لا فرق -
كلُّ الحروفِ سواسية
في صحون الحكومةِ
أو . . . . . فوّهات المدافعْ

ما الذي ينبغي فعلهُ؟
القصيدةُ نائمةٌ ، منذ ١٢ عامًا ، على مكتبي
مَنْ سيوقظها من سباتِ اللغة . .؟
الوردُ ذبلان
والأصدقاء الذين رمتهم رحى الحربِ
يسّاقطون
على عسلِ الفتياتِ
فتزلقُ أحلامهم . . . . . .
(تشيل البناتُ قليلاً ذيولَ فساتينهنَّ
ليعبرنَ نهرَ الهوى ،
فنلوبُ وراء النخيلِ الموارب
نلحسُ هذا البياضَ المضرّجَ بالطينِ .
نرمي الشصوصَ على دربهنَّ ،
لعل فتاةً ستعلقُ . .

يا أمنا في القرى زوجينا البناتِ النحيلاتِ قبل انحسار هلال الجسدْ)
وأنا هائمٌ في الشوارعِ
أبحثُ في الواجهاتِ عن اللا أحدْ
والوجوهِ التي غادرتْ للأبدْ
جسدي علكتهُ الصناديقُ والنسوةُ اللافتاتُ
سأتركهُ الآن منحشرًا خلف طابورِ خبزِ الإعاشةِ يمتدُ . . يمتدُ . .
يـ . . (في مـدنِ الثلجِ ، كنا نحنُّ لشـمسِ البلادِ ، ونرجفُ إن مرَّ تحت
نوافذنا شرطيٌّ) فمَنْ سيهدّىءُ قلبَ الولدْ
أرهقتني رحى المدنِ الحجريةِ ، منهرسًا بين أسنانها والعماراتِ
نخرجُ - جيلَ الغباءِ المعلَّبَ -
في شارعِ العصرِ
لافتةً :
من طحينٍ ودمْ
نحاججهُ بالبلادِ التي دفنتْ نصفَ أبنائها
في بطونِ الخنادقْ
فيحاججنا بالبنادقْ
ويصفّفُنا - فوق رقعتهِ -
كالبيادقْ
. . . . . .
أنا مشجبٌ للحماقاتِ . . .
علّقتُ معطفَ عمري
ورحتُ إلى الحربِ

منكمشًا كاليتيمِ على ظهرِ ناقلة . .
آهِ ، . . . . يا وطنًا شطّبتْ ظهرَكَ السرفاتُ
ستحني لهم قلبَكَ المرَّ
كي يعبروكَ إلى الأوسمةْ
لنا كلُّ ما في الشكوكْ
ولهم كلُّ ما في البنوكْ
من النفطِ
واللفطِ
واللغطِ
والأنظمةْ

غدًا . . . . .
سوف يدبكُ باسمِ انتصاركَ كلُّ المرابين والهاربين
ونبقى يتاماكَ في آخرِ الحفلِ
في آخرِ القائمةْ

للنساءِ اللواتي على قوسهنَّ انكسرنا
للحروب التي جوّعتنا
للبنوكِ التي صرّفتنا
للدموعِ – القصيدةْ

للبلادِ التي أورثتنا
المنافي البعيدة
أقول وداعًا

. . . . . .

أعرفُ أني ، وقبل قليلٍ ، خرجتُ من المذبحةْ
قابضًا بين أضلاعيَ الوطنَ - الجمرَ
وليقبضوا الوطنَ - الصكَّ
أنا الخاسرُ الألفُ
من صفقةِ الوطنِ المربحةْ

. . . . . .

للبلادِ التي سورتها الأراملْ
هل تهجرُ الحزنَ أنهارُها
للبلادِ التي حرثتها القنابلْ
هل تنبتُ الوردَ أحجارُها
للبلادِ التي أورثتنا الندمْ
للبلاد - الألمْ
أقول وداعًا أخيرًا
بلادي ، لكِ الله ما نهبتهُ
المغولُ ،
المماليكُ ،
والتركُ ،

والفرسُ ،
والروم
قبل الفطام السياسي . .
ما حلبته الحكوماتُ
من ضرعِكِ المتشقّقِ
حتى أكادُ أحسُّ شخيبَ الدماءِ ،
يقطّرُ بين الأيادي
بلادي . . .
لكِ الله لمْ تنهزمْ ساعةَ الكرِّ خيلي
ولكنني الآن منهزمٌ بالشعارِ الذي فصّلوهُ على قَدِّنا
فاستطلنا
وظل قصيرًا إلى فوق أفخاذنا . . . .
ألا تبصرون العواصمَ تسخرُ - حين نمرُّ عرايا
أمام مرايا شوارعها -
نكابرُ بالنصرِ ، منهزمين بأنفسنا :
وطنًا من جلودٍ مهرّئةٍ
لصقوها على بعضها كي ترنَّ
طبولاً تجلجلُ في ساحةِ الحربِ
لكننا أول القصفِ والطائراتِ
انخرقنا
. . . . . فسال الخرابُ الكبيرُ

يقولُ المعلمُ :

اعربْ

## خرجتُ من الحرب سهواً

قلتُ :

ما الحربُ إلا ما علمنا وذقنا

وما هو عنها بالحديثِ الصحافيِّ . . .

لكنها : «أول ما تكون فتيةً . .

تبدي بزينتها . . .» . . . . .

للعقداءِ ،

لكي يشعلوا تبغَ غليونهم

يحرقون بلاداً بكاملها

ويمشون للنصرِ - فوق الجماجمِ - بالنسقِ العسكريِّ

ودالٌ : دمٌ ليس يغسلهُ البحرُ . . . .

خاءٌ : خرررررراءٌ

ولامٌ

وتاءٌ . . . . . .

إلى آخرِ الذكرياتِ . . .

. . . . . .

الأليفُ التي علّمتني البكاءَ على صدرها

لامٌ

وحاءٌ

وراءٌ : «رحلَ الذين أحبهمْ

وبقيتُ . . . .» . . مثلَ أشلاءِ دبابةٍ

تركوا جرحَها ، فاغرًا

في العراءِ

وفروا . . . . . .

وباءٌ : بلادُ العربِ أوطاني

من . . . . . .

النفط ، . . . الذي

تتدفأُ فيه جميلاتُ روما

إلى ساحةِ **الجنرالِ** . . . .

قالَ المعلمُ : لا تلفظِ الجنرالَ

فحراسهُ خلف سبورةِ الدرسِ ،

ترقبُ خطَّ الطباشيرِ ،

خشيةَ أن يتسلّلَ منه العدو

غير أن البنادقَ لمْ تمهلِ الكلماتِ لكي تتنفسَ ، فانفتحتْ فوق سبورةِ الدرسِ عينان مذعورتانِ ،

تحطُّ عليها الزرازيرُ ، عابثةً

تتأرجحُ في جثةِ الرجلِ الكهلِ

ثم تطيرُ . . .

تطيرُ . . .

رأيتُ النساءَ يوسقنَ أصواتهنَّ على دبكةِ اللطمِ : «يمه يا عبد الله/ ذبحوك بحضيني/ ما شافتك عيني/ حوه . . حوه . . حوه . .» فيهدّلُ

في النهودِ التي تتهدّلُ
خلفَ العباءاتِ والولولاتِ
فتمسكهُ المُلّةُ الدودكيةُ من « . . . .» . .
صوتها ذهبٌ . حجلها ذهبٌ .
والعزاءُ طويلٌ وأسودُ (يصعدُ
للسطحِ
طفلاً بطيارةِ الدهشةِ الورقيةِ) سروالها أسودٌ .
يتلمسهُ ناعمًا
فوق حبلِ الغسيلِ .
انحنتْ تحتهُ فرأيتُ الحريمَ يولولن في السرِّ موتى بدونِ قبورٍ يوحدهنَّ البكاءُ الطويلُ إذا ناحَ - في آخرِ الحيِّ - نايٌ ونداّبةٌ يتذكرنَ موتى العشيرةِ - يا سيدي - واحدًا واحدددددددا
فمن تندب الآن عبود؟
ملقىً على دكةِ السجنِ
- مَنْ يتجرأُ يمشي وراء جنازتهِ . . .
إذْ تمرُّ بسوقِ الكبير . . . . .
- **إش** . . . . . .
أما كان في وسع عبود أن لا يغيب ليفرشَ منديلَهُ بيننا ويواصل لعبَ «المحيبس» بين الرصافةِ
والكرخِ ،
يصرخُ : باتْ . . . . . .

فيفزعُ سجّانُهُ : كيف ماتَ ،
ولمْ تكتملْ دورةُ السوطِ في دمهِ
- **إشْ** . . . . . .
يا صبايا المحاجيرِ ، شيّعنَ عبود ، شيّعنَهُ بالزغاريدِ
واقطفنَ من مرجِ وجناتكنَّ القرنفلَ والآسَ
خضّبنَ قبرَ الحبيبِ بحنائكنَّ
وظلّلنَهُ بغيومِ ضفائركن
لقد أتعبتهُ المَواجعُ ، حتى استكانَ أخيرًا . . . . . .
أقولُ لأصحابهِ :
ارفعوهُ لعلَّ سهيلاً يقرُّ بعينيهِ . . . . ،
لا تنبشوا قبرَهُ . .
ابحثوا عنه في عرقِ الكادحين ، غصونِ البراعمِ ، خفقِ النوارسِ ،
في محلجِ القطنِ ،
في القطبِ ،
في لوحِ آشور ،
في طفحِ الجلدِ ،
في اوقيانوس[1] . . . . . .

---

(١) أوقيانوس عند الأغريق هو النهر الذي يحيط بالأرض . وهو مصدر كل المياه . وقد انتقلت إليهم هذه الفكرة من حضارة وادي النيل ووادي الرافدين الذين كانوا يتصورون الكون على شكل فلك يطوف في المياه الكونية . قال الفيلسوف ثاليس (ق٦ ق .م) : «إن الماء هو العنصر الأول وصنع منه كل شيء» وفي القرآن : «وجعلنا من الماء كل شيء حي» سورة الأنبياء . آية ٣٠ .

لا تنشروا نعيَهُ في الجريدةِ . هذي الجرائدُ مدفوعةُ الأجرِ
إنّا نموتُ بلا طلقةٍ في الجبين - مكانِ البصاقْ
طلقة في الحنينِ المراقْ
طلقة ثم يسكتُ
هذا النْزيفُ الجنونيُّ مختنقًا
بالصدى : يا عراقْ
. . . . . ولا شيءَ . . .
. . لا شيءَ
غير نواحِ الفواختِ
خلف جنازتهِ
واليتامى . . . . . .
يبيعون عند الكراجاتِ أعمارَهمْ والسجائرَ
. . . . . .
- **إشْ** . . . . . .
. . . . . .
حين أوقفني خمسةٌ من رجالِ المباحث
فتهالكتُ فوق الجدارِ الحديديِّ
- **إشْ** . . . . . .
كنتُ أحملُ كيسَ القصيدةِ ممتلئًا بالرغيف إلى البيتِ - سيدتي - حين (- **إشْ!**) . . . . . لي في النهارِ انثيالاتُ حلم يلفُّ بي الطرقاتِ الشريدةَ منتهيًا بالصفيرِ وراءَ خطى الفتياتِ أقيسُ احتباسَ الكواكبِ أسفلَ ما يصلُ الثوبَ بالباصِ . قلتُ لريحِ الصبا أنَّ تهبَّ على رعشةِ النهرِ في

رثتي طافحًا بالسنابلِ ، أن تفتحَ البابَ مرتطمًا بالسؤالِ عن الطقسِ ، أن يتعقبني شاعرٌ مخبرٌ أصفرُ الوجهِ يكتبُ فصلاً ويحذف . . .(ني) ، أن أقولَ لميداس[1] حوّلْ دموعَ طفولاتنا ذهبًا ، أنْ أقودَ حمارَ بوريدان للعلفِ الفلسفيِّ . . . . . .

لكنهم أوقفوني ببابِ الجوازاتِ

- من أين مرّرتَ غيمتها عن عيونِ المفتشِ

- . . . . . يا سيدي إن خلفَ النخيلِ ، دمٌ عالقٌ شدّهُ نحو نحرِ السما ، قوسُ حرملةٍ . . . . . .

- **إشْ** . . . . . .

- . . . . . .

خمسةٌ من رجالِ المبا . . . . . (- **إشْ**) . . حثِ ، كانوا ورائي ، وكنتُ وراءَ خطى الزمنِ المتـ . . . . . (- **إشْ**) . . . . .رنح ، أبحثُ عن مخبأٍ في القصيدةِ أو في الغصونِ . . تلفّتُ حيثُ البنا (- **إشْ**) دقِ ، مشرعةً . . .

كان في الشارعِ المتحجّرِ ظلي وحيدًا .

يسيلُ وئيدًا على واجهاتِ البيوتِ التي زخرفتها عيونُ الرصاصِ الفضوليِّ .

ثمةُ جثةُ طفلٍ يطنُّ عليها الذبابُ

وعاهرةٌ تتضاحكُ من مخبرٍ كان يسكرُ من فضلاتِ مساءاتها

ويراودها حين ينفرُ منها زبائنها ليلةَ الطمثِ (يهمسُ في حذرٍ : مقتلُ

---

(١) في الإسطورة ، يحول ميداس ، كل ما تمسه يده إلى ذهب .

المرءِ ما بين فكيه .

تغمزُ : تقصدُ ما بين فخذيه)

أوشتْ لها جارةٌ (ربعُ عاهرةٍ) : جاءها مرةً يتغزلُ بالشعرِ لا بالنقودِ فأوصدتِ البابَ في وجههِ .

وصاحبُ كشكٍ قميءٍ يبيعُ الجرائدَ والنظراتِ لروادهِ (مخبرًا كان أو ربما كان . . . . . .) كان ظلالُ المساءِ نحيلاً كوجهي .

وخلفَ ظلالِ المكاتبِ ، كانوا يعدّون صفقاتهمْ . . وأنا!؟ . . . (ربما كنتُ عند مديرِ المباحثِ وهو يقلّبني - مثل إضبارةٍ - صفقةً؟) أأنا بصقةٌ . .!؟ سيدي المرَّ ، . . . اسمي وهذي القصائدُ والكتبُ المنتقاةُ على رفٍّ عمري ، وهذي السماواتُ ، هذي المقاهي التي شتّتني مقاعدها ، والنجومُ - الدروبُ التي مشّطتها خطانا إلى آخر الياسمين ، البلادُ التي في دمي شجرٌ حامضٌ وخرائطُ كان يشير إليها المعلمُ في الصفِ . . . . .

كان يشيرُ إليها المرابون

كان يشيرُ إليها العقيدُ

البلادُ التي تزرعُ الحلمَ والوردَ في لثغةِ الطفلِ تبني لنا كلَّ يومٍ مخافرَ لا تمتلي ، ومخاوفَ لا تنجلي . . . . . قلتُ إنَّ البلادَ تحاصرني بالحنينِ فمن أيما جهةٍ أو فتاةٍ سأنسلُّ من جرحها عالقًا في انكفاءِ الجهاتِ ،

يداي ببنطاليَ الرثِّ ، وحدي أجوبُ الدروبَ بلا عملٍ . .

أين أذهبُ؟ لا طرقاتٌ تؤدي إليَّ .

يقودُ الضياعُ دمي للمتاحفِ ، والمرأةِ الغسقيةِ ، ترمي شِباكَ الهوى دون أن نلتقي في الشِبْاكِ .

على أيما موجةٍ سربّتها المباهجُ

قلتُ سأغلقُ بابي أمام الرياحِ التي . . . . . .
غير أن الخطى
وهي تعدو ورائي
قطعتْ كلَّ أحلامي المرتجاةِ
تلفّتُ . . . . . .
كانَ المفوّضُ يسألني وأنا واقفٌ بجوار القصيدةِ
كان المفوّضُ كلَّ القصيدةِ
كلَّ البلادِ الوسيعةِ ، كلَّ المضايقِ ، كلَّ الحدائقِ ، كلَّ المخاوفِ
كلَّ المصارفِ ، كلَّ الخرائطِ ، كلَّ المطابعِ ، كلَّ التواشيحِ
كلَّ الخواتيمِ ، كلَّ الأقانيمِ ، كلَّ الرطاناتِ ، كلَّ
الشروخاتِ ، كلَّ الشروحاتِ ، كلَّ الحضاراتِ ،
كلَّ الشعاراتِ ، كلَّ المزاداتِ ، كلَّ المواراتِ ،
كلَّ السفاراتِ ، كلَّ السفالاتِ ،
كلَّ السماواتِ ، كلَّ البداياتِ ،
كلَّ النهاياتِ
كل الـ . . . .

كان المفوّضُ . . .
حين دلفتُ إلى البارِ . . . .
. . . . . يتبعني

حين جرجرتُ خطوي الكسيرَ إلى النهرِ . . . . . يتبعني
حين قلّبتُ مكتبتي . . . . كان بين السطورِ النحيلةِ يتبعني
حين ألقيتُ رأسيَ فوقَ الوسادة . . . . . .
كان ما بين جفني وطيفكِ . . . . . .
يتبعني

كان يتبعني في النشيجِ الأخيرِ إلى صدر أمي وما ترك الدودُ من قبرِ أحلامها أتحاشى المرورَ على صبرها وأجرُّ دموعي إلى البارِ ظامئةً ، كان في لبس الندلِ يتبعني . . . . . .

كان يتبعني في سياطِ المحقّقِ منقوعةٍ بطشوتِ من الخَلِّ والخلفاءِ بصيءِ العقاربِ قربَ الكمنجاتِ ، في دنبكِ الغجرياتِ ، في سيفِ ديوقليدس منصلتًا فوق أعناقنا أبدَ الدهرِ ، في فمها كان منطبقًا في فمي وأحسُّ بأنفاسِ آخرَ ، في القيحِ يثقلُ صدرِ عليٍّ ، بصوفِ الهمومِ ينفّشها محلجُ السُكْرِ ، في الريحِ تلزقُ بالثوبِ أفخاذها ، في فنارِ الموانىءِ ، في طرقِ الصدّ ما ردَّ ، في سهمِ لبشٍ ، بظلِّ تماثيلِ فينوس ، تحتَ جناحي هولا واكا[1] يبيضُ على سورِ قصرِ كاليكولا ، بطنطلِ سردابِ جدي ، التصاقِ الوطاويطِ من دبرهنَّ بسقفِ البيوتِ ، بصيغةِ جمعِ المخافرِ ، في كهفِ

(١) إشارة إلى طائر أسطوري في اثيوبيا أراد أن يخبر قبائل الكالا بأنهم لن يموتوا إذا نزعوا جلدهم في الشيخوخة ، وفي طريقه رأى أفعى تأكل جثة حيوان فقال لها إنه سوف يعطيها السر إذا شاركته الطعام وهكذا كان .

داكـانِ[1] ، في جالدرانِ[2] ، في الطوفانِ إلى نوذِ[3] يتبعني . . . .

كان يتبعني في المتاحفِ ، في معرضِ الكتبِ السنويِّ ، ببالاتِ ألبسةِ الصـيفِ ، في ندمِ الكسـعيِّ[4] ، دمُ الايرينـاتِ ، الرطاناتِ في الملحِ ، في عـبّـهِ الصـخلُ وهو يمعـمعُ ، في الجـزةِ الذهبيـةِ ، في روحِ نمتـار[5] ، فـاتورةِ

---

(١) كهف داكان ، في قرية داكان التابعة للموصل داهمها الجيش العراقي في ١٨ أغسطس ١٩٦٩ وقتلوا ٦٧ امرأة وطفلاً وهم أحياء في كهف كانوا قد لجأوا اليه هربًا من قذائف المدفعية .

(٢) اندلعت معركة «جالدران» التاريخية بين القوات الإيرانية بقيادة الملك الإيراني إسماعيل الصفوي ، والقوات العثمانية بقيادة السلطان العثماني سليم الأول بمساعدة الأكراد ، في منطقة جالدران بين تبريز وخوي بشمال غرب إيران . انتهت بانهزام الجيش الإيراني ١٥١٥م .

(٣) الجبل الذي أهبط عليه أدم بأرض الهند وهو أخصب جبل على الأرض - معجم البلدان جـ ٤ - .

(٤) إشارة إلى ندامة الكسعي وهو رجل ربى نبعة طوال عام حتى أخذ منه قوساً فرمى حمرًا في وادي فأصابت وظن أنه أخطأ فكسر القوس ، فلما أصبح رأى ما أصاب من الصيد فندم ، وعض على إصبعه حتى قطعها وقال : «ندمت ندامة لو أن نفسي تطاوعني إذًا لقتلت نفسي/ تبين لي سفاه الرأي مني لعمر الله حين كسرت قوسي» . قال الشاعر واصفًا تلك الندامة التي ذهبت مثلاً : ندمت ندامة الكسعي لما رأت عيناه ما صنعت يداه . وقال الفرزدق حين طلق نوار :

ندمت ندامة الكسعي لمـــا غـدت مني مطلقة نـوار

وكانت جنتي فخرجت منها كآدم حين أخرجه الضـرار .

(٥) هو عزرائيل السومري .

الأكلِ ، أرضِ الخريبة[١] ، أحلامِ نمرودِ[٢] ، فوق معابرِ فنغ تو[٣] ، بديدانِ أيوبِ ، في أمةٍ ضحكتْ[٤] ، بأنابيبِ تدفئةِ البيتِ ، في الحجرِ المتدحرجِ من سدِّ مأربِ ، خانِ الهنودِ[٥] ، الميلونيكا ، الجورنيكا[٦] ، احتباسِ المصارين ، في الجدجدِ ، الكيلِ ، ميلِ الإذاعاتِ ، أحداقِ غاليفيه[٧] ، في رجّةِ البابِ ، في ضحكةِ النابِ ، أعمدةِ الهاتفِ ، الوغفِ ، القففِ ، البقرِ المتوحّشِ ، مفرزةِ الأمنِ ، في الثربِ ، في الحبِّ ، في خاتمِ العرسِ ، القنادس تقطفها أنملُ القنسِ نحو الدوياتِ مسلوخة الذهنِ والـ . . . . . .

كان يتبعني في التمضمضِ
في طفحِ الكوبِ

---

(١) امتلأت بالأيادي المقطوعة في حرب الجمل .

(٢) حلم نمرود ذات ليلة بقصر ليس له مثيل في التاريخ فأمر وزيره آزر النبي إبراهيم فأكمل هذا القصر وجعل حصاه من المعدن ، وأجرى له أنهار من الماء واللبن والخل والخمر ، وغرس فيه أشجارًا من سائر الألوان وعليها طيور مكورة مجوفة إذا هبت الريح عليها دخلت في الأجراس المثبتة في أجوافها لتخرج من أدبارها فتتحرك الأجراس ، فيخيل للناظر أنها تنطق بسائر اللغات المختلفة ، لكن بعوضة دخلت في مخه حتى حرمته لذيذ النعاس فكان يضرب رأسه بالأرض وأرحم الناس هو الذي يضربه بالنعال .

(٣) مدينة الجحيم الصينية .

(٤) إشارة إلى بيت المتنبي : « أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم» .

(٥) خان قديم في النجف .

(٦) لوحة الفنان العالمي بيكاسو ، عكست الدمار الذي أصاب قرية الجورنيكا الإسبانية العام ١٩٣٦ من جراء الحرب الأهلية المدمرة .

(٧) جزار كومونة باريس .

في الصمغ ، في دمع قابيل[1] ، في نكهة الخبز ، في اليرقات ، بقايا السرادين ، في ذلّة الدَين ، في حشوات الصدور ، عظام القبور ، بوقع الصياصي في النسيج الممدّد[2] ، في ساعة الحشر ، في شدق سربروس[3] ، في الحشد منقسمًا بين فكّيه وهو يخدّرهمْ باللعاب الوظيفيّ ، في الروث ، في السفسطائيين[4] ، في النسوة الوقحات ، ارمداد

---

(١) أول جريمة قتل حدثت على الأرض ، بعد هبوط النبي آدم ، ارتكبها قابيل في حق أخيه هابيل ، ظلمًا وحسدًا . ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَم يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ سورة المائدة - الآيات ٢٧-٣١ القرآن .

(٢) إشارة إلى بيت دريد بن الصمة : فجئتُ إليه والرماح تنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدِ .

(٣) الكلب الذي يحرس مملكة الموت .

(٤) حركة فكرية ظهرت في بلاد الأغريق في القرن ٥ ق .م وكان هدفها مقاومة الفلسفة العقلانية التي راجت وقتذاك . وهم من أوائل من عالجوا إشكالية العدالة ؛ فقناعاتهم الفلسفية تقوم على اعتبارات ترتبط بالشك المذهبي ، وقد أحدثوا تطورا فلسفيا عظيما بنقلهم موضوع الفلسفة من الكون إلى الإنسان . وكانوا يعتبرون الفرد مقياس كل شيء ، فلا تكون هناك حقيقة واحدة بل حقائق عددها عدد الأفراد وعدد الحالات التي يمرون بها .

النبـاتِ ، بشَعـرِ البناتِ ، ندى الواجهـاتِ ، الوجـوهِ التي تتـتّبعني ، كـان يتبعني . . . . .

كا

ن

يتبعني

في تلاحقِ أنفاسِ امرأتي ، في النوافذِ مُسْدَلَةٍ ، في بصيصِ تلامظِ أحـداقنا ، في المصـابيحِ ترجفُ في البـردِ ، في القندِ ، في السـوسِ ، في السمسمِ المتقطّرِ من خدٍّ عابرةٍ ، بالملبّسِ في فمِ طفلي ، بلحيةِ عرّافِ نجدٍ ، بفوحِ الأكاسيا ، التكايا ، دموعِ أبي ، بين كرّاتِ مسبحتي ، في وميضِ السـيـجارةِ بين المواضع ، في لسنِ خيـتي[1] ، ببـابِ المرادِ : - أأدخلُ يا سيدي ، في ترقرقِ أنهارِها تحت كتّانها[2] ، في القناعِ الذي يرتدي وجهَهُ كلما خلعوا واحدًا وجدوا آخرًا ، في تراثيَ نهبًا[3] ، بأيدي سبا ، بالكلابِ التي نهشتْ غارمًا[4] قربَ حوثب ، بالملحِ يفرشهُ جندُ بانيبال ، خلفَ كراعِ

---

(١) إشارة إلى موعظة خيتي الثالث لابنه خيتي الرابع : «كن بليغًا تكن قويًا» .

(٢) إشارة إلى أغنية حب كتبت على بردية قديمة : «يحلو لي أن أذهب إلى الحديقة /لأستحم أمام عينيك/ وأتركك تملأ ناظريك بجمالي/ في ثوبي الكتان الأبيض/ وقد ابتل» .

(٣) من الخطبة الشقشقية للإمام علي بن أبي طالب : « . . فصبرتُ وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ، أرى تراثي نهبا . .» (نهج البلاغة شرح ابن أبي الحديد) .

(٤) غارم : كلب حراسة منزل الموتى عندما يقترب الراغناروك - يوم القيامة - .

الجواميسِ ، باللحظِ صُفّد بالنظراتِ إلى فخذيها[1] ، بسفطِ عباءةِ ايليا[2] وغربانه ، بسلاسلِ غليبنر[3] ، خلفَ تراعشِ أجفانِ راي دوريم ، بالمدفعيةِ تنبحُ خلفَ النجومِ ، بشبشبةِ الزعفرانِ ، بطيسانِ عازر ، بالوردِ بالخمس[4] ، في عقدِ ياغورديوس[5] ، بصمغِ حليبِ جيا[6] ، بمغازلِ بارسي[7] بأيامنا ، بمكائدِ ماسلوم[8] لا تنتهي ، تحت غصنِ الهدالِ المذهبِ[9] ، في ذكرياتِ الأميبيا ، بجدحِ البنادقِ في ظلِ حتفي ، في صندلِ الريحِ ، في سلطةِ البنكِ ، في شيّلِ الأمهاتِ الحزيناتِ ينطرن عودةَ أولادهنَّ من الحربِ ، في الصرخاتِ التي تتلوى على الأرضِ ثم تجفُّ ،

---

(١) إشارة إلى الشاعر الإنجليزي جورج باكر في «قصيدة منزلية» : «كيف أستطيع أن أنجو أبدًا وأنا مصفّد هكذا إلى تلك الفخذ؟» .

(٢) النبي الذي سخر الغراب لكي «يأتيه بخبز ولحم صباحًا وخبز ولحم مساءً » - الملوك الأول ١٧- .

(٣) السلسلة السحرية التي صنعها غليبنر من صوت وقع الهرة وجذور الأحجار وتنفس السمكة وغير ذلك لتقييد الوحش فنرير .

(٤) إشارة إلى بيت البحتري : «وبعيد بين وارد رفه / علل شربه ووارد خمس» .

(٥) هي العقدة التي ربطها غورديوس ولا تحل إلا على يد حاكم آسيا القادم وقد قطعها الاسكندر الأكبر .

(٦) ربة الأرض البدائية ولدت الطيطان والسيكلوب والهيكا تونكيرس والوحوش الهائلة ، وقد أنجبت العماليق من الدم الذي انتثر من جرح أورانوس (السماء) الذي ألحقه به ابنه كرونوس .

(٧) ربات القدر الرومانيات .

(٨) في الإسطورة الالغونكومينية يمثل الشر والتدمير ، أخو غلوسكاب .

(٩) وهو غصن من شجرة الهدال يبرعم للذين يصطفيهم القدر .

بشهوةِ لوط ، بنجمةِ نبتون[١] ، في الخوصِ ، في ليطةِ الخطِ ، في المشطِ ، في نارِ تاوز[٢] ، في سوقِ حنّون[٣] ما زادَ خردلةً ، في الجعاميصِ ، لاعبةِ البوكرِ ، السبئيين[٤] ، مكربِ قتبانِ ، رائحةِ العرقِ المستكي . .

كان يتبعني في الطريقِ إلى دورةِ الماءِ ، في حلمِ لوقيانوس[٥] ،

---

(١) كوكب بعيد في السماء ، يبعد عن الشمس ٤٤٩٦٧٠٠٠٠٠ كم ومدة دورانه حول الشمس ١٦٤ سنة و ٣٢١ يومًا .

(٢) إله الحرانية .

(٣) إشارة الى البيت : «ما زاد حنون في الإسلام خردلة ولا النصارى لهم شغل بحنونِ» .

(٤) وورد ذكر سبأ في الكتب السماوية . ففي التوراة وردت قصّة زيارة ملكة سبأ للنبي سليمان في حوالي القرن العاشر ق .م حاملة هداياها من الطيب واللبان وأكّد القرآن في سورة النّمل . على لسان طائر الهدهد تلك الحضارة العظيمة : ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كلّ شيء ولها عرش عظيم .﴾ كما تدلّنا أقدم النقوش السبئيّة على أنّ التقدم الحضاري بلغ في تلك الفترة شأنًا عظيمًا ، إذ استقرّت عاصمة الدّولة السبئية في مأرب وبني السّد الكبير فيها ، للتحكّم في ري وادي أذنه ، كما كشفت الحفريات في منطقة «تمنّع» عاصمة «قتبان» عن شبكة كاملة من السدود تتصل بها قنوات وصهاريج لتوفير مياه الري لرقعة واسعة من البلاد .

(٥) إشارة محاورات لوقيانوس السُّميساطي التي تهدف إلى السخرية وتعتمد على البلاغة وفنونها ، بملهاة ساخرة وموضوعات مرحة يغلب عليها التزام الجدية والفلسفة . وقد لخّص شكسبير رأيه فيه قائلاً : «كلُّ العالم مسرحه ، وجميع الرِّجال والنِّساء ممثلون لديه» .

في الجرسِ البافلوفي[1] ، في ضحكةِ المسنِ ، في وردةِ الجنِ ، في سنِ سوسوسترس ، في الدرديِّ ، بطاويةِ الطاوِ[2] ، بين الأضابيرِ يحملها ظهرهُ في المكاتبِ ، في لمعانِ الخناجرِ تهرسني فيقيءُ بي البحرُ أمعاءَ خضراءَ طافيةً ومراكبَ تحملُ قاتَ الشمالِ المهرّبِ ، في ألفِ امرأةٍ لسليمانَ[3]

هل قُدَّ من حجرٍ أيرهُ؟

بتواريخنا نتغوطها في السجونِ ، بشيرشون قد علّقوا رأسه فوقَ منبرهِ بالمشابكِ والنشراتِ ، بذاكرةِ الرملِ تمسحُ أسماءَنا والوجوهَ القديمةَ ، في وجههِ جلد حرباء ، في وجههِ حاملاً في مجاري المدينةِ سربَ الملاريا ، بغليونهِ صاعدًا في بروقِ الهتافاتِ ، في عمر سنمار[4] يبني به حجرةَ

---

(١) إشارة إلى عالم النفس والفسيولوجي الروسي ايفان بافلوف (١٨٤٩-١٩٣٦) قام بتجارب عديدة على كلبه حين ربط بين تقديم الطعام له وقرع الجرس .

(٢) الطاوية : دين قديم نشأ في الصين ، تاريخه عريق يرجع إلى عهد أسرة هان مؤسسه لاو تسي الذي قيل إنه عاش في القرن السادس ق .م . يعزى إليه كتاب شهير ، هو «طاو- ده- جينغ» (كتاب طاو والفضيلة) الذي كان مصدرا رئيسياً للفلسفة الطاوية . وللدين الطاوي عدد وفير من الأسفار الكلاسيكية والمعابد الفخمة المنتشرة في أنحاء البلاد .

(٣) قال جعفر بن محمد : كان لسليمان بن داوود سبعمائة سرية غير الزوجات . والسراري جمع سرية وهي الأمة المتخذة للوطء .

(٤) روي أن النعمان الاول أشهر ملوك الحيرة ، أحضر البنائين من بلاد الروم وفي مقدمتهم سنمار المهندس المشهور ، لكي يبني له قصر «الخورنق» . فبناه له على مرتفع قريب من الحيرة حيث تحيط به البساتين والرياض الخضراء . وكانت المياه تجري من الناحية العليا من النهر على شكل دائرة حول أرض القصر وتعود إلى النهر من الناحية المنخفضة . وبعد أن أتمه على أجمل صورة ، صعد ==

الجنرالِ على شكلِ دبابةٍ بنوافذ من فوهاتٍ لها عينُ أرجس منحدرًا لفراش ابنةِ رمسينيت يبني لها غرفتين على شكلِ عضوٍ ونهد يطوفُ بها الناسُ مارًا على بيتِ ستناي[1] تخفي بصندوقها سرَّ بدنوقة[2] وأنا أتمطمطُ في حضنها قطة وبرها مطرٌ من سفرجل أنهرُها فتحكُّ على طرْفِ مكتبتي ذيلها وهي تزحفُ في شبقٍ حامضٍ باتجاهِ المدينةِ حاملةً لحمَ سنمار في فمها ملّحتهُ المراراتُ يعلقُ في فمنا غصصًا - جثثًا ومراكبَ غارقةً في البنوكِ البعيدةِ . هل يرثُ البحرُ ملحَ المراكبِ

لو مرةً يصدقُ البحرُ

لو يُرجعُ البئرُ وضاحَ ، ضيّعهُ العاذلون بصندوقها[3] .

---

== النعمان وحاشيته ومعهم سنمار إلى سطح القصر ، وهناك أخبره سنمار بأنه يعلم له موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله . فسأله النعمان : أيعرفها أحد غيرك؟ فأجابه بالنفي . وهنا أمر النعمان بقذف سنمار من أعلى الخورنق فانكسرت عنقه ومات . فذهب مثلاً : «هذا جزاء سنمار» .

(١) هي أم النارتيين عند الشركس ، تعلم بالغيب وتقيم احتفالات خمر العنب لهم ، وهي أم الأبطال : سرسروقة ، أشمز ، شاوبي . يقول البروفسور ن . يا . مار : إنها فتنت الراعي عند النهر .

(٢) تروي أحد الملاحم الشركسية أن ستناي تغوي البطل بدنوقة حين تتعرض له أثناء مروره بالقرب من بيتها . وهي مرادفة للشيطان بالعربية في الفتنة والإغواء .

(٣) إشارة إلى الصندوق الذي كانت تخفي أم البنين وضاح اليمن حتى وشى أحد الخدم بها فطلبه منها الخليفة الوليد ودفنه في البئر . ثم قال : «يا هذا إنه بلغنا شيء إن كان حقًا فقد دفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك إلى آخر الدهر ، وإن كان باطلاً فقد دفنا الخشب وما أهون ذلك» .

يتلاقفه الموجُ ، لكنها لمْ تزلْ تندبُ الحظَ والبحرَ
تصرخُ : وضّاحَ حَ حَ حَ حَ . . . . . .
يأتي الصدى المتكسّرُ : راحَ حَ حَ ح حَ . . . . .
فتبكي .
وأمواجهُ لا مباليةٌ

تتكسرُ فوق الصخورِ انعكاسَ نساءٍ يراودن في السرِّ أحلامه ، ويقطّعنَ راحاتهنَّ جوىً . تتثاءبُ مرآتها فيمارس عادتَهُ قربها ويقول لبوابِ هذي العمارةِ : إنَّ النساءَ سواسيةٌ في ظلامِ الأسرةِ[1] . . لكنني ورهين المحابسِ[2] ، بين العوانسِ ، كيف نقايسُ : بين العوانِ وبكرٍ وما ذقتُ أريًا ومرًا بكأسٍ ووصلٍ . . يغافلني عطرها ويهبُّ (أراها ببنطالها المتلاصقِ تصحبُ كلبتها ثم تصحبني في الطريقِ إلى بيتِ صاحبها) فأنامُ بقفازِ فاستي وأحلمُ في غرفةِ النومِ . ملقىً بأحضانِ فريا[3] اللذيذةِ تأكلُ ثورًا بكاملهِ .

---

(١) إحالة إلى بلوتارك : «عندما تكون الشموع مطفأة تصبح جميع النساء جميلات» .

(٢) إشارة إلى أبي العلاء المعري .

(٣) أراد ثرمر ملك عمالقة الصقيع أن يتزوج الآلهة فريا لكنها رفضت فتنكر الإله ثور بدلاً منها بزي امرأة ، وفي حفل الزواج فزع العملاق ثرمر حينما رأى العروس قد أكلت ثورًا كاملاً وثماني أسماك سالمون وشربت ثلاثة براميل من الخمر والتهمت كل الحلوى . وحين شك في ذلك أخبروه أن العروس لم تأكل منذ أسبوع لفرحتها بالزواج . . الخ .

وأنا أتلمظُ من كوتي هازجًا
من وراءِ الحديدِ : «وهمدان
تفديها
الغداةَ . . . . .»[1]
فتبكي أناتُ التي طحنتْ موتنا في البراري
ليزهرَ بعلُ[2] . .
يسوقُ له أيلُ[3] غيمَ الخريفِ المشرّشَ صيفًا إلى بيتهِ
فوق صافونِ[4] :
همْ كسروا اللوحَ ، يا أبتي
وارتضوا العجلَ ربًا

---

(١) إشارة إلى وقوع أعشى همدان أسيرًا عند الديلم فعشقته ابنة العلج فواقعها سبعًا فحلت قيوده وأخذت به طريقًا تعرفها حتى خلصا فأنشد : «فمن كان يفديه من الأسر ماله/ فهمدان يفديه الغداةُ ايورها» .

(٢) إله الخصب عند الساميين . وهو في صراع دائم مع عدوه موت .

(٣) أول الآلهة الكنعانية ، وأبو الآله والبشر ، السيد الرحيم العطوف . ظهرت تماثيله وهو يلبس القرون رمزًا للقوة . ورد ذكره في العهد القديم . وكان ملك القدس يُقدم له الخبز والخمر .

(٤) مجمع الآلهة الأوغاريتية وعند أسفله حارب بعل إله العاصفة . وهو جبل يرد ذكره عند المؤرخ البيروتي سنخوني اتن الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث عشر قبل الميلاد وكتب « تاريخ فينيقيا» : « . . ثم رفع صوته الإله ثور - أيل ، أبوه ، وأجاب : اسرع وارفع هيكلا من ذهب في وسط أعالي جبل صافون» . . .

فماذا سنفعلُ إنْ أكلَ الجوعُ أربابنا
فالمجاعة كفرٌ
وجوعُ المنافي بكاءٌ
ومن لي بهدهد[1]
يحملُ في لمحِ عينِ الحسودِ بلادي لمنفاي؟
مَنْ لي ببلقيس ترفعُ أذيالها عن صروحِ حنيني الممرّدِ[2] . لم يبقَ لي صاحبٌ أستدين لدمعي عينيهِ ، ما سوف نأخذُ من هذهِ الأرضِ غيرَ الهواءِ الذي يتراقصُ مثل الذبالةِ
بين الشهيقِ وبين الزفيرِ ،
وبينهما
كان
يتبعني .....

كان يتبعني راسمًا ظلَّهُ في غبارِ التأرجحِ بين التوهمِ والوهمِ أو حافرًا أذنَهُ في الحفيفِ ليصغي لحيطاننا تتهامسُ ما بينها

---

(١) غاب الهدهد ذات يوم عن مجلس النبي سليمان ، فلما عاد قال : «أحطت بما لم تحط به» س النمل - ٢٢ وأخبره بعرش بلقيس ، ثم «قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك - س النمل -٤٠» .

(٢) إشارة إلى الآية : ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ النمل آية ٤٤ القرآن .

باختلاجاتِ أنفاسنا وهي تصعدُ خافقةً في الأثيرِ . . (تلفّتُ كانتْ خطاهُ الوئيدةُ تنسلُّ ناعمةً تحتَ أجفاننا كالهواءِ) يمرُّ الهواءُ - السلامُ مُ مُ مُ مُ المدجّنُ . . . .

قلبكَ حافٍ كطبلٍ

تدقُّ عليه الخطى ، وهي تعبرني [ فجأةً . . .

تتوقفُ سيارةٌ تحت نافذتي

يهبطون سراعًا . .

أراهمْ بجزماتهم يرتقونَ السلالمَ

لكنني قبل أن أفتحَ البابَ ،

ألقي على الوردِ آخرَ روحي

ولا . . . . ] نقرةً ، نقرةً ، أيها الطبلُ

ينسردُ العمرُ :

كركرةً كاليواقيتِ ، تزرقُ في الصمتِ

حنجرتي حطبٌ والأغاني لهيبٌ .

فكيف أغني؟

وأشربُ صرفًا ولا أثملُ؟

ما الذي أفعلُ

إذا كان قلبي لا يعقلُ

كلُّ آخررررررررررررر

منفىً لنا ،

وأسميهِ قبريَ

هل كانَ يكفي بكاؤكِ يا أمنا

كي نحسَّ الفجيعةَ

في عينِ قابلةٍ

قطعتْ حبلَ سرتنا

فسقطنا إلى الأرضِ نبحثُ عن آخرِ الحبلِ في يدٍّ جلادنا . .

واهمين بأسمائنا لا سطوعَ

أشدُّ من البحر يزفرنا كالمراكبِ .

هلْ يأكلُ السوسُ عمرَ المراكبِ

أكثرَ ما يفعلُ البحرُ

حين تنوخُ على جرفِهِ ، في الكهولةِ .

هل ينقذُ العنجَ[1] شاوشيانت[2] لو سكبوا فوق أرواحنا معدنًا ذائبًا كالخطيئة . يمتدُ أزمنةً تتدافعُ بين الفضاءاتِ والنثرِ كيس اللغاتِ[3] الذي طشّهُ عابرٌ : افرزوهُ بأنفسكمْ . . ومضى ما يدبّجهُ أهرمان على لوحنا يكشفُ السهدَ في رشقٍ كالرخامِ تنفّسهُ وجه مرآتها في تخومِ التماوجِ

---

(١) رمز الحياة في الكتابة الهيروغلوفية .

(٢) إشارة إلى المنقذ في الإسطورة الفارسية أو من سيأتي لتجديد الحياة في نهاية الزمان ، حيث سيتم خلق العالم من جديد وينسكب المعدن الذائب على الجميع فيكون كالحليب الدافي للصالحين أتباع أهورا مزدا وحارقًا للأشرار أتباع أهرمان في الدروج .

(٣) تروي الأسطورة الأفارية - كما يكتب رسول حمزاتوف في «داغستان بلدي» - إن الفارس الذي وزع اللغات على العالم ألقى حقيبة اللغات في ممرات الجبال وقال للناس : إفرزوها بأنفسكم .

نحملُ هذا العذابَ على ظهرنا مثل أطلس[١] .
هذي السماءُ إناءٌ
وأنتِ تخوطين شايَ الصباحِ لريتسوس[٢] .
يسلمني نايُ خصركِ للريحِ .
أمحو الغيابَ المقفّى
عن الياسمين المشاغبِ .
لي عزلةٌ ومقاصدُ لا تنتهي بانطفاءِ المساءِ
على فخذِ أنثى .
ولي وغفُ البحرِ .
لي أندروماكُ[٣] .
لي أذنُ فانسان[٤] .
لي قمرٌ عاطلٌ في النسيئةِ يشربُ من وشلِ الحنفياتِ بين خرائبِ عيلام[٥] .

---

(١) شقيق بروميثوس وابن لابيتوس من كليميني في الأسطورة اليونانية . عاقبه الإله زيوس بأن يرفع السموات على كتفيه وهو واقف في أقصى الغرب من الأرض .
(٢) إشارة إلى قصيدة السلام لريتسوس ، أهداها إلى كوستانس فارناليس بعد إطلاق سراحه : «السلام هو كأس من الحليب الدافيء وكتاب أمام الطفل الذي يستيقظ» .
(٣) مأساة لراسين تمثل تضحية الأم بنفسها من أجل ابنها .
(٤) أذن فان كوخ التي قطعها لصديقته .
(٥) سكن العيلاميون منطقة الأحواز في الألف السادس قبل الميلاد و خضعوا للمملكة الأكدية في العراق ، وبسبب ثوراتهم المستمرة لم يدم حكم ==

لي انكسارُ غصونِ الدروسِ بثقلِ الرؤوسِ ، أغرغرُ منشغلاً بالنصوصِ ، أركّبها ، وأفكّكها ، مثل طفلٍ يدحرجُ رأسَ الأميرِ الذي ليس يعجبهُ بحكاياتِ بانكا ، ولي . . . . . .

ولهُ جملٌ تتدحرجُ باهتةً من قطارِ اللغاتِ التي لمْ يقلْ غيرها منذ ألفٍ

فلا تفتحي في الصناديقِ أخطاءَنا[1] .

ما بنا من شرورِ الطبيعةِ يكفي .

نصوصي مغيّبةٌ بالتماعاتها

وصباحٌ كثيفٌ يهرولني في التقاويمِ

أمسكُ أرقامَهُ وأفرّقها في الشوارعِ

حتى إذا فرغتْ بين كفي استدنتُ صباحًا جديدًا لعطركِ .

ما يتبدّدُ لا يتجدّدُ .

مرتديًا حجرَ الجيدِ نحو مدى الهسيانِ ،

أرى طحلبًا طافيًا سوفَ يحرثهُ ثورُ قرغيس كي ينبتَ الناسُ كالزرعِ .

---

== الأكديين طويلا فسيطر العيلاميون على المملكة الأكدية واحتلوا عاصمتها أور وأنشأوا المملكة العيلامية التي شملت الأقوام السامية في الأحواز . و في عهد حمورابي عام ٢٠٩٤ ق م أخضع البابليون المملكة العيلامية ,ثم جاءت الدولة الأشورية للأحواز واحتلتها عام ٦٤٦ ق م ، ودمرت عاصمتها الشوش في عهد آشور بانيبال لكن حكمهم لم يستمر طويلاً .

(١) إشارة إلى باندورا التي تملك صندوق الخطايا والشرور .

هل نبتتْ شجراتُ الباندانـدوس[1] على قبـرها فاستظلَّ بهـا قلبُ رانغي[2] يقبّل بابا ليبدأ من قبلةٍ كلَّ هذا البلاءِ الإلهيِّ .

هل دائمًا ترسمين الحمامَ وتنسين قلبي

رأيتُ لضحكتها عبرَ قضبانِ سجني تفتّحُ أزهارها (كلما حطَّ قلبي على وردِ ثغركِ

ماستْ زهورُ الحديقةِ من غيرةٍ

فركضتِ ورائي

تشدينني للوراء) تلفّتُ . . . . .

كان ورائي . . وأقصدُ : كان الطريقُ ورائي يجرُّ خطانا إلى الجسرِ مثقلةً بخطى العابرين يجرون قطعانهم والجسورَ التي قصمتْ ظهرها الطائراتُ .

---

(١) إشارة إلى إسطورة جزيرة جلبرت التي تقول إن العملاق أوريا آريا وقع في حب ني - تيتوا بن ولكنها لم تحمل منه وتوفيت فدفنها فخرجت من قبرها ثلاث شجرات إذ نمت شجرة جوز الهند من رأسها ومن جسدها شجرة اللوز ومن قدميها شجرة الباندانـدوس .

(٢) إشارة إلى رانغي إله السماء عند شعب الموارى الذي قبّل الأرض بابا بشدة ، إلى درجة أن أطفالهما لم يقدروا على الخروج من رحم الأرض وضجروا من استمرارية العيش في الظلام ، وتباحثوا فيما بينهم وقرر تو- ماتوينغا أن يقتل أبويه بينما رأى تان - ماهوتا أن يفصلهما عن بعضهما وأن تبقى السماء في الأعلى والأرض في الأسفل كأم مرضعة ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك إذ إن الريح انتصرت لرانغي وعصفت بكل شيء فلم يقف في وجهها سوى تو ثم ابتلع إخوته الجبناء انتقامًا لتركه وحده .

وأقصدُ : أحلامنا في العراءِ تفضفضُ أقواسها باتجاهِ العصافيرِ تنقرُ في الكرزِ المتفتّحِ في شفتيكِ وتتركني ذاهلَ الدمعِ في قفصي لا أريمُ . وأقصدُ : كنَّ يوزعن للكاميراتِ ابتساماتهن ويعبسنَ في وجهنا طافحًا بالبثورِ ، ولكنني لستُ أندمُ إلاّ عليَّ أضعتُ الذي في يديَّ لأحصي الثمارَ على الشجراتِ البعيدةِ . أقصدُ : نرجفُ في البردِ في ساحةِ العرضاتِ حليقين مثل فروجِ البغايا أمام العريف . وأقصد : كانتْ كلابُ المدينةِ تلعقُ تأريخها في اشتهاءٍ وأنتَ على الأرضِ تلعقُ بولتها : كيف شبّبتَ في زوجةِ الضابطِ الأجنبيِّ أمام الكتيبةِ (ساقا عقيلته في المجلاتِ يخطفها جندُهُ . . . .

تتبدلُ تهمتَهُ) صارخًا : كيف قلّمتَ سورَ المعسكرِ . أقصدُ : كنتَ تقايضُ دمعَ البلادِ بعمركَ ، منسكبًا بين أفخاذها : شاعرًا يرتقي فخذي مهرجانٍ ، ويهتزُ . . أقصدُ : أبحثُ في الصيدلياتِ عن أيِّ كبسولةٍ لصداعي من الشعرِ ، لكنني لمْ أجدْ ورقًا للكتابةِ غير هوامشِ إضبارتي في مديريةِ الأمن . أقصدُ : توصلنا الهنيانا أم المهايانا إلى لذةِ الفهمِ حريتي لذتي أم شفاهكِ كي تحتوي الكونَ أرهاتِ[1] من شقٍّ روحك طافتْ بها عرباتُ أفالوكي تسافارا لتحملَهُ غيمةً وتطير بألفِ ذراعٍ تحطُّ على كوّتي ،

---

(١) إشارة إلى تعاليم الوصول إلى المعرفة الكلية «ارهات» ومرحلة الإشراق ويمثل أفالوكي تسافارا خلاصة الشفقة والرحمة المسيحية ، وكان يطوف البوذيون به في وادي الكنج في عربة مزركشة ذات خمسة طوابق أعلى من كل بنايات المدينة ، وفي التبت يحل في جسد طفل وليد ، وأحد مظاهره جسد بأحد عشر رأسًا وألف ذراع ويمكن أن يتحول إلى غيمة .

فأرتّلُ ، أقصدُ : أندبُ يا أندرا[1] شقَّ بطنَ اهي والملوك لينداقَ الماءُ لا ماءَ في عينِ ريشي[2] رأى كلَّ شيءٍ يغوصُ بغيبوبةِ الكونِ لكنَّ زوجتَهُ ريفوكا وهي تسبحُ نحو ضفافِ الكمالِ رأتْ عاشقين على الجرفِ ملتصقين ينودان فالتهبتْ غيرةً فوق سطحِ المياهِ

فغاصتْ إلى القاعِ . أقصدُ : لكنَّ هذي الرماحَ التي نهشتْ لحمَ راحاتنا في سني الفتوحِ استطالتْ غصونًا من الثمرِ الفجِّ . قلنا لنجلسَ في فيئها ريثما تستريحُ الخيولُ من الحربِ ، لكننا حين جعنا التهمنا الكرومَ المدلاةَ حامضةً قبلْ أنْ ينضجَ التينُ والدينُ . حاشيةً مرةً مرَّ فيها دكانةُ في شجرٍ يتقدمُ لكنَّهُ لمْ يكنْ شجرًا بعيونِ يمامة إذْ يعبرُ السائحونَ ويلتقطونَ تصاويرهمْ لقرانا تمشّطُ أشجارها بالأبوذياتِ . هل أعبرُ النهرَ أكثرَ من مرةٍ لأواصلَ زحفي إلى حجرِ الشمسِ ، أنحتُ في ظلِّهِ عاشرَ المستحيلاتِ .

حدّقتُ كانَ بظلِّ المويجاتِ يتبعني وهو يضحكُ . . . .

---

(١) ملك الآلهة في الرغ فيدا - وهي مجموعة التراتيل الهندوسية القديمة - له سلطة على المطر والبرق بعد قتله آهي أفعى الجفاف ، التي ابتلعت المياه الكونية وسكنت ملتفة في الجبال حيث قام البرق بشق بطنها فخرجت المياه وأعطت الحياة وأشرق الفجر .

(٢) الريش : هم الحكماء الملهمون الذين يستقرئون ويرون المستقبل ، ومنهم جامادأغني الذي تزوج ريفوكا الأميرة السماوية التي ذات مرة أرادت السباحة ورأت ذكرًا وأنثى يتبادلان الغرام فالتهبت غيرةً وحسدًا وعرف زوجها أنها سقطت من حياة الكمال .

لي ما يدلُّ النهارَ على مطرٍ أو سطوعي على حائطٍ قاحلٍ
والتواريخُ تعدو ورائي ،
تسيّجُ خاصرتي بالرماحِ
فأشهقُ مئذنةً
في فضاءِ التواشيحِ . . .
لا تسفكوا دمنَا
لتقولوا : مشيئتهُ حكمنا
بِدعةٌ ، يا ابنَ حَنْبَلَ[1] ،
كيف تُصدِّقُها!؟
سيروّجها الخلفاءُ
لتلهو العوامُ التي اختلفتْ حول قرآنها زمنًا بالسيوفِ
فإنْ دفعوكَ إلى السجنِ ،
حطّوهُ فوق الرفوفِ
فصاحَ ابن صفوان[2] يبكي على عمرهِ ريشةً في المهبِّ ،

---

(١) مؤسس المذهب الحنبلي تقيد بالسنة وخالف الرأي حبسه المأمون وعذبه في قضية خلق القرآن .

(٢) الجهم بن صفوان زعيم الجبرية ، قتله الأمويون ، كان يقول : «إن الله لا يمكن أن يتكلم لأن الكلام صفة بشرية» ، وهو قول سبق المعتزلة القائلة بخلق القرآن ، وقال بنفي أزلية الحركة وبالتالي نفي أبديتها ، وأن الله لم يخلق الجنة بعد لأنها ليست قديمة أزلية كما إنها ليست خالدة أبدية ، ويقول إن الله هو الفاعل الوحيد لكل ما في الكون طبيعة ومجتمعًا وإنسانًا ، والإنسان كالريشة المعلقة في مهب الريح ، ومن آرائه ظهرت الجهمية وهي فرقة من الجبرية .

سيكنسها القدريون[1] من جامعِ الفقهِ :
لا تحملوا الجبرَ[2] لافتةً
يا حكوماتُ
فالظلمُ لا يتبعّضُ . . . .
مَنْ قالَ هذي العروش لكم هبة الله
يصرخُ غيلان[3] في السوقِ :

---

(١) أما القدرية فتقول إن العبد قادر على الأفعال ولا يجوز أن يصدر الشر عن الله والقرآن مخلوق . قيل إن معبد الجهني أخذ هذا المذهب عن نصراني من أهل العراق المرتدين عن الإسلام . من أئمتها معبد الجهمي وغيلان الدمشقي وجعد بن درهم الذي قتله خالد القسري حاكم الكوفة بحجة أنه يقول : «ما كلم الله موسى تكليما» .

(٢) الجبرية : يقول أصحابها إن الإنسان مجبور على أعماله لا خيار له ولا قدرة ، أيدها الأمويون . دخل معبد الجهمي وعطاء بن يسار على الحسن البصري وقالا له : «يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجري أعمالنا على قدر الله تعالى» ، فقال لهم البصري : «كذب أعداء الله» .

(٣) إشارة إلى غيلان الدمشقي الذي أمره عمر بن عبد العزيز ببيع خزائن الأمويين ورد حقوق الناس ، فكان يصيح : «تعالوا إلى متاع الخونة ، تعالوا إلى متاع الظلمة ، هذا متاعهم والناس يموتون من الجوع» . فمر به هشام بن عبد الملك وسمعه فقال : أرى هذا يعيبني . وحين تولى العرش هرب غيلان إلى أرمينية ولكن هشام أحضره وقطع أيديه ورجليه فكان يتكلم : «قاتلهم الله كم من حق أماتوه وكم من باطل أحيوه» ، فغضب الأمويون وقالوا لهشام قطعت يدي غيلان ورجليه وأطلقت لسانه إنه أبكى الناس ونبههم إلى ماكانوا غافلين عنه . فأرسل من يقطع لسانه .

هذي خزائنكمْ تملأُ الأرضَ ،
والناسُ غرثى
أكانوا جباةً وليسوا قضاةً
وما كنتَ تملكُ يا خالدَ القسري[1] سوى ما لبستَ قميصًا يتيمًا من الصوف ،
تغسلُهُ وتجفّفُهُ فوق حبلِ الفتوحاتِ ،
منخرقًا بالرماحِ
فكيف لبستَ جنى الريِّ؟
ما كان هذا السوادُ الذي فاءَهُ اللهُ
بستانكمْ يا قريشُ .
فأينَ القصورُ بأندلسٍ
من خيامٍ تطوّحها السافياتُ
تحنُّ لها فيِ الشآمِ كلابيةٌ[2]
ستكون لنا وطنًا - آخر العصرِ - فوق رمالِ الحدود . . .

عبود
عَبْدكَ[3]

---

(١) وكان خالد القسري لا يملك سوى قميص واحد يغسله وينتظره يجف ليلبسه ، ولكنه عندما استلم مقاليد الأمور على العراق أصبح راتبه عشرين ألف ألف درهم - الطبري - .

(٢) إشارة إلى أبيات ميسون الكلابية .

(٣) يرى المستشرق الفرنسي ماسينون أن أول من لقب بالصوفي هو عَبْدَك البغدادي توفي ٨٢٥ م .

مَنْ عبّدوكَ إلى العرشِ نعشًا - يواصلُ واصلُ[1] - لمْ يقرأوا بين جفنيكَ إلاّ طيورَ المعاصي . . .

أقولُ لمالك[2] :

يا سيدي ، يا إمامَ المدينةِ
ما عدتُ أملكُ شسعَ نعالٍ
فينهرني فوق منبرِه :
كيف تجرؤ أنْ تطأَ الأرضَ - أرضَ الرسولِ - بنعليكَ . . .

اطردوا فقهاءَ السلاطين
جبريةٌ هذه الأرضُ أم حرةٌ
سنبولُ عليها ونمضي
. . . . . .
وأمضي . . . . . .

---

(١) إشارة إلى واصل بن عطاء من اعتزاله لحلقة الحسن البصري بشأن مرتكب الكبيرة ظهر مبدأ المعتزلة . ومرتكب الكبيرة برأي البصري منافق لأنه يقول شيئًا ويضمر شيئًا فهو يستحق ما يستحق غير المؤمن . بينما يرى واصل أنه فاسق مؤمن من حيث الاعتقاد ومعطل أحكام الشريعة فهو منزلة بين المنزلتين .

(٢) إشارة إلى مالك بن انس (٩٥ - ١٧٩ هـ) : «الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة» . خاطبة أحدهم أمام دار الهجرة عن بذخ الولاة واستهتارهم بحقوق الناس وكيف أنه لا يجد له شسع نعل يضعه في قدميه ، فبان الغضب على وجهه وقال : «كيف تجرؤ أن تطأ أرض المدينة بنعال وفي هذه الأرض جثة رسول الله» .

كان بين التفاصيلِ والفصلِ يتبعني
عـالقًا بالرفوفِ ، تنوءُ بثقلِ الخطايا التي تركـوها على ظهـرنا ،
عابرين إلى غدنا . . . . .
المساميرُ واحدةٌ
كلما وسّعوا عرشهم
ضيّقوا نعشنا

**ق. ق. ق. ق. ق. قلتُ لهُ** : اجلسْ فـوق الدكّـةِ الظمـني خـيطَ دموعٍ في إبرة خياطٍ محني الظهرِ يخيطُ قميصَ الدنيا المفتوقَ من الدبرِ : شوارعَ تحملُ أقدامَ مظاهرةٍ ستفرقها الطلقاتُ ، غيومًا تعبر أرضًا أجدبها القحطُ لتهطلَ في مدنٍ أهلكها الطوفانُ . .
على الدكّةِ
قلتُ على الدكةِ لا تبرحها . وانظرْ .
ستمرُّ عليكَ أيائلُ معنى هاربةٌ
يتبعها صيادو كلماتٍ ،
ستمرُّ عليكَ اللورياتُ المشحونةُ
بالناسِ وبعرِ الخرفانِ ،
تمرُّ عليكَ الدنيا كحداءِ أباعرَ
ضلّتْ دربَ الحجِّ

إلى الماءِ المجِّ
فماتَ العشبُ على أحداقِ أمانيها ،
سيمرُّ عليكَ الطبّالون يبيعون النقرةَ بالفكرةِ .
لكنكَ إذْ تبحثُ عن حظِكَ تتعبْ
أو شبعِكَ تسغبْ
أو أرضِكَ تغربْ
فاصبرْ
واقعدْ
في الدكةِ ، حتى يعبركَ الجمعُ إلى الخانِ :
بغايا ،
ومطايا ،
وملوكًا
سيناديكَ الحمّالون :
ألمْ تتعبْ من حملِ متاعِ العمرِ
على كتفيكَ .
يناديكَ الورّاقون :
أما كلّتْ عينكَ .
لنْ يُؤخذَ علمَ الأذواقِ من الأوراقِ[1]

---

(١) إحالة إلى ابن عجيبة الحسيني الصوفي : «إن علم الأذواق لا يُؤخذ من الأوراق وإياك وطلب الدليل من خارج ، فتفتقر إلى المعارج . واطلب الحق من ذاتك لذاتك ، تجد الحق أقرب إليك من ذاتك» .

يناديكَ الخمّارُ :

الخمرةُ

صابونُ

الهمِّ[1]

يناديكَ التاجرُ من مخزنِه المملوءِ :

حياتكَ إنْ لمْ تعجبْكَ فبدّلها[2]

سيناديكَ الشاعرُ :

ما ينقصنا في هذا العصرِ هو الشعرُ[3]

يناديكَ الحفّارُ :

احفرْ قبرَكَ وامشِ ،

لا تحصِ أيامكَ حتى تأوي لحظيرتها في الليلِ ،

يناديكَ البنّاءُ من الأسفلِ :

لا تبنِ سطحكَ من أسسِ البيتِ ، فما جدوى أن تملكَ بيتًا لكنكَ لا تملكُ أرضًا[4]

سيناديكَ الحدّادُ :

تعلّمْ أن تطرقَ ظهرَ نهارِكَ

---

(١) إحالة إلى كسرى «النبيذ صابون الهم» .

(٢) إحالة إلى شوبنهاور : «حياتك إن لم تعجبك بدلها» .

(٣) إحالة إلى المهندس المعماري جورج كاندليس : «إن ما ينقصنا في المدينة اليوم هو الشعر» .

(٤) إحالة إلى هنري دافيد تورو : «ما جدوى أن تملك بيتًا إذا كنت لا تملك كوكبًا معتدلاً تضع بيتك فوقه» .

كي يتمدّدَ .

اطرقْهُ كثيرًا

لترَ العالمَ أوسعَ .

ما تطلبهُ نفسي أكبرَ من هذا . ما تطلبه نفسي مفتاحًا أصغرَ من دمعةِ عصفورٍ في قفصٍ أفتحُ فيه سجونَ العالمِ .

إني رجلٌ أبحثُ قبلَ الخبزِ عن الحريةِ

في كلِّ مكانٍ

وزمانٍ

دمعتْ عيناهُ وقالَ :

أيكفي عمرُ الإنسانِ

لكي يصبحَ مفتاحًا

في قلبِ الإنسان

. . . .

هبطتُ إلى الوادي حيثُ الغزلانُ البريةُ تمرحُ . مَنْ علّمَ أولَ إنسانٍ صنعَ السكينِ ، ففرّتْ منهُ جميعُ المخلوقاتِ ، وظلَّ وحيدًا يتقاتلُ في داخلهِ الضدُّ

وناداني الحطابُ : تعالَ وخذْ فأسًا ، واحطبْ في الجبلِ العالي ، علّكَ ترقى سفْحَ أمانيكَ إلى القمةِ . . تكبرُ في عينِ الناسِ وعينكَ

قلتُ : أنا في السفحِ أرى نفسي أكثرَ . .

فاصعدْ . .

صعدَ الإنسانُ بهيجًا .

أتخففُ فضةُ سرجِكَ ثقلَكَ؟

قالَ ولكن ليس هنالك أرضٌ
لا يبلغها البغلُ المثقلُ بالتبرِ[1]
رأيتُ إليه بعيدًا يتسلّقُ أحجارَ مطامحهِ مكدودًا يحملُ أمتعةَ العمرِ
على كتفيهِ . .
انزلقتْ قدماهُ إلى الوادي ،
فتطايرَ أحلامًا متناثرةً ،
وأنينًا مكتومًا ، يتردّدُ - ما زالَ صداهُ - بأعماقِ الوادي
ماذا في القمةِ؟
قالَ المنحدرون :
وجدناها أضيقَ من كفٍّ بخيلٍ ،
فأتينا نبحثُ عن سهلٍ أرحبَ .
ليس الحكمةُ أن تغدو أكثرَ مُلْكًا ،
بلْ أرحبَ قلبًا . . . . .
قلتُ :
لأصعدَ
لا طمعًا
في حمدٍ أو مجدٍ ،
لكنني رجلٌ محكومٌ بالرؤيا

وصعدتُ بطيئًا أستقرىءُ سفرَ التأريخِ بعيني مَنْ يعبرني ، وعلى

(١) إشارة إلى المثل السامي : «ليس في العالم كله مكان لا يستطيع أن يصله حمار محمّل بالذهب» .

كتفي صرةُ خبزٍ ووريقاتٌ بيضٌ .
حين وصلتُ
إلى القمةِ
لمْ أبصرْ
إلاّ أحجارًا جرداءَ
وآثارَ عظامٍ غابرةٍ
نخرتها الديدانُ
نظرتُ إلى عمقِ الوادي والسفحِ رأيتُ الأبصارَ المضنيةَ شاخصةً نحوي ،
فصرختُ بهم :
يا هذا النملُ البشريُّ ،
إلى أينَ تسيرونَ؟
وماذا تبغونَ بقاعِ الأشياءِ؟
فردوا من أسفلِ :
يا أصغرَ من نملٍ ،
ماذا تبغي أنتَ هناكَ؟

هبطتُ إلى قلبِ الوادي ثانيةً
حينَ يُزاحُ الجبلُ العالي يمتلىءُ الوادي
قلتُ لأبحثَ عن نفسي في سربِ النملِ العابرِ في مملكةِ الخبزِ
رأيتُ صديقي في الدكّةِ
ما زالَ على قعدتهِ

يسألني عن أحوالِ الدنيا . .
قلتُ أما يكفيكَ جوابُ الليلِ على أسئلةِ الصبحِ .
فلمْ يقنعْ
قالَ : أريدُ جوابَكَ
قلتُ : نسيتُ فما أسرعَ ما ينسى الإنسانُ . .
هبطتُ إلى الشارعِ أستطلعُ أحوالَ الناسِ
رأيتُ بغالاً تلهبُ بالسوطِ ظهورَ أناسٍ منكفئين إلى الأرضِ بأثقالهمُ ، قُوّادًا يشدون أمام الجندِ الفارين : النصرُ لنا . . . فيجيبُ صدى الجندِ المكسورِ : الفرُ لنا ، ومؤذنَ نَ نَ نَ نَ نَ يقرأُ نشرةَ أخبارٍ فيعجُّ الجامعُ بالتكبيرِ صلاةً للملكِ المُمْطِرِ غيم يديهِ على قحطِ مزارعهمْ . . فبكيتُ من الضحكِ إلى أن قامَ الناسُ فلمّوا كلَّ الأحجارِ لرجمي

ودلفتُ إلى جمهورية افلاطون أُسائلُ عمن يمكنهُ أن يصلحَ هذا العالمَ . ما كلمني أحدٌ فذهبتُ إلى البحرِ وحيدًا أترقّبُ ساعةَ أن يغطسَ قرصُ الشمسِ الأحمرُ في القاعِ ويغرقُ هذا العالمُ في الظلمةِ إلاّ قلبَ الشاعرِ . . .
صليتُ وراءَ إمامِ الجامعِ حتى انسلختْ قدماي ركوعًا وسجودًا
عاقرتُ الحانةَ حتى . . .
ولهثتُ وراءَ خطى الريحِ وجمرِ الأنثى وسرابِ الكلماتِ ،
فلمْ أعثرْ للآن على ما يطفىءُ
هذا القلقَ المتأجّجَ
في روحي

وصرختُ بوجهِ الإنسانِ : ألا يا هذا الدائرُ مثل حصانِ الناعورِ ألَمْ تتعبْ بعدُ؟

ألَمْ يملأْ دلوكَ دمعُ الدنيا؟

قهقه قبرٌ منهدمٌ في أقصى البلدةِ :

لن تملأَ دلوَ الإنسانِ سوى أحجاري

كان القبرُ بعيدًا ، مفغورَ الفاهِ ، بلا أسنانٍ كعجوزٍ شمطاءَ تداعبُ خصيةَ طفلٍ . . .

رحتُ حزينًا أستروحُ رائحةَ الموتى تحت ثيابي . فصرفتُ الليلَ قبالةَ مرآتي كي أبقى في رفقةِ ذاتي . .

مرآةُ الحائطِ فرتْ من وجهي وانكفأَ الحائطُ . قبلَ قليلٍ سلّمتُ على صاحبِ دكانٍ . ما ردَّ عليَّ . لمستُ الأشجارَ فماتتْ بين يدي . . .

ورأيتُ على الجذعِ المتهاوي آثارَ النملِ الأسودِ . . هل متُّ أنا؟

هل يكفي موتي

كي يعدلَ ميزانَ العالمِ

هل يكفي عشرةُ آلافِ قتيلٍ

كي يتسلقنا جنرالٌ واحد .

لكنَّ الحارسَ هزهزني ، وهو يفكُّ القيدَ : تعلّمْ أن لا ترجعَ ثانيةً . . ما لي لمْ أتعلمْ يا سجّانُ بأنَّ العالمَ لا يصلحهُ الشعراءُ ولا . . . . .

ودعني للبابِ : غدًا تنسى أحزانَ الفقراءِ أمامَ تمايلِ خصرِ سكرتيرتكَ المحنيةِ فوقَ الأوراقِ .

ستنسى في ضوءِ كريستالِ المكتبِ فانوسَ السجنِ وتنسانا . .

لن أنسى عبودَ - بكيتُ على صدرِ صديقي في عتبةِ بابِ الزنزانةِ - هل تنسى المقلةُ دمعتها . . . . .

ورأيتُ السجّانَ يربّتُ بالسوطِ على ظهري ليودعني : لن يتعلمَ هذا الشاعرُ أن ينسى ، ستزيدُ الأيامُ خرائبَهُ ، أين مضى في مدنِ العالمِ . . .

(أغمضتُ عيوني فرأيتُ الكهلَ يربّتُ ظهري بحنانْ :

دعْ أقوالَ السجنِ الآنْ . . . .

قلتُ لهُ : بدلاً مِن أن تعطيَني سمكًا ،

علمني الصيدَ

على الشطآنْ

قالَ : تعالَ أعلمك الحكمةَ من أولها . .

لا

تأخذْ

حكمةَ

عمركَ

إلاّ من شيخ فانْ

إحفظْ عني عشرًا

أو لا تحفظْ ،

فالحفظُ هو النسيانْ :

لا تقطعْ

كفَّ أخيكَ الممدودةَ

قد تحتاجُ إليها

*

عاقرْ كأسَ الدهرِ
ولو كان أمرَّ من الصبرِ ، . . .
فلن يشربَ كأسَكَ
غيرُكَ

*

زمَّ شفتيكَ
على الجرحِ
ولا تشمتْ
فيكَ عدوًا

*

لا تعبرْ
نهرًا
من جسرِ عدوٍ ،
أو تقطفْ
زهرًا
من بستانِ لئيمْ

*

لا تَمْدُدْ
كَفَّكَ بالذلةِ .
بالمِنّةِ لا يحيا الإنسانْ

*

اكسرْ
جرةَ خوفكَ
قربَ البحرِ

خذِ الحكمةَ
حتى من شفتي عاهرةٍ

*

لا تفشِ سركَ
للمخبرِ
حتى بعد تقاعدهِ

*

لا تتلفتْ
للريحِ
فقدْ تقذي عينيكَ
ولا تظهرْ علمكَ
وسطَ الجهلاءِ

*

لا تحنِ
ظهركَ للسوطِ ،
فإما أن تُكسرَ

*

أو يُكسرَ

*

واخلعْ . . . . . ) فاحمرتْ لصقي خجلاً . .
ماذا أخلعُ؟ فابتسمَ الكهلُ

ولمْ يكملْ . . . . . .
- سيدتي إنْ تنطفىءَ الجذوةُ في صلبِ المرءِ فلنْ يهتمَّ بسروالكِ . . .

قلتُ لهُ : اكملْ حكمتكَ العاشرةَ الآن . . .
فمسّدَ مرتعشَ الكفين على ثدييها :
هذا بستانُ الأفراحِ .
اقطفْ منه ثمارَ المتعةِ ناضجةً .
واحذرْ أن تأكلَ من ثمرٍ فجِ
خشيةَ أن تضرسَ أسنانُ أمانيك . . .
فارتعشتْ في نسغِ المرأةِ جذوةُ قلبي
أحسستُ بها تزهرُ ضاحكةً والكهل بغرفته يبكي . . . .
- لِمَ تبكي يا شيخُ
أما قضّيتَ من الدنيا وطرًا
قالَ : بلى لكني ما قضّيتُ من المرأةِ ، طرْفًا أو حرْفًا

- . . . . اخلعْ ثيابكَ

الدمُ ينْزى على جسمهِ كلما لوّحتهُ السياطُ ولكنّهُ كانَ يزدادُ صمتًا [
أقولُ لهُ لا تكنْ صحنَ شهدٍ أمامَ الذبابِ ، ستفنى ويبقى الذبابُ يحوّمُ في
الأفقِ منتشيًا . ما الذي كانَ يحدثُ لو قصّرَ اللهُ عمرَ الطغاةِ ، لتعلو سنابلُ
أعمارنا خارجَ السورِ . (هذي السياطُ تعمّدني جسدًا خاسرًا وحقائبَ
أنثرها في المطارِ أمامَ عيونِ المفتشِ . أفرشها وأنامُ على أيما جسدٍ أو كتابٍ)
كلانا يعذّبهُ الآخرُ . الشرطيُّ يعلمنا كيفَ نأكلُ أنفسنا في السجونِ .
لكلٍّ مبرّرهُ في السقوطِ .
تكبّلهُ فكرةٌ من سلاسل .
هل ظلَّ في الكتفِ ما يُؤكلُ .
الأصدقاءُ يحنّطهم خوفهم ،
فألمُّ انكساري على حائطٍ ليس يحمي سوى ظهرهِ
من ثقوبِ الرصاصِ
بجلدي المعلّقِ .
أبصرُ في ظلمةِ السجنِ ماها[1] يخافُ بأن يحتسي الماءَ في الليلِ

(١) إشارة إلى ماها فيرا آخر منقذ أو مخلص من طائفة الجني ، كان معاصرًا لبوذا توفي حوالي ٥٠٠ ق م ، قال إن الروح محددة بالمادة وتدفع ثمن أخطائها في حيوات أخرى «الكارما» لذا فإن الوصول إلى الاتحاد بالذات الإلهية يدعو إلى نبذ كل شيء . ومن أجل هذا يلبس رهبان طائفة الجني خمارًا حول وجوههم وأفواههم لكي لا يقتلوا أي حشرة ، وكان الناس يمتنعون عن شرب الماء بعد الغروب خوفًا من ابتلاعهم ناموسة أو حشرة ويدعون إلى اللاعنف بشكله المطلق «أحمزا» ، وقد تمثل النبذ المطلق للحياة وملذاتها في حياة ماهافيرا .

خشيةَ أن يبلعَ الحشراتِ الصغيرةَ في كوبهِ المعدنيِّ . تعالَ ترَ الجنرالاتِ في عصرنا يبلعون شعوبًا بكاملها] . .

- وقّعْ هنا

- سيدي . . . .) ما الذي ظلَّ في العمرِ أكثر مما مضى فلماذا أخافكَ ، لكنّهُ القلبُ شابَ على الحلم ، شابَ على فضةِ الدم - تلمعُ بين يديكَ - وهذي الأضابيرِ حين تقلّبني ورقةً ، ورقةً . دافئًا نصفَ رأسي بصفرةِ أوراقها ، جملاً تتأرجحُ في مقلِ المخبرين وقد يحلمُ السجناءُ كثيرًا ولا يمضغونَ سوى شوكِ أعمارهم في المنافي

- حددْ مكانَ الإقامة؟

هذا زمانٌ تُطالبُ حتى الطيورُ بعرضِ إقامتها .

عيني على البحرِ أين مضيتَ بأهلي .

قواربهم مثل أعمارهم نصفُ مأكولة .

فتقهقهُ أمواجُهُ في القوارير ترشحُ منها مدامعنا ورمالك . . نغفو على زهرةٍ من نباتِ المزلتو بكتْ موتَ بالدرِ[1] . . . . (من سوفَ يبكي على موتنا

في الرّبيع . .

تذكرتُ من يبكيَ عليَّ فلمْ أجدْ[2] . . . . غير عبود يصرخُ

من سقفِ زنزانتي المتدلي :

---

(١) إله الدموع الذي ينزف في الإسطورة الجرمانية حيث تروي أن الإله الأعمى هودر قتل بالدر بقصبة من نبات المزتلو فبكاه الجميع ، وتستخدم الآن زهرة المزتلو البيضاء في الأعراس الأوربية .

(٢) إشارة إلى مرثية مالك بن الريب .

«يا هو[1] . . ووو . . و . . .»
فلمْ ترتفعْ غيرُ أعناقنا
في المقاصلِ . . . . . .
أمحو الحياطينَ[2] من أولِ الوطن العربيِّ . . .
إلى آخرِ السجنِ
حتى بُريتُ وبضتْ أصابعُ قلبي دمًا
فأخطُّ بها : «تخسه الملوك إن كان . . . . . .»[3]
رأيتُ إلى الجندِ مندهشين
لمرأى ظلالي تسيرُ
على السورِ
- قفْ! . . . .

---

(١) إشارة إلى إسطورة قبائل ينوهومش التي تروي أن السماء كانت منخفضة لدرجة أنهم كانوا يضربون رؤوسهم بها فنصحهم أحد الحكماء بالاجتماع سوية لرفع السماء وأن يصرخوا صرخة واحدة : «يا هو» .

(٢) إشارة إلى الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري الذي سخر من لحية زياد والي إقليم سجستان قائلاً فيها : «ألا ليت اللحى كانت حشيشًا/ فنعلفها خيول المسلمينا» . فحبسه عباد وحبسه أيضًا عبيد الله ، وكان الشاعر قد كتب بالفحم على جدران بعض الحانات التي مرّ بها في طريق عودته إلى سجستان أشعارًا من هجوه في زياد وأولاده ، فأمروه أن يحكها بأظفاره حتى بريت وتهرأت أطراف أنامله وبضت دمًا .

(٣) إشارة إلى قصيدة كتبها عوض قبل إعدامه على جدران سجن عكا بالفحم واكتشفها بعض السجناء فانتشرت : «ياليل خل الأسر / تايكمل نواحه» .

- سـر الليل!!) . . . . لا وطنٌ فـائضٌ في يدي راكـضًـا في ومـيضِ الرصاصِ أخبّىءُ عمري بزقورة أو بقوقعةٍ يتقدمنا زمنٌ خاسرٌ . .

دلّني هل ترى ما عرفتُ لأعرف ماذا ترى .

دلّني يا غريبُ تعبتُ وأنتَ تعايننني

ضاربًا خيمتي قربَهُ[١] :

قلْ له أنْ يردَّ لودِّكَ عبدَكَ في صدّهِ[٢]

قطرةً ، قطرةً

أتبددُ كالشمعِ في معبدٍ للغنوصيةِ[٣] . .

الأصلُ في العددِ[٤]

الفصلُ في السفدِ (الطالبيُّ[٥] بسجنِ هراة

---

(١) من شطحات البسطامي : «سبحاني ما أعظم شأني/ ضربتُ خيمتي بازاء العرش/ رفعني الله فأقامني بين يديه / وقال لي يا أبا يزيد إن خلقي يحبون أن يروك فقلتُ زيِّنّي بوحدانيتك وألبسني أنانيتك وارفعني إلى أحديتك» .

(٢) إشارة إلى ما رواه البخاري في صحيحه عن النبي محمد : «إن جبرائيل موكل بحوائج بني آدم فإذا دعا العبد الكافر ، قال الله تعالى : يا جبريل اقضِ حاجته فإني لا أحب أن أسمع دعاءه . وإذا دعا العبد المؤمن ، قال يا جبريل : احبس حاجته فإني أحب أن أسمع دعاءه» . رواه ابن النجار عن جابر .

(٣) إحدى الفرق المسيحية التي ترى المادة شرًا والخلاص عن طريق المعرفة الروحية .

(٤) إشارة إلى نظرية فيثاغورس القائلة بأن أصل العالم هو العدد .

(٥) إشارة إلى عبد الله الطيار من أحفاد جعفر الطيار ، كان زعيمًا ظهر في الكوفة ضد الأمويين فحبسوه . قال في سجن هراة : «إذا دخل السجان يومًا لحاجة / عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا» .

يحدّقُ في وجهِ زائرِهِ

ذاهلاً

وبنوشيتُ في قصرهِ المرمريِّ ، يكرّرُ صورتَهُ في المرايا[1]

ويعجبُ كيف تكرّرَ

في غفلةٍ من حراساتهِ)

كلُّ حزنٍ يكثّفني في الكؤوسِ

يمازجني خمرُهُ بالصلاةِ[2] . فكيفَ الخروجُ بشكِ اليقين

من الفردجانِ بزيتِ الزجاجةِ نطفئها ونامُ[3] [ . . على قابِ نبضٍ وأدنى

رأيتكِ فوق الضفافِ

تفلّين شعرَكِ يمضي به النهرُ

---

(١) إشارة إلى بنوشيت دكتاتور أمريكا اللاتينية الذي صوره ماركيز في خريف البطريرك : «بعد أن يطفىء البطريرك كل الأضواء في قصره ويلتحق بغرفة نومه وفي يده مصباح يرى نفسه منعكسًا على المرايا جنرالاً واحدًا ثم جنرالين اثنين ثم أربعة عشر جنرالاً» .

(٢) إشارة إلى ابن سينا الذي يروى أنه كان يجمع بين الصلاة وشرب الخمر ، زُج به في سجن فردجان الحصين في زمن تاج الملك فأنشد قصيدته : «دخولي باليقين كما تراه/ وكل الشكُّ في أمر الخروج» . وكذلك إشارة إلى قوله : «إنما النفس كالزجاجة والعلم سراجٌ وحكمة الله زيتُ / فاذا أشرقت فإنك حي وإذا أظلمت فإنك ميتُ» ، مأخوذة من سورة النور : «مثل نوره كمشكاة . .» .

(٣) إشارة إلى هاملت في مسرحية شكسبير وهو يواجه الموت قائلاً : «إن تموت أي أن تنام لعلَّ أحلامًا جديدة» .

متخذاً شكلَ مجراهُ[1] . .
يغمرُ هذي السهولَ - الليالي
ويغمرني
فأعطّلُ كلَّ حواسي[2] حتى أراكِ .
الهوانُ يكبّلني .
الهوانُ بفقدكِ
أقسى من الموتِ[3]
أينكِ؟ . . . ، راحلة في غروبِ شموسي
كتبتُ : أحبكِ
فوقَ متونِ المسلاتِ ،
في سعفِ النخلِ ،
في حانِ شيراز
في نغمِ الجازِ ،

---

(١) إشارة إلى قول أدونيس : «والإبداع لا يحدد بالشكل ولا يحده أي شكل إنه نبع يتفجر متخذاً شكل مجراه أو يتشكل بتلقائية انفجاره ذاتها» .

(٢) إشارة إلى رامبو : في رسالته إلى بول دوميني : «يصبح الشاعر رائيًا بتعطيل الحواس كلها تعطيلاً كاملاً» .

(٣) إشارة إلى ده ساد في روايته «جوليت» : «إن المرء يغار لا لأنه يحب امرأةً حبًا عميقًا بل لأنه يخشى ما يعتريه من هوان إن هي بدلت شعورها نحوه» . وإلى إراغون : «الموت أهون من الحب ولهذا أتكبد عناء الحياة» . وإلى الشاعر الانكليزي فرانسس طومسون : «أخاف أن أهواكِ يا حلوتي لأن الحب سفير الفقدان والخسارة» .

في زرقةِ البحرِ ،
في عرباتِ المساجين ،
في صفحاتِ الطواسينِ ،
في برجِ بابل ،
تحت شموسِ بخارى . .
فغنتْ بشِعري العذارى ] أقولُ لها : يا أنا
فتقولُ : أنا[1] . . . .

غامضٌ جسمها ووضوحي فمٌ يتهجى خسوفاتِ عصري إلى هيبةِ الارتقاءِ إلى شفتيها .

أراكِ بقلبي وليس بعيني ،
وأنتِ تريني بعيني
فكيف أراكِ[2] . .
وخارجُ وصفكِ كيف أوصّفُ[3] . .

---

(١) إشارة إلى السري السقطي : «لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا» . وإلى الحلاج : «أنا من أهوى ومن أهوى أنا / نحن روحان حللنا بدنا» .

(٢) إشارة إلى ابن عربي في مناجاة الكمال : «اسمع يا حبيبي أنت العين المقصودة من الكون . أنت نقطة الدائرة ومحيطها . أنت مركبها وبسيطها . بعيني تراني لا بعين نفسك تراني . حبيبي كم أناديك فلا تسمع . كم أتراءى لك فلا تبصر . كم أندرج لك في الروائح فلا تشم ، وفي الطعوم فلا تطعم لي ذوقًا . ما لكَ ما لكَ . أنا ألذ من كل ملذوذ وأشهى من كل مشتهى» . وإشارة إلى بول غوغان : «أغلق عيني كي أرى» .

(٣) إشارة إلى النفّري : «إن تقف وراء الوصف أخذك الوصف» .

قال : زنِ الحرفَ . .

قالتْ : سيخبرُ عن نفسه

قلتُ : يخبرُ عني وعنكِ[١]

فـإن جـزتهُ في النصـوصِ[٢] - أضـافَ - توقّـفتَ عن رؤيتي في الفصوصِ

فقلتُ : الحروفُ حجابٌ[٣] ، وأعنيكِ

قال : حجابكَ نورٌ وأعنيهِ .

قالتْ : ستسهو عن الدرسِ ، في همزةِ الوصلِ ، بين الوصالِ وغمزةِ عينيّ

قالوا : سترغو أنوثتها في صحونِ الكلامِ ، فتنسى

أضافتْ : وتأسى . .

قلتُ : لكنني لا أطيقُ دلالكِ

قال : وما لكَ

قالتْ : وماذا تريدُ من الحبِّ؟

قلتُ : ولكنّهُ ليس يتركُ نفسي

فأأنسها

---

(١) وإشارة إلى قوله أيضًا : «قال لي الحرف يعجز أن يخبر عن نفسه فكيف يخبر عني» .

(٢) إشارة إلى ابن عربي : «فأشار إلي أنه فُطِرَ على أن لا يكلم أحدًا إلاّ رمزًا» .

(٣) إشارة إلى النفّري : «اذا جزت الحرف وقفت في الرؤية» . وإلى قوله : «الحرف حجاب» . وإلى ابن عربي : «النور حجاب» . وقوله : «التلذذ بالكلام حجاب» .

أو ليتركني أستريحُ[1]
قالَ لي : استترْ لحظةً ، فالجنونُ يريحُ

فقهقهتِ الريحُ
انتبهتُ إليهم يجرونني بالسلاسلِ
قمتُ ، توضأتُ ، بالفجرِ يهمي على كوتي بنداه المذرذرِ
أيقظتُ عبودَ [ كفاهُ
مشدودتان
إلى السقفِ ] : أين مضوا
بحبيبي
يجرُّ سلاسلَهُ ، ويطيحُ
قالَ : اغمضْ جفونَكَ كي لا يجرّحها الصحو
فالصحو في زمنِ القبحِ قبيحُ
قلتُ : لكنّهُ يتشبّثُ بي . . .
ما الذي بأصابعيَ العشرِ أفعلُ
حين أراهُ أمامي يصيحُ
قالَ : ليسَ أذلَّ لكَ الآن من أن يسقطوكَ بحلمكَ ، يا صاحبي . . . .

---

(١) إشارة إلى قول الحلاج : «يا أهل الإسلام أغيثوني فليس يتركني ونفسي فآنس بها وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها وهذا دلال لا أطيقه» .

ما الذي تفعلين إذا غبتُ وانسدلتْ في الحدائقِ ذكراي عن زهرةٍ سوف يقطفها عاشقان وينسونني في الرصيفِ ،

وكيف تسيرين يومًا بدون ذراعي

وقد خلتِ الطرقاتُ سوى من مصابيح روحي .

الرياحُ تمرُّ بأوتارِ قلبي فيصدحُ حزنُ المروجِ .

تمرُّ الطيورُ على حلمي وتحطُّ على ناهديكِ فتندى الشقائقُ .

من خطأٍ قادني للصوابِ

إلى ندمٍ قادني للخرابِ

اكتشفتُ بلاهةَ قلبي وسُكْرِكِ . هل خطأٌ أنْ نحبَّ الحياةَ على خطأٍ أو على صدفةٍ كالبلاهةِ .

كيف تصيرُ النساءُ بمنفاكَ أرضًا تحطُّ عليها أغاني الحنينِ وترحلُ .

هل قلتُ هذا الزبرجدُ يرشحُ من لوعةٍ في النبيذِ يعمّدُ حباتِ ثغركِ .

تجذبني في الزحامِ استراقةُ عينين ناحلتين .

سأكبحُ ركضكِ في رئتي لأواصلَ هذا النشيدَ كما ينبغي فتنامُ على ركبتي وهي تحلمُ . . . . .

أهمسُ : سيدتي ، ما الذي ظلَّ في العمرِ

غير سويعاتِ حبٍ

على نهرِ دجلة

لكنهمْ ، حرسُ السجنِ

كانوا يمدون ، بيني وبينكِ ،

أسلاكَهمْ والرصاصَ

فأرتدُّ منخذلاً ، دافنًا ، في الوسادةِ حلمي

أرى دمَهُ يتخبطُ فوق السلالمِ
والعابرون يمرون مندهشين لمرأى الحمامِ القتيل
على شرفتي . . . . .
آهِ . . . ، ما يفعلُ الوطنُ المرُّ
بالشعراءِ

تلفّتُ ، كان المفوّضُ يتبعني . . . . . .
كان يتبعني . . . . . .
كان يتبعنـ . . . .
كان يتبعـ . . . . . .
كان يتبـ . . . . . .
كان يتـ
كان يـ
كان
كا
كـ . . . . . .
. . . . . .
هي تخلعُ أثوابها
قطعةً
قطعةً
وأنا سارحٌ في تخيّلِ شكلِ المفوّضِ
تدنو . . . .

تهزُّ بأردافها غنجًا . . .
ثِنْيةً ،
ثِنْيةً
وأنا غارقٌ بتذكّرِ سوطِ المفوّضِ
تمتصُّ – في شهوةٍ – شفتي (حطبٌ يابسٌ)
وأنا أتخيّلُ
كيفَ بلعتُ بصاقَ المفوضِ

– إشْ . . . .
– . . . . . .
انكفأتُ
فبين المفوّضِ . . . . .
والقحبةِ المستريحةِ فوق الأريكةِ
كنتُ أفتّشُ عن وطني

آهِ ، يا وطني
أكلُّ بلادٍ تسوّقُ أبناءَها للحروبِ العقيمةِ
تُدعى : وطنْ
أكلُّ مجنْزرةٍ حرثتْ حقل أحلامنا
في السواترِ
تُدعى : وطنْ

أكلُّ فتاةٍ نسينا طفولاتنا في ضفائرها
نسيتْ قلبها في سريرِ المقاولِ
تُدعى : وطنْ
أكلُّ جدارٍ نزفنا عليهِ الشعاراتِ
يسبقنا في الهتافاتِ نحو البنوكِ
ونسبقهُ في الجماعاتِ نحو المخافرِ
يُدعى : وطنْ
أكلُّ شميمِ عرارٍ زرعناهُ في أولِ العمرِ
ثم اختفى في بطونِ المرابين
يُدعى : وطنْ
أكلُّ شهيدٍ بنى الأثرياءُ
على جرحهِ
شققًا ومصارفَ
يُدعى : وطنْ
. . . . . .
وأحتارُ ماذا أسميكَ . .
ماذا أقولُ لطفلي غدًا
حينما يتهجى حروفَكَ مبتهجًا فوق سبورةِ القلبِ
وهو يسائلني عنكَ ، يا فرحي المرَّ ، يا شجني . . .

**- الله على وطني** . . . .

قال صديقي وبكى حين رأى الدربَ بعيدًا [ في غبشِ الفجرِ حملنا اليطغاتِ ، الروحَ على الراحاتِ . تودّعنا نظراتُ الأهلِ القلقين ، وأصداءُ أناشيدِ الأطفالِ بساحاتِ مدارسهم ، ونداءُ الوطنِ المكتومُ . حلمنا في وطنٍ أخضرَ ، يمتدُ من الشامِ لبغدان . . . . (لمْ نفهمْ - يا لسذاجتنا الأولى - كيف انشتلتْ ذكراهُ خيامًا في رحمِ الصحراءِ ، وما زالتْ أسيافُ بني شيبان معلّقةً تلمعُ خلفَ زجاجِ المتحفِ أو تحتَ غبارِ طباشيرِ السبورةِ . قالَ معلمنا مفتخرًا : قالَ النابغةُ الذبيانيُّ : لقد أخطأَ شاعركم ببلاغته . ودهشنا حين رأينا بين اليلمعِ واليشرقِ ثمةَ خيطًا ضوئيًا ، كيف نساهُ الشاعرُ في نولِ حياكتهِ فتقاصرَ ثوبُ الفخرِ قليلاً عن ركبته) لم نفهم كيف بدتْ وانتهتِ الحربُ وعدنا باليطغاتِ وبالخيباتِ تلوذُ بنادقُ أهلينا بالصمتِ فإن جنَّ الليلُ وأوصدتِ الأبوابُ فتحنا الجرحَ وأكملنا : «من النفطِ . . . لخصـ . . . .

. . يأتي

ومن سجنٍ إلى منفى

ومن قمعٍ لطغيانِ . . . . . .» أغلقتُ المذياعَ على الأنباءِ فهمتُ لماذا كانتْ خارطةُ الوطنِ العربيِّ مقسّمةً بالخطِ الأحمرِ في الصفِ . فهمتُ لماذا كان الأستاذُ يثرثرُ عن مسألةِ الوحدةِ في يأسٍ قبل دخولِ المشرفِ (كانتْ أرزاقُ الحربِ ، مكدّسةً في الزيلِ الهادرِ ، طازجةً لمْ تفتحْ بعدُ ، الرشاشاتُ المطليةُ بالزيتِ) وكان صديقي عبود يغني : هل رأى الحبُّ سكارى مثلنا . . حتى فاجأهُ القناصُ فلمْ يكملْ سيلَ شتائمهِ . انطفأتْ عيناهُ الضاحكتانِ ، انطفأَ العالمُ . . دحرجتُ الخوذةَ عن رأسي وتمددتُ مع الأرزاقِ على سطحِ الزيلِ . إلى أين سيفردُ هذا

النسرُ الكهلُ جناحيه[1] ، أحين تساقطتِ الأضراسُ ملأتَ لي الطاسَ[2] . ولكنكَ يا عبد الله غريبٌ حتى في بيتكِ أو بين الناسِ . .

مرّتْ أسرابُ الطيارات تزقزقُ خائبةً (الطياراتُ تدكُّ الآن أهالينا) وتنبهتُ إلى أني ضيّعتُ المذياعَ المتلكىءَ بين الأشلاءِ وأكياسِ الرملِ ،

فلمْ أسمعْ حتى اليوم الثالث

أخبارَ الحربِ

بتصريحاتِ الحكامِ .

سننسحبُ الآنَ . . . بيانٌ رسميٌّ (قهقهةُ قسٍّ[3] على رابيةٍ يرتقبُ الأحداثَ) على كلِّ القطعاتِ المتقدمةِ الآنَ . . . . سننسحبُ الآن . . .! . . . . وخارطةُ الوطنِ الممتدِّ؟ وأغصانِ العودةِ؟ فيروز؟ وطياراتُ الميغ؟ الأرتالُ؟ أناشيدُ الطلابِ؟ الأخبارُ؟ الشهداءُ؟ الـ . . . .؟ (هل نضجَ العنبُ الحامضُ في سوباطِ الشهداءِ؟) وما زالتْ في قِدْرِكِ تغلي أحجارُ الصبيةِ يا أمي فمتى ينضجُ صبرُ اللهِ . . .

كانتْ صحفُ الوطنِ العربيِّ معبّأةً بالنصرِ

من المانشيتِ الأولِ

---

(١) إشارة إلى رسول حمزاتوف : «انه بمقدار ما تفرد جناحيك تعانق المدى» .

(٢) إحالة إلى رسول حمزاتوف أيضًا : «غالبًا ما يكون توزيع خيرات الأرض غير عادل ، فعندما تساقطت أسناني صاروا يحشون اللحم في فمي ، ولو كانت لي أسنان لقدموا لي الشوربة» .

(٣) إحالة إلى قس بن ساعدة : «يا بني إذا رأيت حربًا جبانها يجرؤ وشجاعها يجبن وخسيس المحتج يتحكم فيها بكريم المحتد ففر إلى رابية وترقب الأحداث تر أن في الأمر خيانة» .

حتى نشرةِ أخبارِ الطقسِ . . .

مسحتُ بذلِّ الخيماتِ بقايا الدمعةِ في عيني (وخرجتُ إلى النهرِ أعبّىءُ في رئتيَّ الدفلى . ستكون أمامَ الزهرةِ ، أقربَ لله[1] . . . تمددتُ على الجرفِ حزينًا ، أعبثُ بالرملِ كطفلٍ منكسرٍ ويتيم ، مبتعدًا عن كلِّ الأصحابِ ولا أدري كيفَ رسمتُ على الرملِ الناعمِ خارطةَ الوطنِ العربي ، وبكيتُ . . . بكيتُ

رأيتُ صناديقَ وكالاتِ الغوثِ تعوضنا عن وطنٍ لن ننساهُ ولن نلقاهُ . . . . .

تمدّدتُ على يطغي المبتلِّ بماءِ المطرِ الأسودِ من دخانِ الآبارِ المحروقةِ ، مختنقًا ، أسعلُ نفطًا . . اسعلْ اسعلْ اسعلْ . . . . . وتدافعْ في الطابورِ لكي تشري نفطًا . الأحلامُ ملاعقُ من ذهبٍ كي تأكلَ بالمجانِ[2] . . وأمكَ ما زالتْ تبحثُ في البرميلِ الفارغِ عن فضلةِ نفطٍ للفانوسِ . . .

سلامًا بلدَ النفطِ ،

حروبَ النفطِ ،

ملوكَ النفطِ ،

خراءَ النفطِ ،

---

(١) إحالة إلى الشاعر وردزورث : «إن الانسان يكون أقرب إلى قلب الله وهو في الحديقة منه في أي مكان آخر على وجه الأرض» .

(٢) إحالة إلى الشاعر الكسندر تشاك : «أيها القلب ما الذي يقلقك؟ الأحلام ملاعق ذهبية للأكل مجانًا» .

بغاءَ النفطِ . . . . .

سلامًا عصرَ الدبابات

تهذّبنا ، وتربّينا ، وتعلّمنا ،

درسَ الوطنيةِ ،

فصلاً ، فصلاً

من تقبيلِ يدِ الحاكمِ

حتى الأكلِ المتحضرِ بالشوكةِ والسكينِ

. . . . . .

هل هدأَ القصفُ؟

أصغيتُ إلى قلبِ الليلِ ، فداهمني صوتُ تنفسهِ الأسودُ (هذا القناصُ الجاثمُ خلفَ الناظورِ ، ثقيلاً كالموتِ ، رتيبًا كالرقاص) - يا هذا الكمّونُ[1] المطحونُ بهاونِ أحشائي يكفيني طحنُ الأيامِ . . .

يدي فوق الأوراقِ وجمجمتي في السجنِ وأقدامي ضائعة في الطرقاتِ[2] . . .

أجابهُ بالشعرِ برابرةَ العالمِ[3] . . . أيّ مدائن يخطو قلبي فيها بأمانٍ . . .

قطعوا كلَّ جسورِكَ يا وطني ، والجنرالُ الورقيُّ يعلّقُ أوسمةَ النصرِ على كتفيهِ . .

---

(١) إشارة إلى المثل الشعبي «اواعدك بالوعد واسقيك يا كمون» ، المستمد من حكاية رجل قتله الخوف من كثرة سماع وعيد خصمه الذي كان يطحن الكمون مشيعًا بأنه يطحن سمًا .

(٢) إحالة إلى الشاعر الماغوط .

(٣) إحالة إلى الروائي ستورياس .

لا شيء برؤوسِ قطيع الأغنامِ سوى القشِ

همُ حلقــوا رأسي كَي أتقنَ دوري في اليس . . يم ، يس . . يم ، . . . سـأعضُ على أعـقـابِ بنادقكمْ يا جـلادون . . . أنا مـتـلافُ الكلمـاتِ . سأبصقُ مبتهجًا ، وأغادركمْ ، جلفًا ، لا أعجبكمْ[1] . . . . . ستسيلُ من السمنةِ أشعاركمُ في الطرقاتِ ، ولكن هل يحملكمْ هذا الحبلُ غدًا . . . . مَنْ يضحكُ لمْ يسمعْ بعدُ الأخبارَ المفجوعةَ[2] . . . .

قلتُ أعرّجُ ثانيةً لا بأسَ على مقهى حسن العجمي ، لبضع دقائق ، أسـترخي تعبًا . أتحسّسُ هذي الكلماتِ هنا في صدري[3] ، لأقرّرَ ماذا أفعل في عـمري . . . لكنْ هل هذا عـمرٌ يستاهلُ أنْ أقضي وقتًا لأفكرَ فيهِ[4] . . . .؟ ( . . . . - أين صحابي؟ لا تندهشوا لهدوءِ جبيني فأنا في

---

(١) إحالة إلى الشاعر مايكوفسكي في قصيدته «هاكم»- ١٩١٣ التي ألقاها في كباريه القنديل الوردي الأدبي ، والتي انتهت بتدخل الشرطة وإغلاق القنديل بسبب هياج الجمهور : «بعد ساعة من هنا / ستسيل سمنتكم المترهلة في الزقاق النظيف/ وأنا . . كم قد فتحت لكم من أصفاط قصائدي/ . ./ وإذا كنت اليوم أنا الهونيُّ الجلف/ غير راغب أن أتملقكم . . فها أنا/ أقهقه ، وأبصق مبتهجًا/ أبصق في وجوهكم/ أنا متلاف الكلمات التي لا تقدر بثمن» .

(٢) إحالة إلى الشاعر الألماني برخت .

(٣) إحالة إلى الروائي د . هـ . لورنس (ضاربًا على صدره) : «إنني أتحسس الكتابة هنا» .

(٤) إحالة إلى الشاعرة الدنماركية يونايبسن : «سأجلسُ في المقهى/ لأتخذ ، قرارًا حولَ حياتي/ نعمْ حياتي أنا . . لكن ، بحق الشيطان / أهذهِ حياة . . /تستحقُ أنْ يُؤخذَ لها قرار» .

حربٍ مع نفسي وسلامٍ معكم[1]) . . . . جئتُ أراكم ، قد لا نتلاقى ثانيةً . فالعالمُ محض مصادفةٍ . . . نحتاجُ لجنونٍ ، كي ينسفَهُ (لو وجدَ النظرُ بن شميل[2] كيلةَ باقلاء ، ما فارقكمْ) صافحني دبٌّ شعريٌّ يتأبط دومًا كتبًا لا يقرأها (سأدافعُ عن حقكَ في الحريةِ حتى موتي[3] ، لكنْ هل ستضحّي - يا أنتَ - بزرٍّ قميصكَ من أجلي . . . . .) كان يحاججني ببرودٍ : ما هذا الهذيانُ الأسودُ - هل تعرفُ أن التفكيكيةَ في أوربا بدأتْ تسحبُ أذيالَ العصرِ إلى ما خلف خطوطِ الـ . . . . . [ كان الشعراءُ ، النقادُ ، على حالهمُ يجترونَ التنظيراتِ عن الإبداعِ ويشتمُ بعضُهمُ البعضَ (الطياراتُ تحلّقُ واطئةً ، يرتجُّ زجاجُ المقهى . . والمذياعُ يواصلُ نقلَ خطابِ الدّيناصورِ) أجرُّ ورائي تأريخًا رثًّا . . . هذا الولدُ الطيبُ ما كان له أنْ يتخرّبَ . ما كانَ له أنْ يهذي (هذا الجوعُ الكافرُ لا يحتملُ التأجيل

وهذا العرشُ الجائرُ لن يبقى همزةَ توصيل

فلماذا صمتَ الشعراءُ؟) . . . . . حسوتُ الشايَ على عجلٍ (عينا

---

(١) إحالة إلى الشاعر الاسباني انطونيو ماتشادو : «لا تتعجبوا يا أصدقائي اللطفاء / من أن جبهتي مقطّبةٌ ، مجعّدةٌ/ فأنا أعيشُ في سلامٍ معَ الناسِ/ وفي حربٍ معَ أحشائي . .»

(٢) إشارة إلى خروج النظر بن شُميل التميمي من البصرة إلى خراسان فخرج لتشييعه نحو ثلاثة الآف من المحدثين والفقهاء والأدباء وهم يبكون فقال : «يا أهل البصرة ، يعز علي والله فراقكم ، ولو جدتُ عندكم كل يوم كيلة من الباقلاء ما فارقتكم» .

(٣) إشارة إلى دفاع فولتير الشهير عن روسو يوم أحرقوا كتبه .

القناصِ تراقبني خلف السدّةِ ، يحسوني في بطءٍ ، رشفًا ، رشفًا : هذا الفأرُ السافلُ ما كان له أنْ يعبرَ نحو النهرِ . .) تفحصّتُ برأسي . . .

مازلتُ إذن حيًا والحمدُ له ] . . . شكرًا يا هذا القناصُ الطيبُ . .

هذا فجرٌ آخر ،

ما زالَ هنالكَ متسعٌ لحماقاتٍ وشوارع أخرى ،

تقطرُ من ماسورته

ما زال هنالك متسعٌ لبراعمَ تنمو في نافذتي . . . . . .

**انكفأتُ** على غربتي ومشيتُ إليكِ أعضُّ على الجرحِ . بي شهوةٌ للعناقِ ومرثيةٌ للفراقِ . مشيتُ وأمشي ولا أصلُ الوطنَ - الماءَ ، نمشي إلى آخرِ النفي والنعي ، منكسرين أمام مرايا البلادِ الغريبةِ ، ندفنُ أعلامنا في المفازاتِ ، خشية أن يستدلَّ العدو علينا . . . . أعدّوا لنا موتنا كي نصدّقَ هذي المراثي - الأغاني ، وإلاّ فكيف يطيرُ الحمامُ من الفوهاتِ إلى دمنا رافلاً بسلامي . . أقولُ خذوا كفني رايةً أو سماءً . ولكنهم هُزموا في التراويحِ بين دمشق ، ومرجِ ابن عامر . كانتْ شفاهي امتداد الكلامِ الذي لا يُقالُ . وأعرفُ كمْ كسروا من سيوفكَ يا سيدي في حروبِ الملامِ لأبصرَ رأسَكَ مختضبًا فوق أسوارنا والرماحِ ، ينادي : إذا كان عصري لا يستقيمُ بغير دمي ، يا سيوفُ خذيني[1] . .

خذيني فقد أتعبتني الحياةُ

بظلِّ الطغاةِ . . . . .

---

(١) إشارة إلى الخطبة الأخيرة للحسين بن علي بن أبي طالب ، قبل مصرعه في معركة الطف ، في كربلاء ، في العاشر من محرم .

ليتَ تلكَ القصيدةَ ما طاوعتني وسارتْ معي في طريقِ الرماد
ليت تلكَ البلادَ - معلقةٌ في الجدارِ وراء المفوّضِ - لمْ تصطفِ زمني
شاهدًا للزمانِ القتيلْ
ولمْ أصطفِ حزنها ندمًا أو نديمًا لحزني الطويلْ
رشحتني لهذا العذاب - المحالْ
أقولُ الذي لا يُقالْ
وعنقي على طبقٍ
يتقدمني للمنصةِ
في رئتي قيحُ كلِّ العصورِ
فكيفَ أحدّثكمْ؟
وجنودُ الخليفةِ ترمقني
من ثقوبِ الهواءِ
وتسترقُ السمعَ - خلفَ النوافذِ - حتى لأحلام قلبي

- كمْ قبضوا آخرَ الشهر؟
- كمْ قبضَ الزعماءُ من الشهداءِ؟ وكمْ قبضَ الشهداءُ من الأولياءِ؟ وكمْ قبضَ الـ . . . .
- سـ«أعزمكمْ» في المساءِ على ابنتي [ ضحكتْ بمجونٍ يتغتغها السُكْرُ وهي تراقصُ محفظةَ السيدِ الكهلِ . . . . .
- آن الأوانُ لكي تستريحَ
من الفتحِ والضمِ

ساقاي ]

كانَ الضياءُ النحيلُ يلمُّ بقايا المساءِ من الطرقاتِ ، يذرذرُ جلديَ في الريحِ (لحميَ فوق الموائدِ ، يمضغهُ المتخمون) . . . . وثمةُ كلبٌ يهرُّ من البردِ

- هل أطفىءُ الضوءَ

- يا لاستدارةِ ردفيك

- . . . . . .

- هل ترغبين قليلاً من الثلجِ؟

- ضعْ قطعتين . . .

وواحدةً بين « . . . . . »

. . . . . .

[ينطفىءُ البارُ إلاّكَ ، تمسحُ قيءَ الموائدِ والضحكاتِ - الكوؤس التي اصطفقتْ نخبَ عيدِ جلالته المائتين . . . .

تلمُّ السجائرَ (كم أطفأوا

بين فخذيكَ أعقابها) . . . . . فمن أيِّ منعطفٍ ،

ستمرُّ القصيدةُ؟

من أيِّ سطرٍ يمرُّ العساكرُ بين الصدى واللهاتِ التي أيبستها الهتافاتُ ، . . .

في شارعٍ لا يؤدي سوى لانتخابِ الملوكِ

على عرشِ آلامنا

ستعبّدهُ السرفاتُ لهم كي يمروا

بشبّابة أو بدبابة . لامعينَ كهذا البياضِ المشعِّ . . . . . ]

انتهيتُ إلى العشبِ حيثُ الغروبُ الأخيرُ على دمهِ المستريحِ كحزنِ

المحاربِ يفتحُ في جفنهِ ما سيكفي لكي تعبرَ الروحُ والنهرُ والقبّراتُ . . . .
فيغفو (الذي في الرثاءِ الأخيرِ) على حلمٍ بالطيورِ ، وتغفو التي (في السريرِ
الوثيرِ) على حلمٍ بالقصورِ ، وأغفو على حلمٍ بالجسورِ . . . .

. . . . . .

يحلّقُ عبودُ
أرقبُ كيفَ تحطُّ طيورُ الحنينِ
على دكّةِ السجنِ
تأخذهُ للفضاءاتِ
أرقبُ عينيهِ تختلجان على شرفةِ الأفقِ
وهو يودّعُ كوّتَهُ . .
قبل يومين من دمهِ
ويعانقنا واحدًا واحدًا . . .
[في زمانِ الحصارِ تلفّتُّ أبحثُ عن جثةٍ لصديقي أضعتُ ملامحها
في المطاراتِ
والواجهاتِ المضيئةِ
والملصقات
لمْ يكنْ في الطريقِ سوى جثتي والبلادِ
حملتهما واتجهتُ إلى المقبرة . . . ]
- سيدي ، ما الذي ظلَّ من دمهِ في الإطارِ؟
أرى في المدارِ الذي حولهُ تتراقصُ - مثلَ وميضِ السجائرِ في عتمةِ
القصفِ والذكرياتِ - وجوه الصحابِ الذين مضوا نصفَ ممسوحةٍ . في
الغيومِ البعيدةِ : أجسادهم تتحلّقُ مثل النوارسِ بيضاءَ سابحةً . في شقوقِ

الجدارِ : عناوينهم تتساقطُ كالجصِ يكشطها العاملون . . . . . .

. . . . . .

انتهيتُ إلى النخلِ

حيث انتهيتِ إلى صالة الرقصِ

بيني ونهديكِ تصطفُ أحذيةُ الجندِ

. . . . . .

نرفعُ أقداحَنا في المساءِ المثقّبِ نخبَ الذين مضوا . .

هل أعيدُ جنونكِ من أولِ الإرجوانِ

إلى مطعمٍ في أقاصي الأغاني

انتحينا أنا وفتاتيَ الحزينةُ ،

ركنًا شهيًا على البحرِ :

ندفن أحلامنا في الرمالِ ونمشي مع الموجِ

حتى تلاشي الغروبِ

على جرسِ البابِ

نقرعَهُ ثم ندلفُ . . . .

هل يخطىءُ البحرُ في ما يرى من جنوحِ المراكبِ كي يتقهقرَ

حتى ارتباكِ يدينا

على رغوةِ الكأسِ . . . .

أرمي إلى الموجِ زرقةَ عينيكِ ثمَّ أحدّقُ في الأفقِ ، منبهرًا بانثيالِ الغروبِ على ثغركِ العسجديِّ ، ويبقىَ لقلبيَ هذا البياضُ - السوادُ المشعُّ ، أكان عليَّ اجتنابَ الكؤوسِ لأنسى قليلاً غيابَكِ عن شفتي . . .

[يندلقُ الكأسُ بين أصابعهِ
والطريقُ إلى عنقِ عبود
بين أصابعهِ
- هل تشربين قليلاً . . .؟
- أجل . . . . . ]
انكسرتُ وما لَمّني أحدٌ . . . . . .
وكنتِ أمام الموائدِ تنكسرين على زندهِ
فتلمُّ تويجاتِ جسمكِ أحداقهم وشهيقُ المرايا الطويلةِ
تضحكُ إذْ يعصرُ النهدَ بين أصابعهِ
- أأضيفُ قليلاً من الجنِ؟
- أجل . . . . .
سيدتي ، ما الذي سأقولُ إذا عصرَ العمرَ بين أصابعهِ
قطرةً ، قطرةً . . . . .

آه عبود . .
كنتُ أحسُّ الشوارعَ ملكي
أغاني الحدائقِ ، كلَّ الجسورِ ، النوافذَ حيثُ تطلين ،
كلَّ القصائدِ ، كلَّ المدى . . . . .
غير أن المفوّضَ
صادر مني الشوارعَ والحلمَ
أودعني غرفةً

بمساحةِ صبري
تضيقُ
تضيقُ
تضيقُ
وتخنقني . . . . . .

أكنتَ تركتَ القصيدةَ - حلمَكَ منذ ثلاثين عامًا لتحترفَ الآن في مدنِ الثلجِ علكَ لبان المقالاتِ والآنساتِ البدينات . . مُرّاً يسيلُ دمي في الكتابةِ . لي في الكآبةِ تأريخُ أهلي : بنادقهم فوق أكتافهم ، تعبرُ الهورَ نحو ضفافِ أريدو يشيلونَ هذا المدى فوقَ أكتافهمْ :

صررًا وبلادًا من الملحِ .
غطوا الضحيةَ بالتسمياتِ .
وناموا على قمرٍ عابرٍ
في دخانِ القرى
كالرغيفِ المحمصِ .
مَنْ سرقَ العشبَ من تحتنا .
زائدون عن الأرضِ[1]
نحملُ أوطاننا مثلَ أيوب يحملُ ديدانَهُ .

---

(١) اقتباس من سيمون دي بوفار : «الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعلم بأنه وجد جزافًا فهو يدرك ذاته بوصفه عبثًا لا طائل تحته ويشعر دائمًا بأنه في الكون زائد عن الحاجة» .

نرتدي لبسَ الزعفران[1]

ونبحثُ عن كارما[2] لنكفّرَ عن ذنبنا - حلمِ أسلافنا

في الوصولِ إلى النارافانا[3] - دوائر مغلقة ، عينها أزلٌ

رقصتْ بالدفوفِ على ساقِ أرواحنا حولَ دارتهِ ، فتناهى بها مطلقٌ[4] لا

تفضُّ بكارتهُ ، يتجدّدُ في طينها خاطفًا لحظنا .

فنحكُّ الحديدَ بأظفارنا

---

(١) إشارة إلى طلب بوذا من أتباعه أن يرتدوا ثيابًا بلون الزعفران زهدًا بالحياة وهو اللون الذي يلبسونه للمحكوم عليه بالإعدام .

(٢) الكارما : هو الخلاص والهروب من رابطة الحياة .

(٣) ومعناها الإشراق والخلاص وهي حالة روحية يمحى فيها كل التفكير في الذات الشخصية وتتكون من «نر» وتعني توقف العقل عن الدوران و «فرتي» وتعني مرحلة عدم الإزعاج في الشعور الكلي .

(٤) إشارة إلى فكرة المطلق التي ارتبطت برمز المدار المغلق الأعظم عند المتصوفة المسلمين ، يقول الشيخ عبد الكريم الجيلي من القرن السابع الهجري : «واعلم أن أبده عين أزله وأزله عين أبده» . ومثله طقوس فرقة المولوية التي أسسها جلال الدين الرومي حيث يتم الرقص والدوران على قدم واحدة على إيقاع الدفوف رمزًا لدوران الراقص حول مركز الحق الذي يتلمسه في داخله ، ومثله دوران الحجيج حول الكعبة . وفي النصوص القديمة تخاطب اينانا بالعذراء التي لم تفض بالممارسة الجنسية أو خروج الابن لأن بكارتها رمز اكتمالها وغناها ، وكذلك عناة التي «في توق شديد أمسك بفرجها وفي توق شديد أمسكت قضيبه . بعل قام بفعل الحب آلاف المرات مع العذراء عناة» فلم تذهب بكارة الإلهة لأنها رمز للدافع الجنسي الكوني . ومثل ذلك فكرة التجدد الدائم لبكارات حوريات الجنة ، بعد كل جماع .

كي نزيلَ بها صدأَ السنواتِ
التي حفرتْ فوق أذرعنا السمرِ
شكلَ الطغاةِ .

لنا حزنُ هذي المروجِ التي رفعتْ كفها للسماءِ فبالَ عليها الجرادُ وأقصدُ :

بالَ الزمانُ على فمنا خطأً حامزًا سيجفّفهُ الطبريُّ على حبلِ تأريخهِ أثقلتهُ المباولُ تقفزُ من جيبِ سترتهِ الطالباتُ الخجولاتُ يضحكن من شبقِ الكهلِ يلعقُ بالنظراتِ المريبةِ أفخاذهنَّ الحسيرةَ من فرجةِ الرحلاتِ .

فإنْ قُرِعَ الجرْسُ المدرسيُّ مضى عجلاً حاملاً كيسَ أخبارهِ
هابطًا في دروبِ المدينةِ يبحثُ عن سببٍ مقنعٍ لانتفاخِ كروشِ الطغاةِ
بعصرِ المجاعاتِ . . . (أسمع خلفي : نحيبَ العصورِ
يدبُّ بحقلِ العظامِ وما خلّفَ الدودُ من جيفٍ وأضاحٍ
وما ملَّ جلادنا
ما مللنا
وما ملّتِ الأرضُ
هذي السيولُ التي لا تكفُّ عن الجريانِ إلى أين تذهبُ[1]؟

---

(١) إحالة إلى الشاعر الفرنسي جاك بريفير من ديوانه «كلمات» : «ثمة برك هائلة من الدم على الأرض / أين ترى يذهب كل هذا الدم المسفوح / أهي الأرض التي تشربه فتشمل/ والدم لا يكف عن الجريان / أين ترى يذهب ==

هذي الدموعُ إلى أين؟) هذا الترابُ الذي تحتنا من رفاتِ الجدودِ
فكيفَ تدوسُ عليه بساطيرهمْ
دون أن تصرخَ الأرضُ

أصرخُ هذا المدى أرضنا
كيف ننْزعها من أظافرنا
كلُّ نسغٍ بأشجارها كان ينبضُ من دمنا في عروقِ الغصونِ الوريقةِ
يزهرُ . . . .
هذا الغبارُ مثارُ سنابكنا في أديمِ الحضارةِ
هذا الضبابُ تحشرجُ أنفاسنا في الممرِ إلى صالةِ اللهِ
لامعةٌ بالكريستالِ أخطاؤنا . .
وحفيفُ الرياحِ البعيدةُ أصواتُ أسلافنا
قادمون من الحجرِ الصلدِ . .

هل كانَ هذا الفراتُ سوى دمنا المترقرقِ
من عهدِ سومر
. . . . . حتى مصبِّ الحكوماتِ
تكشط عن جلدنا الملحَ والانقلاباتِ . .

---

== كل هذا الدم المسفوح / دم الأغنيات ، دم الحرب / الأرض التي تدور بأعراسها ومآتمها وأصدافها وجيوشها / الأرض التي تدور ، تدور/ بسيولها الرهيبة من الدم» .

نأتي ونمضي كما موجةٍ في فمِ البحرِ يزفرها . . .
لا نخلّفُ فوق السواحلِ غيرَ الزبدْ

كلُّ شيءٍ بدْ
وما نحن إلاّ خيول سباقِ الأبدْ
فلماذا ولدنا ، وفي عنقنا حبلُ مشنقةٍ
تؤرجحنا الريحُ ذاتَ المنافي . . . . .
وذاتَ البلدْ

صاعدًا في النشيدِ
إلى قلبِ أوروك ،
ألقي الظلالَ على وطنٍ لا ظلالَ لهُ غير ما خلّفتهُ البنادقُ من بقعٍ وتماثيل
تأتي الفصولُ وتذبلُ
تأتي الجيوشُ وترحلُ
تأتي الملوكُ وتبقى . .
يشيّدُ أحدهم قلعةً من جماجمنا ليهدمها آخررررررر
ليشيّدَ برجَ حمامٍ
وكلٌ له شاعر رررررررررر
ومؤرخ خ خ خ خ خ خ . . . .

أصعدُ أسوارَ هذي المدينةِ
دكتْ معاقلها الطائراتُ المغيرةُ
أبصرُ ننكالَ نافشةً شعرها
فوق أطلالها وهي تشدو المراثي[1] وتلطمُ
تكشطها البلدوزراتُ ،
ليبني المقاولُ فوق شواهدها ، وطنًا من مصارف
تعلو
وتعلو (وقلبي يخاف من المصعدِ الكهربائيِّ) تعلو المداخنُ
تعلو المنائرُ
تعلو المدافعُ
والزفراتُ الحبيسةُ - هذا السخامُ انشدادُ

---

(١) إشارة إلى مرثية أور : «أواه أيتها المدينة أرثي نفسك مرّ الرثاء واهمري الدمع هتونًا ابكي على خراب بيوتك وأبنائك وسادتك / لقد سقطت مقدساتك المتلألئة واستحالت بساتينك خرائب متخاصمة» . وبعد أن انقشعت العواصف ظهر ننار في السماء مثل ثور جريح باك ولمحته ننكال فلطمت خدها ونفشت شعرها وبكت وغنت على الناي مراثيها : «ويحك يا ننار لقد هوت مقدسات أور وذبح البرابرة شعبك ، ويحي يا ننار لا معبد لك ولي ولا مدينة لك ولي لقد تشرد القوم وأصبحت أور خرابًا وهي آخر معاقل سومر التي سقطت في الظلام يا عدو الظلام» . وذعر ننار فبكى وناح طويلاً : «أور أيتها المدينة المقدسة لقد جف دم القرابين وامتلأ معبدي بالعاصفة . أواه يا أنكولوك معبدي العظيم الذي كان يمتد بالحشود واليوم يملأه صفير الرياح . أواه يا مدينة الركام يا مدينة الضياع أيتها المدينة الغارقة في الهاوية» - سفر سومر- .

النشيدِ على قوسِ أحلامنا سوفَ نطلقهُ في الفضاءِ الأخيرِ فيجفلُ في دمنا مخلـبٌ .

يتراءى له برجُ بابل

أسود

من زفراتِ المعاملِ

ينسلُّ طابوقةً إثرَ طابوقةٍ

في المتاحفِ

ينهبهُ البدو تحتَ عباءاتهم

والحكوماتِ لمْ تنتبهْ

حارسُ البرجِ لمْ ينتبهْ

لمرورِ جلالته

وهو يسألُ عن عشبِ كلكامش . . . .

- سيدي ، أكلتهُ الخرافُ . أما كان أنفُكَ - عفوكَ -

ينشقُ خلفَ القطيعِ برازَ الـ . . . . . .

- . . . . . .

لكنّهُ قبلَ أنْ يستبينَ الحقيقةَ

غطّوهُ حتى مشارف عينيهِ في جومةٍ للبرازْ . . .

فرأى كلَّ شيء[1] . . . . . .

---

(١) إشارة إلى أول سطر في ملحمة كلكامش : «هو الذي رأى كل شيء» .

اولا شيء ،
كانوا يحكّون أسوارَ بابل
كي يضعوا صورَ الجنرالِ
على كلِّ طابوقةٍ
ضحكَ الفأرُ حتى تبدتْ نواجذهُ
عن مدائنَ لا تنتهي
وأشارَ بأذنيهِ نحو الطغاةِ الذين تلاشوا
على سورها المتطاولِ (أنتفُ لحيةَ عرّافِ بابل نتفًا
أما قلتَ لي : إنَّ كلَّ الغزاةِ
سيندحرون على بابها . .
ليتنا لمْ نصدقْ سوى دمعنا
يترقرقُ
فوق سفوحِ الجنائن
يسقي العصورَ
أما قلتَ لي :
إنَّ هذا الفراتَ
سيطغى
لمرأى دماءِ بنيهِ
على جرفهِ
فيهيجُ
يحطّمُ
كلَّ السدودِ - الجسورِ

فما بالهُ يتوقفُ منكسرَ العينِ ، قدّامَ خيلِ يزيد
يلملمُ أذيالَهُ خجلاً
عن قميصِ الحسين الممزّقِ بالطعناتِ
ويمضي ذليلاً إلى آخرِ الدهرِ والبحرِ)

يأتي الغزاةُ وراءَ الطغاةِ
ويأتي الطغاةُ وراءَ الغزاةِ
ولا شيءَ . . . . . .
يستبدلون الغِلالَ ، بأخرى
السجونَ ، بـ«أخـ . . . . ـر . . . .ا»
ويمضي بنا العمرُ ،
جوعًا ،
ونفيًا ،
وقهرا . . .
وهم راسخونَ على الأرضِ ،
دهرًا ، فدهرا
نُباعُ ونُشرى
ولمْ ندرِ أمرا
ونُذبحُ مثلَ الشياهِ ،
بساحِ معاركهمْ
كي يزيدوا حدودَ الممالكِ
شبرا

- كمْ ساعتكَ الآن؟

- منتصفَ الموتِ، ببغداد.....

ورجالُ الآربي جي خلفَ النخلِ يدكّون قلاعَ الدكتاتورِ

(يفتّشُ بين الأدراجِ عن الحرسِ الخاصِ؛

لقد فروا) فيلوذُ بزاويةِ المرحاضِ..

يموتُ وحيداً مذعوراً..

يسحلُهُ صرصارٌ من ياقتهِ،

- بين الأنقاضِ -

يخشخشُ بالأوسمةِ الذهبيةِ

تعترِكُ الديدانُ على جثتهِ

كاميراتُ الصحفيين

تعلّقه - فوق الجسرِ -

أكفُّ الشعبِ الهادرِ

لافتةَ

لنهايةِ عصرِ الطغيانْ

.....

أنامُ وأصحو ، فلا أجدُ الفجرَ .

مَنْ سرقَ الفجرَ - يا ديكُ - من شرفاتِ المدينةْ .....

قلتُ عبود : كانتْ تضيقُ بنا كوّةُ الأفقِ ، نوسعها بالأغاني
تضيق الأغاني ، فنوسعها بالأماني . . . . . .
فمَنْ يوسعُ الآن كوّةَ منفاك . .
لا شيءَ ، غير السماءِ المعرّاةِ
تسحبُ قطعانها البيضَ
فوق مدارجِ جفنيكَ
نحلمُ في شجرٍ وارفٍ سيظلّلُ بيتًا رسمناهُ منذ الطفولةِ خلفَ سياجِ دفاترنا والرمالِ المندّاةِ بالبحر . . .
يا أيها البحرُ ما أبقتِ السنواتُ المريرةُ منكَ سوى نصفِ نافذةٍ تتلألأُ فوق السفوحِ الغريبةِ .
أرقبُ منها زفيرَ المدينةِ - في آخرِ الليلِ - تقطعهُ المركباتُ ونايُ الحبيبِ .
يحومُ الفراقُ خفافيشَ سوداءَ ،
من أين آتي بمرآتكِ الذهبيةِ أماهُ لو لُصقتْ فوق وجهي الحزينِ . . .
ويا خبزَ أمي اشتهيتكَ
في برد منفاي ، إشّاه . . . . . - والشايُ أبردُ مما تظنين ،
أبردُ من مقلِ العابرين سنشربهُ في المقاهي على عجلٍ
ونذوبُ بموجِ الزحامِ .
فمن سيعدُّ العشاءَ لابنكِ
حين ستنفدُ منه النقودُ .
وليس أذلَّ من الجوعِ في مدنِ الغرباءِ .

ففيمَ التعلّلُ[1]؟

أمشي ،

وأمشي .

الشـوارعُ تمشي بدوني إلى الأصـدقـاءِ . الشـارعُ ملكٌ لصافرةِ الشرطيِّ . .

أأقضي على وحشتي بالكتابةِ؟

لكنْ إلى مَ؟

أقولُ لكلكامش :

لو رأيتَ الذي قد رأينا

لبلتَ على رأسِ هذي الحياةِ

وأسألُ : هل عمرنا سجننا؟

هل كتابي ضريحي؟

هل أرى البابَ حلمًا أنامُ لأدخلهُ؟

هل أجرّبُ موتي لعلي أرى عالمًا

لمْ يصوّرهُ ملتون[2]

---

(١) إشارة إلى بيت المتنبي : «فيم التعلل لا أهلٌ ولا سكنٌ / ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا وطنُ» .

(٢) إشـارة إلى جـون ملتـون (١٦٠٨ -١٦٧٤) شـاعـر انكليـزي أملى وهو أعـمى مطولتين الأولى «الفـردوس المفـقـود» في اثني عـشـر نشـيـدًا تروي سـقـوط آدم وحـواء ، وهي مستوحاة من التوراة ، والثانية «الفردوس المستعاد» وتظهر الشيطان محاولاً إغواء المسيح كيما يحول دون تحقيق خلاص البشر على يديه ، وهي مستوحاة من الإنجيل .

أخرجُ رأسي بين السطورِ لأبصرَ :
أطفالنا يلعبونَ بميراثنا
من حقولِ القنابلِ
والفتياتِ على نهرِ دجلة
يغسلنَ أوجههنَّ
فتمضي المياهُ مرقرقةً بالجمالِ ليكرعها البحرُ
كمْ كرعَ البحرُ أحلامنا
جالسون على حجرِ الحكمةِ البابليةِ
تمضي بنا عرباتُ الطغاة
إلى غرفِ النومِ والمقصلاتِ
ندوّن أسماءَنا بالأظافرِ ،
فوق لحاءِ السنينِ ،
لتورقَ . . .

أحتاجُ عمرًا أضيفُ إليهِ نبيذَكِ . .
أكنسُ باحةَ بيتي من الحربِ والفضلاتِ ،
أقولُ انتظرتكِ[1] حتى تبرعمَ
- في فرجةِ البابِ -
غصنُ التلهفِ

---

(١) إشارة إلى كلمات محفورة على مقاعد متنزه النصب التذكاري لجبران خليل جبران في واشنطن وهي من كلماته : «نحن نعيش فقط لنكتشف الجمال وكل ما عدا ذلك هو نوع من الانتظار» .

وأمتدّ بين عيوني وبين غيابكِ غابًا كثيفًا .

لماذا أضعتكِ ، سيدتي ، في زحامِ القصيدةِ (أبصرها خلف واجهةِ الحانِ ،

تضحكُ ، تمسكُ خيطَ دموعي

وتسحبني) كلما مرتِ الطائراتُ

تذكّرتُ ليلى المريضةَ

فوق سفوحِ العراقِ

يحاصرها الثلجُ والمدفعيون . .

أزحفُ بين القبورِ وألغامنا ، فأحسُّ دبيبَ أغانيكِ خافتةً في صفيرِ الرياحِ تهدهدُ ليلَ القرى الغافياتِ (ثيابي مبللةٌ بنديفِ الغيومِ . وقلبي ملاذُ العصافيرِ .

هل تلمسين به الزغبَ الحلوَ ينمو جناحًا من اللهفةِ المستحيلةِ ، علّي أطيرُ ، أطيرُ . . .

إلى وطني ، لأراكِ) ولنْ أستعيرَ جناحَ القطا[1] ، دجّنتهُ المدينةُ .

قلتُ : انتظرتكِ غيمًا حزينًا يمرُّ على شرفةِ القلبِ يغسلُ حقلَ الرمادِ الذي خلّفتهُ المدافعُ (ألقيتُ ظلي على البحرِ ، منقسمًا في السفائن

---

(١) إشارة إلى بيت العباس بن الأحنف : «أسرب القطا هل من يعير جناحَهُ / لعلي إلى من قد هويتُ أطيرُ» .

تمخرُ بي نحو دلمون[1] فاضطربَ البحرُ من لغتي
تاركًا عبقًا أزرقًا من دموعي على العشبِ .
مرَّ الربيعُ وما زالَ قلبي سجينَ الوريقاتِ صفراءَ يكنسها الريحُ
فوق سطورِ الحدائقِ) أصعدُ من وجعِ الأرضِ . أحفرُ لوحًا
من الطينِ :
لا فجرَ أجملُ من شمسِ حريتي يومَ نكسرُ قضباننا
وندقُّ على بابِ قصرِ الطواغيتِ (يساقطُ الشعراءُ على دبقِ المهرجاناتِ .
أنهضُ مكتئبًا ، صافقًا ، خلفي البابَ
أختارُ بارًا بعيدًا .
أكشُّ طنينَ القوافي ،
وأحلمُ بالبحرِ ، أزرقَ ينسابُ تحت جفوني .
أسيرُ وحيدًا على الرملِ
خلف خطاكِ
ولا أصلُ . . . .) البحرُ عاتٍ بأمواجهِ[2] والجراذينُ
تأكلُ من سفني

---

(١) دلمون : الفردوس السومري وأرض الطهارة والخلود .

(٢) إشارة إلى حافظ الشيرازي : «الليل مظلم والأمواج عاتية والدوامة جد عظيمة فكيف نتمكن نحن الضعاف من معرفة أين الساحل؟» .

وأنا أتصارعُ والموجَ[1] - ربّاهُ -
لا وطنٌ في السفينةِ .
أنهضُ من رغوةِ الكأسِ ،
لاشيءَ غيرُ خطى الجندِ والرملِ . . .

حاربتُ في جيش سرجون حتى أُسرتُ ، ورابضتُ خلف متاريس تشيلي حتى جُرحتُ ، وقاتلتُ في ثورةِ الزنجِ حتى قُتلتُ . .
فما زادني الموتُ إلاّ حياةً من السأمِ المرِّ ، أعلكها في المقاهي وتعلكني في المنافي . . .
وأصرخُ : ما كنتُ يا صاحبي شاهدًا أخرسًا[2] فلماذا المؤرخُ يحذفُ اسميَ؟ . . (ساعي البريدِ مضى بدموعي إلى الله لكنّهُ لمْ يعدْ . . . . فمضيتُ إليكِ .
شفيفٌ كجنحِ الفراشةِ قلبي ، فكيف سأرفأهُ ،
قلتُ أمضي إلى الغابِ .
هل في غصونكَ يا أثلُ من فسحةٍ
لطيوريَ

---

(١) إشارة إلى مانويل باندیرا شاعر من البرازيل ١٨٨٦ : «وأنت تمضي حزينًا خير لك أن تؤوب ثملاً أيها البحار الحزين . ستكون لديك إما أبحرت غدًا الريح الحبيبة والأفق الوسيع وملح البحر اللجي أما أنا أيها البحار أليس خيرًا لي أن أؤوب ثملاً» .

(٢) إشارة إلى نادين جورديمر الحاصلة على نوبل ١٩٩١ : «الكاتب شاهد على ما يحدث في وطنه» .

أتعبها الأفقُ . .
يلتفُّ نحلُ القصيدةِ
في شَعرِ من يعبرنَ دمي ،
يتطاوسنَ بين الزنودِ ،
ووحدي أحدّقُ في كتبي والمصابيحِ) موحشةٌ روحكَ .
البحرُ ينأى . . . .
وأنتَ ببطنِ السفينةِ
أقصدُ في جوفِ حوتكَ
يا يونسَ العربي
يشقُّ العبابَ
ويلقيكَ في جزرِ الواقِ واقِ ،
وحيدًا . . . .

- لماذا تركتَ بلادكَ ،
كانتْ لكَ الرطبَ - الخمرَ ،
والجنةَ البابليةَ . . .
- لمْ أتركِ الأرضَ من بطرٍ ، أيها اللائمونَ بمقهى الشتاتِ ،
ولكنّهُ الجمرُ لا يصطلي
غيرَ قابضهِ . . . . .

سأرضى بما قسّمَ اللهُ لي في المنافي

سوى الذلِّ ،
أطوي الدروبَ بأمعاءٍ فارغةٍ
وذهولٍ ،

كأني
خرجتُ
من السجنِ
توًّا .
أعضُّ الحياةَ بأسنانِ روحي
وأصعدُ مزدهيًا
بنشيدي
أخدّشُ وجهَ السماءِ لتمطرني . . .
كلُّ أرضٍ ستعشبُ فيها الأغاني بلادي . . . .
أأرضى أبدّلُ أرضًا بأرضٍ؟
وكيفَ سأغفو ،
وهذي الوسادةُ ليستْ ذراعيكِ
هذي الـ . . . . . .

[صرختُ بهم :
البلادُ على ظهرِ حوتٍ .
فلا توقدوا قِدرَ الحربِ[1] . . . .

---

(١) إشارة إلى قصة السندباد البحري .

لكنهم سخروا من ظنوني
فماجتْ بهم
قبلَ
أنْ
يلحقوا
بالمراكب . . . . . ]

قلتُ : انتظرتكَ . . . . . .
نمضي معًا في الأزقةِ (لا بيتَ لي
غير ظلِّ القصيدة
أفرشهُ وأنامُ)
شريدين ،
تنكرنا واجهاتُ الفنادقِ
والطرقاتُ الغريبةُ
متكئًا فوق كتفي ،
يبلّلُ دمعُكَ عشبَ قميصي
تحدثني عن مسارِ الغيومِ بجفنيكَ
عن جوعِ طفليكَ في بلدِ النخلِ . . . . .

[كنتُ أراكَ وراءَ الزجاجِ المكيّفِ عينين مثل الينابيع صافيتين ، وثغرًا يبيسًا كحقلِ بلادي ، تنظّفُ أرضيةَ البارِ (أعقابهمْ والبصاقُ المخثّرُ فوق جروحي المندّاةِ) تحني أمامَ الموائدِ قامتكَ - النخلَ (حيثُ انكسرتُ أمامَ

السياطِ) فتمسحُ عن مقلتي
نثارَ النجومِ . .
ونحلمُ . . . .
نحلمُ . . .
نحلمُ

[كلٌّ يغني على ليلهِ . . . .
وأنا في مديريةِ الأمنِ كنتُ أغني على كلِّ ما مرَّ . . ]
حتى إذا أورقَ الفجرُ
- فوق غصونِ المصاطبِ -
ودعتني . . . .
ومضيتَ وحيدًا
لمنفاكَ
تنشدُ في الريحِ منكسرًا
مثلَ نايٍّ غريبٍ :

- أمانًا
بلادي
التي
لن
أ
ر

ى . . . .

١٩٨٤ - ١٩٩٦

وما بينهما من أيام سود

السليمانية (إسطبل في قرية شيخ أوصال) ،

معسكر ٥٧٥ ، شيراتون البصرة ، سجن

الموقع في كركوك ، الكوفة ، بغداد ، القاهرة

عمّان ، صنعاء ، عدن ، الخرطوم ، دمشق ، بيروت

## بعض من سيرته

* ولد الشاعر عدنان الصائغ في مدينة الكوفة ، في العراق ، عام ١٩٥٥ . عمل في الصحف والمجلات العراقية والعربية . غادر العراق صيف ١٩٩٣ نتيجة للمضايقات الفكرية والسياسية التي تعرض لها . وتنقل في بلدان عديدة ، منها عمان وبيروت ، حتى وصوله إلى السويد خريف ١٩٩٦ ثم استقراره في لندن منذ منتصف ٢٠٠٤ .
* عضو اتحاد الأدباء العراقيين . عضو اتحاد الأدباء العرب . عضو اتحاد الأدباء والكتاب السويديين . عضو نادي القلم الدولي في السويد .
* شارك في العديد من المهرجانات الشعرية ، في أنحاء كثيرة من العالم ، مثل : العراق ، السويد ، هولندا ، انكلترا ، اليمن ، لبنان ، الدنمارك ، النرويج ، مصر ، الكويت ، قطر ، السودان ، الأردن ، سوريا ، ألمانيا ، كولومبيا .
* صدرت له المجموعات الشعرية : (انتظريني تحت نصب الحرية - بغداد ١٩٨٤/ أغنيات على جسر الكوفة - بغداد ١٩٨٦/ العصافير لا تحب الرصاص - بغداد ١٩٨٦/ سماء في خوذة - ط١ بغداد ١٩٨٨ ، ط٢ القاهرة ١٩٩١ ، ط٣ القاهرة ١٩٩٦/ مرايا لشعرها الطويل - ط١ بغداد ١٩٩٢ ، ط٢ عمان ٢٠٠٢/ غيمة الصمغ- ط١ بغداد ١٩٩٣ ، ط٢ دمشق ١٩٩٤ ، ط٣ القاهرة ٢٠٠٤/ تحت سماء غريبة - ط١ لندن ١٩٩٤ ، ط٢ بيروت ٢٠٠٢ ، ط٣ القاهرة ٢٠٠٦/ تكوينات - بيروت ١٩٩٦/ نشيد أوروك «قصيدة طويلة» - بيروت ١٩٩٦/ تأبط منفى - السويد ٢٠٠١) .
* صدرت له مختارات شعرية : «خرجتُ من الحرب سهواً» ، القاهرة ١٩٩٤/ «صراخ بحجم وطن» ، السويد ١٩٩٨ . و«الأعمال الشعرية» - بيروت ٢٠٠٤ .

* تُرجمت مختارات من أشعاره إلى لغات عديدة : السويدية والإنجليزية والفرنسية والهولندية والأسبانية والبولونية والإيرانية والكردية والألمانية والرومانية والنرويجية والدنماركية . وصدرت بعضها في كتب :
باللغة السويدية (ت : ستافان ويسلاندر Staffan Wieslander وبوديل جريك Bodil Greek - مالمو ٢٠٠٠) . وبالهولندية (ت : ياكو شونهوفن Jaco Schoonhoven - روتردام ١٩٩٧) . وبالاسبانية (ت : دار ألواح مدريد - ١٩٩٧) .
* حصل على جائزة هيلمان هاميت العالمية HELLMAN HAMMETT للإبداع وحرية التعبير- عام ١٩٩٦ في نيويورك .
* وعلى جائزة مهرجان الشعر العالميPOETRY INTERNATIONAL AWARD عام ١٩٩٧ في روتردام .
* وعلى الجائزة السنوية للإتحاد الأدباء السويدين - فرع الجنوب Forfattarcentrum Syd ، للعام ٢٠٠٥ في مالمو .

* Wait for me under the Statue of Liberty (Baghdad, 1984)

* Songs on the bridge of Kufa (Baghdad, 1986)

* Sparrows don't love bullets (Baghdad, 1986)

* Sky in a helmet (Baghdad, 1988)

* Mirrors for her long hair (Baghdad, 1992)

* Cloud of glue (Baghdad, 1993)

* Under a strange sky (London, 1994)

* Formations (Beirut and Amman, 1996)

* Uruk's anthem (Beirut, 1996)

* A shout as large as a country (Sweden, 1998)

* Carrying an exile (Sweden, 2001).

Uruk's anthem, one of the longest poems ever written in Arabic literature, gives voice to the profound despair of the Iraqi experience and has been described as beautiful, powerful, courageous and at the same time nightmarish, terrifying. It took twelve years to write.

Born in Al-Kufa (Iraq) in 1955, Adnan Al-Sayegh is one of the most original voices from the generation of Iraqi poets known as the Eighties Movement. His poetry, crafted with elegance, and sharp as an arrowhead, carries an intense passion for freedom love and beauty. Adnan uses his words as a weapon to denounce the devastation of war and the horrors of dictatorship.

In 1993 his uncompromising criticism of oppression and injustice led to his exile in Jordan and the Lebanon. After being sentenced to death in Iraq in 1996, because of the publication of Uruk's Anthem, he took refuge in Sweden. Since 2004 he lives in London.

Adnan is a member of the Iraqi and Arab Writers Unions, the Iraqi and Arab Journalists Unions, the International Journalist Organization, the Swedish Writers Union and the Swedish Pen Club.

He has received several international awards; among them, the Hellman - Hammet International Poetry Award (New Yo-k 1996), the Rotterdam International Poetry Award (1997) and the Swedish Writers Association Award (2005), and has been invited to read his poems in many festivals around the world.

His poems have been translated into English, Swedish, Spanish, French, German, Romanian, Norwegian, Danish, Dutch, Persian and Kurdish.

The following collections of Adnan's poetry have been published:

U R U K ' S A N T H E M

POEMS

نشيد أوروك

◆ إنّها قصيدة الفاجعة الجماعيّة في العراق . ضحايا ينشدون نشيدهم جماعيًّا أمام مرايا ملطّخة بالدم إنّها قصيدة الكورال . تدفّق لغويّ . لغة متلاطمة الكلمات والصور على الدوام ، كما إنّ الشعر هنا يشبه سدًّا في بعض الصفحات ، إذ يخزن الماء بهدوء ، ومن ثمّ تفتح البوّابات لكي تتدفّق خارجًا وبقوّة ألف حصان شعريّ ! ( **شيركو بيكه س** ) ◆ قصيدة نشيد أوروك جميلة وقويّة وشجاعة ، وهي في الوقت نفسه مرعبة مثل كابوس ( ***نانسي كوفن*** / *مكتب مراقبة حقوق الإنسان ، نيويورك* ) ◆ أحيانا يمتلك القارئ شعور بما يشبه الفضيحة ، لأنّ الشاعر يخرجه من مخبئه ليذكّره بأنّه من عالم يسمّى ناميًا ، لا ينمو في كثير من بلدانه إلاّ على ما يسحق الإنسان ويجعله أقلّ من جرذ أو خنفساء ( **وكالة رويترز** ) ◆ والصائغ من الأسماء الشعريّة البارزة في جيل الثمانينات ، عاش مرارة التجربة وويلات الحرب ( **وكالة الصحافة الفرنسيّة** ) ◆ حين وقف الشاعر العراقيّ ، الّذي يعيش الآن في المنفى ، أمام الميكروفون ، كان شعره قويًّا متدفّقًا ومؤثّرًا يحمل صوت الشاعر المطارد والمهدّد بالموت ( ***ستافنان إيرسكورد*** / *صحيفة آربيتر السويديّة* ) ◆ قال بعض القرّاء من مصر وخارجها إنّك جبران جديد ، غير أنّي أعدّك قامة شعريّة كبيرة متفرّدة ، وقد رصدت الشرق والغرب في شعرك ( **جمال الغيطاني** / *رئيس تحرير أخبار الأدب المصريّة* ) ◆ من الصعب أن تعرف عدنان الصائغ كلّه . إنّه نهر من العذابات والآلام والشوق إلى القول والتشهّي إلى أن يسمعه الآخرون . إنّ لديه الكثير الكثير ليقوله ( **طلال سلمان** / *رئيس تحرير صحيفة السفير اللبنانيّة* ) ◆ إنّه مشروع تضرب أسسه في أعماق الجراحات لتنكأها ( **د. حسن ناظم** / *صحيفة الزمان اللندنيّة* ) ◆ بهذا شكّل الصائغ قصيدة فريدة في جمعها الموادّ المختلفة وانصياعها للوتيرة الواحدة القاتلة الخانقة ، وتيرة الكتابة الّتي تبنّاها الشاعر بجرأة ( **صباح الخرّاط زوين** / *صحيفة النهار اللبنانيّة* ) .